

قانون التَّأْوِيل

لِلإِمَامِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الْعَرَبِيِّ الْمُعَافَرِيِّ الْإِسْطَبِيلِيِّ

المتوفى في 543

دراسة وتحقيق

مُحَمَّدُ السَّلِيمَانِي

أستاذ العلوم الإسلامية

جامعة الجزائر



قانون التَّأْوِيل

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

1990



دار الفارابي

ص.ب. 5787 - 113

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ
مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ۚ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾

آل عمران : (7)

الإهداء

إلى الثلاثة الذين استضاء بنورهم، ووردت شرحتهم،
وهديت بهمهم:

أولاهم بالولاء، وأحقهم بالإهداء، من عظم الله حقه،
فجعل له حجة من صاعته، وقرن توحيد له بقرانه: أبي فضيلة الشيخ
الحسين السليمانى، فقد كان أخاً وحيداً، ومعلماً يربىني ويرعاني،
فيشجعني إن أحسنت، ويقومني إن اعوججت، وينجزني إن تملكت،
فبارك الله له في عمله وعمله.

وتغمدهم اللهم الآخريين بواسع رحمته، وأسكنهم فسيح
جنتك، واجعل من هذا نوراً يضيء لهما، وأنسا وبراً وسلاماً.
ذلك أن المؤلف صاحب فضل ومنّة، رعاني بعلمه الجم،
وأفادني بخبرته الواسعة، فلا زمته خمس سنين، فيها تعلمت الصبر
على التعليم، والرفق بالمتعلم، فلما لما سمع بي في محور الفلسفة
وعلم الكلام أغور مستنيراً بوضوئه العقل والشرع في البحث
والنظر فاسلم من عثرة الرأي ومزالق التأويل وسلبية النظر،
إنه العلامة الأستاذ الدكتور سليمان دينا.

وثانيهما محدث محقق، وباحث ناقد مدقق، لزمته فتعلمت
أن أقرأ فأفهم، وأبحث فأنتفهم، ولا زمته فأدركت قيمة ما لدينا
من تراث فخره، وخبرت مسالك البحث فيه والتنقيب عليه،
وبه فتح الله لي أبواب المعرفة بالآثار ونقد المرويات والإخبار،
إنه الأستاذ السيد أحمد صقر.

إلى هؤلاء أهدي هذا البضاعة ثمرة غرسهم اعترافاً
بفضلهم وشكراً لهم.

محمد السليمانى

كلمة

فضيلة الأستاذ الدكتور سليمان دنيا⁽¹⁾

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين، أحمدده على عظيم نعمائه، وجميل بلائه، وأستكفيه نوائب الزمان ونوازل الحداث، وأرغب إليه في التوفيق والعصمة، وأبرأ إليه من الحول والقوة، وأخلص القول بأن لا إله إلا الله شهادة الموحّد المستبصر، غير المتوقف المتحير، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده الأمين على وحيه، ورسوله الصادع بأمره ونهيه، المؤيد بجوامع الكلم، المبين للناس ما نزل إليهم بلسان عربي مبين، فيه واضح يعرفه السامعون، وغامض لا يعقله إلا العالمون، وصلّ اللهم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله المتبعين لستته، وأصحابه الميئين لشريعته، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فإن هذا الكتاب القيم باكورة عمل جليل يقوم به ابني وتلميذي الأستاذ محمد السليمان، لإحياء تراث أكبر فقيه ومتكلم عرفته الأندلس، ومن المعلوم أن كنوز التراث الإسلامي قد طمرت حوادث الدهر وصروف الأيام وعوادي الزمن،

(1) فقدت الأمة الإسلامية بموته سنة 1407 - 1987 عالماً محققاً، ومحباً لرسول الله ﷺ صادقاً، وفيلسوفاً ناقداً مدققاً، فقد عرفته بكاءً عند سماع ذكر النبي ﷺ، ملتزماً عقيدة السلف الصالح، متبعاً الهدى النبوي الشريف قولاً وعملاً، وسوف نذكر شيئاً من مناقبه في بحث مستقل إن شاء الله، فقد توفي ولم ينل حقه من التقدير والتكريم، فالله يجزيه خير الجزاء عن أمة قدم لها الورود والرياحين، فقابلته بالجحود والنكران، فما أجحد بني الإنسان.

فهي اليوم من مودعات خزائن الكتب العامة والخاصة في الشرق والغرب، وأصبحت في جملة الدفائن، اللهم إلا كتباً يسيرة حققت تحقيقاً علمياً جيداً، هي جل ما أخرج إلينا من رشح ذلك المعين المتدفق، وما أقله ثمداً لا يقطع غلة صادٍ، ولا يعيد بلة منطق.

وإننا اليوم بحاجة ماسة إلى إحياء ما درس من معالم ثقافتنا، وتبيان ما طمس من آثارها. والكشف عن منابع الحق فيها، نستخرج منها ذكريات العزة، وصفحات المجد، وآيات الفخار.

وقد كان لتلميذي محمد - وهو الخبير بنوادر الكتب والمخطوطات - في تَخْيِير هذا الكتاب الذي أقدم على نشره وتحقيقه، منهج معين وقصد مرسوم، ولم يكن اختياراً جاء عفوَ الخاطر أو ولدته اللَّمحة الخاطفة. وإنما كان اختياراً أنتجتُه الأناة والتروي، وأملته مصلحة الأمة، وفرضته اعتبارات الصحوَّة الإسلامية المباركة.

وكتاب «قانون التأويل» هو للقاضي أبي بكر بن العربي، ويعد هذا الإمام في طليعة العلماء الذين أخذوا من كل فن بسهم وافر، ولم يقف بنفسه عند حدِّ المعرفة والتعليم، بل اقتحم ميدان التأليف الموفق، فكان من نخبة الكتاب المجيدين، بل من أغزرهم مادة، وأطولهم باعاً، وأمضاهم سليقة، وأحضرهم بياناً، متبحراً في الفقه وأصوله، بصيراً بعلم الكلام، خبيراً بمشكلاته، متصرفاً في دقائقه.

وقد كَبَّر ابن العربي في عيني، ووقع في نفسي موقعاً جليلاً، منذ أن قرأت كتابه النفيس «العواصم من القواصم» الذي رد فيه على الفلاسفة وغلاة الصوفية والجهلة من المؤرخين، فكان لكتابه هذا المزية الظاهرة والغرة الواضحة في الفكر الإسلامي، ولو كان لي من الأمر شيء لأمرت أن يطبع هذا الكتاب ويوزع مجاناً ليكون في يد كل مسلم يحب الله ورسوله.

ومن حِكَمِ الله سبحانه وتعالى أن وهب لسلفنا - رضي الله عنهم - بعامة وابن

العربي بخاصة قدرة نفسية عجيبة يجعلون بها العلم خفيفاً محمله، لا يعيا به معانيه ومزاوله، بل يتنقل بين فنونه في شوق ولهفة لا نجد لها حين نزاول تصانيفنا الحديثة، وكتاب «قانون التأويل» من جملة هذه الكتابات اللطيفة التي تمتاز بالعلم الغزير، والبيان الأصيل، الذي يشوق القلوب، ويستولي على الأفئدة، ويملأ النفوس بالإعجاب. فقد لجأ هذا الإمام العظيم إلى إقامة ميزان عدل صحيح كما عرفه من دينه الحنيف، خدمة للعلم وطلابه، يتحصنون به - إذا ما حصلوه على وجهه - عن الخطأ في الفهم، كلما خاضوا في تفسير النصوص الشرعية، أو تعاطوا تأويلها.

ولا شك أن طالب العلم إذا أغفل مثل هذه الموازين الحقة، والقوانين المضبوطة، لم يكد يسلم من هجنة التقصير وسوء التأويل.

وهذا الكتاب قد يعتقد القارئ الكريم في أول الأمر وبإدء الظن أنه يكفي ويغني. حتى إذا نظر فيه الناظر، وجد الأمر على خلاف ما حسبه، والحق أن هذا الكتاب عبارة عن قوانين منهجية تفتح للقارئ الطريق ليسلكه، وتضع له القاعدة لينبني عليها، وتستحثه لإعمال النظر، والمبالغة في الفحص، والإغراق في البحث، والإمعان في التنقيب، وتحقيق بمن يقرأ «قانون التأويل» أن يعود إلى كتب ابن العربي بعامة فيستنبطها التفصيل والشرح.

وفي الختام أقول:

طلب مني ابني محمد أن أكتب له هذه الكلمة، وقد تضاءلت القوة، أو زالت، وحل محلها الضعف والعجز، وتلاشى الأمل، وحل محله الشعور بدنو الأجل وقرب الرحيل. والله يشهد - ولا أظن مؤمناً يشهد الله على أمر هو كاذب فيه - أنني أترقب الموت في كل لحظة، وأرجو لقاءه في كل حين، لأدفن بجوار نبيه سيدنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إنني إن نظرت إلى ما مضى من عمري، وجدته قد غرقت في خضم

الحياة، ولم أتنبه لإدراك حقيقة المصير الذي أنا صائر إليه، فلم أعد نفسي له، ولم آخذ له أهبتة.

وإن نظرت إلى حاضري، وجدّنتني أعجز من أن أنهض بعبء الحاضر، فضلاً عن أن أتدارك معه تقصير الماضي.

اللهم إني أضرع إليك ضراعة من برىء إليك من كل حول وقوة، وأستهديك في زمان قد ضاعت فيه معالم الهدى، وعمي على الناس طريقهم في غمرة الضلالة.

اللهم ثبت قدمي حيث تزلُّ الأقدام، وأنر بصيرتي حيث تعمى البصائر.
اللهم أنت ربي وأنا عبدك، لا أستشفع إليك إلا بك، ولا أخاف أحداً غيرك، ولا أرضى رباً سواك، فاغفر لي.
اللهم تقبل عملي، واغفر زلتي، غير خال من عفوك، ولا محروم من إكرامك.

إلهي: لقد دنا الأجل، وحقق إني ما أخاف لقاءك، بل أكاد أتعجله شوقاً إليك.

اللهم شكراً شكراً: لقد كشفت لي عن حقيقة الدنيا، فرأيتها مشغلة الغافل، وسلوة الجاهل: الغافل عن مصيره، الجاهل بحقيقة نفسه، فاللهم زدني بها تبصرة، وعنها انصرافاً.

أنت أنت الله. هذا الكون العظيم، الذي عَلِمْنَا منه ما علمنا، وجهلنا منه ما جهلنا، صنعك، عرفناك به، فكيف يا إلهي يعرف هذا الكون من يجهلك؟ إنه يكاد ينطق بأن له إلهاً خلقه، ويصيح بالجاحدين والمنكرين أن تدبروا واعتبروا، فإن البعرة تدلّ على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، حَوَّتْ من المخلوقات ما يدهش العقول ويحير الألباب، ألا تدل على اللطيف الخبير؟.

سبحانك، سبحانك، أنت الحق وكل ما عداك باطل، أنت الباقي وكل ما عداك زائل، أنت القوي المتين بيدك الأمر كله، اللهم لا تعاملنا بما نحن أهله، وعاملنا بما أنت أهله من الصفح والإحسان.

اللهم إني أبرأ إليك من كل حول وقوة، وأستعينك وأستهديك، وأعوذ برضاك من غضبك، فاغفر لي وارحمني وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم.

اللهم إني قد رضيت بك رباً، وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبكتابك هادياً وإماماً، وبسنة رسولك إيضاحاً وتبياناً.

اللهم إني قد رضيت بذلك كلّ الرضى، ما أحسب أن الدنيا كلها تعدله.

اللهم اجعلنا وذريتنا وجميع المؤمنين بك وبرسولك موضع رضاك وعطفك وإحسانك وفضلك. إنك أكرم مسؤول، وخير مأمول، وصلّ اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

سليمان دنيا

اللائذ بكنف القوي الذي لا يقهر

مكة المكرمة

في 14 رمضان 1405 هـ

كلمة فضيلة الشيخ العلامة سيّد سابق

الغاية من خلق الناس هي عبادة الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، ولن تتم هذه العبادة إلا بالعلم الذي تستنير به السبل وتتضح معالم الحق.

وأرقى أنواع العلوم وأزكاها العلم بالكتاب والسنة، ولا يضل من تمسك بهما، يستوي في ذلك نص واضح الدلالة، أو اجتهاد في نص صادر عن أهل الاجتهاد.

وعمد المجتهدين قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ، لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.

وأولوا الأمر هنا هم العلماء الذين بذلوا غاية جهدهم، فدرسوا وفهموا وحفظوا وقارنوا ورجحوا، وميزوا الصحيح من الضعيف وعرفوا كيف تستنبط الأحكام من مصادرها، حتى صاروا بجهودهم يأخذون ما شاؤوا لما شاؤوا من أحكام، وهدفهم الوصول إلى الحق. وقد أكد الإمام البخاري في صحيحه أن المراد بالطائفة الظاهرة على الحق هم أهل العلم...، وهم المنتصرون على من خالفهم وأهل العلم أقوياء بعلمهم وعملهم، ويراد بهم هنا المفسرون والمحدثون والفقهاء والخبراء بشؤون الحرب، من المسلمين، والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

والإمام أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي، أحد هؤلاء العلماء، وهو من القمم الشامخة، وبصماته واضحة في علوم الدين والدنيا، فقد صنف في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ، كان أبوه من علماء الوزراء، تخرج بالإمام الغزالي، وانتفع به كثيراً، وكان يعرف قدره، فهو الذي أطلق عليه عالم العلماء، كما أشار إلى ذلك في كتابه (قانون التأويل).

ويكفي ابن العربي فخراً أنه أستاذ القاضي عياض، وأبو بكر بن خير. والقاضي عياض شيخ الإسلام، حامل لواء العلوم الشرعية بيقظة وفهم، أبدع في كتابه (الشفا في التعريف بحقوق المصطفى) إبداعاً فاق كلَّ حدٍّ، وكتابه (مشارك الأنوار) الذي يقول عنه مؤلف (شجرة النور الزكية) «لو كتب بالذهب، ووزن بالجواهر لكان قليلاً».

أما أبو بكر محمد بن خير: فهو العلامة المحدث التقي الثقة المأمون، قال ابن العماد في شذرات الذهب عندما ترجم لابن العربي: «رحل إلى الشام وبغداد والحجاز ثم عاد إلى بغداد، ثم ذهب إلى مصر والإسكندرية، ثم عاد إلى الأندلس بعلم كثير».

وأضاف: «وابن العربي مفرط في الذكاء، عالم ناقد متبحر، قادر على نشر سائر علومه، مع الأدب وحسن المعاشرة، ولين الجانب».

وقال السيوطي في طبقات الحفاظ: «برع في الأدب، وكان ثاقب الذهن، كريم السمائل، كما كان شديداً في الحق، يتصر للمظلوم، وقد بلغ رتبة الاجتهاد».

أجل: والواصلون درجة الاجتهاد قلة، وأقلّ منهم من أعدّ نفسه بحيث لو كان وحده لاستغنى به الناس عن غيره.

وابن العربي واحد من هؤلاء الكبار، تبخر في المذهب المالكي حتى صار فيه علماً، وبه تبخر في سائر العلوم، فوعى الأصول، وأحكم الفروع وحفظ قضايا الصحابة والتابعين، مع دقة النظر في تخريج المسائل. وقد اجتهد في نشر المذهب، وقربه إلى الناس تخريجاً واستدلالاً واستنباطاً.

وكأنني به قد وضع نصب عينيه جواب الإمام أحمد رحمه الله حيث سئل يكفي الرجل مائة ألف حديث حتى يفتي؟ قال: لا. ولما قيل له خمسمائة ألف حديث؟ قال: أرجو.

أدرك ابن العربي في حياته المبكرة أن العلم أساس الدين، وأن الدين يؤسس على العقيدة والفقه، وعاش لذلك يفتي، وينشر علمه بين الناس أربعين عاماً. وقد دفعه إلى ذلك، ما تميز به من ذكاء القلب، وصدق الرأي والتمكن من الجواب، والثقة بالنفس، وكثرة الفضل.

من بديع ما قال:

ما من رجل يطلب الحديث، إلا كان على وجهه نضرة، لقول النبي ﷺ: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاَهَا فَأَذَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا» ودعاء الرسول مستجاب.

من مؤلفاته: «الإنصاف في مسائل الخلاف» عشرون جزءاً، و«عارضة الأحوذى شرح جامع الترمذي»، ومعنى العارضة: القدرة على الكلام، والأحوذى: الجاد في الأمور المنتصر، الذي لا يفوته مطلب، وهكذا كان ابن العربي، وله كتاب «العواصم من القواصم» الذي سلب فراغاً كبيراً في المكتبة الإسلامية، ومن أهم ما أنتج كتابه «أحكام القرآن»، والإمام القرطبي نفسه مع إمامته يرجع إليه ويعتمد عليه، ولو لم يكن لابن العربي من جهد ومن ثمار إلا تأليف كتاب تفسير القرآن الذي بلغ ثمانين مجلداً لكفاه فخراً، ولكن للأسف لم يُعثر له على أثر.

ومن أهم مؤلفاته «قانون التأويل» وهو يتناول القواعد المنهجية لطلاب العلوم الشرعية، وكان هذا الكتاب دفيئاً في خزائن المخطوطات حتى قبض الله له ابننا الأستاذ الشيخ محمد السليمانى فبعث الله هذا الكتاب على يديه، فحققه، وعلق عليه وأضاف إليه إضافات، تظهر غامضه، وتجلّي دقائقه، وخرج أحاديث وقارن بين الروايات، فجاء الكتاب درّة فريدة، فجزاه الله عن دينه خير الجزاء، ونفع به الإسلام والمسلمين.

سيد سابق

مكة المكرمة: 28/8/1405 هـ.

طليعة (1) الكتاب

الحمد لله المقدسة أسماؤه، السابعة آلاؤه، الواسعة رحمته، المنجية مغفرته. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وترك في الناس ما لو تمسكوا به لم يضلوا بعده: كتاب الله، منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهاً، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به، كل من عند ربنا، وما يذكُر إلا أولو الألباب.

أما بعد:

يعتبر أبو بكر بن العربي من أعلام العلماء الذين تعددت مواهبهم، وتنوعت شخصيتهم، على نسق يكاد يكون متسقاً.

فهو الفقيه البصير الذي جانب التقليد والتزم والعكوف على ترديد كلمات بأعيانها.

وهو المحدث المستنير الذي يُعمل عقله وفكره فيما يقرأ أو يسمع، ويغوص على المعاني الدقائق المُستَكِنَة في أطواء النص الحديثي.

وهو المفسر المقتدر الذي أعدَّ العدة لعمله في التفسير، من تضلُّع من لغة

(1) الطليعة من الشيء: أول ما يظهر منه وله به صلة، ومن ذلك طليعة الجيش: مقدمته، ومنه أيضاً طليعة الكتاب: مقدمته.

العرب وأشعارها وروائع نثرها الذي يمتاز بإيجاز اللفظ وثراء المعنى .

وهو الأديب الذي يغوص على المعنى ، ويفتن في التعبير عنه ، واستخراج العبرة من مطاويه .

وهو المؤرخ الذي يقارن بين الروايات ، ويميز حقها من باطلها ، ولا يكتفي بإيرادها كما هو شأن الكثيرين .

وهو المثقف الواسع الثقافة الذي لا يقصّر نفسه على فن أو فنون معدودة ، وإنما يطوف بأرجائها ، ويقطف من ثمارها ، ما طاب له التطواف والقطف .

وهو المتكلم الذي درس عيون كتب الكلام ، ونظر فيها نظرات فاحصة مستقلة ، لا يعينها إلا كشف الحق ، ودحض الباطل الذي ران على كثير من أبحاث السابقين ، واختيار الرأي الناصح الذي لا يتعارض مع حقائق الإسلام .

ولست أقول ذلك مسلماً له جميع آرائه ومعتقداته ، فهو مجتهد مكثر ، ومن شأن الإكثار أن يكون فيه عثار ، ولكنه العثار الذي لا يكبه في الخطأ على وجهه ، بل يقوم من عثرته سليماً معافى ، غير متجانب لخطأ ، وإنما يشد أزره ويقوي صلبه حبه للحق وبغضه للزيف والباطل .

وغني عن البيان أن المكثرين من التأليف تقع في مؤلفاتهم الهنات والهنات .

وقد تعلقت ببعض تلك الهنات ، وكشفت عن منبع الحق فيها بأسلوب لا يدلل من جلاله صاحبها ، وقديماً قيل : «العظيم من عدت سقطاته» فلا بد والحالة هذه من هنة تغتفر ، ومن تقصير يحتمل .

ومن عجيب الأمر أن ابن العربي هذا ، لم يظفر بعناية الباحثين المحدثين ، ولم يقم على نشر تراثه طائفة من ذوي الأقدار والأفهام الذين يحسنون قراءة نصوصه ، ويدركون مرمى إشاراته ، فكان انتفاع الناس بتراثه المطبوع انتفاعاً قاصراً ، لما امتلأ به من غلط وتصحيف وتحريف ومسوخ .

وقد اطلعت - بفضل الله - على جلّ ما وصلنا من كتبه المخطوطة، وبعد طول تردد وعمق تفكير، واستشارة كثير من أساتذتي العارفين بالخلصاء الأمناء على العلم والدين، وجدت في نفسي رغبة في تحقيق كتاب «قانون التأويل» بغية إخراجها للباحثين، والكشف عن شخصية أبي بكر بن العربي الكلامية التي ينبغي إبرازها والإحاطة بها.

كما أن ثمة عوامل كثيرة شجعتني أن أمضي قُدماً في هذا العمل بعد أن كدت أحجم عما انتويت، خشية المزالق والعثرات التي لا أبرئ نفسي - مهما حذرت - أن أقع فيها، ومن هذه العوامل:

أولاً: أن ابن العربي يعتبر من أكبر علماء العقيدة بالأندلس، والدليل على صحة هذا الحكم، أن كتبه في هذا المجال، ظلت نافقة عند العلماء على اختلاف الأجيال والأعصار إلى يوم الناس هذا.

ثانياً: أنه من الأوائل الذين تكلموا في علم الكلام على الطريقة الأشعرية، فنشر تراثه الكلامي، ودراسة أفكاره وآرائه، مما يفيد الباحثين جديداً في معرفة التطور الفكري بالأندلس.

ثالثاً: أنه أسهم إسهاماً فعالاً في نقد آراء غلاة المتصوفة والباطنية، بأسلوب علمي سديد، دلّ به على سعة علمه، وحصافة رأيه، ودقّة نظره، وعمق فكره.

إضافة إلى أن كتابه «قانون التأويل» هذا، يعتبر من الكتب النفيسة اللطيفة التي تمتاز بغزارة المادّة، وسداد المنهج، وحسن المنحى، وجزالة الأسلوب. فباستطاعة الباحث أن يدرك فوائده في يسر لا يشوبه عسر، إذ بذل فيه مؤلفه - رحمة الله عليه - أقصى جُهدُه من أجل تقريبه إلى الأفهام، فجاء - والله الحمد - كما أراد، حسن الديباجة، مُحكَم الوضع، متناسق التبويب، مُطرَد الفصول، لا انقطاع في سلسلة أغراضه، ولا تباين في لُحمة معانيه.

وقد صدّرت الكتاب بمدخل ذكرت فيه توثيق نسبته لمؤلفه، وبواعث تأليفه،

وتحليلاً مختصراً لمضمونه، ومصادره، ووصفاً مجملًا للنسخ الخطية المعتمدة في التحقيق. ثم المنهج الذي اتبعته في التحقيق والتعليق.

هذا مجمل ما انتهيت إليه في هذه الدراسة، وأرجو أن أكون قد وفقت إلى ما ابتغيت، وتهذبت إلى ما قصدت من إخراج هذا السّفر القيم على النحو الذي يعمّ النفع به، وتلحقني به دعوة صالحة، ولا أماري أن بين هذا العمل وما ينبغي له بوناً بعيداً، ولكن هذا ما اتسع له الوقت وأعان عليه الجهد في هذه الطبعة الثانية⁽¹⁾، وقد صححت بعض الأخطاء التي وقعت فيها في الطبعة الأولى، كما تبين لي أنني تعثرت في بعض المسائل تعثراً قبيحاً لغرأتي يومئذ وجهلي بوعورة التحقيق وتشعب مسالكه، وأنا على يقين أن هذا القصور سيزول إن شاء الله بتعاون أهل الخبرة بترائنا الإسلامي العريق، وذلك بإظهاره على أوهامي في التحقيق والتعليق، وتبيين ما دقّ عن فهمي من معاني الكتاب حتى أتجافى عن مواطن الزلل، وأخرج من سترة الريب إلى صحن اليقين. والله درّ المحدث الناقد الشيخ السيد أحمد صقر - رحمه الله - حين قال: «... والنشر خفيّ المسالك، عظيم المزالق، جمّ المصاعب، كثير المضايق، وشواغل الفكر فيه متواترة، ومتاعب البال وافرة، ومبهضات العقل غامرة، وجهود الفرد في مضماره قاصرة، يؤودها حفظ الصواب في سائر نصوص الكتاب، ويعجزها ضبط شوارد الأخطاء ورجعها جميعاً إلى أصلها، فيأتي الناقد وهو موفور الجَمَام فيقصد قصدها، ويسهل عليه فنصها، ومن أجل ذلك قلت - وما أزال أقول - إنه يجب على كل قارئ للكتب القديمة أن يعاون ناشريها بذكر ما يراه فيها من أخطاء؛ لتخلص من شوائب التحريف والتصحيف الذي منيت به، وتخرج للناس صحيحة كاملة»⁽²⁾.

وقد كنت إذ شرعت في إعداد هذه الطبعة الثانية بدا لي أن أستوعب أحوال القاضي ابن العربي وأحوال أسرته، وأستقصي ما أجده من شعره في مختلف

(1) صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة: 1406 - 1986 عن دار القبة للثقافة الإسلامية بجدة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت.

(2) مقدمة الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري للأدي: 15/1.

المصادر المخطوطة والمطبوعة وقد فعلت، ولكنني وجدت مجال القول ذا سعة، وأن المقام يضيق بهذا التوسع في مقدمة كتاب، فعزمت على إفراد ذلك في جزء خاص بعنوان «أبو بكر بن العربي حياته وتراثه الفكري» أسأل الله أن يوفقني لإتمامه ونشره إنه سميع الدعاء.

وتزكو هذه المقدمة - إن شاء الله - بتقديم أصدق الشكر وأخلصه إلى الإخوة الأحباب الذين أثقلوا كاهلي بفضلهم بما لقيت من معونتهم في إخراج هذا الأثر الجليل:

العالم المحقق الأستاذ الدكتور أنس جميل طيارة، الكريم الودّ الثابت الإخاء، والأخ الكريم والعالم الجليل الأستاذ محمد عزير شمس الذين قرأ كتاب «قانون التأويل» قراءة فاحصة، ونصحاني بإصلاح عدد من العيوب، فشرفت بذلك هذه الطبعة الجديدة، فجزاهما الله عن صداقتهما المخلصة وودهما الدائم خير ما يجزي عن ذلك عباده الصالحين.

كما لا يسعني أن أغفل فضل الأخوين الفاضلين الأستاذ عبد الرزاق سي الطيب والأستاذ جهيد محوش اللذين توليا القراءة الثانية معي على الأصول الخطية المعتمدة، فبدلاً في عملهما من الجهد ما بذلا، ومن الصبر عليّ أيضاً ما أطاقا، فالحمد لله الذي أكرم كتاب أبي بكر بإخلاصهما وصدقهما وحبهما لإتقان العمل.

وأخيراً أتقدم بأعمق الشكر وفائق الاحترام إلى أمناء مكتبات مكة المكرمة وإسطنبول ومديرين والمغرب، والله أسأل أن يجعل كل ما نأتيه ونقصده ونتحيه لوجهه خالصاً، وإلى رضاه عزّ وجلّ مؤدياً، ولثوابه مقتضياً، وللزلفى عنده موجباً، بمنه وفضله ورحمته، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

محمد بن الحسين السليمانى

الجزائر - صانها الله من الآفات والفتن والمحن -

في 29 شعبان: 1410

مدخل لكتاب «قانون التأويل»

1 - عنوان الكتاب:

نصّ ابن العربي في أغلب كتبه⁽¹⁾ على اسم «قانون التأويل»، وعلى هذه التسمية اتفقت أغلب مخطوطات⁽²⁾ الكتاب، وأغلب من ترجموا لابن العربي من العلماء في القديم⁽³⁾ والحديث⁽⁴⁾. وممن خلع عليه اسماً مغايراً ابن خلدون في العبر⁽⁵⁾ والسيوطي في الإتيقان⁽⁶⁾ ومعترك الأقران⁽⁷⁾، فأطلق عليه ابن خلدون:

(1) الأحكام: 1389، القيس شرح موطأ مالك بن أنس: 317 (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط: 25 ج)، سراج المريدين: 108/ب وانظر إشارات عن هذا العنوان في نص «قانون التأويل»: 68، 120، 140، 143، 171، 216، 223، 251، 275.

(2) إلّا أن مخطوطة الشيخ عبد الحي الكتّاني - رحمه الله - كُتِبَ فيها عنوان: «رسالة المستبصر»، والسبب في إطلاق هذا الاسم بين واضح، إذ أن مفهرس الخزانة العامة الموجود فيها «قانون التأويل» لما لم يجد العنوان الصحيح مثبتاً على أول صفحة من القانون لسقط حدث، أخذ عنوانه من أول فقرة افتتحها ابن العربي لكتابه «قانون التأويل» وهي: «هذه رسالة من المستبصر بنفسه...» صفحة: 65.

(3) كالزركشي في البرهان: 16/1، والسيوطي في الإتيقان: 37/4 ومعترك الأقران: 23/1، والمقري في أزهار الرياض: 94/3، ونفح الطيب: 35/2 ط: محيي الدين، وحاجي خليفة في كشف الظنون: 1310/2.

(4) كالبغدادى في هدية العارفين: 90/2، ومحمد بن جعفر الكتّاني في سلوة الأنفاس: 200/3 والشيخ عبد الحي الكتّاني في الترتيب الإدارية: 175/2.

(5) 141/1، 144/6.

(6) 27/3.

(7) 156/1.

«فوائد الرحلة»، وأطلق عليه السيوطي: «كتاب الرحلة» وأعتقد جازماً بأنهما يقصدان بهذه التسمية كتاب «قانون التأويل» إذ أنهما نقلًا عنه نصوصاً كثيرة لا تترك مجالاً للشك أو الريب في ذلك⁽¹⁾، فتسميتهما له «بترتيب الرحلة» أو «كتاب الرحلة» هو اجتهاد منهما، لاحتمال أنهما وقفا على مقدمة «القانون» فقط والمحتوية على ذكر الرحلة وفوائدها، أو أنهما وقفا على الكتاب كله، ولكن لم يقفا على عنوان الكتاب كما اختاره المؤلف⁽²⁾، فاجتهدا في إطلاق عنوان يناسب المحتوى العام، فلذلك اختلفت تسميتهما له.

2 - توثيق نسبة الكتاب إلى ابن العربي:

لا شك أننا بإثباتنا لعنوان الكتاب، قد أثبتنا نسبته إلى مؤلفه، ونزيد هذا بياناً فنقول:

لم أجد خلافاً بين العلماء في صحة نسبة هذا الكتاب إلى ابن العربي، فقد أجمعوا على نسبته إليه، سواء بالنقل المباشر عنه⁽³⁾ أم بالإشارة والتنويه به⁽⁴⁾، وتتحقق صحة هذه النسبة بعدة أمور منها:

أ - وجود اسمه على جميع مخطوطات الكتاب⁽⁵⁾

ب - إحالته فيه على أغلب كتبه.

ج - إحالته في كتبه المختلفة - والمتفق على ثبوتها إليه - على «قانون التأويل»⁽⁶⁾.

(1) لقد أثبت في تعليقي على القانون نقول السيوطي عن ابن العربي.

(2) كما هو الحال في مخطوطة الشيخ عبد الحي الكتاني.

(3) كما عند السيوطي في الإتيان: 30/3 ومعتزك الأقران: 156/1، وابن حجر العسقلاني في فتح

الباري: 541/2 والمقري في أزهار الرياض: 89/3 والرهوني في شرح متن خليل: 361/7، ومخلوف

في شجرة النور الزكية: 137.

(4) كالسكوني في عيون المناظرات: 226.

(5) انظر وصفنا للنسخ التي اعتمدناها في التحقيق.

(6) انظر على سبيل المثال: سراج الميردين: 179/أ، القبس: 263 (مخطوط الخزانة العامة بالرباط: =

د- وردت نصوص كثيرة في «القانون» هي عينها الموجودة بكتبه الأخرى
دَرَجَ الْمُؤَلَّفُ عَلَى إثباتها - لأهميتها - في أكثر من كتاب من كتبه، وقد أشرنا إلى
هذا في تعليقنا على القانون⁽¹⁾.

و- إن الناظر في كتب ابن العربي - رحمه الله - والمتتبع لمسائله في البحث
لا يجد تفاوتاً بينها وبين «قانون التأويل» من حيث الأسلوب وطريقة العرض،
والاعتماد على المصادر إلا بمقدار ما يتطلبه الموضوع المبحوث.

3- بواعث تأليف الكتاب:

لقد تكفل ابن العربي - رحمه الله - ببيان سبب تأليفه لقانون التأويل بأسلوب
مشرق أخذ فقال في كتابه القبس⁽²⁾:

«... وقد كنّا أملينا فيه (أي في التفسير) في كتاب «أنوار الفجر» في عشرين
عاماً ثمانين ألف ورقة، وتفرقت بين أيدي الناس، وحصل عند كل طائفة منها فن،
وندبتهم إلى أن يجمعوا منها ولو عشرين ألفاً، وهي أصولها التي يبنّي عليها
سواها، وينظمها على علوم القرآن الثلاثة: التوحيد، الأحكام، التذكير، إذ لا تخلو
آية منه بل حرف عن هذه الأقسام الثلاثة، إلا أن فساد الزمان ومواصلة الإخوان...
والأقران، وضرورة الرياض والمعاش الملازمة للإنسان، قواطع نفي المتاع بقطع
أسباب الإمتاع.

وقد كنّا عوتبنا في إعراضنا عن مجموع في تفسير القرآن يثلج حرارة
الصدر... فاعتذرنا، فما قبل عذري، وقيل لي: قد شاهدناك تملي فيه نيف
على عشرين عاماً بالوسطى لملاً النشر، وأعجز عن تحصيله البشر، فقلت: كان
ذلك والشباب بنصارتهم، والعمر في عنفوانه، فأما الآن وقد ولّيا، فقد ولّيا معهما،

= 1916 ل، العارضة: 49/11، الأحكام: 1164.

(1) انظر على سبيل المثال إثباته لنص «ذكر معرفة الرب» في «قانون التأويل»: وفي «معرفة قانون
القاهرة»: 64/أ (مخطوط دار الكتب المصرية: 184... تفسير).

(2) لوحة: 316 - 317 (مخطوط الخزانة العامة بالرباط: 25 ج).

وهذا أوان تفريقي، فكيف أحاول أن أجمع تحقيقي⁽¹⁾ فجردت مئة ورقة قانوناً في التأويل لعموم أي التنزيل، تأخذ بصيغ الشادي، وتبيد الهمم للهادي⁽²⁾، فمن وجده فإنه لباب الألباب، وشارع عظيم إلى كل باب».

قلت: وصدق المؤلف فيما ادّعه من وضعه لهذا القانون لعموم أي التنزيل، فقد تناول في هذا الكتاب - على صغر حجمه بالمقارنة بتأليفه الأخرى - ما تباعد من العلوم المتصلة بالإسلام تناول التقريب والتأليف، حتى أخرج من مجموعها مدارك عائدة على جميعها، تُبَصِّرُ بالغايات، وتكشف عن أسرار الحياة.

وإنه لحقيق لهذا الكتاب - بعد تحقيقه والتعليق على المسائل العقدية الواردة فيه - أن يأخذ بيد طلاب العلم إلى الغوص في أسرار العلوم والمعارف، والتمرس بأقوال العلماء.

ولقد أحسن ابن العربي - وهو العالم المطلع على مختلف مناهج العلماء بالنقص المنهجي الشديد الذي يعانيه طلاب العلم، وبخاصة أن الأندلس - آنذاك - قد اعترى نجمها أفول طامس دخلت الأمة فيه في دور الوجود الأجذب، لما فارقت حرصها المعهود على طلب العلوم والتوق إلى المعارف، فأراد إمامنا - ابن العربي - أن يجدد العهد النير لأمته، فيعيد تكوين شخصيتها، ويربّي كيانها، ويبعث فيها روح الحياة. وذلك بتأصيل قوانين وقواعد منهجية تُوجّه إلى مطالب اعتقادية وعملية مبدؤها وغايتها روح الدين، وإن هذه المطالب ارتبطت بمعارف واستدعت مباحث واقتضت تأصيل أصول وتفريع فروع. وضبط معاهد مما يرجع إلى عموم نواحي المعرفة، من علوم شرعية تستفاد من النبوة، وعلوم غير شرعية مما يرشد إليه العقل وتواضع عليه العلماء، فقام عالماً - رحمة الله عليه - بكتابة قانونه على أفضل وجه وأكملة.

(1) انظر مثل هذا الاعتذار اللبق اللطيف في قانون التأويل: 67.

(2) لم أعن بتحقيق نص هذا الكلام فقد اعتمدت على نسخة واحدة من «القبس».

4 - زمن تأليف الكتاب :

أملى ابن العربي كتابه «قانون التأويل» سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، يقول - رحمه الله - في العارضة⁽¹⁾ : «... فَطُرُقُ تفسيره محكمة في كتاب «قانون التأويل» أَمَلِيَنَاهُ سنة ثلاث وثلاثين بجميع وجوهها، خذ ومعنى اللفظ عربية...» . قلت : وأغلب الظن أنه أملاه في قرطبة، فابن العربي في هذا الظرف كان لاجئاً إلى قرطبة لأسباب ذكرناها في دراستنا لحياة المؤلف في كتابنا «أبو بكر بن العربي حياته وتراثه الفكري» .

5 - موضوع الكتاب وتحليل مختصر لمضمونه :

كتاب «قانون التأويل» لا ينسب إلى علم من العلوم الإسلامية على الوجه الواضح في النسبة إلى تلك العلوم، وإنما هو خلاصة لها على وجه العموم، فهو كتاب فريد في فنه، جامع لشتيت الفوائد ومثور المسائل ومتشعب الأغراض . فمعرفة ابن العربي الواسعة الشاملة التي امتاز بها، أفادته فيما رآه من وضع «قانونه»، فقوته على استحضار الأفكار الإسلامية بمذاهبها ومناحي آرائها وطرائق عرضها، ومحاولاته الجادة في الالتزام بكتاب الله وما صح من سنة رسول الله ﷺ، قد خلّصاه من كثير من الأخطاء العقديّة والفكرية التي وقع فيها معاصروه من الفلاسفة والمتكلمين⁽²⁾، إلّا أن هذا لا ينبغي أن يحملنا على التعصب لطريقته التي اجتباها، فالذي ينظر إلى الحقائق بنور المنطق الصحيح، ويهتدي في سبيلها بمنار البحث والتحقيق، يجب أن لا يقضي في هذا الأمر الشائب حتى يرجع إلى مجمل تراث ابن العربي فيدرسه دراسة تحقيق وتمحيص، إلى جانب دراسة الآثار التي خلفها معاصروه من الفلاسفة والمتكلمين فيوازن بينها، وينظر في كل واحدة منها نظر تحليل للمعاني والأغراض، ورجوع إلى المقاصد والظروف، ثم ينظر فيها

(1) 49/11.

(2) انظر على سبيل المثال لا الحصر كتاب «الحدائق» لابن السيّد البَطْلَوَيْسي، وكتاب «فصل المقال» لابن رشد.

مجموعة نظرة مقارنة من جميع هذه النواحي ، قاصداً بهذا العمل مرضاة الله ، فعندئذ يمكننا أن نحكم على قيمة هذا التراث أو ذاك بالحق المنزه عن الهوى .

أعود من هذا الاستطراد إلى موضوع الكتاب فأقول :

ليست غايتي في هذا المدخل المختصر لكتاب «قانون التأويل» أن أذكر أبواب الكتاب بالتفصيل ، وما اشتمل عليه من فصول واستطرادات ، فذلك أمر لا يتسع له هذا المدخل ، ولكني أحاول قدر استطاعتي أن أعرض لأهم ما جاء فيه ، ليكون القارئ على بينة من أمره .

اشتمل الكتاب على حوالي نيف وخمسين عنواناً بما في ذلك خطبة الكتاب وخاتمته . أما الخطبة فصدرها بذكر الأسباب التي دعت إلى وضع قانون التأويل⁽¹⁾ .

ثم شرع - رحمه الله - في ذكر مرحلة طلبه للعلم في الأندلس وخارجها⁽²⁾ ، وثمة فضائل يستخرجها النظر والتمحيص في هذا الفصل ، فإن ابن العربي حيث تعمّد تخيّر الأخبار المصورة لشخصيات من ذكرهم ، أمداً بقدر وافر من الوثائق النافعة في الاستدلال على الحياة الاجتماعية والثقافية في عصره ، سواء بالمشرق أو بالمغرب ، وبخاصة أنه - رحمه الله - أرسل سجيته في هذا الفصل بلا محاكاة ولا تكلف ، فنطق مزاجه بما ينم عن ضميره وخلجات إحساسه في أمثال تلك المواقف . فهو يبدي في تناول الشخصيات وفي وصفها وتحليلها مقدرة فائقة تجعله يحتل مكانة مرموقة مع كبار كتاب التراجم والطبقات ، فغزارة المادة مع التنوع الابتكار في التنقل في نواحي الوصف من الأخلاق الشخصية إلى المواهب الأدبية إلى الحوادث الجارية قد أكدت لنا أهمية هذه القطعة القيّمة من «القانون» والتي هي خلاصة لكتاب قدّر الله أن يضيع في حياة مؤلفه وهو «ترتيب الرحلة في الترغيب إلى الملة»⁽³⁾ .

(1) صفحة : 68 وما بعدها .

(2) انظر صفحة : 69 وما بعدها .

(3) هذا ما صرح به ابن العربي في القانون : صفحة : 68 .

ثم بعد الانتهاء من عرض رحلته إلى المشرق واتصاله بالعلماء والساسة، ينتقل إلى الغرض الثاني من الكتاب وهو المخصص للتوحيد⁽¹⁾، لأنه هو المطلوب الأول من العلم، وبه يُعرف الله سبحانه وتعالى. وبدأ في هذا القسم بمعرفة النفس، وذكر المرآة لأنها تعكس كل ما يقع عليها، ولها اتصال بالنفس الإنسانية من حيث تجلي الصور فيها، وتجلي الحقائق للنفس بما تلقي إليها الحواس من المعاني⁽²⁾.

وذكر حقيقة النوم⁽³⁾، وتحدث عن المثل «وهو باب في التأويل عظيم، وقانون إلى المعرفة مستقيم»⁽⁴⁾ وذات الله سبحانه منزهة عن الأمثال.

وقدم أنموذجاً لتفسير الآية: 39 من سورة النور، على القانون⁽⁵⁾.

وفي ذكر «تمام الوصول إلى المقصود من معرفة النفس والرب»⁽⁶⁾ تحدث عن النفس وتفصيلها، وأحوالها وصفاتها وأصول فضائل النفس الأربعة.

ثم اعتذر للعلماء في عدولهم عن أدلة المنقول إلى أدلة العقول⁽⁷⁾.

ثم تعرض للباطن من علوم القرآن وحذر مما وقع فيه الباطنية من سخافات وكفر بواح⁽⁸⁾، وتطرق إلى الحروف المقطعة في أوائل السور واعتبرها من علم الباطن⁽⁹⁾.

ثم ربط خلق الكلام وتسخير القلم بالدلالة على التوحيد، حيث إن الله

(1) صفحة: 132.

(2) صفحة: 134.

(3) صفحة: 136.

(4) صفحة: 141.

(5) صفحة: 143.

(6) صفحة: 150.

(7) صفحة: 176.

(8) صفحة: 196.

(9) صفحة: 208.

سبحانه وتعالى «نصب المخلوقات عليه دليلاً، كما وضع الحروف والأصوات دليلاً على كلامه، وكما أن ذاته مخبوءة تحت أستار الدلائل، فكذلك كلامه العظيم مخبوء تحت أستار العبارات، فلا ينال بالعبارات من كلامه إلا ما ينال بالدلائل من ذاته»⁽¹⁾.

ثم مثل للفسير الإشاري بتفسير قوله تعالى: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج: 24)، وكنا نود لو نزه «قانونه» هذا عن كل ما عسى أن يشينه من صرف لفظ عن ظاهره، أو تفسير آية بطريق الإشارة، وأعتقد أن ابن العربي بإدخاله هذه الأفكار في كتابه قد خرج عن منهجه المعتاد والذي يحث فيه دوماً على الالتزام بمنهج السلف والابتعاد عن مناهج الباطنية والإسماعيلية وأضرابهم من الزنادقة والملاحدة، على أننا لو فرضنا أن هذه الهنات كانت ناشئة عن تقليد لشيخه أو تساهلات رآها غير ذات بال، فلا ينبغي أن يقلل هذا الخروج الاختياري عن منهجه من قيمة «قانون التأويل» وما أقل الكتب التي لقيت تقديرًا وعناية وحظوة، كذلك التقدير وتلك العناية والحظوة التي لقيها كتابه عند العلماء، سواء كان ذلك بالتنويه بشأن الكتاب، أو بنقده والرد عليه، أو الاقتباس منه والاعتماد على ما ورد فيه من معلومات.

فابن العربي مع الأخطاء التي يمكن أن نأخذها عليه، خليق بالإعجاب جدير بالإعظام، لا ينبغي أن تقف هذه الهنات دون تقديره والرفع من شأنه.

أعود إلى موضوعنا فأقول: وقسم ابن العربي - على عادته في باقي كتبه - علوم القرآن إلى ثلاثة أقسام: توحيد، أحكام، تذكير، ونبه على كل ما يدخل في كل قسم من هذه الأقسام، وأتى بآيات ركب عليها هذا التقسيم كتطبيق لما ذهب إليه⁽²⁾.

(1) صفحة: 221.

(2) صفحة: 230.

ثم أتى بخلاصة لاستيفاء الغرض من تقسيم العلوم والمعلوم، فعلوم القرآن ثلاثة، والمعلومات أربع: النفس، الرب، العمل النافع والضار، وهنا تخلص للكلام عن العمل، وأكد أن العلم قبل العمل، وناقش الصوفية والفلاسفة في قولهم بالكشف فأجاد وأفاد رحمه الله⁽¹⁾. وابن العربي عندما ينتقد الصوفية لم يأت بصحة الزهد والتزكية، ولم ينكر مكان الحاجة إليهما في الطريق إلى الله عز وجل، وإنما أنكر أشياء ابتدعوها، وفضول أقوال تكلفوها، ومسائل عويصة تجشموا الفكر فيها، فأصبح صنيعهم هذا أشبه بأن يكون صدأً عن كتاب الله وعن معرفة معانيه، لذلك نرى ابن العربي يُغلظ القول في الصوفية والفلاسفة معاً، وينكر القول بالكشف جملة وتفصيلاً، وفي اعتقادي أن ابن العربي لم يبلغ في إنكاره لمذهب الكشف والإشراق ما بلغه، إلا لأن الخطأ فيه عظيم، يفضي بصاحبه إلى أن ينكر النبوة ويبتل الرسالة.

ثم تحدث - رحمه الله - عن آية التوحيد ﴿وَالْهَكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: 162)⁽²⁾ وأورد فيها اثنين وعشرين سؤالاً وأجاب عليها.

وهنا تستوقفنا طريقة المؤلف في المسائل التطبيقية التي عرض فيها لآيات الذكر الحكيم ونحن نجعل النظر في الآيات التي فسرهما، ذلك أنه سلك في معالجة الموضوع الذي يريد تفهيمه للقارئ طريقة «المسائل» فكان يأتي بالآية وي طرح حولها جملة من الأسئلة، تليها إجابات عنها، وهو أسلوب تعليمي سديد، ويستفيد المؤلف من ثقافته المتنوعة في هذا الميدان، فتنوع الإجابات على أنواع عديدة من المعارف والفنون.

ثم تكلم عن النوع الثاني وهو علم التذكير، وشرح فيه سورة «الهاكم التكاثر».

(1) صفحة: 244.

(2) من صفحة: 297.

وتطبيقاً لكل القوانين التي ذكرها في علوم القرآن، بسط ابن العربي أمام طلابه ومريديه سورة تجمع كل تلك العلوم، وهي «الفاتحة» فوضع مخططاً محكماً لها قصد تأويلها على القانون⁽¹⁾، وهو منهج تعليمي يعتمد على التطبيق العملي. فالغاية من هذه الطريقة التعليمية، تقود الطالب إذا وعى - بعد النظر في الموضوع - إلى التمرس بتفسير القرآن وقياس الأشباه بنظائرها.

ثم بعد ذلك تحدث - رحمه الله - عن نظريته التربوية المشهورة⁽²⁾، وأثار مشكلة العقل والشرع، وقد تكفلنا ببيان الرأي الحق في المسألة في دراستنا لأهم الجوانب العقدية الواردة بالقانون⁽³⁾.

وابن العربي ممن يستغلون الحكاية في المجال التعليمي والتربوي، فنراه لا يُخفي على طلابه ما حدث له مع شيخه الغزالي⁽⁴⁾، بل نعتبر مقدمة «القانون» كلها خدمة لهذا الهدف التربوي النبيل.

ثم عنون لفصل من أواخر فصول كتابه بـ «خاتمة الكتاب» وهدفه من هذه الخاتمة تربية أرواح طلابه ومريديه وتنقية باطنهم، فلم يعد يخاطب عقولهم، بل أصبح يخاطب أرواحهم ووجدانهم⁽⁵⁾.

يقول رحمه الله: «فإذا وصلتم إلى هذا المقام من اليقين بصحة الاعتقاد.. فقد خرجتم عن عهدة الجهل التي لزمتمكم في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ (النحل: 78)، وتعين عليكم الخروج من عهدة الخدمة بشكر النعمة فيما أسدى إليكم، وأنعم به عليكم، حسبما توجه في التكليف إليكم...»⁽⁶⁾.

(1) صفحة: 345.

(2) صفحة: 346.

(3) سننشرها ضمن كتابنا «أبو بكر بن العربي: حياته وتراثه الفكري».

(4) صفحة: 113.

(5) استفدت في هذا العرض من رسالة الأستاذ مصطفى صغيري: 134/1.

(6) صفحة: 369.

ثم عاد فتكلم عن المحكم والمتشابه، وقد تكفلنا ببيان رأي أهل السنة والجماعة في دراستنا لأهم المسائل العقدية الواردة في «القانون».

ثم تحدث عن تيسير العمل بالعلم⁽¹⁾، وختم الكتاب بتعديد الكبائر وقسمتها على الجوارح⁽²⁾.

ودعا إلى ذكر الله بما يصح من الأدعية، لأن هناك طوائف من المتصوفة انحرفت عن هذا القصد، يقول رحمه الله: «فإن الشيطان إذا لم يقدر عن صرف العبد عن ذكر الله، أقبل عليه، فجعل يشغله بالأذكار والأدعية التي لا تصح، فيربح معه العدول عن صحيح الحديث إلى سقيمه»⁽³⁾.

ثم أوصى - رحمه الله - طلابه بالتقيد بالسنة الصحيحة وقال: «إذا التزمت هذا كله - وهو يسير بتوفيق الله وتيسيره - فتح الله لك أبواب الرحمة، وجرت على لسانك ينابيع الحكمة، وقرب لك امثال ما بقي عليك من المأمورات، ويسر عليك اجتناب سائر المنهيات... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين»⁽⁴⁾.

قلت: تلك هي الصورة التي انتظمت موضوع كتاب «قانون التأويل» وجعلته بهذه الهيئة بناء عضوياً متكامل الأجزاء، يفضي كل قسم منه إلى الذي يليه، ويرتبط كل عضو منه بالذي يحاذيه، وقد تخير - رحمه الله - المواضيع المهمة - في نظره - فأوردها على نحو يتلاءم مع الصورة التي رسمها، والموضوع المتشعب الذي تناوله بالتحليل.

6 - مصادر الكتاب:

لا جرم أن ابن العربي من جهابذة العلماء الذين هضموا علمهم، وقد وُفِّقَ إلى اختيار أطايب آراء القدماء، ورزق حظاً من التنسيق والترتيب، فأبرز تأليفه

(1) صفحة: 380.

(2) صفحة: 390.

(3) صفحة: 392.

(4) صفحة: 393.

منقّحة محرّرة، ولم يكن جامداً على ما قرأ في الكتب، بل كان يحسن استخدام عقله، ويجيد التخلّص من المآزق.

وقد اعتمد المؤلف - رحمه الله - في «قانون التأويل» على المنهج الانتقائي، فكان يستمد مادته من عدة مصادر، ثم يلائم بين أجزائها بدقة تجعل القارئ يحس بمدى ما يبذله في سبيل الانتقاء والدّقة معاً من جهد.

وباستعراض موضوعات الكتاب نجده قد استفاد من عدة مصادر أهمها:

1 - «لطائف الإشارات» للّقشيريّ⁽¹⁾.

2 - كتب الغزالي بعامة كالإحياء، ومقاصد الفلاسفة، ومعيّار العلم وغيرها⁽²⁾.

3 - كتب الحديث بعامة، كجامع عبد الرزاق الصّنّعاني وموطأ مالك وغيرها.

وحسبنا هذه الكتب والمصادر مثلاً، ويمكن للقارئ أن يقف على مواطن نقله عنها أو استفادته منها خلال قراءته الكتاب، وقد نبهنا على بعضها في الهوامش.

وتبقى أغلب أقسام الكتاب هي من بنات فكره وعصاره ذهنه وتأملاته، إلى جانب - كما سبق أن أوضحت - ما قرأه وصاغه في أسلوبه الخاص من آراء العلماء السابقين، وابن العربي لا يأخذ آراء الأعلام من العلماء سهلةً موفورة الكرامة، بل يناقش قائلها مناقشة قوامها النصف والعدل الذي لا يبالى على من وجبت عليه الحجة.

(1) طريقة المؤلف في الاستفادة من هذا التفسير عجيبة غريبة، فهو ينقل منه أحياناً بالنص دون الإشارة إليه، وأحياناً ينقل مع تصرف واختصار، وقد نبهنا على بعضها في الهوامش.

(2) قد نبهنا على اعتماده عليها في الهوامش.

7 - قيمة الكتاب :

إن قيمة « قانون التأويل » متعددة الجوانب ، فأولها أنه يكشف عن وجه جديد من شخصية ابن العربي الفقيه صاحب كتاب « الأحكام » فهو في القانون مربي متكلم نظار ، صاحب آراء في التربية والسلوك والكلام .

وثاني تلك الجوانب ، الجانب الأدبي من تعبير رفيع وأداء راق ، فالكتاب يمتاز بأسلوب رصين مشرق ، ولفظ جزل مختار ، خال من روح التكلف الذي يجني أحياناً على الأسلوب والمعنى ، كما يلاحظ أن له براعة خاصة في تخير الألفاظ وإبراز المعاني ، لا يجاريه فيها كثير من كبار الكتّاب ، كما له مقدرة فائقة على تخير أساليب المدح والذم ، ومديحه غالباً من النوع الرفيع الذي لا يشوبه التنزل الوضعي⁽¹⁾ ، بل تطبعه دائماً نزعة من الاعتزاز والكرامة ، وهنا أود أن أشير إلى أمر طالما شعرت به وأنا أطلع كتب ابن العربي ، وهو مبالغته - أحياناً - في الاعتزاز بكرامته وعلو منزلته ، ويذهب في ذلك إلى حدود العجب والكبر ، وهو لا يحجم أحياناً عن أن يذكرنا بأنه أعظم شخصيات عصره في العلم والأدب⁽²⁾ .

وقد لاحظت أنا أسلوبه في « القانون » بخاصة لا يخلو - في بعض الأحيان - من الضعف والتفكك ، وهذا قليل جداً ، وهو ناتج - في تقديري - عن طريقة التأليف المتبعة عند ابن العربي وهي الإملاء ، كما أن طابع النقول التي تحكمت في عباراته قد حالت دون إحكام صياغتها على شكل مطرد في سائر أقسام الكتاب .

وثالث هذه الجوانب ، الجانب الثقافي ، وأعني بذلك أن الكتاب يعكس لنا ثقافة القرن السادس ، وما كان يسودها من قيم وآراء ، سواء في النظر والاعتقاد ، أو الذوق الأدبي وطرق التعبير .

(1) وابن العربي في مجال القدح هجاء من الطراز الأول ، وهو في ذلك يلجأ أحياناً إلى الأساليب المضطربة والعبارات القاذفة العنيفة ، ولنا في ذلك أمثلة كثيرة في الأحكام والسراج والعواصم .
(2) هذه الأحكام التي أوردناها هنا هي نتيجة مطالعاتنا المستمرة في تراث ابن العربي المطبوع والمخطوط .

ورابع هذه الجوانب الجانب الصوفي، إذ يعكس لنا هذا الكتاب بداية دخول التفسير الإشاري إلى مدرسة التفسير بالأندلس، كما يأتي بالجديد حقاً عندما يضع التصوف بإزاء المذاهب الباطنية، ويصف أهله بأنهم غالون، فبفضل هذه المقارنة، تحددت - على الأقل بالنسبة لي - عدة أمور كانت مبهمة حول فترة مبكرة من تاريخ الفكر الإسلامي بالأندلس.

وأخر هذه الجوانب، الجانب الشكلي أو الفني في التأليف، فطريقة ابن العربي في التنسيق بين فروع هذا الموضوع الواسع ومزجها بمعطيات الكلام، وجعلها ضمن بناء عضوي محكم الأجزاء، طريقة بديعة شيقة لم يسبق إليها والله أعلم.

8 - وصف المخطوطات المعتمدة في التحقيق:

وقد اعتمدت في تحقيق كتاب «قانون التأويل» على أربع مخطوطات هي كالتالي:

1 - مخطوطة أحمد بن منصور بـ «إيزو» بالمغرب الأقصى ورمزت لها بحرف «ب».

2 - مخطوطة المرحوم الشيخ عبد الحي الكتاني، والموجودة بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم: 251 ك، ورمزت لها بحرف «ك».

3 - مخطوطة الأستاذ الشيخ محمد المنوني - حفظه الله - ورمزت لها بحرف «م».

4 - مخطوطة مكتبة الحاج سليم آغا بأسكدار بتركيا تحت رقم: 449، ورمزت لها بحرف «أ».

وصف المخطوطة: «ب»

مكتوبة بخط مغربي متوسط الجودة⁽¹⁾، كتبت عناوينها بخط بارز، خالية من السماع والتمليك والتاريخ، 25 سطراً، من القطع المتوسط، تقع في 98 صفحة.

(1) هذا بالنسبة لنا نحن المغاربة، أما بالنسبة للمشاركة فهو خط رديء.

راجعها ناسخها فأثبت بعض التصحيحات في الهامش . ويوجد (ميكروفيلم) لها بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 595.

تبتدىء بـ «بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً»، قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه: هذه رسالة من المستبصر...».

وأول عنوان ذكر فيها هو: «ذكر ابتداء طلب العلم».

وآخر عنوان هو: «تعدد الكبائر من مجموع الأخبار وقسمتها على الجوارح».

وختمت بقول الناسخ: «كمل كتاب قانون التأويل لأبي بكر بن العربي رحمه الله».

ونلاحظ في هذه النسخة بعض البياضات التي نشأت عن الرطوبة، وسجل الناسخ عناوين بعض المباحث الفرعية التي أثارت انتباهه وإعجابه.

وصف المخطوطة «ك»:

تقع هذه المخطوطة ضمن مجموع تحت رقم: 251 ك في الخزانة العامة بالرباط، وهي من تركة شيخ شيوخنا عبد الحي الكتاني رحمه الله. وهي مبتورة الأخير، سليمة من الخرم والطمس، كتبت بخط مغربي معتاد خال من الشكل، وميزت فيها العناوين بالخط العريض.

وتحتوي على 32 صفحة، تبتدىء صفحاتها ضمن المجموع المشار إليه من 463 وتنتهي في: 396. في كل صفحة (31) سطراً، ويشتمل السطر على (16 - 18) كلمة تقريباً.

تبتدىء بـ «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً»، كتاب فيه رسالة المستبصر تأليف الفقيه الحافظ

أبي بكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري رضي الله عنه، قال الإمام أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي قدس الله روحه ونور ضريحه: هذه رسالة المستبصر...».

وتنتهي هذه النسخة في أثناء موضوع «ذكر استيفاء الغرض في التقسيم» وآخر جملة وردت هي: «وتبين لك أن معرفة الرب تكون بالعلم» وكتب في الهامش بخط مغاير للنسخ الأصلي: «هذا ما وجدناه في الأم».

ويبدو أن ناسخ هذه المخطوطة قد قابلها مرة ثانية على المخطوطة التي وصفها «بالأم» ويتضح ذلك من التصحيحات والتعليقات الواردة في الحواشي، وبالرغم من كل هذا فقد شاع فيها التصحيف والتحريف وسقوط الألفاظ والجمل.

وصف المخطوطة «م»:

هذه المخطوطة من مخطوطات خزانة المؤرخ الثبت الأستاذ محمد المنوني - حفظه الله تعالى - تحت رقم 378، وهي مبتورة الأول والأخير. كتبت بخط مغربي في القرن العاشر ظناً، ميزت عناونات المباحث والمسائل والفوائد والتنبيهات بخط عريض. وتقع في حوالي 40 ورقة كل صفحة (18) سطراً، ويشتمل السطر على حوالي (12) كلمة.

يبدأ الموجد من هذه المخطوطة بالعبرة التالية: «عليها السيل في الانحدار... إلخ»، ثم العنوان التالي: «ذكر ابتداء طلب العلم وتنتهي هذه النسخة في أثناء موضوع: «ذكر استيفاء الغرض في التقسيم» وآخر جملة وردت هي: «وتبين لك أن معرفة الرب تكون بالعلم»، وكتب في الهامش بخط دقيق: «هذا ما وجدناه بالأم».

ويبدو أن هذه النسخة قد اعتمد ناسخها على نفس الأصل الذي اعتمده ناسخ «ك» إذ أنهما يكادان يتفقان في كل شيء.

وصف المخطوطة «أ»:

وتوجد هذه النسخة بمكتبة الحاج سليم آغا بأسكدار في إستانبول تحت رقم 499، ضمن مجموع (136/أ - 186/ب) خطها، مشرقى جميل⁽¹⁾، سطورها حوالي (25) سطرًا كل سطر يشتمل على (12 - 15) كلمة.

كتب في أول صفحة: «كتاب القانون تصنيف الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ أبي بكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري رضي الله عنه وأرضاه» وفي الصفحة الثانية كتب ما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم، رب أعن بفضلك وكرمك، قال الشيخ الفقيه الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري رحمة الله عليه: هذه رسالة من المستبصر...».

وكتب الناسخ في خاتمة الكتاب: «تم القانون بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً مؤيداً».

وكان فراغ من نسخ هذه المخطوطة كما جاء في آخرها: «فرغ من نسخه في العشر الأول من شهر ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وسبعمئة غفر الله لمصنفه ولمالكه وكتبه وقارئه ومستمعه ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين».

ونقرأ تحت هذه الخاتمة عبارة ختم الوقف وهي: «قد وقف هذا الكتاب المستطاب لوجه الله الملك الوهاب الحاج سليم آغا وشرط ألا يخرج ولا يرهن ومن بدله بعدما سمعه... إلخ».

ملاحظة:

اعتمدت في المقارنة في بعض المواضع من المخطوط على كتاب ابن العربي «واضح السبيل إلى معرفة قانون التأويل»⁽²⁾ نسخة دار الكتب بالقاهرة رقم:

(1) على ما يبدو لي والله أعلم.

(2) إذ أن ثمة نصوص متشابهة أوردها ابن العربي في مختلف كتبه.

184 تفسير⁽¹⁾، وقد رمزت إليها «بقانون القاهرة» كما اعتمدت على نسخة مكتبة دير الأسكريال بإسبانيا رقم: 1264⁽²⁾، وقد رمزت لها «بمعرفة قانون الأسكريال» أو «قانون الأسكريال»⁽³⁾.

منهج التحقيق:

تعارف المحققون المعاصرون على خدمة النصص بحل إشكالاته والتعريف بأعلامه من رجال ومواضيع، وشرح الغريب من ألفاظه ومصطلحاته، تيسيراً على القارئ لئلا يضطر إلى مراجعة مصادر عديدة وهو يقرأ فيه، ولكن حصل تباين كبير بين المحققين في ضابط التعليق وقدره، فذهب المستشرقون وجماعة من الباحثين العرب والمسلمين إلى الاختصار على إخراج النص مصححاً مجرداً من كل تعليق، واكتفوا بالإشارة في الحواشي إلى اختلاف النسخ للكتاب الواحد في بعض الألفاظ. وذهبت طائفة أخرى من الباحثين إلى أنه من الواجب زيادة على الإشارة على اختلاف النسخ الخطية - توضيح النص بالهوامش والتعليقات والترجيح بين الآراء، أو تفنيد بعضها⁽⁴⁾.

وقد آثرنا أن نتبع في إخراج كتاب «قانون التأويل» الطريقة الثانية لأسباب توكدت قيمتها عندنا، وآمنا بأهميتها وجدواها، ويدركها كل من اطلع على نص «القانون».

ومن هذا المنطلق قمت بخدمة الكتاب بأقصى ما استطعت من قوة، وبما توفر لدي من الكتب المطبوعة والمخطوطة، فجمعت نسخ الكتاب المبعثرة في خزائن الكتب العالمية، وهذا العمل لم يكن سهلاً ميسوراً، ولما كنت مؤمناً بضرورة مقارنة النص الذي ينقله ابن العربي من غيره، بأصول الكتب الأصلية،

(1) انظر قائمة مؤلفات ابن العربي رقم: 9 في كتابنا «أبو بكر بن العربي: حياته وتراثه الفكري».

(2) م، ن.

(3) هذه النسخة اعتمدتها في نقل بعض النصوص المختارة.

(4) انظر كتاب «ضبط النص والتعليق عليه» للدكتور بشار عواد معروف. (ط: مؤسسة الرسالة).

فقد بذلت جهدي وطاقتي للوقوف على هذه الكتب، وقد وُفِّقْتُ في عزو بعض النصوص ولم أُوَفِّق في أخرى.

أما سيرتي في العمل فتتلخص في الخطوات التالية:

1- تقويم النص وإظهاره بأفضل عبارة تتفق مع المعنى ومع مقتضى الأسلوب، وذلك باعتمادى على المنهج الانتقائي المقارن، الذي أثبت فيه ما صح في النسخ الأربع، وأشير إلى القراءات المرجوحة في الهامش، وهذه هي الطريقة المثلى - في نظري - فإذا ما شعر القارئ في بعض المواطن بأن العبارة قلقة واضطر إلى التقدير والترجيح، فيجب حينئذ أن يعود إلى الحواشي التي فيها فروق النسخ بالتفصيل، فيختار القارئ لنفسه الوجه الذي يرضيه، ويعرف المحققون المشتغلون بهذا الفن الصعوبات الكثيرة المتأتية من رداءة خط النسخ - ناهيك عن الخطوط المغربية التي كتبت بها أغلب النسخ التي اعتمدتها في التحقيق . .

كما وردت نصوص المخطوطات الأربع وهي مليئة بفوضى التنقيط وغياب الضوابط، فكم عانينا من كتابة الهمزة ومن ضبط النقاط على الحروف⁽¹⁾ متوقفين حائرين معيدين قراءة النص مرات للثبث من المعنى قبل تثبيت اللفظ، وأسأل الله أن أكون قد وفقت إلى إصلاح بعض الخلل في هذا المضمار، وقد قمت بتنقيط النص تنقيطاً مشرقياً عصبياً على الصورة التي نقرأ بها اليوم. إضافة إلى عمل الفواصل وعلامات الاستفهام والتعجب وغير ذلك مما يزيد النص وضوحاً، ولكنني لم أقسم النص مع ذلك إلى فقرات على طريقة بعض المحققين، لأن المؤلف في هذا الكتاب قد قسمه إلى أقسام، وكل قسم تحت عنوان خاص، وفق التصميم الدقيق الذي بناه عليه.

2 - أشرت إلى أرقام الآيات القرآنية الكريمة، وموردها في السور.

(1) فالناسخون يسهلون الهمزة المكسورة، والساكنة الواقعة بعد كسر فيرسمانها ياء، نحو (يبتيس، مسايل)، كما أنهم يغفلون كتابة الهمزة المتطرفة بعد الألف نحو (أشيا، الأمرا) وربما أسقطوا الألف من بعض الكلمات فلفظ (ثلاثة) مثلاً يرسمونه (ثلثة).

3 - قمت بتخريج ما تمكنت من تخريجه من الأحاديث والأخبار الممكن تخريجها وذلك ببيان مظان الحديث، وربما أشير إلى درجته من حيث الضعف والحسن والصحة، بالاستعانة برجال هذا الفن.

4 - عرفت بكثير من الأعلام الواردة في الكتاب عند أول ورودها في الغالب الأعم، وقصرت تعريفي على الضروري من سيرهم مع ذكر تاريخ الوفاة، خوفاً من التطويل الذي أخشى أن أتهم به، وأحلت على مجموعة مختارة من المصادر والمراجع من غير استقصاء لها.

5 - عرفت بالمغمور من مواضع البلدان.

6 - صححت كثيراً من أخطاء النحو أو أخطاء النسخ الواضحة، ولم أشر - في غالب الأحيان - إليها، وهذه الأخطاء النحوية موجودة في جميع الأصول، وهي من النساخ لا من المؤلف بطبيعة الحال.

7 - تحقيق المسائل العلمية وذلك بأمرين:

أ - بيان المراجع المعتمدة في المسألة.

ب - بيان رأي السلف في أهم المسائل العقدية الواردة.

وكان في الإمكان أن أختصر كثيراً من التعليقات التي علقتها على أصل الكتاب، غير أن الذي بعثني على التبسط فيها هي توصلي إلى مخطوطات لابن العربي نادرة جمّة الفوائد، قد يستبعد الحصول عليها، ولا يؤمل طبعها، منها «سراج المريدين» و«المتوسط» و«معرفة قانون التأويل» وغيرها، وقد حرصت على ربط قضايا الكتاب ومسائله بالمتاح لي من هذه الكتب، ثم وصل هذه القضايا بكتب التراث، ثم توسعت أكثر في المواطن التي تقتضي بسط عبارة أو توضيح فكرة، أورد مجهول إلى معلوم.

وأخيراً فإنني بذلت جهدي في إخراج النص صحيحاً ومع ذلك فالمشتغل

بتحقيق المخطوطات القديمة لا يستطيع مهما أوتي من علم وإحاطة وتبصر أن
يجزم بكمال النص الذي حققه، وإني لأمل أن أجد من آراء الزملاء والأساتذة
الدارسين ممن ينظرون في هذا الكتاب؛ ما يعين على استكمال أسباب التحقيق،
من تقويم معوج، أو تصحيح خطأ، أو تلافي نقص، وفوق كل ذي علم عليم.

نسخ المخطوطات المعتمدة
في التحقيق

هَذَا الْقَانُونُ تَصْنِيفُ الشَّيْخِ
الْإِمَامِ الْعَلِيِّ الْحَكِيمِ الْحَافِظِ الْفَرَجِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
بِزَعْنَى الْمَافِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَأَرْضَاهُ

غلاف نسخة «أ»

[illegible][illegible]

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠
 ٢٠١
 ٢٠٢
 ٢٠٣
 ٢٠٤
 ٢٠٥
 ٢٠٦
 ٢٠٧
 ٢٠٨
 ٢٠٩
 ٢١٠
 ٢١١
 ٢١٢
 ٢١٣
 ٢١٤
 ٢١٥
 ٢١٦
 ٢١٧
 ٢١٨
 ٢١٩
 ٢٢٠
 ٢٢١
 ٢٢٢
 ٢٢٣
 ٢٢٤
 ٢٢٥
 ٢٢٦
 ٢٢٧
 ٢٢٨
 ٢٢٩
 ٢٣٠
 ٢٣١
 ٢٣٢
 ٢٣٣
 ٢٣٤
 ٢٣٥
 ٢٣٦
 ٢٣٧
 ٢٣٨
 ٢٣٩
 ٢٤٠
 ٢٤١
 ٢٤٢
 ٢٤٣
 ٢٤٤
 ٢٤٥
 ٢٤٦
 ٢٤٧
 ٢٤٨
 ٢٤٩
 ٢٥٠
 ٢٥١
 ٢٥٢
 ٢٥٣
 ٢٥٤
 ٢٥٥
 ٢٥٦
 ٢٥٧
 ٢٥٨
 ٢٥٩
 ٢٦٠
 ٢٦١
 ٢٦٢
 ٢٦٣
 ٢٦٤
 ٢٦٥
 ٢٦٦
 ٢٦٧
 ٢٦٨
 ٢٦٩
 ٢٧٠
 ٢٧١
 ٢٧٢
 ٢٧٣
 ٢٧٤
 ٢٧٥
 ٢٧٦
 ٢٧٧
 ٢٧٨
 ٢٧٩
 ٢٨٠
 ٢٨١
 ٢٨٢
 ٢٨٣
 ٢٨٤
 ٢٨٥
 ٢٨٦
 ٢٨٧
 ٢٨٨
 ٢٨٩
 ٢٩٠
 ٢٩١
 ٢٩٢
 ٢٩٣
 ٢٩٤
 ٢٩٥
 ٢٩٦
 ٢٩٧
 ٢٩٨
 ٢٩٩
 ٣٠٠
 ٣٠١
 ٣٠٢
 ٣٠٣
 ٣٠٤
 ٣٠٥
 ٣٠٦
 ٣٠٧
 ٣٠٨
 ٣٠٩
 ٣١٠
 ٣١١
 ٣١٢
 ٣١٣
 ٣١٤
 ٣١٥
 ٣١٦
 ٣١٧
 ٣١٨
 ٣١٩
 ٣٢٠
 ٣٢١
 ٣٢٢
 ٣٢٣
 ٣٢٤
 ٣٢٥
 ٣٢٦
 ٣٢٧
 ٣٢٨
 ٣٢٩
 ٣٣٠
 ٣٣١
 ٣٣٢
 ٣٣٣
 ٣٣٤
 ٣٣٥
 ٣٣٦
 ٣٣٧
 ٣٣٨
 ٣٣٩
 ٣٤٠
 ٣٤١
 ٣٤٢
 ٣٤٣
 ٣٤٤
 ٣٤٥
 ٣٤٦
 ٣٤٧
 ٣٤٨
 ٣٤٩
 ٣٥٠
 ٣٥١
 ٣٥٢
 ٣٥٣
 ٣٥٤
 ٣٥٥
 ٣٥٦
 ٣٥٧
 ٣٥٨
 ٣٥٩
 ٣٦٠
 ٣٦١
 ٣٦٢
 ٣٦٣
 ٣٦٤
 ٣٦٥
 ٣٦٦
 ٣٦٧
 ٣٦٨
 ٣٦٩
 ٣٧٠
 ٣٧١
 ٣٧٢
 ٣٧٣
 ٣٧٤
 ٣٧٥
 ٣٧٦
 ٣٧٧
 ٣٧٨
 ٣٧٩
 ٣٨٠
 ٣٨١
 ٣٨٢
 ٣٨٣
 ٣٨٤
 ٣٨٥
 ٣٨٦
 ٣٨٧
 ٣٨٨
 ٣٨٩
 ٣٩٠
 ٣٩١
 ٣٩٢
 ٣٩٣
 ٣٩٤
 ٣٩٥
 ٣٩٦
 ٣٩٧
 ٣٩٨
 ٣٩٩
 ٤٠٠
 ٤٠١
 ٤٠٢
 ٤٠٣
 ٤٠٤
 ٤٠٥
 ٤٠٦
 ٤٠٧
 ٤٠٨
 ٤٠٩
 ٤١٠
 ٤١١
 ٤١٢
 ٤١٣
 ٤١٤
 ٤١٥
 ٤١٦
 ٤١٧
 ٤١٨
 ٤١٩
 ٤٢٠
 ٤٢١
 ٤٢٢
 ٤٢٣
 ٤٢٤
 ٤٢٥
 ٤٢٦
 ٤٢٧
 ٤٢٨
 ٤٢٩
 ٤٣٠
 ٤٣١
 ٤٣٢
 ٤٣٣
 ٤٣٤
 ٤٣٥
 ٤٣٦
 ٤٣٧
 ٤٣٨
 ٤٣٩
 ٤٤٠
 ٤٤١
 ٤٤٢
 ٤٤٣
 ٤٤٤
 ٤٤٥
 ٤٤٦
 ٤٤٧
 ٤٤٨
 ٤٤٩
 ٤٥٠
 ٤٥١
 ٤٥٢
 ٤٥٣
 ٤٥٤
 ٤٥٥
 ٤٥٦
 ٤٥٧
 ٤٥٨
 ٤٥٩
 ٤٦٠
 ٤٦١
 ٤٦٢
 ٤٦٣
 ٤٦٤
 ٤٦٥
 ٤٦٦
 ٤٦٧
 ٤٦٨
 ٤٦٩
 ٤٧٠
 ٤٧١

[illegible]

[illegible]

۱
 ۲
 ۳
 ۴
 ۵
 ۶
 ۷
 ۸
 ۹
 ۱۰
 ۱۱
 ۱۲
 ۱۳
 ۱۴
 ۱۵
 ۱۶
 ۱۷
 ۱۸
 ۱۹
 ۲۰
 ۲۱
 ۲۲
 ۲۳
 ۲۴
 ۲۵
 ۲۶
 ۲۷
 ۲۸
 ۲۹
 ۳۰
 ۳۱
 ۳۲
 ۳۳
 ۳۴
 ۳۵
 ۳۶
 ۳۷
 ۳۸
 ۳۹
 ۴۰
 ۴۱
 ۴۲
 ۴۳
 ۴۴
 ۴۵
 ۴۶
 ۴۷
 ۴۸
 ۴۹
 ۵۰
 ۵۱
 ۵۲
 ۵۳
 ۵۴
 ۵۵
 ۵۶
 ۵۷
 ۵۸
 ۵۹
 ۶۰
 ۶۱
 ۶۲
 ۶۳
 ۶۴
 ۶۵
 ۶۶
 ۶۷
 ۶۸
 ۶۹
 ۷۰
 ۷۱
 ۷۲
 ۷۳
 ۷۴
 ۷۵
 ۷۶
 ۷۷
 ۷۸
 ۷۹
 ۸۰
 ۸۱
 ۸۲
 ۸۳
 ۸۴
 ۸۵
 ۸۶
 ۸۷
 ۸۸
 ۸۹
 ۹۰
 ۹۱
 ۹۲
 ۹۳
 ۹۴
 ۹۵
 ۹۶
 ۹۷
 ۹۸
 ۹۹
 ۱۰۰

الحمد لله رب العالمين

كنه في حقيقته
 وانخره ورضه
 وتبين له ان
 الفهم كل انظر
 في انفسكم
 في انفسكم
 في انفسكم

Handwritten Arabic text on the left side of the fragment:

الحمد لله
والصلاة والسلام
على سيدنا محمد
الطاهر

قانون التَّأْوِيل

للإمام القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن
العربي المعافري الإشبيلي
المتوفى في 543

دراسة وتحقيق
محمد السليمان
أستاذ العلوم الإسلامية
جامعة الجزائر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِنِّ بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ

قَالَ الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَرَبِيِّ
الْمُعَافِرِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ^(١):

هَذِهِ رِسَالَةٌ مِنَ الْمُسْتَبْصِرِ بِنَقْصِهِ، الْمُسْتَقْصِرِ لِنَفْسِهِ، الْمُضْطَرُّ إِلَى رَبِّهِ،
الْمُسْتَغْفِرِ لِدُنْيِهِ، إِلَى جَمِيعِ الطَّالِبِينَ، وَالرَّاعِبِينَ^(٢)، وَالسَّالِكِينَ سَبِيلَ الْمُهْتَدِينَ.

إِنَّ مَنْ صَدَقَتْ إِلَيْهِ رَغْبَتُهُ، وَاسْتَمَرَّتْ عَلَيْهِ عَزِيمَتُهُ فِي تَحْرِيرِ^(٣) مَجْمُوعٍ فِي
عُلُومِ الْقُرْآنِ، يَكُونُ مِفْتَاحًا لِلْبَيَانِ، وَلِجَّ^(٤) عِنْدَ التَّوَقُّفِ عَنْ ذَلِكَ فِي الْعِتَابِ،
وَطَمَسَ فِي وَجْهِهِ الْإِعْتَابِ^(٥)، وَأَغْلَقَ إِلَى الْمَعْذَرَةِ كُلِّ بَابٍ.

وَاحْتَجَّ بِمَا شَاهَدَ مِنْ كَلَامِي عَلَيْهِ إِبَّانَ كُنْتُ إِلَيْهِ^(٣)^(٤) إِلَى^(٥) مَنْ حَضَرَ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ بِأَنْوَارِ الْفَجْرِ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ.

(١) اختلفت عبارات النسخ في العبارات السابقة وقد اعتمدت على النسخة أ.

(٢) والراغبين ساقطة من: أ.

(٣) ك: مختصر. وأثبت الناسخ «تحرير» في الهامش.

(٤) ك: أبيع، وقد استدرك الناسخ فأثبت في الهامش «أليح».

(٥) إلى: ساقطة من: أ.

(١) لج في الأمر: تمادى عليه وأبى الانصراف عنه.

(٢) الإعتاب هو الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضي العاتب.

(٣) أبدي.

وَجَذَبَ مَعَ نَفْسِهِ^(١) جَمَاعَةً لَجُّوا بِلَجَاجِهِ، وَعَجُّوا^(٢) بِعَجَاجِهِ . وَصَمَّمُوا^(٣) عَلَى أَنْ الْعُدْرَ لَا يَلُوحَ فِي هَذَا، لِأَنَّ تِلْكَ الْأَقْوَالَ الَّتِي كُنَّا نَسْمَعُ، لَوْ تَقَيَّدَتْ فِي قَرَاطِيسَ، لَكَانَتْ رَحْضًا لَوْضِرِ الْجَهَالَةِ، وَحَسْمًا لِدَاءِ الْحَسَادَةِ، وَبَهْتًا لِمَنْ أَحْضَرَ^(٤) عِنَادَهُ، وَلَعَمْتُ مَنْفَعَتُهَا^(٥) مَنْ تَقَبَّلَهَا وَرَدَّهَا، وَمَثَلُهَا كَالْغَيْثِ إِذَا هَمَعَ^(٦) أَصَابَ الْأَبَاطِحَ وَالرِّيَاضَ، وَصَابَ^(٧) عَلَى الْحَدَائِقِ وَالْغِيَاضِ . فَيَكُونُ^(٨) مِنْهَا طَائِفَةٌ تَمُرُّ^(٩) عَلَيْهَا كَالسَّيْلِ فِي الْأَنْحَادِ، وَأُخْرَى تَقْبَلُتُهُ فَحَفِظَتْهُ عَلَى مَنْ يَرِدُ^(١٠) مَعَ مُرُورِ الْأَعْصَارِ، وَثَالِثَةٌ صَرَفَتْهُ بِوُجُوهِ التَّفْطُنِ وَالِاسْتِبْصَارِ، وَرَابِعَةٌ جَمَعَتْ فِيهِ بَيْنَ الْعِلْمِ بِهِ وَالْعَمَلِ فِي الْأَذْكَارِ.

قَالُوا: وَلَوْ لَمْ نَشَاهِدْ^(١١) إِيْرَادَكَ فِيهِ لِمَا يُعْجِزُ أَهْلَ الْوَقْتِ، وَيُوجِبُ عَلَيْهِمْ فِي تَرْكِ الْاعْتِرَافِ لَكَ^(١٢) بِالْمَقْتِ، وَلَا سَمِعْنَا مِنْكَ تِلْكَ الدَّرَرَ، وَالْجَوَاهِرَ مَبْظُومَةً فِي سِلْكِ الْإِيْرَادِ، قَاضِيَةً لَكَ بِالْإِنْفِرَادِ^(١٣) فِي الْعِلْمِ وَالِاسْتِبْدَادِ^(١٤)، بِالِغَةِ مِنْ

(١) ك: وجذب مع من جذبه.

(٢) ب، ك: صرموا.

(٣) ب: حضر، م: أظهر واستدرك الناسخ فأثبت في الهامش: أحضر.

(٤) ك: منفعتة.

(٥) ك: فتكون.

(٦) يمر: ساقطة من ك وفي ب: يمر.

(٧) ك: يود.

(٨) ك م: ولم نشاهد.

(٩) ك: له.

(١٠) أ: في الانفراد.

(١١) ك: ثم والاستبداد.

.....

(1) من العجيج وهو رفع الصوت والصياح.

(2) سال.

(3) نزل.

الْبَيَانِ (١) غَايَةً (٢) الْمُرَادِ، لَكُنَّا نَغْبِرُ فِي وَجْهِ الِاعْتِرَاضِ عَلَيْكَ، وَنُلْقِي بِمَقَالِيدِ الْقَوْلِ إِلَيْكَ . .

فَأَمَّا وَقَدْ كَانَ مِنْ بَيَانِكَ مَا كَانَ، وَبَانَ لِلْخَلْقِ مِنْهُ مَا بَانَ، فَلَا يَسْعُكَ وَالْحَالَةُ هَذِهِ إِلَّا أَنْ تَقُومَ بِهِذَا الْحَقِّ الْمُتَعَيَّنِ عَلَيْكَ، أَوْ تَخْرُجَ عَنْ (٣) ذَلِكَ بِعُذْرٍ (٤) يُقْبَلُ وَجْهَ الْقَبُولِ إِلَيْكَ.

فَقُلْتُ: مَعَاشِرَ الْمُرِيدِينَ (٥)، أَبْلِعُونِي رِيقِي، تَعْرِفُوا (٦) تَحْقِيقِي، وَخُذُوا خَاتِمَةَ كَلَامِي يَتَبَيَّنُ لَكُمْ الْفَصْلُ بَيْنَ مَرَامِكُمْ وَمَرَامِي، وَأَجْمِعُوا سَاعَةً عَلَى إِسْعَادِي، فَرَبَّمَا سَاعَدْتُمُونِي بَعْدَ عَلَى مُرَادِي.

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ - لَهُ الْحَمْدُ وَلَهُ الشُّكْرُ (٧)، وَيَبْدِهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ (١) وَمِنْهُ النَّفْعُ وَالضَّرُّ - يَسِّرْ لِي طَلَبَ الْعِلْمِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي كُنَّا رَتَبْنَا بَيَانَهُ فِي كِتَابِ «تَرْتِيبِ

(١) أ، ك، م: البيان إلى.

(٢) ك، م: نهاية.

(٣) ب، م: من.

(٤) ك، م: لعذر.

(٥) ك، م: معشر الطالبين.

(٦) ك: ثم تعرفوا.

(٧) أ: وله الحمد والحكم.

(١) أفادني شيخني الدكتور سليمان دنيا - رحمه الله - بالتعليق التالي: هذا التعبير غريب، لأن الوارد هو ما ثبت عن رسول الله ﷺ في قوله: «... والخير كله في يدك، والشر ليس إليك...». قلت: وقد نبّه الشاطبي في الموافقات: 105/2 على هذا المعنى فقال: «... (ينبغي) الأدب في ترك التنصيص على نسبة الشر إلى الله تعالى، وإن كان هو الخالق لكل شيء، كما قال بعد قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ... إلى قوله... بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ (آل عمران: 26) ولم يقل بيدك الخير والشر، وإن كان قد ذكر القسمين معاً، لأن نزع الملك والإذلال بالنسبة إلى من لحق ذلك به شر ظاهر، نعم قال في أثره: ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تنبيهاً في الجملة على أن الجميع خلقه...».

الرَّحْلَةَ لِلتَّرْغِيبِ فِي الْمِلَّةِ^(١)، فَلَمَّا شَدَّ فِي مَعْرِضِ الْمَقَادِيرِ، وَاسْتَلَبَتْهُ الْحَوَادِثُ
بِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ مِنَ التَّدْبِيرِ^(٢)، رَأَيْنَا أَنَّ نُجَرِّدَ مِنْهُ مَا سَلِمَ فِي الرَّقَاعِ
الْمَوْجُودَةِ، مَعَ مَا حَضَرَ فِي الذِّكْرِ، لِيَكُونَ عُنوانًا لِمَا جَرَى، وَتَنْبِيهاً عَلَى فَضْلِ
مَنْ^(٣) تَأَوَّبَ، وَسِرّاً وَحُجَّةً لِمَنْ قَالَ: قَدْ تَعَدَّيْ مَنْ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِثْلَ مَنْ تَعْنَى^(٤)،
وَنَقْرُنْ بِهِ مَنْ نُكَّتِ الْمَعَارِفِ، مَا يَقُومُ بِهِ مَائِلُ الْعُدْرِ، وَيَتَضَحَّ مِنْهُ مَا اسْتَبْهَمَ لَكُمْ
مِنَ الْأَمْرِ، وَنُشِيرُ إِلَى الْمُمَكِّنِ مِنْ «قَانُونِ فِي التَّأْوِيلِ لِلْعُلُومِ التَّنْزِيلِ» يُرْشِدُ^(٥)
الْمُبْتَدِئَ إِلَى ضَالَّةِ الطَّلَابِ، وَيَفْتَحُ عَلَى الْمُتَنَهِّي مَا^(٦) أُرْتِجَ^(٧) مِنَ الْأَبْوَابِ.

(١) أ: القدس.

(٢) ك: ما.

(٣) ب: ما يرشد.

(٤) ك، م: من.

(١) انظر عن هذا الكتاب دراستنا لمؤلفات ابن العربي في كتابنا «أبو بكر بن العربي حياته وتراثه
الفكري».

(٢) لم أعر على هذا المثل في كتب الأمثال التي استطعت الوقوف عليها.

(٣) ما أغلق إغلاقاً وثيقاً.

ذِكْرُ ابْتِدَاءِ طَلَبِ الْعِلْمِ

عَجَبًا لِقَوْمٍ يُقَادُونَ بِالْحِكْمَةِ^(١) إِلَى الْحِكْمَةِ، وَإِلَى الْعِلْمِ بِالسَّلَاسِلِ^(١)،
وَأَخْرَيْنَ مُهْمِلِينَ بِالْعَدْلِ عَلَى الْإِسْتِرْسَالِ فِي الشَّهَوَاتِ، وَالتَّحْلِي فِي غَمْرَةِ
الْبَطَالَاتِ، وَلَمَّا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ نَتْنٍ وَقَدَرٍ، بِسَابِقِ^(٢) الْقَدَرِ، ثُمَّ حُلِّيَ بِعَقْلِ
وَسَمْعٍ وَبَصَرٍ^(٣)، كَانَتْ الرِّذِيلَةُ صِفَةً لَازِمَةً، وَعَادَتِ الْفَضِيلَةُ مُكْتَسَبَةً، وَقَدْ خُلِقَ
عَلَى الْفِطْرَةِ، وَصَارَ مِنْ أَصْلٍ يَكُونُ عَلَيْهِ^(٤)، وَفَرَعَ^(٥) يُعَادُ إِلَيْهِ.

وَكَانَ مِنْ حُسْنِ قَضَاءِ^(٦) اللَّهِ أَنِّي كُنْتُ فِي عُتُقَوَانِ الشَّبَابِ وَرِيَانِ الْحَدَاثَةِ،
وَعِنْدَ رِيْعَانِ النَّشْأَةِ، رَتَّبَ^(٧) لِي أَبِي^(٢) - رَحِمَهُ اللَّهُ^(٨) - مُعَلِّمًا لِكِتَابِ اللَّهِ^(٩)، حَتَّى

(١) أ: يقادون بالحكمة إلى المعلم بالسلاسل.

وفي ب: يقادون الحكمة إلى العلم بالسلاسل.

(٢) ك، م: لسابق.

(٣) ك، م: بسمع وبصر وعقل.

(٤) ك، م: عليها.

(٥) أ: أو فرع.

(٦) ك، م: قدر، وقد استدرك ناسخ «ك» الخطأ في الهامش.

(٧) ك، م: اتخذ.

(٨) ك، م: رحمة الله عليه.

(٩) معلماً لكتاب الله: ساقطة من: أ.

.....

(١) ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه.

(٢) هو الفقيه الوزير أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي المعافري، من فقهاء إشبيلية ورؤسائها، قال =

حَذَقْتُ (١) الْقُرْآنَ فِي الْعَامِ التَّاسِعِ ، ثُمَّ قَرَنَ بِي ثَلَاثَةً (٢) مِنَ الْمَعْلَمِينَ ، أَحَدُهُمْ لَضَبُطُ (٣) الْقُرْآنِ بِأَحْرُفِهِ السَّبْعَةِ الَّتِي جَمَعَهَا اللَّهُ فِيهِ ، وَنَبَّهَ الصَّادِقُ ﷺ عَلَيْهَا فِي قَوْلِهِ (٤) : «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» (٥) فِي تَفْصِيلٍ فِيهَا .

وَالثَّانِي لِعِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ (٦) .

وَالثَّالِثُ لِلتَّدْرِيبِ فِي الْحُسْبَانِ .

فَلَمْ يَأْتِ عَلَيَّ ابْتِدَاءُ الْأَشَدِّ (٣) فِي الْعَامِ السَّادِسَ عَشَرَ مِنَ الْعَدَدِ ، إِلَّا وَأَنَا قَدْ قَرَأْتُ مِنْ (٥) أَحْرَفِ الْقُرْآنِ نَحْوًا مِنْ عَشْرَةٍ ، بِمَا يَتَّبِعُهَا (٦) مِنْ إِدْغَامٍ وَإِظْهَارٍ ، وَقَصْرِ وَمَدٍّ ، وَتَخْفِيفٍ وَشَدٍّ ، وَتَحْرِيكِ وَتَسْكِينٍ ، وَحَذْفٍ وَتَثْمِيمٍ ، وَتَرْقِيقٍ وَتَفْخِيمٍ .

(١) ك : ثلاثاً .

(٢) ك ، م : يضبط .

(٣) ك ، م : ... التي جمع الله لنبهه الصادق ﷺ في قوله ...

(٤) ك ، م : الثاني للعربية .

(٥) من : ساقطة من : ب .

(٦) ك ، م : بما فيها .

= عنه الإمام الذهبي : «وكان من علماء الوزراء ، فصيحاً مفوهاً شاعراً ، تتلمذ على ابن حزم الظاهري وغيره ، توفي بالإسكندرية سنة : 493 . انظر : الغنية للقاضي عياض : 66 ، والصلة لابن بشكوال : 278/1 (ط : مصر : 1955) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان : 297/4 ، وسير أعلام النبلاء : 130/19 وتذكرة الحفاظ للذهبي : 1269/1 .

(1) أي مهر فيه .

(2) روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة في أغلب كتب السنة ، منها الإمام أحمد في مسنده : رقم 158 ، 277 ، 278 . . . (ط : شاكر) والبخاري في عدة مواضع منها في فضائل القرآن : 338/6 ، ومسلم في صلاة المسافرين : 301/1 ، ومالك في الموطأ في كتاب القرآن : 201/1 ، وأبو داود في الصلاة رقم : 1475 ، والترمذي في القراءات رقم : 2944 ، والنسائي في الصلاة : 150/2 ، وقد أقره ابن العربي بالتأليف في رسالة خاصة .

(3) الأشد - بفتح فضم - هو مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة .

وَقَدْ جَمَعْتُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ فَنُونًا، وَتَصَرَّفْتُ^(١) فِيهَا تَمَرِينًا؛ مِنْهَا: كِتَابُ
«الْإِيضَاحِ»^(٢) لِلْفَارِسِيِّ^(٣)، وَالْجُمْلُ^(٤)، وَكِتَابُ النَّحَاسِ^(٥)،
وَالْأُصُولُ^(٦) لِابْنِ السَّرَّاجِ^(٧)، وَالذَّرِّيُودُ^(٨)، وَاسْمِعْتُ^(٩).....

(١) ك: تمرنت.

(٢) أ، ب: الواضح.

(٣) للفارسي: ساقطة من: أ، ب.

(٤) والجملة: ساقطة من: ك، م.

(٥) أ: كتاباً.

(٦) أ: والدر، وفي ب: ساقطة من الأصل، وفي ك، م: الدرر. ولعل الصحيح ما أثبت والله أعلم.

(٧) ب: وقد سمعت.

(١) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، أحد أئمة اللغة، ولد في «فسا» ببلاد الفرس، اتهم بالاعتزال والتشيع والله أعلم بحاله، توفي سنة: 377، أما كتابه الإيضاح فقد طبع بمصر سنة 1969 بتحقيق الأستاذ حسن شاذلي فرهود. انظر: طبقات النحويين للزبيدي: 120، وإنباه الرواة للقفطي: 273/1 - 275، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي: 232/7 - 261، وانظر لزماً كتاب «أبي علي الفارسي حياته وآثاره» لعبد الفتاح شلبي.

(2) كتاب الجمل للزجاجي وهو عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي، شيخ العربية في عصره توفي في طبرية سنة: 337.

وقد اهتم الأندلسيون بكتاب «الجمل» وكتبوا عليه عدة شروح، انظر: تاريخ العلماء النحويين للتوحي: 36، وطبقات النحويين للزبيدي: 119، ونزهة الألباء لابن الأنباري: 206، وإنباه الرواة للقفطي: 160/2، ووفيات الأعيان لابن خلكان: 136/3.

(3) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، مفسر ونحوي ولغوي، أخذ عن الأخفش الصغير وغيره، وروى الحديث عن النسائي، توفي بمصر سنة: 338، وله مصنفات كثيرة منها شرح أبيات سيبويه، ولعل هذا الكتاب هو المعني عند ابن العربي. انظر: إنباه الرواة للقفطي: 101/1، ووفيات الأعيان: 99/1، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: 346/2.

(4) هو أبو بكر محمد بن السري النحوي البغدادي، المجمع على فضله وتبيله وجلالة قدره في النحو والأدب، توفي ببغداد سنة: 316، وكتاب «الأصول» منزلة خاصة في نفوس النحاة وفي تاريخ النحو العربي، وذلك لأنه جمع واختصر فيه أصول العربية، وأخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب حتى قيل فيه: ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله. وطبع الجزء الأول منه في بغداد سنة: 1973 بتحقيق عبد الحسين الفتلي، انظر: طبقات النحويين للزبيدي: 120، وإنباه الرواة للقفطي: 145/3، ونزهة الألباء: 312 معجم الأدباء: 198/18، سير أعلام النبلاء للذهبي: 483/14.

(5) هو عبد الله بن سليمان المكفوف من أهل قرطبة يقال: «ذروود» و«ذريود» على التصغير، كان من أهل =

كِتَابُ الثَّمَالِيِّ^(١)، وَكِتَابُ الصَّنَاعَةِ الْأَصْلِيِّ الَّذِي أَنْهَاهُ الْخَلِيلُ^(٢) إِلَى سَيِّوِيهِ^(٣)(١)، ثُمَّ تَوَلَّى نَظْمَهُ^(٢) وَتَرْتِيهَ، وَقَرَأَتْ مِنْ الْأَشْعَارِ جُمْلَةً، مِنْهَا السَّتَةُ^(٤)، وَشِعْرُ الطَّائِيِّ^(٥)، وَالْجُعْفِيِّ^(٦)، وَكَثِيراً مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَالْمُحَدِّثِينَ.

(١) ب: إلى سيويه تصنيفه.

(٢) ب: تصنيفه.

= العلم بالعربية والآداب، شاعراً، له كتاب في العربية هو الذي يعنيه ابن العربي توفي سنة 325. انظر: التكملة للمراكشي: 778/2 رقم 1910.

(1) الثَّمَالِيُّ هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي المعروف بالمُرْد، أديب نحوي لغوي، ولد بالبصرة وتوفي ببغداد سنة: 285، وكتابه المشار إليه هو «المُقْتَضَب» فيما أرجح، انظر طبقات النحويين للزبيدي: 108، نزهة الألباء: 279، معجم الأدياء: 111/19.

(2) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب وأول من استخراج العروض وَحَصَّنَ به أشعار العرب، توفي بالبصرة سنة: 170. الفهرست لابن النديم: 48 إنباه الرواة للقفطي: 341/1، نزهة الألباء للأنباري: 54، ومعجم الأدياء: 72/11 وحول كتاب الصناعة الأصلي الذي أنهاه إلى سيويه انظر مقدمة الدكتور عبدالله درويش لكتاب العين: 7 - 41 (ط: العاني - بغداد 1967).

(3) هو عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب بسَيِّوِيهِ، إمام النحاة وأول من بسط علم النحو وصنف كتابه المسمّى «كتاب سيويه» مطبوع، وتوفي سنة: 180. إنباه الرواة للقفطي: 346/2، ونزهة الألباء للأنباري: 71، ومعجم الأدياء: 114/16.

(4) أشعار الستة: «شعر امرئ القيس والنايعة وعلقمة وعنترة وزهير وطرفة، وقد صنع دواوينهم الأصمعي. ورواها عنه أبو حاتم السجستاني، ونقلها أبو علي القالي إلى الأندلس (انظر فهرست ابن النديم 388) وقد شرح هذه الأشعار عدد كبير من العلماء منهم الأعلم الشَّتَمَرِيُّ (ت: 476) انظر: فؤاد سزكين: تاريخ التراث 109/2 (ط: الألمانية).

(5) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، شاعر العصر، كان نصرانياً وأسلم، مدح الخلفاء والكبراء وشعره في الذروة، له ديوان مطبوع. توفي سنة: 231. انظر: ابن النديم في الفهرست: 190، والخطيب في تاريخ بغداد: 248/8، وابن خلكان في وفيات الأعيان: 11/2، والذهبي في سير أعلام النبلاء: 63/11، والبغداد في خزانة الأدب: 172/1.

(6) هو أبو الطيب المتنبّي أحمد بن الحسين الجُعْفِي، من أعظم الشعراء الإسلاميين، ولد بالكوفة سنة 303، وقتل سنة 354، وله ديوان شعر مطبوع، انظر: الفهرست لابن النديم: 195 ونزهة الألباء: 366، وانظر الدراسة النقدية الممتازة لأستاذنا السيد محمود محمد شاكر عن المتنبّي (ط: المدني القاهرة: 76).

وَقَرَأْتُ مِنْ^(١) اللُّغَةِ كِتَابَ ثَعْلَبٍ^(١) وَ «إِصْلَاحَ الْمَنْطِقِ»^(٢) وَ «الْأَمَالِي»^(٣) وَغَيْرَهَا.

وَسَمِعْتُ جُمْلَةً مِنَ الْحَدِيثِ عَلَى الْمَشِيخَةِ.

وَقَرَأْتُ مِنْ عِلْمِ الْحُسْبَانِ: الْمُعَامَلَاتِ^(٤)، وَالْجَبْرِ^(٥)، وَالْفَرَائِضَ عَمَلًا^(٦)، ثُمَّ كِتَابَ أَقْلِيدِس^{(٧)(٢)} وَمَا يَلِيهِ إِلَى الشَّكْلِ الْقَطَاعِ^(٨)، وَعَدَلْتُ بِالْأَزْيَاجِ الثَّلَاثَةِ^(٩).....

(١) أ: في.

(٢) أ: أو قليدس.

(1) هو أبو العباس أحمد بن يحيى الشَّيْبَانِي، إمام الكوفيين في النحو واللغة كان راوية للشعر محدثاً. توفي ببغداد سنة: 291، والكتاب الذي يعنيه ابن العربي هو «الفصيح» مطبوع. انظر: الفهرست لابن النديم: 80، وإنباء الرواة: 138/1، ومعجم الأدباء: 102/5.

(2) إصلاح المنطق مطبوع بتحقيق أحمد محمد شاكر، وهو لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، إمام في اللغة والأدب، قتل ببغداد سنة 244، انظر: الفهرست: 79، ونزهة الألباء: 238 ومقال الدكتور محمد بن أبي شبيب في دائرة المعارف الإسلامية: 200/1.

(3) الأمالي تنصرف إلى كتب كثيرة ولعل المقصود هنا أمالي أبي عليّ القالي (ت: 356) وانظر ترجمته في: بغية الملتبس للضبي: 216، وإنباء الرواة: 204/1.

(4) انظر عن علم المعاملات: مقدمة ابن خلدون: 1229/3، وأبجد العلوم للكنوجي: 487/2.

(5) انظر عن هذا العلم: مفاتيح العلوم للخوارزمي: 154، والمقدمة: 1228/3، وأبجد العلوم: 205/2.

(6) انظر: المقدمة: 1230/3، وأبجد العلوم: 396/2.

(7) من أكبر الشخصيات اليونانية في مجال الرياضيات لا سيما الهندسة (ظهر حوالي سنة 300 ق. م) وإليه تُعزى الهندسة الإقليدية، وكتابه المشار إليه هو: «كتاب الأصول» انظر: الفهرست: 325.

(8) الشَّكْلُ الْقَطَاعُ: قطعة في دائرة رأسها إما على مركزها وإما على محيطها، انظر: مفاتيح العلوم: 160.

(9) لم أجد ما يساعد على تحديد هذه الأزياج ونسبتها إلى مؤلفها فقد دخلت الأندلس أزياج كثيرة، ووضع الأندلسيون أزياجاً أخرى منها: زيح ابن السَّمْح الذي قال فيه ابن حزم: «سمعت ممن أثق بعقله ودينه من أهل العلم أنه لم يؤلف في الأزياج مثل زيح ابن السَّمْح» - رسالة فضل الأندلس لابن حزم 185/2 وانظر: طبقات الأمم لصاعد: 70 (تحقيق شيخو بيروت 1912)، والزيح هو صناعة =

وَنَظَرْتُ فِي الْأُسْطُرْلَابِ^(١)، وَفِي مَسْقَطِ النُّقْطَةِ وَنَحْوِهِ.

يَتَعَاقَبُ عَلَيَّ هَؤُلَاءِ الْمُعَلِّمُونَ^(٢) مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى أَذَانِ الْعَصْرِ^(٣)، ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ عَنِّي، وَاتَّخِذُ فِي الرَّاحَةِ إِلَى صُبْحِ الْيَوْمِ الثَّانِي، فَلَا تَتْرُكُنِي نَفْسِي فَارِعًا مِنْ مُطَالَعَةٍ، أَوْ مُذَاكِرَةٍ، أَوْ تَعْلِيقٍ فَائِدَةٍ، وَأَنَا بِغَرَارَةٍ^(٤) الشَّبَابِ أَجْمَعُ مِنْ هَذِهِ الْجُمْلِ مَا يَجْمَلُ^(٥)، وَمَا لَا يَجْمَلُ، وَالْقَدَرُ يُخَبِّرُهَا عِنْدِي لِلِانْتِفَاعِ بِهَا فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُلْحِدِينَ، وَالتَّمْهِيدِ لِأُصُولِ الدِّينِ.

ثُمَّ حَالَتْ هَذِهِ الْحَالَةُ الْخَاصَّةُ بِالِاسْتِحَالَةِ الْعَامَّةِ عِنْدَ دُخُولِ الْمُرَابِطِينَ بِلَدْنَا سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ^(٦)، وَوَقَعَ عَلَيْنَا مِنْ تِلْكَ الْحَوَادِثِ مَا كَانَ مُدَّةً أَسْفَ فَوْقَنَا وَصَابَ بِأَرْضِنَا شُرُوبُ فِتْنَةٍ يَا طَالَ مَا دَارَتْ^(٧) سَحَابُهُ بِنَا، فَأَنْصَدَعَ الْإِلْتِمَامُ، وَتَبَدَّدَ ذَلِكَ النِّظَامُ، وَكَانَ لَنَا خَيْرَةٌ وَلِلْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُمْكِنْ^(٨) بِأَرْضِنَا الْمُقَامَ.

(١) أ: المعلمين وهو منصوب على المدح.

(٢) أ، ب: صلاة.

(٣) ك: بغزارة.

(٤) وما لا يجمل: ساقطة من: أ.

(٥) أ: ما درت.

(٦) أ: يكن.

.....

= حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته، يعرف به موضع الكواكب في أفلاكها بحسبان حركاتها على وفق قوانين تستخرج من كتب الهيئة - انظر مقدمة ابن خلدون: 1235/3.

(١) الْأُسْطُرْلَابُ معناه مقياس النجوم وهو آلة ابتدعها اليونانيون. للتوسع انظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي: 134 (ط: القاهرة: 1342) وكتاب التفهيم لصناعة التنجيم لأبي ریحان البيروني: 194 (ط: لندن: 1934)، وكتاب الأسطرلاب لكوشيار بن لبان - مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس (رقم 2487 عربي) وقد عرفه كوشيار فقال: الأسطرلاب كلمة يونانية أشهر ما قيل في معناها أنها ميزان الشمس.

(٢) كان دخول المرابطين للعاصمة العبادية «إشبيلية» يوم الأحد 20 رجب: 484 على يد القائد الكبير الأمير سير بن أبي بكر اللمتوني الذي عقد له يوسف بن تاشفين على الإمارة بسبته. انظر: تاريخ ابن خلدون 385/6 والمعجب للمراكشي: 140.

ذِكْرُ الرِّحْلَةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

فَدَعَتِ الضَّرُورَةُ إِلَى الرِّحْلَةِ، فَخَرَجْنَا وَالْأَعْدَاءُ يَشْمَتُونَ بِنَا، وَآيَاتُ الْقُرْآنِ تَنْزِعُ لَنَا^(١)، وَفِي عِلْمِ الْبَارِي - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - أَنَّهُ مَا مَرَّ عَلَيَّ يَوْمٌ مِنَ الدَّهْرِ كَانَ أَعْجَبَ عِنْدِي مِنْ يَوْمٍ خُرُوجِي مِنْ بَلَدِي، ذَاهِبًا إِلَى رَبِّي، وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَ غَزَارَةِ^(٢) السَّبِيَةِ^(٣)، وَنَضَارَةِ الشَّيْبَةِ^(٤)، أَحْرِصُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ فِي الْأَفَاقِ، وَأَتَمْنَى لَهُ حَالَ الصَّفَاقِ الْأَفَاقِ^(٥)، وَأَرَى أَنَّ^(٦) التَّمَكُّنَ مِنْ ذَلِكَ فِي جَنْبِ ذَهَابِ الْجَاهِ وَالْمَالِ، وَبُعْدِ الْأَهْلِ بِتَغْيِيرِ الْحَالِ، رِبْحٌ فِي التَّجَارَةِ، وَنُجْحٌ فِي الْمَطْلَبِ. وَكَانَ

(١) ب: غرارة.

(٢) ب، ك، م: الشبيبة.

(٣) ب، ك، م: السبيبة.

(٤) الأفاق: ساقطة من: ك.

(٥) جملة «له حال الصفاق وأرى أن» ساقطة من: ب.

.....

(١) يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: 216].

(٢) السبيبة هو شعر الناصية أو الخصلة من الشعر.

(٣) أي يتمنى حال من يضرب آفاق الأرض مكتسباً للعلم والمعرفة، والصفاق هو كثير الأسفار، وقيل الصفيق والأفق متقاربان، انظر: ابن الأثير: منال الطالب: 124.

الْبَاعِثُ عَلَى (١) هَذَا التَّشَبُّثِ - مَعَ هَوْلِ الْأَمْرِ - هِمَّةٌ لَزِمَتْ، وَعَزْمَةٌ لَجِمَتْ (١)(٢)، سَاقَتَهَا رَحْمَةُ سَبَقَتْ.

وَلَقَدْ كُنْتُ يَوْمًا مَعَ بَعْضِ الْمُعَلِّمِينَ، فَجَلَسَ إِلَيْنَا أَبِي - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - يُطَالِعُ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ عِلْمِي فِي لَحْظَةٍ سَرَقَهَا مِنْ زَمَانِهِ مَعَ عَظِيمِ اشْغَالِهِ، وَجَلَسَ بِجُلُوسِهِ (٣) مَنْ حَضَرَ مِنْ قَاصِدِيهِ، فَدَخَلَ (٤) إِلَيْنَا أَحَدُ (٥) السَّمَاوَةِ وَعَلَى يَدَيْهِ رِزْمَةٌ كُتِبَ، فَحَلَّ شِنَاقَهَا (٦) وَأَرْسَلَ وَثَاقَهَا، فَإِذَا بِهَا مِنْ تَأْلِيفِ السُّمْنَانِيِّ (٣) شَيْخِ الْبَاجِيِّ (٤)(٦). فَسَمِعْتُ جَمِيعَهُمْ (٧) يَقُولُونَ (٨): هَذِهِ كُتِبَ عَظِيمَةٌ، وَعُلُومٌ جَلِيلَةٌ، جَلَبَهَا الْبَاجِيُّ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَصَدَعَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ كَبِدِي، وَقَرَعَتْ خَلْدِي، وَجَعَلُوا

(١) ك: إلى.

(٢) أ، ب: نجمت.

(٣) ب: لجلوسه.

(٤) ب: ودخل.

(٥) ك، م: بعض.

(٦) أ، ب: السمناني والباغي.

(٧) ك، م: من جميعهم.

(٨) أ: يقولوا.

.....

(١) أي عقد العزم.

(٢) الشَّنَاقُ هو الخيط الذي تشد به الرزمة.

(٣) هو القاضي العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد السُّمْنَانِيُّ، كان مقدم الأشعرية في وقته، شنع عليه ابن حزم كعادته في الانتقاص من الأشاعرة. له تصانيف مفيدة في الفقه والكلام، توفي رحمه الله عام: 444 انظر: الخطيب في تاريخ بغداد: 382/4 وابن الجوزي في المنتظم: 287/8، وابن عساكر في تبيين كذب المفتري: 259، والصفدي في نكت الهميان: 237، والذهبي في سير أعلام النبلاء: 304/18.

(٤) هو الإمام الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف التَّجِيبِيُّ الباجي، يعتبر من الذين جددوا مناهج البحث وطرق التفكير في الأندلس، له تصانيف كثيرة في الفقه والكلام والزهد. توفي رحمه الله سنة: 474. انظر: ابن خاقان في فرائد العقيان: 215، والقاضي عياض في ترتيب المدارك: 117/7 (ط: الرباط)، وابن بشكوال في الصَّلَّة: 200/1، والذهبي في سير أعلام النبلاء: 535/18.

يُورِدُونَ فِي ذِكْرِهِ وَيُصْدِرُونَ، وَيَحْكُونَ^(١) أَنْ فُقَهَاءَ بِلَادِنَا^(٢) لَا يَفْهَمُونَ عَنْهُ وَلَا يَعْقِلُونَ، وَنَاهِيكَ مِنْ أُمَّةٍ يُجْلَبُ إِلَيْهَا هَذَا^(٣) الْقَدْرُ الطَّافِيفُ، فَلَا يَكُونُ مِنْهُمْ أَحَدٌ يُضَافُ إِلَيْهِ، إِلَّا بِصِفَةٍ^(٤) الْعَاجِزِ الضَّعِيفِ، وَنَذَرْتُ فِي نَفْسِي طِيَّةً، لَيْتَنِي مَلَكَتُ أَمْرِي لِأَهَاجِرَنَ إِلَى هَذِهِ الْمَقَامَاتِ، وَلَا فِدَنَ عَلَى أَوْلَاءِ^(٥) الرِّجَالَاتِ، وَلَا تَمَرَّسَنَ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْمَقَالَاتِ، وَأَسْتَمَرَّتْ عَلَيْهَا نِيَّةً، وَاكْتَسَمْتُهَا^(٦) عَزِيمَةً غَيْرَ مَثْنَوِيَّةٍ^(٧)، فَلَمَّا وَقَعَتْ هَذِهِ الْحَالُ، كُنْتُ مَعَ تَفَاقُمِ الْخُطْبِ وَتَعَاضُّمِ الْأَمْرِ الْوَارِدَيْنِ عَلَيَّ، نِعْمَةً سَابِغَةً، وَنِعْمَةً بَالِغَةً، أَسَلَّى بِمَا كَانَ فِي طَبِئِي مِنَ الرَّحَلَةِ، فَتَرَى كُلَّ مَنْ فَقَدَ نِعْمَةً يَتَيْتَسُّ، وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيَّ وَجَدْتَنِي أَنَانَسُ.

فَخَرَجْنَا^(٨) مُكْرَمِينَ، أَوْ قُلْ مُكْرَهِينَ، آمِنِينَ وَإِنْ شِئْتَ خَائِفِينَ، وَفَرَرْتُ

(١) ك، م: يحكمون.

(٢) ب: كلمتان لم أتمكن من معرفتهما.

(٣) ك، م: هذا الضرر، ب: من القدر.

(٤) ك، م: إلا بالعجز بصفة العاجز...

(٥) ب: إلى.

(٦) ك، م: اكتسبتها، ب: اكتسبتها.

(٧) ك، ب: «غير ذات مثنوية» وهي مضمرة في: أ، م.

.....

(١) تطرق المؤلف - رحمه الله - في كتابه «سراج المريدين» لرحلته فقال: «خرجت سنة خمس وثمانين وأربع مئة في طلب العلم، وبرد الشباب قشيب، وكأس الفتوة نصيب، وغصن الأمانى رطيب. ودوخت من الأندلس إلى العراق فعل الصَّفَاقِ الأفاق، وأنخت بكل حضرة في عيشة نضرة، دين قائم، ويؤس نائم، وأكل دائم، وأمن متصل، وبر وإكرام غير منفصل، وعلم جم وإقبال عم، وعلماء رفعا، بحور زاخرة، وأنجم زاهرة، وملوك جمع الله فيهم الدين والدنيا. تفيض بركاتهم على الضيف، ويأمن جارهم من الحيف، أبصارهم عن المعاييب مغضوصة، والمحاسن بعين المبرة لديهم ملحوظة. فأقمنا مع كلتا الطائفتين في دوح وَارِفَةِ الظلال، وقطفنا ثمر الأمانى متصلة الإقبال، وقطعنا الزمان بالنظر في العلم، فجمعنا فنونه، وانتقينا عيونه، ونثلنا مكنونه، وفضضنا ختامه، وملكنا زمامه، فصرفناه تصريف الأفعال، ودفعنا به في سر المحال، وشددنا عليه يد المحال، ورجعنا منه بملء الحقائق ومنية الراغب وحسرة الغائب وصلة المجانب، ونحن نسأل الله أن يرزقنا العمل ويبلغنا =

مِنْكُمْ^(١) لَمَّا خِفْتُكُمْ، فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْعَالَمِينَ^(٢). وَكَتَبَنِي فِي
أَتْبَاعِ مَنْ قَالَ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِينَ﴾ (الصَّافَّاتِ: 99).

(١) ك، ب: منهم.

(٢) ك، م: العالمين.

.....
= فيه الأمل برحمته...»: 152/أ - ب.

أما عن سنة يوم خروجه فيقول:

«... وعجلت عليَّ الغربة ابن ستة عشر عاماً فكنْتُ فيها نحو الأحد عشر عاماً كأني في أهلي ومالي، طيباً عيشي، ناعماً بالي، ميسراً لي في جميع آمالي...»
السراج: 240/ب.

(I) والعبرة تضمين للآية: 21 من سورة الشعراء على لسان موسى عليه السلام لفرعون.

ذَكَرُ مَا لَقِيْتَهُ فِي الْعِلْمِ مِنَ الْمُتَمَرِّسِينَ (١) وَالْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ فِي أَثْنَاءِ رِحْلَتِي الْمُشَارِ إِلَيْهَا

فَكَانَ أَوَّلُ بَلَدَةٍ دَخَلْتُ مَالِقَةَ (١)، فَالْفَيْتُ بِهَا (٢) أُمَّةً رَأْسُهُمُ الشَّعْبِيُّ (٢)، أَشْهُرُ مَا عِنْدَهُ نَسَبُهُ (٣)، وَعِنْدَهُ رِوَايَةٌ وَمَسَائِلُ، وَلَدَيْهِ حِشْمَةٌ، وَلَهُ عِنْدَ الْأَمْرَاءِ قَدَمٌ جَاهٍ. ثُمَّ طَفَرْتُ مِنْ أَغْرَنَاطَةِ (٤) (٣) (٤)

(١) أ: المترسمين.

(٢) ب: فيها.

(٣) ب: إلا نسبة.

(٤) ب: إلى غرناطة، ك، م: طفرت أغرناطة.

(١) مدينة أندلسية على شاطئ البحر ترجع إلى أصول رومانية وفينيقية، وقد كانت أيام الدولة الإسلامية من أقدم وأهم الثغور الأندلسية، سقطت في يد الإسبان في شعبان سنة: 892 بعد دفاع مجيد، وهي اليوم عاصمة الولاية الإسبانية التي تسمى بهذا الاسم «MALAGA». انظر: نزهة المشتاق للإدريسي: 297 (ط: الجزائر)، ورحلة ابن بطوطة 669، ومعجم البلدان: 43/5، والروض المعطار للجُمَيْرِي: 517، والآثار الأندلسية لعنان: 232.

(٢) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم، كان فقيهاً ذاكراً للمسائل، سُورَ ببلده في الأحكام توفي رحمه الله سنة: 497. انظر: الصلة لابن بشكوال: 329/1 (ط: مصر 1955) والمرقبة العليا للنباهي: 107 (ط: مصر 1948) قال النباهي:

«وجرت بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي عند اجتيازه على مالقة مناظرات في ضروب العلم». وانظر: الذهبي في سير أعلام النبلاء: 227/19.

(٣) مدينة أندلسية معناها بالإسبانية «الرُّمَّانَةُ» وهي آخر القواعد الأندلسية سقوطاً في يد الإسبان وذلك في ربيع الأول سنة 897، وهي اليوم عاصمة ولاية «GARANADA» وتقع في واد عميق يمتد من المنحدر الشمالي الغربي لجبال سيرايفادا، وبها آثار أندلسية عظيمة. انظر: الرُّوضُ المِعْطَارُ للجُمَيْرِي: 45، ونُزْهُةُ الْمُشْتَاقِ للإدريسي: 203 (نشرة دوزي ودي فويه بأمستردام: 1969) ومعجم =

إِلَى الْمَرِيَّة^(١)، فَرَأَيْتُ^(٢) بِهَا رِجَالَاتٍ فِي^(٣) الْمَسَائِلِ وَالْقِرَاءَاتِ، وَأَدْبَاءَ مُتَوَسِّطِي
الْمَنْزِلَةِ بَيْنَ دَرَجَتَيْ التَّقْصِيرِ وَالْكَمَالِ، فِي أَيَّامٍ قَلَائِلَ لَبِثْتُ بِهَا لَمْ أَخْبِرْ^(٤) بِهَا
حَالَهُمْ، فَرُبُّكَ أَعْلَمُ بِهِمْ، إِلَّا أَنِّي جَالَسْتُ قَاضِيَهَا وَمُقَرَّرَهَا أَبْنَ شَفِيعٍ^(٥).

وَرَكِبْتُ الْبَحْرَ مَحْفُوزًا، فَأَرْفَأْنَا^(٦) إِلَى بَجَايَةِ^(٧)، فَرَأَيْتُ فِيهَا جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ
الْمَسَائِلِ، وَلَقِيتُ بِهَا^(٨) مُحَمَّدَ بْنَ عَمَّارِ الْمَيُورَقِيِّ^(٩) رَأْسًا فِيهِمْ^(١٠)، مُشَارِكًا^(١١) فِي

(١) ب: ورأيت.

(٢) في: ساقطة من: ك.

(٣) ب: يخبر. ك: احتبر.

(٤) بها: ساقطة من: ب.

(٥) م، ك: وقد كان فيهم.

(٦) مشاركا: ساقطة من: أ.

.....

= البلدان: 195/4، والآثار الأندلسية لعبدالله عنان: 160.

(1) مدينة أندلسية على شاطئ البحر، أمر ببنائها الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة: 344، وكانت من أهم ثغور الأندلس الجنوبية، سقطت بيد الكفار سنة: 895، وهي الآن عاصمة الولاية المسماة بنفس الاسم: «ELMERIA»، ويقال إن اسمهما مشتق من كلمتين عربيتين هما مرآة البحر. انظر: كتاب الجغرافية المنسوب للزهرري: 151، ونصوص عن الأندلس للعدري (تحقيق عبد العزيز الأهواني): 86، ونزهة المشتاق للإدريسي: 289، ومعجم البلدان: 119/5، والآثار الأندلسية لعنان: 265.

(2) هو عبد العزيز بن عبد الملك بن شافع المقرئ، وكان شيخاً صالحاً ت: 514، انظر: الصلة: 355/1 (ط: مصر: 55) وبغية الملتبس للضيبي: 386.

(3) أي لجأنا.

(4) مدينة على ساحل البحر بالقطر الجزائري، أول من اختطها الناصر بن زيري بن مناد في حدود سنة 457. وهي الآن عاصمة الولاية المسماة بنفس الاسم، انظر: الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول: 180، ونزهة المشتاق للإدريسي: 160 (ط: الجزائر) ومعجم البلدان: 339/1، والروض المعطار للحميري: 80.

(5) الكلاعي يكنى أبا عبدالله، كان عالماً متفنناً له قصيدة طويلة في السنة والآداب الشرعية والديانات قال ابن الأبار: سمع منه أبو بكر بن العربي في رحلته إلى المشرق سنة 485. التكملة: 403 (ط: مصر 1955) والمدارك للقاضي عياض: 826/4.

مَعَارِفَ وَحَدِيثٍ^(١) وَمَسَائِلَ وَأَدَبٍ، وَرَبَّمَا كَانَتْ عِنْدَهُ فِي الْأُصُولِ إِشَارَةٌ لَا تُؤْمَى إِلَى الْمُرَادِ، مَنَسُوجَةٌ^(٢) عَلَى مَنَوَالِ الْبَاجِي وَنُظَرَائِهِ. وَلَقِيتُ خَاصَّةً دَوْلَتَهَا، وَرَأَيْتُ رَأْسَ وَرَعَتَهَا^(٣)(١): الْقَاسِمَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٢)، رَوَاءً وَرَوِيَّةً، وَإِتْقَانًا فِي الْأَدَبِ، وَقُوَّةً عَلَى الصَّنَاعَةِ الْكِتَابِيَّةِ، جَمَالَ قُطْرِهِ^(٤)، أَوْ قُلَّ جَلَالَ عَصْرِهِ، فَصَدَّنَا إِلَى مَنَزِلِنَا وَهُوَ عَلَى مَحَلٍّ مِنَ الدَّوْلَةِ عَظِيمٍ، وَفِي رُؤْسَائِهَا مُقَدَّمُ زَعِيمٍ، فِي حُجْرَةٍ بِخَانٍ^(٣) السُّلْطَانِ كُنَّا تَبَوُّنَاهَا، وَلَمْ يَرِ عَلَيْهِ^(٥) فِي ذَلِكَ غَضَاضَةٌ، كَمَا يَفْعَلُهُ مَنْ كَانَ فِي الْمَعْلُومَاتِ قَرَاظَةً^(٤)(٦). فَسَأَلْنَا عَنْ حَالِنَا وَطَرِيقِنَا وَمَقْصِدِنَا، وَتَفَاوَضْنَا^(٧) مَعَهُ وَالْحَدِيثُ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ وَيُوَلِّجُ فِي نَهَارِهِ لَيْلَهُ، وَهُوَ فِي أَكْثَرِ كَلَامِهِ يَنْتَحِي قِبْلَهُ، وَالْكَلَامُ - كَمَا جَاءَ فِي الْمَثَلِ - دُوشُجُونٍ^(٥)، وَفِيهِ الصَّفَاءُ وَالْأَجُونُ، وَلَا يُسْتَنَكَّرُ^(٨) فِيهِ الْجِدُّ وَالْمُجُونُ، حَتَّى وَقَعْنَا فِي حَدِيثِ جُرَيْجٍ^(٦)، فَقُلْتُ لَهُ: سَمِعْتُ

(١) ك، ب: معارف حديث.

(٢) لا تؤمى إلى المراد، منسوجة: ساقطة من: أ.

(٣) ب، ك، م: رزمتها.

(٤) ب: فطري.

(٥) عليه: ساقطة من: ك، م.

(٦) المعلومات قراضة: ساقطة من: ك، م ومثبتة بقلم الناسخ في هامشيها.

(٧) ب: تفاوض، واستدرك الناسخ الخطأ في الهامش.

(٨) ب: لجون ولا يستشعر.

(١) الوزعة جمع وازع وهو الموكل بالصفوف العسكرية يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر.

(٢) لم أعر على ترجمة له فيما رجعت إليه من كتب التراجم.

(٣) الخان هو الفندق، انظر: أحكام القرآن لابن العربي: 1364.

(٤) القراضة: فضالة ما يقرضه الفأر من خبز أو غيره، يعني المؤلف أنه ليس له في المعلومات إلا نصيب يسير.

(٥) لفظ المثل: «الحديث دوشجون» وهو لضبة بن أد، انظر: الفاخر فيما تلحن فيه العامة للمفضل ابن

سلمة: 59، جمهرة الأمثال العسكري: 377/1، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري: 169/1،

وأمثال العرب للضيبي: 4، ومجمع الأمثال للميداني: 197/1.

(6) أخرجه البخاري في أواخر كتاب الصلاة: 80/2 وفي المظالم: 179/3 والأنبياء: 201/4، ومسلم في =

التَّنُوخِيَّ^(١) شَيْخَ الْعَرَبِيَّةِ عِنْدَنَا يَقُولُ: لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَسْمٌ فِيهِ فَاءُ الْفِعْلِ وَعَيْنُ الْفِعْلِ حَرْفًا وَاحِدًا إِلَّا قَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: يَا بَابُوسُ^(٢) (١). فَقَالَ عَلَى الْبَدِيهَةِ: وَأَيْنَ هُوَ مِنْ دَدٍ^(٣)، فَأَعْجَبَنِي اسْتِدْرَاكُهُ فِي بَلَدِهِ وَهُوَ قَتِي، عَلَى شَيْخِ بَلَدِي فِي مَعْرِفَتِهِ وَسَنِّهِ. وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا رَغَّبَنِي فِي تَحْصِيلِ الْعَرَبِيَّةِ^(٢) وَضَبَطِ غَرِيبِ الْحَدِيثِ. وَقَرَأْنَا فِيهَا كِتَابَ أَبِي دَاوُدَ رِوَايَةَ التَّمَارِ^(٤).

ثُمَّ خَرَجْتُ عَنْهَا تَارَةً مُتَسَاحِلِينَ نَقَطُوعَ الْبَحْرِ قَطَعَ الْفَقْرَ، وَحَالَةً^(٣) مُصْحَرِينَ

(١) أ: بابوس، ب: يبابوس.

(٢) ب: المعرفة.

(٣) ب: تارة.

.....

= البر: 1976/4، وعبد الرزاق في مصنفه: 135/11 بألفاظ متقاربة.

(1) هو علي بن عبد الرحمن بن مهدي التَّنُوخِيَّ (ت: 514) من أهل إشبيلية يعرف بابن الأخضر، كان من أهل المعرفة باللغة والأدب، انظر: الصلة: 404 (ط. مصر: 55)، وبغية الملتمس: 424.

(2) يشير إلى قصة جُرَيْجِ الرَّاهِبِ التي رواها أبو هريرة، ومضمونها أن امرأة اتهمت الراهب بأنه والد الطفل الذي وضعته، فجاء بمهد الصبي فخاطبه جريج قائلاً: يا بابوس من أبوك؟ ففتح الصبي حلقه وقال: فلان الراعي. والبابوس سهو الصبي الرضيع. انظر: الخطابي: غريب الحديث: 7/3، الزمخشري: غريب الحديث: 72/1، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث: 90/1.

(3) يشير إلى ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَسْتُ مِنْ دَدٍ وَلَا الدَّدِ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنَ الْبَاطِلِ وَلَا الْبَاطِلُ مِنِّي» أخرجه البخاري في الأدب المفرد: 785، والبراز في مسنده: الحديث: 2402، والطبراني في المعجم الأوسط: 415، والعقيلي في الضعفاء: 427/4، وابن عدي في الكامل: 2698/7، والدولابي في الكنى: 179/1، والبيهقي في السنن: 217/10. وقد روي هذا الحديث من عدة طرق، ولا يصح منها طريق واحد. للتوسع انظر النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة للأخ أبي إسحاق الحويني: 35/2، الحديث: 111.

والدد هو اللعب واللهو. انظر: تهذيب اللغة للأزهري: 222/14، وغريب الحديث لابن سلام:

40/1، والفائق للزمخشري: 420/1، والنهاية لابن الأثير: 109/2.

(4) يعني سنن أبي داود، وقد رواها عنه ثمانية أحدهم التمار، وهو محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق المشهور بابن داسة، وقد وصلت إلينا بعض المخطوطات بروايتها، اعتمد على واحدة منها صاحب عون المعبود: 547/4، وانظر فهرست ابن خير: 103، تهذيب التهذيب لابن حجر: 170/4.

نَطَوِي السَّبَاسِبَ ^(١) طَيَّ التَّجَارِ لِلْسَّبَابِ ^(٢)، فَلَقِيتُ ^(١) بَيُوتَةَ ^(٣) فَقِيهَهَا الْمُسَمَّى بِسَعْدٍ ^(٤) مِنْ أَصْحَابِ السُّيُورِيِّ ^(٥) ^(٢) شَيْخٌ مُتَوَسِّطٌ فِي الطَّرِيقَةِ.

وَدَخَلْنَا تُونِسَ فَكَانَ بِهَا قَوْمٌ دُونَ هَذَا الشَّيْخِ فِي الْمَرْتَبَةِ، وَعِنْدَهُمْ صَلاَحٌ وَإِقْبَالٌ عَلَى الْأَعْمَالِ.

ثُمَّ دَخَلْتُ سُوسَةَ وَالْمَهْدِيَّةَ ^(٦)، فَلَقِيتُ بِهَا جُمْلَةً مِنْ أَصْحَابِ السُّيُورِيِّ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ فَقْهَاءِ الْقَيْرَوَانِ ^(٧) كَابْنِ حَبِيبٍ ^(٨)

(١) فلقيت: ساقطة من: ب.

(٢) ب، ك، م: الشورى واستدرك النسخ الخطأ في الهامش.

(١) أي القفار.

(٢) أي للكتان الرقيق.

(٣) بونة أو عَنَابَة) مدينة ساحلية بالقطر الجزائري، وتعد أكبر الموانئ الشرقية، ورابع المدن الجزائرية حجماً، ومن أشهر المراكز الصناعية. معجم البلدان: 512/1، ومراسد الاصطلاح: 232/1، والروض المعطار: 115.

(٤) لم أتمكن من الوقوف على ترجمته فالله أعلم.

(٥) هو أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث التميمي المعروف بالسُّيُورِيِّ الْقَيْرَوَانِي (ت: 460) كان زاهداً دُيْنًا نَظَّاراً، آية في الدرس والصبر عليه. انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض: 65/8، ومعالم الإيمان للدُّبَاغ: 181/3 - 184، والديباج لابن فرحون: 22/2، وسير أعلام النبلاء: 213/18، وشجرة النور الزكية: 97/1.

(٦) سُوسَة ثالث مدن تونس، تقع على الساحل الشرقي على الجانب الغربي من خليج الحَمَامَات، وتبعد عن تونس جنوباً حوالي: 90 كلم، وتقع «المهدية» إلى الجنوب الشرقي منها على بعد: 43 كلم، وقد بناها عبيد الله الشيعي الملقب «بالمهدي» صاحب دولة العبيديين سنة: 300. انظر عن سوسة: نزهة المشتاق للشريف الإدريسي: 203، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب للبكري: 34، ومعجم البلدان: 281/3، والروض المعطار للجُمَيْرِي: 331.

وعن المهدية انظر: الاستبصار في عجائب الأمصار: 117، والمغرب للبكري: 29، ومعجم البلدان: 299/5، والروض المعطار: 561.

(٧) من أعظم المدن التونسية، افتتحها جيش معاوية رضي الله عنه سنة: 50 للهجرة، وكانت مركزاً مهماً في نشر الإسلام بإفريقيا. المغرب للبكري: 24، ومعجم البلدان: 420/4.

(٨) هو محمد بن حبيب المهدي القلانسي، فقيه أصولي متكلم. انظر: خريدة القصر للأصفهاني: 162/1، 164، ورحلة التجاني: 329، 366.

وَحَسَّانٍ^(١) وَاللَّيْثِيَّ^(٢)، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْحَدَّادِ^(٣) فِي الْقِرَاءَاتِ وَالْأَدَبِ
وَالْكَلَامِ، وَمِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْقَدِيمِ^(٤) جُمْلَةً، وَكَانَ مُتَكَلِّمًا مَخْصُوصًا بِهِ، فَلَمَّا
لَمَحَ^(١) لِي هَذَا الْكَوْكَبُ بِطَرِيقَةِ الْقَيْرَوَانِ^(٥)، وَاسْتَنَارَتْ لِي فِيهَا بَنُوعٌ مِنَ الْبُرْهَانِ،
وَاسْتَبْرَأْتُهَا^(٢) بِوَاضِحٍ مِنَ الدَّلَالَاتِ غَضُّ النَّبَاتِ وَالْأَفْنَانِ^(٣)، قُلْتُ: هَذَا مَطْلَبِي.

فَأَخَذْتُ فِي قِرَاءَةِ شَيْءٍ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، وَالْمَنَاظَرَةِ فِيهَا مَعَ الطَّالِبِينَ،
وَلَزِمْتُ مَجَالِسَ الْمُتَفَقِّهِينَ، وَكَانَ فِيهَا الْأَدَبُ عَلَى حَالَةٍ وَسُطَى.

فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ إِقْلَاعِ الْمَرَائِبِ فِي الْبَحْرِ إِلَى دِيَارِ الْحِجَازِ، اعْتَزَمْنَا فَرَكِبْنَاهُ
بَعْدَ أَنْ وَعَيْتُ جُمْلًا مِنَ الْمَعْلُومَاتِ، تَفْسِيرُهَا فِي مَوْضِعِهَا مَسْطُورٌ، فَرَكِبْنَاهُ^(٤) وَقَدْ
سَبَقَ^(٥)

(١) ك: ألمح.

(٢) ب، م: استوتاتها. ك: استراتها.

(٣) ب، ك: الأفنان والنبات.

(٤) ك، م: ركبنا.

(١) هو أبو علي حسان البربري المَهْدَوِيُّ، مفتي المهدية وفتيها، الإمام العُمدة، شجرة النور الزكية
لمخلوف: 126/1.

(٢) هو أبو بكر محمد بن أبي القاسم اللَّيْثِيَّ. كان من أهل العلم والأدب والفهم الحسن. ترتيب
المدارك لعياض: 69/8 والغنية له: 228، شجرة النور الزكية: 109/1.

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد الخَوْلَانِيَّ المَهْدَوِيُّ المعروف بابن الحَدَّادِ، المقرئ، فقيه أصولي
بارع، قال عنه ابن العربي: «كنت أحضر عليه كتابه المُسَمَّى «بالإشارة وشرحها» وغيرها من تأليفه،
وكان ذلك بالمهدية في شهور سنة: 485». انظر: غاية النهاية لابن الجزري: 566/1، وشجرة النور
الزكية: 118/1، ورحلة التجاني: 332.

(٤) هو أبو سليمان بن الْقَدِيمِ، أصولي متكلم، كان يُدْرَسُ كتاب التمهيد للْبَاقِلَانِيَّ: فهرست ابن عَطِيَّة:
43، 55، الغنية لعياض: 190.

(٥) طريقة القيروان تمتاز بالتخريجات والإيرادات وإثراء الموضوع بالصور والتمثيل، عكس طريقة
العراقيين التي تمتاز بالمناظرة والاستدلال واستخراج العلل وأصول الأدلة. (عن الأستاذ مصطفى
صغيري: 30/2)، وانظر صفحة: 97 من القانون.

(6) النص التالي نقله المِقْرِي في كتابيه نفع الطَّيِّب 13/2 وأزهار الرياض 89/3 والرُّهُونِي في شرحه لمتن =

فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَعْظُمَ عَلَيْنَا بِزَوْلِهِ ^(١) وَيُغْرِقَنَا فِي هَوْلِهِ. فَخَرَجْنَا مِنَ الْبَحْرِ خُرُوجَ
الْمَيِّتِ مِنَ الْقَبْرِ، وَانْتَهَيْنَا بَعْدَ خَطْبِ طَوِيلٍ إِلَى بُيُوتِ بَنِي كَعْبٍ مِنْ سُلَيْمٍ ^(٢)،
وَنَحْنُ مِنَ السَّغْبِ ^(٣) عَلَى عَطَبٍ، وَمِنْ الْعُرَى فِي ^(١) أَقْبَحِ زِيٍّ، قَدْ
قَذَفَ الْبَحْرُ زِقَاقَ ^(٢) زَيْتٍ مَزَقَتِ الْحِجَارَةُ هَيْئَتَهَا ^(٣)، وَدَسَمَتِ الْأَدْهَانُ وَبَرَّهَا
وَجَلَدَتْهَا، فَاحْتَرَمْنَاهَا ^(٤) أَزْرًا، وَاشْتَمَلْنَاهَا لَفْعًا ^(٥)، تَمَجُّنَا الْأَبْصَارُ، وَتَخَذَلْنَا
الْأَنْصَارُ ^(٦)، فَعَطَفُ أَمِيرِهِمْ عَلَيْنَا عِرْقٌ كَانَ فِيهِ مِنَ الْحَضَرِ ^(٧)، وَخَفَرْنَا ^(٨) بِحُرْمَةٍ
أَوْرَثَتْهَا عِنْدَهُ سَجِيَّةٌ مِصْرِيَّةٌ، إِذْ كَانَ نَشَأُ فِي دِيَارِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ، وَدَرَّتْ عَلَيْهِ هُنَاكَ
الدُّرَّةُ الدِّينِيَّةُ ^(٩)، فَأَوَيْنَا إِلَيْهِ فَأَوَانَا، وَأَطْعَمَنَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ وَسَقَانَا ^(١٠)، وَأَكْرَمَ مَثْوَانَا
وَكَسَانَا ^(١١)، بِأَمْرِ حَقِيرٍ طَفِيفٍ، وَفَنٌّ مِنْ مِّنَ الْعِلْمِ طَرِيفٍ ^(١٢)، وَشَرَحُهُ:

(١) في: ساقطة من: ب.

(٢) أ: بزقاق.

(٣) الأزهار: منيئتها.

(٤) ب: فاحتزمتها.

(٥) في النسخ: لفقاء، الأزهار: لفعا، ب: لفعاً.

(٦) اتخذلنا الأنصار: ساقطة من: م.

(٧) ك، ب: الحضرية.

(٨) عبارة: كان فيه... إلى الدرة الدينية» ساقطة من: النسخ، والأزهار، والرهوني.

(٩) ب، ك: أسقانا.

(١٠) أ، ب، ك، م: وأخبلنا وكسانا، والمثبت من النسخ والأزهار والرهوني.

(١١) ب: ظريف.

.....

= خليل 361/7 (نقلًا عن ابن غازي في التكميل)، ومخلوف في شجرة النور الزكية: 137.

(1) أي بعجائبه وهو المعنى الذي ارتضاه الشيخ الرهوني في حاشيته: 361/7.

(2) الكعوب: بطن كبير، من سُلَيْم بن منصور، من العدنانية، كانت مساكنهم ببرقة (ليبيا)، وكانوا

رؤساء البدو بتلك الديار. انظر عنهم: ابن خلدون: العبر: 73/6، 273/7، القلقشندي: صبح

الأعشى: 345/1 وقلائد الجمال له: 123، النويري: نهاية الأرب: 1/341.

(3) وهو الجوع مع التعب.

(4) أي أجارهم ومنعهم وأصبحوا في ذمته.

إِنَّا لَمَّا وَقَفْنَا عَلَى بَابِهِ، الْفَيْنَاهُ وَهُوَ^(١) يُدِيرُ بِأَعْوَادِ الشَّاهِ^(٢) (١)، فِعْلَ السَّامِدِ^(٣) اللّاهِ^(٤). فَدَنَوْتُ مِنْهُ فِي تِلْكَ الْأَطْمَارِ^(٥) (٢)، وَسَمَحَ لِي بِيَاذِقَتِهِ^(٦) (٣)، إِذْ كُنْتُ مِنَ الصَّغَرِ فِي حَدٍّ يُسَمَّحُ فِيهِ لِلْأَعْمَارِ، وَوَقَفْتُ بِإِزَائِهِمْ، أَنْظُرُ إِلَى تَصَرُّفِهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ، إِذْ كَانَ عِلَقٌ بِنَفْسِي بَعْضُ ذَلِكَ^(٧) (٤)، مِنْ بَعْضِ الْقَرَابَةِ فِي مَجْلِسِ^(٨) الْبَطَالَةِ^(٩)، مَعَ غَلْبَةِ الصَّبُورَةِ^(١٠) وَالْجَهَالَةِ، فَقُلْتُ لِلْبَيَاذِقَةِ:

الْأَمِيرُ أَعْلَمُ مِنْ صَاحِبِهِ، فَلَمَحُونِي شَرَّاءً، وَعَظُمْتُ فِي عُيُونِهِمْ^(١١) بَعْدَ أَنْ

(١) وهو: ساقطة من النفع، والأزهار، والرهوني.

(٢) ب: للشاة.

(٣) ك: ... السامد اللاه، ووقفت بإزائهم انظر، فدنوت...

(٤) ك، م: فدنوت إليه في زي من الأطمار.

(٥) أ: بياذقة.

(٦) بعض ذلك: ساقطة من: أ، ب.

(٧) ب، النفع، الأزهار، الرهوني: خلس.

(٨) الأزهار: بطالة.

(٩) ك: مع غلبة موقع الصبورة...

(١٠) النفع، الأزهار، الرهوني: أعينهم.

.....

(1) أي ما يسمى «الشطرنج» وانظر حكم اللعب بهذه الأعواد في أحكام القرآن: 1053، والقبس في شرح موطأ مالك بن أنس: 353 - 354 (مخطوط الخزانة العامة بالرباط: 25 ج) وكلاهما لأبي بكر بن العربي، وينبغي التنبيه على أن الحافظ ابن قيم الجوزية قال في «المنار المنيّف»: 134 «... أحاديث اللعب بالشطرنج - إباحة وتحريم - كلها كذب على رسول الله ﷺ وإنما يثبت فيه المنع عن الصحابة». ولمعرفة آراء الفقهاء بالتفصيل انظر: كتاب «تحريم النرد والشطرنج والملاهي» للأجري (ت: 360) (ط: الرياض 1982)، وكتاب «الشطرنج» لبرهان الدين الفزاري (ت: 729) مخطوط بدار الكتب مصور بالجامعة الإسلامية تحت رقم: 144، وكتاب «عمدة المحتجّ في حكم الشطرنج» للسخاوي (ت: 902) مخطوط بالمكتبة الظاهرية تحت رقم: 1064.

(2) الساهي المتحير.

(3) جمع طمر بالكسر، وهو الثوب الخلق البالي.

(4) بياذقة الجيش هم الرّجالة، والمقصود: الحرس المرافق للأمير.

كُنْتُ نَزْرًا، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْأَمِيرِ مَنْ نَقَلَ إِلَيْهِ الْكَلَامَ، فَاسْتَدْنَانِي^(١)، فَذَنُوتُ مِنْهُ^(٢)، فَسَأَلَنِي^(٣): هَلْ لِي بِمَا هُمْ فِيهِ بَصَرٌ^(٤)؟.

فَقُلْتُ: لِي فِيهِ بَعْضُ نَظَرٍ، سَيِّدُو^(٥) لَكَ وَيَظْهَرُ: حَرَكُ تِيكَ^(٦) الْقِطْعَةُ، فَفَعَلَ، وَعَارَضَهُ صَاحِبُهُ، فَأَمَرْتُهُ أَنْ^(٧) يُحَرِّكَ أُخْرَى، وَمَا زَالَتِ الْحَرَكَاتُ بَيْنَهُمْ كَذَلِكَ تَتَرَى حَتَّى هَزَمَهُ^(٨) الْأَمِيرُ، وَأَنْقَطَعَ التَّدْبِيرُ، فَقَالُوا: مَا أَنْتَ بِصَغِيرٍ، وَكَانَ فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْحَرَكَاتِ قَدْ تَرَنَّمَ ابْنُ عَمِّ الْأَمِيرِ مُنْشِدًا:

وَأَحْلَى الْهَوَى مَا شَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ وَفِي الْهَجْرِ فَهَوَ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي^(٩)
فَقَالَ: لَعَنَ اللَّهُ أَبَا الطَّيِّبِ، أَوْ يَشْكُ الرَّبُّ؟.

فَقُلْتُ لَهُ فِي الْحَالِ: لَيْسَ كَمَا ظَنَّ صَاحِبُكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّمَا أَرَادَ بِالرَّبِّ هَا هُنَا الصَّاحِبَ، يَقُولُ: أَلَدَّ الْهَوَى مَا كَانَ الْعَاشِقُ فِيهِ مِنَ الْوِصَالِ وَبُلُوغِ الْأَمَالِ^(٩) عَلَى رَيْبٍ^(١٠)، فَهُوَ فِي وَقْتِهِ كُلِّهِ، بَيْنَ^(١١) رَجَاءٍ لِمَا يُؤْمَلُهُ، وَتُقَاةٍ لِمَا يَقْطَعُ بِهِ، كَمَا قَالَ:

(١) ك: فاستدنا بي .

(٢) منه: ساقطة من: أ .

(٣) ك، ب: وسألني .

(٤) ك، م: معرفة .

(٥) ك، م: وسييدو .

(٦) ب، ك، م، النفع، الأزهار، الرهوني: تلك .

(٧) ب: بأن .

(٨) النفع، الأزهار، الرهوني: هزمهم .

(٩) ك: وبلوغ الغرض من الآمال .

(١٠) النفع، الأزهار، الرهوني: ما كان المحب فيه . . وبلوغ الغرض . .

(١١) النفع والأزهار: على .

.....

(1) هذا البيت للمُتَنَبِّي من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة الحمداني . ديوان المتنبّي: 49/3 =

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًى فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ^(١) الرِّسَائِلِ وَالْكَتَبِ^(٢)

وَأَخَذْنَا نُضِيفُ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ ، فِي طَرْفِي الْإِبْرَامِ وَالْإِنْقَاضِ^(٣) ،
مَا حَرَكَ مِنْهُمْ إِلَى مِبرَتِي^(٤) دَاعِي الْإِنْتِهَاضِ ، وَأَقْبَلُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنِّي ، وَيَسْأَلُونِي كَمْ
سِنِّي^(٥) ، وَيَسْتَكْشِفُونِي^(٦) عَنِّي ، فَبَقَرْتُ لَهُمْ حَدِيثِي ، وَذَكَرْتُ لَهُمْ نَجِيثِي^(٧) ،
وَأَعْلَمْتُ الْأَمِيرَ بَأَنَّ أَبِي مَعِي ، فَاسْتَدْعَاهُ ، وَقَمْنَا الثَّلَاثَةَ إِلَى مَاوَاهُ ، فَخَلَعَ عَلَيْنَا
خَلْعَهُ ، وَأَسْبَلَ^(٨) أَدْمُعَهُ ، وَجَاءَ كُلُّ خِوَانٍ^(٩) ، بِأَفْنَانِ الْأَلْوَانِ^(١٠) ، فَقَالَ لَنَا : لَا
تُسْرِفُوا ، فَإِنَّ الشَّبَعَ بِأَثَرِ الْجُوعِ مُعْطِبٌ ، وَكَأَنِّي^(١١) بِكُمْ لَمْ يَنْزِلْ بِكُمْ سَغْبٌ .

وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ حَتَّى ثَابَتَ إِلَيْنَا^(١٢) نَفُوسُنَا ، وَذَهَبَ عَنَّا بُؤْسُنَا^(١٣) ، وَسَأَلْنَا
الْإِقَامَةَ^(١٤) عِنْدَهُ عَلَى أَنْ يُصَيِّرَ إِلَيْنَا صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ كُلَّهَا ، فَأَبَيْنَا إِلَّا الْإِسْتِمْرَارَ

(١) ب : حلاوة .

(٢) ب : الأنقاض .

(٣) النفع ، الأزهار ، الرهوني : إلى جهتي .

(٤) ك ، أ : ويسألوني كم سني .

(٥) أ ، ب ، ك : ويستكشفوني .

(٦) النفع ، الأزهار ، الرهوني : أسبل علينا .

(٧) ب ، ك ، م : وكان .

(٨) ب : لنا .

(٩) وذهب عنا بؤسنا : ساقطة من ك ، م .

(١٠) ب : الإمامة واستدرك النسخ الخطأ في الهامش .

= (ط : بشرح عبد الرحمن البرقوقي) وانظر شرح هذا البيت في شرح الواحدي : 498 (ط : برلين 1861) .

(1) البيت لأبي حفص الشَّطْرَنْجِيَّ كما في شرح ديوان المتنبي للواحدي : 498 (ط : برلين 1861) وينسب
إلى أبي العباس بن الأحنف كما في «التبيان في شرح الديوان» للعكبري : 305/2 (ط : بتحقيق
مصطفى السقا وآخرين : بيروت) و«زهر الآداب» للحصري 11/1 (ط : دار إحياء الكتب العربية
بتحقيق : علي بجاوي) .

(2) النجيث هو السر المخفي .

(3) الخِوَانُ هو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل .

(4) هنا ينتهي النص المنقول في النفع والأزهار والرهوني وشجرة النور .

عَلَى الْعَزِيمَةِ الْأُولَى، وَالتَّصْمِيمِ إِلَى الْمُرْتَبَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ بِنَا أُولَى،
فَفَارَقْنَاهُ^(١) عَلَى ضَنَانَةٍ بِنَا وَحِرْصٍ عَلَيْنَا، وَإِلَى الْآنَ^(٢) يَرِدُ عَلَيَّ ذِكْرُهُ وَسَلَامُهُ،
وَيَنَالُ كُلُّ مَنْ ذَكَرَنِي عِنْدَهُ بَرُّهُ وَإِكْرَامُهُ.

فَانْظُرْ^(٢) إِلَى هَذَا الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ إِلَى الْجَهْلِ^(٣) أَقْرَبُ، مَعَ تِلْكَ الصَّبَابَةِ
الْيَسِيرَةِ مِنَ الْأَدَبِ، كَيْفَ أَنْقَذْتُ^(٣) مِنَ الْعَطَبِ، وَهَذَا الذِّكْرُ يُرْشِدُكُمْ - إِنْ عَقَلْتُمْ -
إِلَى الْمَطْلَبِ.

وَسِرْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى دِيَارِ مِصْرَ، فَالْفَيْنَا بِهَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ
وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَالسُّلْطَانَ عَلَيْهِمْ جَرِيٌّ^(٣)، وَهُمْ مِنَ الْخُمُولِ فِي سِرْبٍ خَفِيٍّ، وَمِنْ
هَجْرَانِ الْخَلْقِ بِحَيْثُ لَا يُرْشِدُ إِلَيْهِمْ جَرِيٌّ، لَا يُنْسَبُونَ إِلَى الْعِلْمِ بِنِتِّ شَفَةٍ،
وَلَا يَنْتَسِبُ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي قَنْ إِلَى مَعْرِفَةٍ، بَلَهُ الْأَدَبِ، فَنَظَرْنَا فِيهِ مَعَ قَوْمٍ مِنْهُمْ أَبُو
عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ الْعُثْمَانِيُّ^(٤)، وَالسَّالِمِيُّ^(٥)، وَشُعَيْبُ الْعَبْدَرِيُّ^(٦) وَآخَرُونَ

(١) أ، ك: فارقتا.

(٢) ب، هامش ك، م: العيب.

(٣) الرهوني: أنقذ، الأزهار: أنقذانا.

(٤) أ، ب: من.

.....

(١) يعني سنة: 533 وهي السنة التي أملى فيها «قانون التأويل» كما صرح بذلك في العارضة: 49/11.

(٢) استأنف المِقْرِي النقل حتى قوله... ديار مصر. وكذا الرهوني ومخلوف.

(٣) الجَرِيُّ هو الوكيل، والسلطان الذي يعنيه ابن العربي هو معد بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله، خامس

خلفاء مصر من بني عبيد (420 - 487) انظر: النجوم الزاهرة لابن تغري: 140/5.

(٤) لم أعثر على ترجمة له فيما رجعت إليه من كتب التراجم والتاريخ، وقد ذكره المؤلف في العارضة:

44/4، وابن خير في الفهرست: 414.

(٥) لم أتمكن من معرفته.

(٦) هو أبو محمد شُعَيْب بن سعيد العَبْدَرِيُّ من أهل طَرُوشَة، سكن الإسكندرية، ابن بَشْكَوَال الصلة:

234/1، ابن الأَبار: التكملة: 213/1 (ط: القاهرة).

سَوَاهُمْ ذَكَرْنَاهُمْ فِي مَوَاضِعِهِمْ وَسَمَّيْنَاهُمْ^(١).

وَتَرَدَّدْتُ فِي لِقَاءِ النَّاسِ بَيْنَ أَسْفَلَ وَفَوْقَ، بِمَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ^(١) الْمَعَارِفِ مِنَ التَّوَقُّ، وَنَاطَرْتُ^(٢) الشَّيْعَةَ^(٢) وَالْقَدْرِيَّةَ^(٣)، وَتَدَرَّبْتُ فِي جُمْلٍ مِنَ الْجَدَلِ، وَنَظَرْتُ فِي بُدٍّ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ، وَتَفَطَّنْتُ مِنْ سَخَافَةِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ بِنَفْسِي، إِلَى مَعَانٍ تَمَمَّهَا لِي النَّظَرُ فِي الْمَعَارِفِ وَالتَّمَرُّسُ بِالْمَشَايخِ. أُمَّةٌ غَلَبَ عَلَيْهَا سُوءُ الْإِعْتِقَادِ، وَنُشِئَتْ مِنْ غَيْرِ فِطْمٍ بَلَبَنَ الْعِنَادِ^(٣)، وَاسْتَوَلَى الْيَأْسُ مِنْهُمْ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْفَسَادِ^(٤).

(١) ب: مما كنت فيه إلى.

(٢) ك، م: فناظرت.

(٣) ك، م: من غير فطنة في باب العناد.

(٤) فيه من الفساد: ساقطة من: ك، م.

(١) في كتاب «ترتيب الرحلة» و«عيان الأعيان».

(٢) قال الشريف الجرجاني في التعريفات: 68: «الشَّيْعَةُ هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه، وقالوا إنه الإمام بعد رسول الله ﷺ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده». قلت: وثمة عقائد كثيرة وعربية يعتقدونها الشيعة كنفى الصفات الإلهية وعصمة الأئمة وغيرها من الضلالات، انظر كتاب ابن تيمية: «منهاج السنة النبوية»، والأشعري في مقالات الإسلاميين: 65/1 (ط: محيي الدين)، ابن حزم في الفصل في الملل والنحل: 113/2، والشهرستاني في الملل والنحل: 149.

(٣) عرفهم الجرجاني فقال: «الْقَدْرِيَّةُ هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى» التعريفات: 92.

قلت: وقد عرف هؤلاء القائلون بحرية الإرادة والاختيار باسم «القدرية» وهذا من قبيل الاشتقاق من الضد، فهم سموا قدرية لأنهم أنكروا القدر الإلهي، بمعنى أنهم أثبتوا للعبد قدرة توجِّدُ الْفِعْلَ بانفرادها واستقلالها دون مشيئة الله تعالى.

ذِكْرُ دُخُولِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ

ثُمَّ رَحَلْنَا عَنْ دِيَارِ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ ، وَأَمَلْنَا الْإِمَامَ ، فَدَخَلْنَا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، وَبَلَّغْنَا الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى ، فَلَا حَ لِي بِذُرِّ الْمَعْرِفَةِ ، فَاسْتَرْتُ بِهِ أَزِيدَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ ، وَحِينَ صَلَّيْتُ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فَاتِحَةً دُخُولِي لَهُ ^(١) ، عَمَدْتُ إِلَى مَدْرَسَةِ الشَّافِعِيَّةِ ^(٢) بِيَابِ الْأَسْبَاطِ ^(٣) ، فَالْفَيْتُ بِهَا جَمَاعَةَ عُلَمَائِهِمْ فِي يَوْمِ اجْتِمَاعِهِمْ لِلْمُنَظَرَةِ عِنْدَ شَيْخِهِمُ الْقَاضِي الرَّشِيدِ ^(٤) ^(٥) يَحْيَى الَّذِي كَانَ اسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهِمْ شَيْخُنَا الْإِمَامُ الزَّاهِدُ نَصْرَبُنْ إِبْرَاهِيمَ النَّابُلُسِيُّ الْمَقْدِسِيُّ ^(٦) ، وَهُمْ يَتَنَظَّرُونَ عَلَيَّ عَادَتِهِمْ ، فَكَانَتْ أَوَّلُ كَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ شَيْخٍ مِنْ عُلَمَائِهِمْ يُقَالُ لَهُ ^(٧) مُجَلِّي ^(٨) :

(١) أ: بها.

(٢) ك: المرشد.

(٣) ك، م: فقال.

(١) المسماة بالمدرسة الناصرية، وتقع على برج باب الرحمة، نسبة إلى الشيخ نصر المقدسي، ثم عرفت بالغزالية نسبة لأبي حامد الغزالي. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: 34/2.

(٢) هو الباب الشرقي في سور المدينة، الأنس الجليل: 28/2.

(٣) هو القاضي يحيى بن المفرج، أبو الحسن اللخمي المقدسي، كان من أسن أصحاب نصر المقدسي، انظر: العواصم من القواصم: 499، وقد أورده السبكي في طبقات الشافعية: 335/7 ولم يترجم له.

(٤) أبو الفتح، الإمام الزاهد، وفقه الشافعية ببلاد الشام، توفي رحمه الله سنة 490.

انظر: تبين كذب المفتري: 286، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي: 125/2، وسير أعلام

النبلأ: 136/19، وطبقات الشافعية للسبكي: 351/5، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 274/1.

(٥) هو مجلي بن جُمع بن نجا القرشي المخزومي، أبو المعالي، صاحب كتاب «الذخائر» إليه كانت =

«بُقْعَةُ لَوْ وَقَعَ الْقَتْلُ فِيهَا لَأَسْتَوْفِيَ الْقِصَاصُ بِهَا، وَكَذَلِكَ^(١) إِذَا وَقَعَ فِي غَيْرِهَا، أَصْلُهُ^(٢) الْحِلُّ».

فَلَمْ أَفْهَمْ مِنْ كَلَامِهِ حَرْفًا، وَلَا تَحَقَّقْتُ مِنْهُ نُكْرًا^(٣) وَلَا عُرْفًا، وَأَقَمْتُ^(٤) حَتَّى انْتَهَى الْمَجْلِسُ، فَكَّرْتُ رَاجِعًا إِلَى مَنْزِلِي وَقَدْ تَأَوَّبَنِي حِرْصِي^(٥) الْقَدِيمُ، وَغَلْبَنِي عَلَيَّ جِدِّي فِي التَّحْصِيلِ وَالتَّعْلِيمِ، فَقُلْتُ لِأَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: إِنْ كَانَتْ لَكَ نِيَّةٌ فِي الْحَجِّ، فَاْمُضْ^(٦) لِعَزْمِكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِرَائِمٍ عَنْ هَذِهِ الْبَلَدَةِ حَتَّى أَعْلَمَ عِلْمَ مَنْ فِيهَا، وَأَجْعَلَ ذَلِكَ دُسْتُورًا لِلْعِلْمِ وَسَلْمًا إِلَى مَرَاقِيهَا^(٧)، فَسَاعَدَنِي حِينَ رَأَى^(٨) جِدِّي، وَكَانَتْ صُحْبَتُهُ لِي مِنْ أَكْثَرِ أَسْبَابِ جِدِّي. وَنَظَرْنَا فِي الْإِقَامَةِ بِهَا، وَخَزَلْنَا أَنْفُسَنَا عَنْ صُحْبَةٍ كُنَّا نَظْمُنَا^(٩) بِهِمْ فِي الْمَشْيِ إِلَى الْحِجَازِ، إِذْ كَانُوا فِي غَايَةِ الْإِنْحِفَازِ^(١٠).

وَمَشَيْتُ إِلَى شَيْخِنَا أَبِي بَكْرٍ الْفَهْرِيِّ^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ مُلْتَزِمًا مِنْ

(١) ك، ب: فكذلك.

(٢) ك، م: أصلها.

(٣) ب: ذكرنا.

(٤) ك، م: وأقمت به.

(٥) ب: حرص.

(٦) ب: فلتمض.

(٧) ب: الفهم وكذلك بهامش ك، م.

(٨) ب: رأى لي.

(٩) ك، م: نظمناها.

(١٠) ك، م: من الانحفاز.

= ترجع الفتوى بمصر، توفي سنة: 550. انظر: وفيات الأعيان: 154/4، وسير أعلام النبلاء: 325/20،

وطبقات الشافعية للسبكي: 277/7، وطبقات الشافعية للإسنوي: 511/1، وطبقات الشافعية لابن

قاضي شهبة: 321/1، وشذرات الذهب: 157/4 (وقد تصحف في الشذرات إلى محلي، بالحاء

المهملة).

(1) هو محمد بن الوليد الطرطوشي، ويعرف بأبي رندقة، الإمام القدوة، شيخ المالكية، صاحب =

الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى - طَهَّرَهُ اللَّهُ - بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْغَوِثُ بَيْنَ بَابِ الْأَسْبَاطِ^(١) وَمِحْرَابٍ زَكْرِيَّا - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ^(٢) - فَلَمْ نَلْقَهُ بِهِ^(٣)، وَاقْتَفَيْنَا^(٤) أَثَرَهُ إِلَى مَوْضِعٍ مِنْهُ يُقَالُ لَهُ السَّكِينَةُ فَالْقَيْنَاهُ بِهَا، فَشَاهَدْتُ^(٥) هَدْيَهُ^(٦)، وَسَمِعْتُ كَلَامَهُ، فَاْمْتَلَأْتُ عَيْنِي وَأَذْنِي مِنْهُ، وَأَعْلَمَهُ أَبِي بِنَيْتِي فَنَابَ، وَطَالَعَهُ بِعَزِيمَتِي فَأَجَابَ، وَأَنْفَتَحَ لِي بِهِ^(٧) إِلَى الْعِلْمِ كُلِّ بَابٍ، وَنَفَعَنِي اللَّهُ بِهِ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَيَسَّرَ^(٨) لِي عَلَى يَدَيْهِ أَعْظَمَ أَمَلٍ، فَاتَّخَذْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ مَبَاءَةً^(٩)، وَالتَزَمْتُ فِيهِ الْقِرَاءَةَ، لَا أَقْبِلُ عَلَى دُنْيَا، وَلَا أَكَلِّمُ إِنْسِيًّا، نُوَاصِلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ فِيهِ^(١٠)، وَخُصُوصًا بِقُبَّةِ^(١١) السَّلْسِلَةِ^(١٢)، مِنْهُ تَطْلُعُ الشَّمْسُ^(١٢).....

- (١) أ: أسباط.
(٢) ب: عليهما.
(٣) به: ساقطة من: ك، م.
(٤) أ، ب: اقتصصنا.
(٥) ب: فشاهدته.
(٦) هدية: ساقطة من: ب.
(٧) ك، م: منه.
(٨) أ، ك، تيسر.
(٩) ك، م: قراري.
(١٠) فيه: ساقطة من أ.
(١١) ك، م: في قبة.
(١٢) أ، ب: الشمس لي.

= الباجي، ورحل إلى المشرق، وتفقه ببغداد، وسكن الشام، وتوفي بالإسكندرية: 520. انظر: الصلة: 575/2، وبغية الملتبس للضبي: 135، والديباج المذهب لابن فرحون: 244/2، وأزهار الرياض للمقري: 162/3.

- (1) من المشاهد التي بالمسجد الأقصى، وهو الموضع المعروف اليوم بالمهد، ومنه يهبط الدرج إلى القسم السفلي من الحرم، ويعرف سطحه عند العامة بسطوح المهد. انظر: معجم البلدان: 170/5.
(2) هي القبة الصغيرة الواقعة إلى شرق مسجد الصخرة، وهي على مثاله. معجم البلدان: 170/4، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: 18/2.

عَلَى الطُّورِ^(١) وَتَغْرُبُ عَلَى مِحْرَابِ دَاوُدَ^(٢)، فَيَخْلُقُهَا الْبَدْرُ طَالِعاً وَغَارِباً عَلَى
الْمَوْضِعَيْنِ الْمُكْرَمَيْنِ، وَأَدْخُلْ إِلَى مَدَارِسِ الْحَنْفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِحُضُورِ
التَّنَاطُرِ بَيْنَ الطَّوَائِفِ، لَا^(٣) تُلْهِينَا تِجَارَةً، وَلَا تَشْغُلُنَا صِلَةُ رَحِمٍ، وَلَا تَقْطَعُنَا^(٤)
مُوَاصَلَةَ وَلِيِّ، وَتُقَاةَ عَدُوٍّ.

فَلَمْ تَمَرَّ بِنَا إِلَّا^(٥) مُدَّةُ يَسِيرَةٍ حَتَّى حَضَرَ عِنْدَنَا بِالْغَوِيرِ^(٦) - وَنَحْنُ نَتَنَاطَرُ - فَقِيَهُ
الشَّافِعِيَّةِ عَطَاءُ الْمَقْدِسِيِّ^(٧)، فَسَمِعْنِي وَأَنَا أَسْتَدِلُّ عَلَى أَنَّ مُدَّةَ^(٨) عَجْوَةٍ^(٩)
وَدِرْهَمًا^(١٠)، بِمُدِّي عَجْوَةٍ لَا يَجُوزُ، وَقُلْتُ: الصَّفَقَةُ إِذَا جَمَعَتْ مَالِي رَبًّا وَمَعَهُمَا^(١١)
أَوْ مَعَ أَحَدِهِمَا مَا يَخَالِفُهُ فِي الْقِيَمَةِ، سَوَاءٌ كَانَ مِنْ جِنْسِهِ، أَوْ مِنْ^(١٢) غَيْرِ جِنْسِهِ، فَإِنَّ

-
- (١) ك، م: ولا.
(٢) ب: يقطعنا.
(٣) إلّا: ساقطة من: أ.
(٤) ب: حضر بالغوير عندنا.
(٥) أ، ك، م: درهم.
(٦) ك، م: ومعها.
(٧) من: ساقطة من: ك، م.

.....

- (١) هو طُورُ زَيْتَا، وهو في اصطلاح اليوم جبل الزيتون، وتقع عليه قرية الطور، وهو إلى الشرق من قبة
(٢) السلسلة، انظر عارضة الأحوذى: 40/9 الأحكام: 524.
قال ابن العربي في الأحكام: 1598 «شاهدت محراب داود في بيت المقدس بناء عظيمًا من حجارة
صلدة لا تؤثر فيها المعاول، طول الحجر خمسون ذراعاً، وعرضه ثلاثة عشر ذراعاً، وكلما قام بناؤه
صغرت حجارتها، ويُرَى له ثلاثة أسوار لأنه في السحاب أيام الشتاء كلها لا يظهر لارتفاع موضعه،
وارتفاعه في نفسه، له باب صغير ومدرجة عريضة، وفيه الدور والمساكن، وفي أعلاه المسجد».
قلت: وهو المعروف اليوم بمسجد النبي داود، إلى الجنوب الغربي من مدينة القدس.
(٣) فقيه القدس وقاضيهما انظر: العارضة: 139/8، ويسميه المِقْرِي: ابن عطاء، نفح الطيب: 41/2.
(٤) المُدُّ ربع الصاع وهو رطل وثلث، (المسالك شرح موطأ مالك لابن العربي لوجه: 277).
(٥) العَجْوَةُ ضرب من التمر.

ذَلِكَ لَا يَجُوزُ، لِمَا فِيهِ^(١) مِنَ التَّفَاضُلِ عِنْدَ تَقْدِيرِ التَّقْسِيطِ وَالنَّظَرِ وَالتَّقْوِيمِ^(٢) فِي
الْمُقَابَلَةِ بَيْنَ الْأَعْوَاضِ^(٣)، وَهَذَا^(٤) أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي تَحْصِيلِ مَسَائِلِ الرَّبِّ^(٥).
فَأَعْجَبَ الْفَهْرِيُّ ذَلِكَ، وَالتَّفَتَ إِلَى عَطَاءٍ وَقَالَ لَهُ: قَبِضْتُ^(٦) (٥)^(٢) فِرَاحُنَا!
فَقَالَ لَهُ عَطَاءٌ: بَلْ طَارَتْ.

وَذَلِكَ فِي الشَّهْرِ الْخَامِسِ أَوِ السَّادِسِ مِنْ ابْتِدَاءِ قِرَاءَتِي.

وَكُنَّا نَفَاوِضُ الْكِرَامِيَّةَ^(٣) وَالْمُعْتَزَلَةَ وَالْمُشَبَّهَةَ^(٤) (٦)^(٤) وَالْيَهُودَ^(٧)، وَكَانَ لِلْيَهُودِ بِهَا
حَبْرٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: التُّسْتَرِيُّ، لَقْنَا فِيهِمْ، ذَكِيًّا بِطَرِيقَتِهِمْ^(٨). وَخَاصَمْنَا النَّصَارَى

(١) ك، م: ذلك لما فيه.

(٢) ب، ك، م: التقسيط والتقويم والنظر.

(٣) ب، ك: الأعراض.

(٤) ك، م: فهذا.

(٥) أ، ب: قبضت.

(٦) ب: المتشبهة.

(٧) الواو: ساقطة من أ.

(٨) أ، ب: طريقهم.

.....

(1) انظر العارضة: 207/5، الأحكام: 241.

(2) أي جمعت أجنحتها لتطير كما في المعجم الوسيط، ويدل على هذا المعنى تعقيب عطاء.

(3) الكرامية هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني (ت: 255) يوافقون أهل السنة (السلف) في إثبات الصفات ولكنهم يبالغون في ذلك إلى حد التشبيه والتجسيم، وكذلك يوافقون السلف في إثبات القدر والقول بالحكمة، ولكنهم يوافقون المعتزلة في وجوب معرفة الله بالعقل، وفي الحسن والقبح العقليين، وهم يعدون من المرجئة لقولهم بأن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب. انظر: الفصل: 45/4، 204، 205، والتبصير في الدين للإسفراييني: 65، والملل والنحل: 111 - 117، وانظر كتاب الدكتور سهير مختار «التجسيم عند المسلمين» (ط: القاهرة: 1971).

(4) يقول التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون: 194/4 (ط: تراثنا) «المشبهة على صيغة اسم الفاعل من التشبيه، وهو يطلق على فرقة من كبار الفرق الإسلامية شبهوا الله بالمخلوقات ومثله بالحداثات»، وانظر أصول الدين للبغدادي: 73، والفرق بين الفرق: 40 له، الشهرستاني: الملل =

بِهَا، وَكَانَتْ الْبِلَادُ لَهُمْ، يَأْكُرُونَ^(١) ضِيَاعَهَا، وَيَلْتَزِمُونَ أَذْيَارَهَا، وَيَعْمُرُونَ كَنَائِسَهَا.

وَقَدْ^(٢) حَضَرْنَا يَوْمًا مَجْلِسًا عَظِيمًا فِيهِ الطَّوَائِفُ، وَتَكَلَّمَ التُّسْتَرِيُّ الْحَبْرُ الْيَهُودِيُّ عَلَى دِينِهِ فَقَالَ: اتَّفَقْنَا عَلَى أَنَّ مُوسَى نَبِيٌّ مُؤَيَّدٌ بِالْمُعْجَزَاتِ، مُعَلَّمٌ بِالْكَلِمَاتِ، فَمَنْ ادَّعَى أَنَّ غَيْرَهُ نَبِيٌّ فَعَلَيْهِ الدَّلِيلُ. وَأَرَادَ مِنْ طَرِيقِ الْجِدَالِ أَنْ يَرُدَّ الدَّلِيلَ فِي جِهَتِنَا حَتَّى يَطْرُدَ لَهُ الْمَرَامُ، وَتَمْتَدَّ^(٣) أَطْنَابُ الْكَلَامِ.

فَقَالَ لَهُ الْفِهْرِيُّ: إِنْ أَرَدْتَ بِمُوسَى الَّذِي أُيِّدَ بِالْمُعْجَزَاتِ، وَعُلِّمَ الْكَلِمَاتِ، وَبَشِّرَ بِأَحْمَدَ^(٤)، فَقَدْ اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ مَعَكُمْ، وَأَمَّا بِهِ وَصَدَّقْنَاهُ، وَإِنْ أَرَدْتَ بِهِ مُوسَى آخَرَ، فَلَا نَعْلَمُ مَا هُوَ.

فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ الْحَاضِرُونَ وَأَطْبَنُوا فِي الثَّنَاءِ^(٥) عَلَيْهِ، وَكَانَتْ نُكْتَةً جَدَلِيَّةً عَقْلِيَّةً قَوِيَّةً^(٦)، فَبُهِتَ الْخَصْمُ وَانْقَضَى الْحُكْمُ.

(١) أ: ياكثرون، ب: ياتمرون، ك: م: يأتكرون، والمثبت اجتهدا مني.

(٢) ك: ب: ولقد.

(٣) ب: وتمت.

(٤) ك: م: بمحمد.

(٥) ك: م: بالثناء.

(٦) ب: قوة عقلية، وكلمة عقلية: ساقطة من: ك، م.

= والنحل: 111، دائرة المعارف الإسلامية مادة «التشبيه» ومادة «جسم». قلت وينبغي أن ينصرف إطلاق لفظ «المشبهة» كذلك على من يُشَبَّهُونَ المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم والخضوع والحلف به، والنذر والسجود له، والاستغاثة به، وغيرها من معاني الشرك، فهذا الصنف من الناس هم المشبهة حقاً كما قال ابن قيم الجوزية في إغاثة اللهفان 2/232، وانظر ابن تيمية: الفتاوى 4/146، وبيان تلبس الجهمية: 1/476، والملل والنحل: 105، ومقالات الإسلاميين 1/2/4، البلخي في البدء والتاريخ: 5/148، وتبيين كذب المفتري: 149.

(1) أي يحفرون الأرض ويحرقونها.

وَلَمْ نَزَلْ عَلَى تِلْكَ السَّجِيَّةِ، حَتَّى أَطْلَعْتُ - بِفَضْلِ اللَّهِ - عَلَى أَغْرَاضِ
الْعُلُومِ الثَّلَاثَةِ: عِلْمِ الْكَلَامِ، وَأُصُولِ الْفِقْهِ، وَمَسَائِلِ الْخِلَافِ الَّتِي هِيَ عُمْدَةُ
الدِّينِ وَالطَّرِيقِ الْمَهِيغِ إِلَى التَّدْرِيبِ^(١) فِي مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الْمُكَلَّفِينَ الْحَاوِيَةِ^(٢)
لِلْمَسْأَلَةِ^(٣) وَالذَّلِيلِ، وَالْجَامِعَةِ^(٤) لِلتَّفْرِيعِ وَالتَّعْلِيلِ، وَقَرَأْنَا «الْمُدَوَّنَةَ»
بِالطَّرِيقَتَيْنِ^(٥) الْقَيَرَوَانِيَّةِ فِي التَّنْظِيرِ وَالتَّمْثِيلِ، وَالْعِرَاقِيَّةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ^(٦)
مَعْرِفَةِ الدَّلِيلِ.

وَفِي اثْنَاءِ ذَلِكَ، وَرَدَ عَلَيْنَا بِرَسْمِ زِيَارَةِ الْخَلِيلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَبِنِيَّةِ^(٧)
الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى جَمَاعَةً مِنْ عُلَمَاءِ خُرَاسَانَ^(١) كَالزُّوزَنِيِّ^(٢)
وَالصَّاعَانِيِّ^(٢) وَالزَّنْجَانِيِّ^(٣) وَالْقَاضِي الرِّيْحَانِيِّ^(٤)، وَمِنْ الطَّبَّابَةِ جَمَاعَةً
كَالْبُسْكَرِيِّ^(٥)^(٨) وَسَاتِكِينَ التُّرْكِيِّ^(٦)، فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُمْ، رَأَيْتُ أَنَّهَا دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ،

(١) ب: التدريب.

(٢) ب: الجارية.

(٣) أ، ك، م: المسلك.

(٤) الواو: ساقطة من: ك، ب.

(٥) أ: الطريقتين.

(٦) أ: في.

(٧) ك، م: لنية.

(٨) ك، م: الشكري.

(١) بلاد واسعة أول حدودها ما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند، انظر: معجم ما استعجم: 489/2، ومعجم البلدان: 350/2، ومراصد الاطلاع: 455/1، والروض المعطار: 214، وبلدان الخلافة الإسلامية لكي لسترنج: 19.

(2) هو أبو علي الصَّاعَانِي ذكره المؤلف في الأحكام: 107، والعارضه: 17/6، والقبس: 152.

(3) هو أبو سعيد الزَّنْجَانِي ذكره المؤلف في الأحكام: 1442، وابن خير في الفهرست: 258، والضَّيِّي في بغية الملتبس: 93، وابن فرحون في الديباج: 281.

(4) لم أتمكن من معرفته.

(5) هو أبو محمد عبد العزيز قاضي مدينة بَسْكَرَة كما ذكر المؤلف في العواصم: 286.

(6) هو أبو منصور سَاتِكِين بن أرسلان التركي، مالكي المذهب، أديب بارع، له مقدمة لطيفة في النحو، =

وَمَزِيَّةٌ ثَانِيَّةٌ، وَبَرٌّ^(١) (١) مِنَ الْمَعَارِفِ أَعْلَى، وَمَنْزِلَةٌ فِي الْعُلُومِ أَعْلَى، وَكَأَنِّي إِذْ سَمِعْتُ كَلَامَهُمْ، مَا^(٢) قَرَأْتُ مَا يَعْنِي، وَلَا يَكْفِي فِي الْمَطْلُوبِ وَلَا يُعْنِي.

وَكَانَ مِنْ غَرِيبِ الْإِتِّفَاقِ الْإِلَهِيِّ، أَنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي سَمِعْتُ أَوَّلَ دُخُولِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَلَمْ أَفْهَمْ كَلَامَ الْقَوْمِ فِيهَا، هِيَ الَّتِي سَمِعْتُ الصَّاعَانِيَّ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا^(٣)، فَرَأَيْتُ أَنَّهُ غَوَّضَ عَلَى جَوَاهِرِ كِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَنْبَاطَ لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا مَنْ اصْطَفَاهُ اللَّهُ، وَكَذَلِكَ سَمِعْتُ كَلَامَ الزُّوزَنِيِّ فِي مَسَائِلَ مِنْهَا: قَتْلُ الْمُسْلِمِ بِالذِّمِّيِّ، فَرَأَيْتُهُ يَقْرِطُسُ^(٢) عَلَى غَرَضِ الصَّاعَانِيَّ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْمَطْلُوبِ^(٤) مِنْ حَدِيقَةِ وَاحِدَةٍ، وَيَلْجُونَ بَيْتَ الْمَعَارِفِ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، فَاسْتَحَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى الْمَشْيِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَصُورَةِ الْمَسْأَلَتَيْنِ^(٥) وَتَسْطِيرُ الْكَلَامَيْنِ يَكْشِفُ لَكَ قِنَاعَ الطَّرِيقَتَيْنِ.

قَالَ مُجَلِّي فِي أَوَّلِ مَجْلِسٍ: مَنْ قَتَلَ فِي الْحَرَمِ^(٦) أَوْ فِي الْحِلِّ فَلَجَأَ إِلَى الْحَرَمِ قَتْلًا، لِأَنَّ الْحَرَمَ بُقْعَةٌ لَوْ وَقَعَ الْقَتْلُ فِيهَا لَأَسْتَوْفِيَ الْقِصَاصُ بِهَا، فَكَذَلِكَ إِذَا وَقَعَ الْقَتْلُ فِي غَيْرِهَا، أَصْلُهُ الْحِلُّ.

(١) أ، ب: وبز، ك، م: «بر» بالراء.

(٢) ما: ساقطة من: ك.

(٣) م: فيها.

(٤) ب: وينظرون المطلوبة.

(٥) أ: المسألة.

(٦) م: عنوان في الهامش: من قتل في الحرم.

.....
= توفي رحمه الله بالقدس سنة: 487. انظر: بغية الوعاة للسيوطي: 251.

(1) أي سلاح.

(2) أي يصوب للغرض المطلوب.

فَقَالَ لَهُ خَصْمُهُ^(١): لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَقَعَ الْقَتْلُ فِيهَا وَلَا تَعَصِمُهُ، وَإِذَا قَتَلَ^(٢) فِي غَيْرِهَا وَلَجَأَ إِلَيْهَا عَصِمَتْهُ، كَالصَّيْدِ إِذَا لَجَأَ إِلَى الْحَرَمِ عَصِمَتْهُ، وَلَوْ صَالَ عَلَى^(٣) أَحَدٍ فِي الْحَرَمِ لَمَّا عَصِمَتْهُ، وَهَذَا الْفَقْهُ صَحِيحٌ^(٤)، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَاتِلَ فِي غَيْرِ الْحَرَمِ إِذَا لَجَأَ إِلَيْهِ فَقَدْ اسْتَعَاذَ بِحُرْمَتِهِ وَاسْتَلَاذَ بِأَمْنَتِهِ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وَإِذَا قَتَلَ فِيهِ فَقَدْ^(٥) هَتَكَ حُرْمَتَهُ وَصَيَّعَ أَمْنَتَهُ، فَكَيْفَ يَعْصِمُهُ؟

قَالَ لَهُ مُجَلِّي: هَذَا الَّذِي ذَكَرْتَ لَا يَصِحُّ وَلَا يَلْزُمُنِي، لِأَنَّ الْحَرَمَ لَمْ يُحْتَرَمْ بِحُرْمَةِ الْقَاتِلِ وَلَا بِاعْتِقَادِهِ وَاحْتِرَامِهِ، وَإِنَّمَا احْتُرِمَ بِحُرْمَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - الَّتِي جَعَلَهَا فِيهِ وَحَكَمَ بِهَا لَهُ، فَسَوَاءٌ أَقَامَ الْقَاتِلُ هَذِهِ الْحُرْمَةَ أَمْ لَمْ يَقُمْهَا لَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْهَا، فَكَانَ مِنْ حَقِّكَ أَنْ تَعْصِمَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، لِقِيَامِ الْحُرْمَةِ فِي الْحَرَمِ لِنَفْسِهِ، وَحُكْمِ اللَّهِ بِهَا لَهُ، وَيُخَالِفُ الصَّيْدَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الصَّيْدَ عَلَيْنَا مَا دُمْنَا حُرُمًا، أَيُّ مُحْرَمِينَ أَوْ كَائِنِينَ فِي الْحَرَمِ، لَكِنَّ الصَّيْدَ إِذَا صَالَ عَلَى أَحَدٍ لَمْ يَجْزُ قَتْلُهُ، وَلَكِنَّهُ يَدْفَعُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنْ أَدَّى إِلَى قَتْلِهِ، كَالْمُسْلِمِ^(٤) فَإِنَّهُ احْتُرِمَ بِحُرْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَعُصِمَ دَمُهُ بِالشَّهَادَتَيْنِ^(٥)، فَإِذَا صَالَ عَلَى أَحَدٍ وَجَبَ دَفْعُهُ وَإِنْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى ذَهَابِ نَفْسِهِ.

(١) ك، م: وقع.

(٢) ك: إلى.

(٣) فقد: ساقطة من: أ.

(٤) ب: فالمسلم.

(٥) ك، م: وعصم نفسه بالشهادتين.

.....
(١) الخصم حنفي المذهب.

(٢) في هامش أ: قوله: وهذا الفقه صحيح من كلام الخصم لا من كلام ابن العربي.

وَأَمَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ فَإِنَّمَا عَنَى بِهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْحَرَمُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ تَعْظِيمِ الْكُفَّارِ لَهُ، وَأَمِنْ (١) اللَّائِذِ مِنْهُمْ (٢) بِهِ. وَدَارَ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ (١).

ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْنَا مَدْرَسَةَ أَبِي عُقْبَةَ الْحَنْفِيَّةَ بَيْتَ (٣) الْمَقْدِسِ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةِ الصَّاعَانِي فِي جُبَّةٍ رَاعٍ، وَسَلَّمَ وَاخْتَرَقَ الْحَلْقَةَ إِلَى أَنْ قَعَدَ بِإِزَاءِ الشَّيْخِ، وَعَلَيْهِ سِيَّمَاءُ (٤) الثَّرْوَةِ وَأَسْمَالُ الرَّعِيَّةِ، فَفُطِنَ الشَّيْخُ - وَهُوَ الْقَاضِي الرَّيْحَانِيُّ - لَهُ (٥) فَقَالَ: وَلَعَلَّ الشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الرُّفْقَةِ الْمَسْلُوبَةِ بِالْأَمْسِ.

فَقَالَ لَهُ الصَّاعَانِيُّ: نَعَمْ.

فَاسْتَرْجَعَ لَهُ (٢) وَدَعَا بِالْخَيْرِ (٦)، ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ؟

فَقَالَ: مَا أَنَا إِلَّا قَرَأْتُ شَيْئًا يَسِيرًا.

فَقَالَ الْقَاضِي لِلْأَصْحَابِ مُبَادِرًا: سَلُوهُ؟

(١) ب: من.

(٢) منهم: ساقطة من: ك.

(٣) ك: أبي يعقوب عقبة للحنفية، ب: ... للحنفية بيت.

(٤) ب، ك، م: سحناء.

(٥) له: ساقطة من: ك.

(٦) ب: بالخير عليه.

(1) انظر صوراً من هذه المناظرات في كتاب الفنون لابن عقيل الحنبلي: ٢١٩/١ - ٢٢٠، ٣٤٩ -

٣٥٠.

(2) أي قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فَسَأَلُوهُ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ^(١): إِذَا الْجَانِي^(٢) لَجَأَ إِلَى الْحَرَمِ لَا^(٣) يُقْتَلُ.
فَفَرَحَ الْقَاضِي وَقَالَ^(٤): وَكَأَنَّ الشَّيْخَ حَنْفِيًّا^(٥)!
قَالَ^(٦) لَهُ: نَعَمْ.

فَسُئِلَ عَنِ الدَّلِيلِ: فَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [البقرة: 190]. ثُمَّ^(٧) قَالَ: قُرِءَ: ﴿وَلَا
تُقَاتِلُوهُمْ﴾^(٨) و ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾^(٩)، فَإِنْ قُلْنَا بِقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾^(١٠)
فَهُوَ نَصٌّ فِي مَسْأَلَتِنَا، وَإِذَا^(١١) قُلْنَا: بِقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ﴾^(١٢) كَانَ
تَنْبِيْهَا، لِأَنَّهُ^(١٣) إِذَا نَهَى عَنِ الْقِتَالِ - وَهُوَ سَبَبُ الْقَتْلِ - فَالنَّهْيُ عَنِ الْمُسَبَّبِ الَّذِي
هُوَ الْقَتْلُ أَوْلَى.

قَالَ لَهُ الْقَاضِي الرَّيْحَانِيُّ: هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (التوبة: 5).

-
- (١) ب: فقال له.
(٢) الجاني: بالخير عليه.
(٣) ك: فلا.
(٤) الواو ساقطة من: ك.
(٥) ب: حنفياً، وهو خبر لكان.
(٦) ب: فقال.
(٧) ثم: ساقطة من: ك.
(٨) ب، ك: وقرئ.
(٩) ك: وإن.
(١٠) ما بين النجمتين ساقط من: أ.
(١١) ب لأنها.

(1) هذه قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالالف، انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات: 179 - 180، ابن زنجلة: حجة القراءات: 127، ابن خالويه: الحجة في القراءات: 94، ابن الباذش: الإقناع في القراءات السبع: 607/2.

قَالَ لَهُ الصَّاعَانِيُّ: الْقَاضِي أَجَلٌ قَدَرًا مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذَا، وَكَيْفَ يَنْسَخُ
الْخَاصُّ الْعَامَّ؟ وَإِنَّمَا يَنْسَخُ الْقَوْلُ الْقَوْلَ إِذَا عَارَضَهُ.

فَبَهَّتِ الْقَاضِي، وَهَذَا مَا لَا جَوَابَ عَنْهُ لِأَحَدٍ^(١).

وَأَعْجَبُ لِبَعْضِ^(١) الْمَغَارِبَةِ - مِمَّنْ قَرَأَ الْأُصُولَ - يَحْكِي عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ
الْعَامَّ يَنْسَخُ الْخَاصَّ إِذَا كَانَ مُتَأَخِّرًا عَنْهُ، وَهَذَا مَا قَالَ بِهِ قَطُّ، وَلَوْلَا أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ
نَاقَضَ فَقَالَ: لَا يُبَايِعُ فِي الْحَرَمِ، وَلَا يُكَلِّمُ، وَلَا يُجَالِسُ، وَلَا يُعَانُ بِمَأْكَلٍ وَلَا
بِمَشْرَبٍ وَلَا بِمَلْبَسٍ حَتَّى يَخْرُجَ عَنْهُ فَتَوَخَّذَ الْعُقُوبَةُ مِنْهُ، مَا قَامَ لَهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ
أَحَدٌ، إِلَى مُنَازَرَاتٍ كَثِيرَةٍ وَمَسَائِلَ مِنَ التَّحْقِيقِ عَدِيدَةٍ.

وَخَرَجْتُ حِينَئِذٍ إِلَى عَسْقَلَانَ^(٢) مُتَسَاحِلًا، فَالْفَيْتُ بِهَا بَحْرَ أَدَبٍ يُعْبُ عِبَابُهُ،
وَيَغِيبُ^(٣) مِيزَابُهُ، فَأَقَمْتُ بِهَا لِأَرْتَوِي^(٢) مِنْهُ نَحْوًا مِنْ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي
بَعْضِ الْأَوَانِ، كُنْتُ مُنْقَلِبًا عَنْ بَعْضِ الْإِخْوَانِ، إِلَى أَنْ جِئْتُ لَقَمَ^(٤) طَرِيقٍ وَقَدْ
امْتَلَأَ^(٣) بِالنَّاسِ، وَهُمْ^(٤).....

(١) أ: من بعض.

(٢) أ: لا أرتوي.

(٣) أ، ك: امتلأت.

(٤) ب: وهو، واستدرك الخطأ في الهامش.

(١) أورد المؤلف هذه المناظرة في أحكام القرآن: 107 - 108 وقال في عقبها: «وقد سأل بعض
المتأخرين من أصحابنا أهل بلادنا فقال لهم: إن العام عند أبي حنيفة ينسخ الخاص، وهذا البائس
ليته سكت عما لا يعلم، وأمسك عما لا يفهم، وأقبل على مسائل مجردة».

(٢) مدينة فلسطين على شاطئ البحر، فتحها معاوية رضي الله عنه سنة: 23 هـ، انظر معجم البلدان:
122/4، الروض المِعْطَار للحميري: 420.

(٣) يعب: يتتابع ويكثر موجه ويرتفع، ويعب: يسيل يوماً بعد يوم، والجملتان كناية عن كثرة العلم ووفرة
المشتغلين به.

(٤) وسط.

مُنْقَصِفُونَ⁽¹⁾ عَلَى جَارِيَةٍ تُغْنِي فِي طَاقٍ⁽²⁾، فَوَقَفْتُ أَطْلُبُ طَرِيقاً أَوْ أَفَكِّرُ فِي
الْمَشْيِ عَلَى غَيْرِهِ وَهِيَ تَتَرَنَّمُ لِلتَّهَامِي⁽³⁾.

أَقُولُ لَهَا وَالْعَيْسُ تَحْدِجُ لِلنَّوَى أَعْدِي لِفَقْدِي مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّبْرِ⁽³⁾
أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنَّ لِيَالِيَا⁽⁴⁾ تَمُرُّ بِلا نَفْعٍ وَتُحَسِبُ مِنْ عُمْرِي⁽⁵⁾
فَقُلْتُ لِنَفْسِي⁽⁶⁾: مُحَمَّدٌ، هَذَا بِشَهَادَةِ اللَّهِ وَحْيٌ صُوفِيٌّ وَهَاتِفٌ دِينِي، أَنْتَ
الْمُرَادُ، وَعَلَيْكَ دَارَ هَذَا التَّرْدَادِ، ارْحَلْ مِنْ حِينِكَ إِلَى نَيْتِكَ الْأُولَى⁽⁷⁾، وَخُذْ
بِنَفْسِكَ إِلَى مَا هُوَ الْأَحْرَى بِكَ وَالْأُولَى⁽⁸⁾.

وَبَادَرْتُ إِلَى دَارِي وَقُلْتُ لِأَبِي: الرَّحِيلَ الرَّحِيلَ، فَلَيْسَ هَذَا الْمَنْزِلُ
بِمَقِيلٍ، فَسَرَّ بِذَلِكَ، إِذْ كَانَ⁽⁹⁾ مِنْ⁽¹⁰⁾ قَبْلُ يُرَاوِدُنِي عَلَيْهِ، وَأَنَا⁽¹¹⁾ أُمَانِعُهُ عَلَيْهِ.

(١) ك، م: متعطفون.

(٢) ب: طارق.

(٣) ك، م: استطعتي.

(٤) ك: ليالينا.

(٥) ب: عمري.

(٦) لنفسي: ساقطة من: أ، ب.

(٧) ب: الأول.

(٨) ك: وأولى.

(٩) ك: وكان.

(١٠) من: ساقطة من: أ.

(١١) ك، م: وكنت.

(1) مندفعون ومزدحمون.

(2) الطاق هو ما عطف من الأبنية.

(3) التهامي هو أبو الحسن علي بن محمد بن فهد شاعر مجيد، قتل في سجون مصر سنة (416) له ديوان شعر مطبوع. وهذان البيتان لم أجدهما في ديوان التهامي، ونسبهما ياقوت الحموي في معجم الأدباء: 88/10 وابن خلكان في وفيات الأعيان: 173/2 إلى الوزير أبي القاسم المغربي.

وَدَخَلْنَا الْبَحْرَ فِي الْحِينِ إِلَى عَكَّا^(١)، وَانْجَدْنَا^(٢) إِلَى طَبْرِيةَ^(٣) وَحَوْرَانَ^(٤)، وَصَمَدْنَا دِمَشْقَ، وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ رَأْسُهُمْ شَيْخُ الْوَقْتِ سَنَاءَ وَسَنَاءَ، وَعِلْمَاءُ وَدِينًا، نَصْرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَقْدِسِيُّ النَّابُلُسِيُّ، وَأَصْحَابُهُ^(٥). مُتَوَافِرُونَ، وَهُمْ عَلَى سَبِيلِ أَهْلِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ سَائِرُونَ، وَفِي مَدْرَجَتِهِمْ سَالِكُونَ، وَبِتِلْكَ الدَّرَجَةِ مُتَمَكِّنُونَ.

فَلَزِمْنَا شَيْخَنَا نَصْرَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ^(٦) فِي السَّمَاعِ، وَانْتَهَيْنَا إِلَى سَمَاعِ «كِتَابِ الْبُخَارِيِّ» بَعْدَ تَقَدُّمِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ، وَكَانَ يَقْرُؤُهُ عَلَيْنَا^(٧) بِلَفْظِهِ لِثِقَلِ سَمْعِهِ، فَلَمَّا بَلَّغْنَا حَدِيثَ أُمِّ زَرْعٍ قَالَ لِي: كُنْتُ أَسْمَعُ الْخَطِيبَ أَبَا بَكْرٍ الْبَغْدَادِيَّ^(٨) يَقُولُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ^(*): إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي آخِرِهِ لِعَائِشَةَ: كُنْتُ لَكَ كَأَيِّ زَرْعٍ لَأُمِّ زَرْعٍ^(٩)،

(١) ب: أصحابي، واستدرك الخطأ في الهامش.

(٢) بن إبراهيم: ساقطة من: ك، م.

(٣) ب: عليه.

(٤) لأم زرع: ساقطة من: أ، ب.

(١) بلدة على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط بفلسطين، وهي من أحسن بلاد الساحل، انظر: معجم البلدان: 143/4، ومراصد الاطلاع: 954/2، والروض المعطار: 410.

(2) أي خرجنا.

(3) وصفها المؤلف في العارضة: 89/9 فقال «ووقفت عليها (أي طبرية) في جمادى الأولى سنة 489، وأقامت عليها أياماً، والبلدة من بنيان طبارا ملك الروم والنسبة إليها طبراني، والنسبة إلى طبرستان طبري، وهي كالبركة بين الجبال، فإذا صعدت العقبة خرجت إلى حوران ويسرى أوسط الشام». انظر: معجم ما استعجم: 887/3، ومعجم البلدان: 17/4، ومراصد الاطلاع: 878/2، والمسالك والممالك للاصطخري: 44، والروض المعطار: 385.

(4) مكان قرب دمشق. انظر: معجم البلدان: 317/1، والمسالك والممالك: 48، والروض المعطار: 206.

(5) هو أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، من كبار الحفاظ والمؤرخين الأثبات له عدة مصنفات في علوم الحديث والرجال جلها متداول مطبوع (ت: 463)، تذكره الحفاظ للذهبي: 1312، وطبقات الشافعية للسبكي 16/3، ووفيات الأعيان لابن خلكان: 32/1.

(*) انظر بشأن هذا الحديث عند الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: 246/8 (ترجمة حاتم بن ليث).

غَيْرَ أَنَّهُ طَلَّقَهَا وَأَنَا لَا أَطْلُقُكَ⁽¹⁾. فَحَفِظْتُهَا سَرِيرَةً، وَطَوَيْتُهَا ذَخِيرَةً، حَتَّى دَخَلْتُ مَدِينَةَ السَّلَامِ، فَذَاكَرْتُ بِهَا أَحْفَظَ مَنْ لَقِيتُ فِيهَا مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدُونَ⁽²⁾ فَقَالَ: لَا أَعْرِفُهَا، وَلَقِيَ أَبَا الْحُسَيْنِ الطُّيُورِيَّ⁽³⁾ قَبْلِي فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَقَالَ: نَعَمْ أَعْرِفُهَا، فَأَخْرَجَهَا إِلَيْهِ وَفِيهَا حَدِيثٌ أُمُّ زَرْعٍ كَامِلًا⁽⁴⁾ بِأَسْمَاءِ النُّسُورَةِ وَنَسَبِهَا وَفِيهَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ بَعْدَ ذِكْرِهِمْ، فَقَرَأَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ عَنْهُ، ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الْحُسَيْنِ فَكَتَبْتُهَا عَنْهُ وَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الزُّبَيْرِ⁽⁴⁾، ثُمَّ قَرَأْتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَبِي الْمُطَهَّرِ الْقَاضِي⁽⁵⁾ - الْوَافِدِ عَلَيْنَا مِنْ أَصْبَهَانَ حَاجًّا سَنَةَ تِسْعِينَ - مِنْ طَرِيقِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي

(١) أ: كلاماً.

(1) حديث «أم زرع» صحيح متفق عليه أخرجه (بدون الزيادة المشار إليها) البخاري في النكاح: 220/9، ومسلم في فضائل الصحابة رقم: 2448، وأبو عبيد القاسم بن سلام في «غريب الحديث» 286/2، والترمذي في كتابه «الشمائل»: 59/2 (بشرح ملا علي القاري) والرامهرمزي في «أمثال الحديث» 144. أما بزيادة: «كنت لك كأبي زرع..» فقد أخرجه الطبراني (انظر نور الدين الهيثمي: مجمع الزوائد في النكاح: 317/4، وفي المناقب: 240/9) كما رواها عياض في «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» (ط: وزارة الأوقاف بالمغرب: 1975) عن ابن العربي أملاً بلفظه سنة 495. وينبغي التنبيه على أن ابن العربي قد أفرد هذا الحديث بالتأليف. وللتوسع في معرفة طرق هذا الحديث ومن شرحه من المحدثين والأدباء. انظر: فتح الباري: 254/9، عمدة القاري للعيني 169/20، المزهّر للسيوطي: 532/2.

(2) هو أبو عامر محمد بن سعدون بن مَرْجِي العبدري، من أهل ميورقة رحل إلى المشرق ودخل بغداد وتوفي بها سنة: 524، قال عنه الإمام أبو بكر بن العربي: هو ثقة حافظ مقيد، لقيته فتي السن، كهل العلم. انظر: الصلة لابن بشكوال: 564، وتذكرة الحفاظ: 93/3، ونفح الطيب: 138/2، وشذرات الذهب: 70/4.

(3) هو أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي المعروف بابن الطُّيُورِي البغدادي، عالم محدث راوية (ت: 500)، انظر: العبر: 356/3، وميزان الاعتدال: 431/3، وسير أعلام النبلاء: 213/19، ومروءة الجنان: 162/3، ولسان الميزان: 9/5، وشذرات الذهب: 412/3.

(4) انظر في شأن هذه الزيادة: الأخبار الموثقات: 462 لأبي عبد الله الزبير بن بكار وهو من أهل المدينة، يروي عن الإمام مالك، وكان أخبارياً نساباً، وَلِي قضاء مكة ومات بها سنة: 256، انظر: خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي: 120، وتذكرة الحفاظ: 528/2، ومقدمة العلامة محمود محمد شاكر لجمهرة نسب قریش (ط: مصر).

(5) هو القاضي أبو المطهر سعد بن أثير الدولة محمد بن عبد الله بن أبي الرجاء الأصبهاني، لم أعثر له =

أُسَامَةَ⁽¹⁾ وَفِيهَا حَتَّى ذِكْرُ كَلْبٍ أُمِّ زَرْعٍ، وَقَرَأْتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَلَاءِ⁽¹⁾⁽²⁾ مِنْ طَرِيقِ الْخَطِيبِ الَّتِي كَانَ الشَّيْخُ نَصْرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
أَشَارَ إِلَيْهَا.

(١) ب: أبي عبدالله بن العلاء، ك: أبي عبدالله بن أبي العلاء، واستُدرك الخطأ في هامش ب.

= على ترجمة فيما رجعت إليه من كتب التراجم والطبقات، وقد ذكره المؤلف في السراج: 2224/ب،
وابن رشيد السبتي في «ملء العيبة»: 264 وقال محقق هذا الكتاب الأخير شيخنا الدكتور محمد
الحبيب بالخوجة، إن اسمه لم يرد في المصادر التي وقف عليها.

(1) هو الحارث بن محمد بن أبي أسامة، أبو محمد التميمي، الحافظ الصدوق، مسند العراق،
صاحب «المسند» المشهور الذي جرد زوائده ابن حجر في «المطالب العالية» (ت: 282) انظر:
تاريخ بغداد: 218/8، وميزان الاعتدال: 442/1، والعبر: 28/2، وتذكرة الحفاظ: 619/2.

(2) من شيوخ ابن العربي، لم أعثر له على ترجمة.

ذِكْرُ الرِّحْلَةِ إِلَى الْعِرَاقِ

ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْعِرَاقِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا ضَمِيرًا^(١) آخِرَ السَّوَادِ^(٢)^(١) وَأَوَّلَ
السَّمَاءِ^(٣)، سَقَيْنَا وَاسْتَقَيْنَا، ثُمَّ خَرَجْنَا عَنْهُ^(٢) مُصْحِرِينَ^(٣) فِي السَّمَاءِ عَشِيَّ يَوْمِ
الْأَحَدِ مَنَسَلَخَ شَعْبَانَ سَنَةِ^(٤) تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ. فَبَيْنَا نَحْنُ نَقْطَعُ الْمَفَازَةَ^(٥)
إِلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ الْأَطْوَاءُ^(٤)، أَهْلٌ عَلَيْنَا هِلَالَ رَمَضَانَ، فَكَبَّرَ النَّاسُ، وَالتَفَتَ إِلَيَّ^(٦)

(١) أ: العراق.

(٢) عنه: ساقطة من: ك.

(٣) ب: ثم خرجنا إلى العراق فلما نزلنا عنه مصحرين.

(٤) ك، م: من سنة.

(٥) ك، م: المفاوز.

(٦) إلي: ساقطة من: ب، ك.

(١) موضع بالشام على خمسة عشر ميلاً من دمشق مما يلي السَّمَاءِ. انظر: الروض المعطار: 377،

ومعجم ما استعجم للبكري: 882/3، ومعجم البلدان: 462/3.

(٢) يراد بالسَّوَاد ضياع العراق التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار، وحد السواد من المُوَصِّلِ طَوْلاً إلى عبادان ومن العُدَيْبِ بالقَادِسِيَّةِ إلى حلوان عرضاً، فيكون طوله: 160 فرسخاً. انظر: معجم البلدان: 272/3، والروض المعطار: 332.

(٣) أرض بين الكوفة والشام، وقيل بين الموصل والشام. انظر: معجم ما استعجم: 754/3، ومعجم البلدان: 245/3، والروض المعطار: 322.

(٤) الأطواء من مياه عمرو بن كلاب في جبل يقال له الشَّراء. انظر: معجم البلدان: 219/1، 329/3.

أَبِي - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ (١) - يُكَبِّرُ بِتَكْبِيرِهِمْ (٢)، فَمَا صَرَفْتُ بَصْرِي إِلَيْهِ كَرَاهَةً فِي جِهَةِ
الْمَغْرِبِ الَّتِي كَانَ بِهَا وَتَشَوْقًا (٣) إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ الَّتِي (٤) كُنْتُ أَوْمَلُهَا .

وَاسْتَمَرَّ بِنَا الْمَسِيرُ تَطْلُنَا السَّمَاءُ، وَتَقِلُّنَا السَّمَاءُ، حَتَّى بَلَّغْنَا بَغْدَادَ، فَنَزَلْنَا
بِهَا، وَخَرَجْتُ إِلَى جَامِعِ الْخَلِيفَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَصَلَّيْتُ (٥) وَجَلَسْتُ إِلَى حُلُقَةِ
حُسَيْنِ الطَّبْرِيِّ (١) النَّائِبِ فِي وِلَايَةِ التَّدْرِيسِ بِالذَّارِ النَّظَامِيَّةِ (٢) فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ (٦)،
فَسَمِعْتُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ فِي مَسْأَلَةِ إِجْبَارِ السَّيِّدِ عَبْدَهُ عَلَى النِّكَاحِ ، وَلَا (٧) يَفُوتُنِي مِنْ
كَلَامِهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْفَسَادِ وَالصَّلَاحِ ، وَنَظَرْتُ إِلَى حَالِي أَوَّلَ دُخُولِي (٨) بَيْتَ
الْمَقْدِسِ وَأَنَا أَسْمَعُ كَلَامَ مُجَلِّي فِي مَسْأَلَةِ الْحَرَمِ ، وَحَالِي حِينَ دُخُولِي بَغْدَادَ (٩)
وَسَمَاعِي مَسْأَلَةَ إِجْبَارِ الْعَبْدِ (١٠) عَلَى النِّكَاحِ ، فَهَمَّ قَلْبِي يَغِيظُ (١١)، وَكَادَ (١٢) لِسَانِي

(١) ب: رحمه الله.

(٢) ك: تكبيرهم.

(٣) ك، م: كنا فيها وشوقاً.

(٤) ك، م: والتي.

(٥) أ: وصليت.

(٦) الوقت: ساقطة من أ.

(٧) ب: الواو ساقطة من: ب.

(٨) ك، م: دخول.

(٩) بغداد: ساقطة من: أ.

(١٠) ك، م: اجبار السيد العبد.

(١١) ب، ك، م: يفيض.

(١٢) كاد: ساقطة من: أ، ب.

.....

(1) هو أبو عبد الله الحسين بن علي، الفقيه الشافعي، مُحَدِّثُ مَكَّةَ، رحل إلى بغداد وَدَرَسَ بِالنَّظَامِيَّةِ
مَنْفَرْدًا ثُمَّ اشْتَرَكَ مَعَ مُحَمَّدٍ الْقَاسِمِيِّ ثُمَّ أَصْبَحَ مُعِيداً بِهَا بَعْدَ أَنْ تَرَكَ الْغَزَالِي التَّدْرِيسَ بِهَا،
(ت: 489).

انظر: سير أعلام النبلاء: 203/19، وتذكرة الحفاظ: 160/3، وتبيين كذب المفتري: 287،
وطبقات الشافعية للسبكي: 349/4، وطبقات الشافعية للإسنوي: 567/1، وشذرات الذهب: 308/3.
(2) انظر التعريف بالمدرسة النظامية صفحة 111 تعليق: 4.

يَفِيضُ، ثُمَّ تَمَاسَكْتُ وَلَيْتَنِي تَكَلَّمْتُ، وَعَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَإِنِّي قُلْتُ لِبَعْضِ الطَّلَبَةِ
الَّذِي كَانَ يُجَاوِرُنِي: كَلَامُ الْمُسْتَدِلِّ أَقْوَى مِنْ كَلَامِ الْمُعْتَرِضِ، فَرَمَقَنِي مُنْكَرًا^(١)!
وَقَالَ - لِمَا رَأَى عَلَيَّ مِنْ صِغَرِ السِّنِّ - مُتَعَجِّبًا: أُنَى لَكَ هَذَا؟.

فَقُلْتُ: أَمُرُّ ظَهَرَ إِلَيَّ^(٢)، وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ لئَلَّا يَتَّصِلَ^(٣) الْكَلَامُ، فَيُفْطِنَ لِي^(٤).

وَخَرَجْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَجْلِسِ مَجْدِ الْإِسْلَامِ^(٥) مُؤَيَّدِ السَّنَةِ أَبِي سَعْدِ
الْحُلَوَانِيِّ^(١) بِدَرْبِ الْجَاكِريَّةِ^(٢)، وَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ جَلَسْتُ فِي مَجْلِسٍ مُتَوَسِّطٍ
مِنْهُ^(٦)، وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ، فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ وَأَخَذُوا فِي أُخْرَى^(٧) وَهِيَ
الْبُكْرُ الزَّانِيَةُ هَلْ تُسْتَنْطَقُ فِي النِّكَاحِ، فَاسْتَدَلَّ شَافِعِي مِنْهُمْ عَلَى أَنَّ حُكْمَهَا حُكْمُ
الثَّيِّبِ، فَقَالَ لِي الْحُلَوَانِيُّ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، إِنْ كَانَ عِنْدَكَ عِلْمٌ فَتَكَلَّمْ^(٨).

وَحَصْنِي حِينَ رَأَوْنِي ارْتَقَيْتُ^(٩) إِلَى مَجْلِسِ رَفِيعٍ، وَتَهَمَّ^(١٠) بِي^(١١)،
فَقُلْتُ: إِنْ أَذِنَ سَيِّدُنَا فَعَلْتُ.

(١) ب، ك، م: منكرًا.

(٢) ب: أظهر لي.

(٣) ك، م: يصل.

(٤) ك، م: بي.

(٥) ب، ك، م: الأئمة.

(٦) منه: ساقطة من: ك، م.

(٧) ك، م: ودخلوا أخرى.

(٨) ك، م: تكلم.

(٩) ب: التفت.

(١٠) ب: ويهتم.

(١١) بي: ساقطة من: ك، م، ولعله الأقرب لأن الفعل يتعدى بنفسه.

(1) هو يحيى بن علي البزاز، من كبار الأئمة الفقهاء له كتب في النقه والأصول، تولى التدريس
بالنظامية (ت: 520). انظر: سير أعلام النبلاء: 517/19، وطبقات الشافعية للسبكي: 333/7،
وطبقات الشافعية للإسنوي: 432/1، وكشف الظنون: 482.

(2) هو طريق مشهور في الجانب الشرقي من بغداد. انظر: خطط بغداد لجورج مقدسي: 49.

فَقَالَ: نَعَمْ.

فَقُلْتُ: اسْتَدَلَّ الشَّيْخُ الْإِمَامُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الثَّيْبُ يُعْرَبُ عَنْهَا لِسَانُهَا»
[وَهَذِهِ ثَيْبٌ، وَهَذَا لَا حُجَّةَ فِيهِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الثَّيْبُ يُعْرَبُ عَنْهَا
لِسَانُهَا»^(١)، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ فِي نَفْسِهَا^(٢) فَعَلَّقَ الْحُكْمَ عَلَى الثُّبُوتِ وَالْبَكَارَةِ، وَهُمَا
اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ، وَإِذَا عَلَّقَ الشَّارِعُ الْحُكْمَ عَلَى اسْمٍ جَامِدٍ، أَفَادَ مَا تُفِيدُهُ الْإِشَارَةُ
وَهِيَ بَيَانُ الْمَحَلِّ^(٣) خَاصَّةً، وَإِذَا عَلَّقَ الْحُكْمَ عَلَى اسْمٍ مُشْتَقٍّ أَفَادَ تَعْلِيلَ
الْحُكْمِ^(٤) بِمَعْنَى الْإِسْمِ، وَهَذَا بَيِّنٌ فِي الْأُصُولِ، مَعْلُومٌ بِالْدَّلِيلِ، وَالثُّبُوتُ
وَالْبَكَارَةُ اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ، فَعَلَّقَ^(٥) الْحُكْمَ بِمَعْنَى الْبَكَارَةِ وَهُوَ الْإِسْتِحْيَاءُ، وَلِذَلِكَ
قَالَ فِي الْحَدِيثِ:

«وَالْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ فِي نَفْسِهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّهَا تَسْتَحْيِي، قَالَ: إِذْنُهَا صُمَاتُهَا».

فَعَلَّلَ الصُّمَاتَ بِالْحَيَاءِ، وَهِيَ بَعْدَ الزَّنا أَشَدُّ حَيَاءً مِنْهَا قَبْلَ الزَّنا، مَعَ مَا فِي
النُّطْقِ مِنْ إِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ^(٦)، فَأَعْجَبَ الْحُلُوتَانِي كَلَامِي وَقَالَ: وَكَذَلِكَ وَاللَّهِ أَعْرَبَتْ
عَنْ نَفْسِكَ، وَأَبْنَتْ عَنْ مَكَانِكَ^(٧)، وَأَدْنَى مَجْلِسِي^(٨)، وَبَقِيَتْ لَدَيْهِ مُكْرَمًا حَتَّى
فَارَقْتَهُ.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ.

(٢) ك، م: وهو أصل المحل.

(٣) الحكم: ساقطة من أ، واستدرك الناسخ في الهامش بقوله: لعله الحكم.

(٤) ك، م: فتعلق.

(٥) ك، م: كلامك مكانك.

(٦) ب، ك، م: محلي.

(١) رُوِيَ بِنَحْوِهِ فِي مُسْلِمٍ فِي النِّكَاحِ رَقْم: 1321، وَالْمَوْطَأُ فِي النِّكَاحِ: 524/2، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي النِّكَاحِ

رَقْم: 1008، وَأَبُو دَاوُدَ فِي النِّكَاحِ رَقْم: 2098، وَالنَّسَائِيُّ فِي النِّكَاحِ: 84/6.

(2) انظر العارضة: 28/5.

ثُمَّ فَأَوْضَتْ بَعْدَ ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ، وَوَاطَبْتُ^(١) الْمَجَالِسَ، وَاخْتَصَصْتُ بِفَحْرِ
 الْإِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ الشَّاشِيَّ^(٢)، فَقِيهِ الْوَقْتِ وَإِمَامِهِ، فَطَلَعْتُ^(٣) لِي شُمُوسُ
 الْمَعَارِفِ، فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ الَّذِي كُنْتُ أَصُمُّدُ، وَالْوَقْتُ الَّذِي
 كُنْتُ أَرْقُبُ وَأَرْصُدُ^(٤)، فَدَرَسْتُ وَقَيَّدْتُ وَارْتَوَيْتُ^(٥)، وَسَمِعْتُ وَوَعَيْتُ، حَتَّى^(٦)
 وَرَدَ عَلَيْنَا «دَانِشْمَنْدُ»^(٧)، فَتَزَلَّ بِرِبَاطِ^(٨) أَبِي سَعْدٍ^(٩) بِإِزَاءِ الْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ^(١٠)
 مُعْرِضاً عَنِ الدُّنْيَا، مُقْبِلاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَمَشِينَا إِلَيْهِ، وَعَرَضْنَا أُمْنِينَتَنَا عَلَيْهِ، وَقُلْتُ
 لَهُ: أَنْتَ ضَالَّتْنَا الَّذِي كُنَّا^(١١) نَنْشُدُ، وَإِمَامُنَا الَّذِي بِهِ^(١٢) نَسْتَرْشِدُ، فَلَقِينَا لِقَاءَ
 الْمَعْرِفَةِ، وَشَاهَدْنَا مِنْهُ مَا كَانَ فَوْقَ الصِّفَةِ، وَتَحَقَّقْنَا أَنَّ^(١٣) الَّذِي نُقِلَ إِلَيْنَا مِنْ أَنَّ

(١) ك، م: وأوضبت.

(٢) أ: وطلعت.

(٣) ك، م: ورويت وارتويت.

(٤) الرهوني: أبي سعيد.

(٥) كنا: ساقطة من ك، م.

(٦) به: ساقطة من: ك، م.

(٧) أن: ساقطة من: أ.

(١) هو الإمام العلامة، فقيه العصر، محمد بن أحمد، رئيس الشافعية المعروف بالمُسْتَظْهَرِي، كان
 يلقب بالخبير لدينه وورعه وعلمه وزهده (ت: 507)، انظر: تبیین کذب المفتری: 306، ووفیات
 الأعيان: 219/4، وسیر أعلام النبلاء: 393/19، والوافي بالوفیات: 73/2 وطبقات الشافعية للسبكي:
 70/6، وطبقات الشافعية للإسنوي: 82/2، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه: 290/1، وشذرات
 الذهب: 16/4.

(2) أي الوقت الذي كان يُعَدُّ له.

(3) هذا النص نقله المقرئ في النسخ: 33/2 وأزهار الرياض: 92/3 - 92 - وكذا الرهوني: 361/7 - 362،
 ومخلوف: شجرة النور: 138.

(4) معناه بالفارسية الحكيم أو الماهر على ما أخبرني الدكتور سيد حسين نصر مدير جامعة آريا مهر
 بطهران سابقاً، والمقصود بِدَانِشْمَنْد هو الإمام الغزالي رحمه الله.

(5) الرباط هو دار يسكنها المتصوفة للعبادة وهو مركز للاجتماعات ومقبرة لأصحابه، وتسدد نفقاته مما
 أوقف به، انظر مقال د. مصطفى جواد: «الربط البغدادية وأثرها في الثقافة الإسلامية» مجلة «سومر»
 ج 2، م: 10 (العراق 1954). وانظر عن رباط أبي سعد: سراج الملوك للطرطوشي: 112.

(6) أنشأ هذه المدرسة الوزير السلجوقي نظام الملك (ت: 486) وافتتحت رسمياً سنة 459 هـ، وتقتصر =

الْخَبَرَ عَنِ الْغَائِبِ فَوْقَ الْمُشَاهَدَةِ لَيْسَ عَلَى الْعُمُومِ ، وَلَوْ رَأَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ (١)
لَمَا قَالَ :

إِذَا مَا مَدَحْتَ امْرَأً غَائِباً فَلَا تَغْلُ فِي مَدْحِهِ وَأَقْصِدِ
فَإِنَّكَ إِنْ تَغْلُ تَغْلُ الظُّنَّ نُ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ الْأَبْعَدِ
فَيَصْغُرُ مِنْ حَيْثُ عَظُمَتْهُ لِفَضْلِ الْمَغِيبِ عَلَى الْمَشْهَدِ (٢)

فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا إِذَا عَايَنْتَهُ رَأَيْتَ جَمَالًا ظَاهِرًا ، وَإِذَا عَالَمْتَهُ وَجَدْتَ بَحْرًا
زَاخِرًا ، وَكُلَّمَا اخْتَبَرْتَ اخْتَبَرْتَ . فَقَصَدْتُ رِبَاطَةً ، وَلَزِمْتُ بَسَاطَةً ، وَاعْتَنَمْتُ (١)
خُلُوتَهُ وَنَشَاطَهُ ، وَكَأَنَّمَا (٢) فَرَعَ لِي لِأُبْلَغَ مِنْهُ أَمَلِي ، وَأَبَاحَ لِي مَكَانَهُ ، فَكُنْتُ أَلْقَاهُ فِي
الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ ، وَالظَّهْرِ وَالْعِشَاءِ ، كَانَ فِي بَزَّتِهِ (٣) أَوْ بَذَلَتِهِ (٤) ، وَأَنَا مُسْتَقِلٌّ فِي
السُّؤَالِ ، عَالِمٌ حَيْثُ تُؤَكَّلُ كَيْفُ الْإِسْتِدْلَالِ ، وَالْفَيْتَةُ حَفِيًّا بِي فِي التَّعْلِيمِ ، وَفِيَّا
بِعُهُدَةِ التَّكْرِيمِ (٥) .

(١) ك : وأغنمت .

(٢) ك ، م : وكأنه .

= مناهجها الدراسية على دراسة الفقه الشافعي ، وفن الكلام على طريقة الأشعري وما يتبعهما من
أصول وفروع ، فمن أهم أهداف هذه المدرسة مناهضة المذاهب الأخرى ولا سيما المعتزلة
والإمامية . انظر : الكامل لابن الأثير : 204CE2415 ، ووفيات الأعيان لابن خلكان : 129/2 ، وطبقات
الشافعية : 309/4 .

(1) هو الشاعر العباسي المعروف «بابن الرومي» (ت : 283) له ديوان شعر مطبوع ، انظر ترجمته عند
الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين : 115 ، والمرزباني في معجم الشعراء : 145 .

(2) هنا ينتهي نقل المقرئ والرهوني ، وانظر هذه الأبيات في ديوان ابن الرومي : 688/2 (ط : دار الكتب
العربية : 1974) .

(3) أي في ثيابه .

(4) أي في أثوابه القديمة البالية .

(5) قال الإمام الغزالي في رسالته المشهورة إلى الأمير يوسف بن تاشفين : 32/ب «مخطوط الرباط رقم
1020» : «والشيخ الإمام أبو بكر بن العربي قد أحرز من العلم في وقت تردده إلَيَّ ، ما لم يحرزه =

وَكَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ الْجَمِيلِ بِي تَوْفِيقُهُ لِي إِلَى الْإِقَامَةِ بِأَرْضِ الشَّامِ،
فِي بُقْعَةٍ مُبَارَكَةٍ، وَبَيْنَ عُلَمَاءَ، حَتَّى صَارَ^(١) ذَلِكَ دَرَجًا لِلِقَاءِ الْمُحَقِّقِينَ الَّذِينَ
يَنْتَقِدُونَ مَا حَصَّلْتُ^(٢)، وَيُفَسِّرُونَ مَا أَجْمَلْتُ، وَيُوضِّحُونَ مَا أَهْمَمْتُ، وَيَكْمُلُونَ مَا
نَقَصْتُ، وَصَارَ مَا حَصَلَ عِنْدِي مِنْ تِلْكَ الْمُقَدَّمَاتِ، اسْتِعْدَادًا^(٣) لِقَبُولِ الْحَقَائِقِ
فِيهَا، وَتَقْيِيدِ الشَّارِدِ مِنْ مَعَانِيهَا، وَصَارَ ذَلِكَ كَمَنْ يَدْخُلُ الْمَعْدِنَ فَيَجْمَعُ النُّصَارَ^(٤)
بِرَغَامِهِ^(٥)، وَيَحْمِلُهُ إِلَى دَارِ السَّبْكِ لِتَخْلِيصِهِ.

ثُمَّ شَرَعْتُ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ، وَالسَّمَاعِ، وَالْمُبَاحَثَةِ وَالتَّبَعِ لِلْمُشْكَلَاتِ؛
بِالْكَشْفِ عَنْ خَبَايَاهَا، وَالذُّخُولِ إِلَى رَوَايَاهَا، وَاسْتِيفَافِ^(٤) رَوَايَاهَا، وَاسْتَطَعَمَتُهُ
التَّحْقِيقَ، وَبَاحَثَتُهُ عَنْهُ^(٥)، خَالِصًا مِنْ غَيْرِ مُشَارِكٍ، وَاسْتَقْصَيْتُهُ عَمَّا كَانَ إِمَامٌ
الْحَرَمَيْنِ^(٣) - رَحِمَهُ اللَّهُ - يُحَوْمُ فِي كُتُبِهِ عَلَيْهِ، وَيُشِيرُ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ إِلَيْهِ، فَوَاسَانِي

(١) ب، وهامش ك، م: كان.

(٢) ب: جهلت.

(٣) أ: استعدادات.

(٤) ك، م: واستشفاف واستدرك الخطأ في الهامش.

(٥) ك، م: عنها.

= غيرهِ مع طول الأمد، وذلك لما خصَّ به من صفاء الذهن، وذكاء الحس، واتقاد القريحة، وما
يخرج من العراق إلَّا وهو مستقل بنفسه، حائز قصب السبق بين أقرانه.

(١) الجوهر الخالص.

(٢) الرِّغَامُ هو الرمل المختلط بالتراب.

(٣) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجُونِيُّ، من أعظم أئمة الأشاعرة، له مؤلفات
معتمدة في الفقه الشافعي وأصول الفقه وعلم الكلام، توفي رحمه الله سنة: 478.

انظر: تبين كذب المفتري: 278، ووفيات الأعيان: 167/3، وسير أعلام النبلاء: 468/18،

وطبقات الشافعية للسبكي: 165/5، وطبقات الشافعية للإسنوي: 409/1، و«الجويني إمام الحرمين»

للدكتورة فوية حسين محمود سلسلة أعلام العرب رقم: 40 سنة 1965، و«الإمام الجويني إمام

الحرمين» للدكتور محمد الزحيلي سلسلة أعلام المسلمين رقم: 26 دار القلم دمشق.

مُؤَاسَاةَ الْوَالِدِ، وَآسَانِي بِمَا لَمْ تَنْلَهُ قَطُّ^(١) الْجَمَاعَةُ وَلَا الْوَاحِدُ. فَلَمَّا طَلَعَ لِي ذَلِكَ النُّورُ، وَانْجَلَى عَنِّي^(٢) مَا كَانَ يَغْشَانِي^(٣) مِنَ الدَّيْجُورِ، قُلْتُ: هَذَا مَطْلُوبِي حَقًّا، هَذَا - بِأَمَانَةِ اللَّهِ - مُنْتَهَى السَّالِكِينَ، وَغَايَةُ الطَّالِبِينَ لِلْعِلْمِ الْمُبِينِ، إِنِّي تَارِكٌ لِمَا تَطْلُبُونَ، وَنَابِذٌ مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ، وَقَدْ عَلِمَ هَذَا الْإِمَامُ أَنِّي^(٤) مِنَ السَّالِكِينَ فِي سَبِيلِ الْمُهْتَدِينَ، فَسَدَّدَنِي إِلَى سَوَائِهَا، وَأَوْجَدَ لِي^(٥) مَعْلُومَ دَلِيلِهَا، وَأَرَشَدَنِي إِلَى لَقَمِ ظَاهِرِهَا وَتَأْوِيلِهَا، وَلَيْسَ التَّحْصِيلُ بِطُولِ الصُّحْبَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَمَوْهَبَةٌ^(٦)، فَقَدْ صَحِبَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ^(١) الْخَلِيلَ^(٧) بَضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَصَحْبُهُ سَيِّوِيهِ سَنَوَاتٍ، فَانْظُرْ إِلَى مَا بَيْنَ التَّحْصِيلَيْنِ فِي الْمُدَّتَيْنِ، وَالْمَنْزِلَتَيْنِ فِيمَا بَيْنَ وَبَيْنَ^(٨). وَلَقِينَا شَيْخَ الشُّيُوخِ، وَصَاحِبَ الْبَابِ فِي الْعِلْمِ وَالرُّسُوخِ، إِسْمَاعِيلَ الطُّوسِيَّ^(٢)، وَقَدْ بَيَّنَّا شَرْحَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ «عَيَانَ الْأَعْيَانِ»^(٣).

(١) قط: ساقطة من: ك، م.

(٢) ب: وتجلي عني، أ: وتجلي لي.

(٣) أ، ب: تغشاني.

(٤) ب: وقد علم هذا الإمام مني أني.

(٥) أ، ب: وأوجدني.

(٦) ك، م: من فضل الله وموهبته.

(٧) ك، م: الخليل بن أحمد.

(٨) في هامش ب: في المرتبتين.

(١) هو النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ بن خُرْشَةَ، العلامة الإمام الحافظ أبو الحسن المَازِنِيُّ البَصْرِيُّ، نزيل «مرو» وعالمها، ثقة ثبت، توفي رحمه الله سنة: 203. انظر: طبقات بن سعد: 373/7، والتاريخ الكبير للبخاري: 90/8، ومعجم الأدباء: 238/19، ووفيات الأعيان: 397/5، وسير أعلام النبلاء: 328/9، وتهذيب التهذيب: 437/10.

(٢) هو أبو القاسم إسماعيل بن عبد الملك الطُّوسِيُّ الحَاكِمِيُّ الشَّافِعِيُّ، صاحب إمام الحرمين، كان إماماً بارعاً في الفقه وغيره من العلوم، وكان الإمام الغزالي يُجَلِّهُ وَيَقْدَرُهُ وَيَقْدِمُهُ عَلَى نَفْسِهِ، توفي رحمه الله سنة: 529. انظر: سير أعلام النبلاء: 6/20، والوافي بالوفيات: 154/9، وطبقات الشافعية للسبكي: 47/7، وطبقات الشافعية للإسنوي: 433/1.

(٣) كتاب مفقود.

ذِكْرُ الْمَعْرِفَةِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ كَانَ عَوْنًا عَلَى طَلَبِ عِلْمِ الدِّينِ

وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ الْمُبَارَكُ بْنُ سَعِيدِ الْبَغْدَادِيِّ (١) قَدْ وَرَدَ عَلَيْنَا تَاجِرًا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، فَأَنْزَهُ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ (٢) عِنْدَنَا، فَأَكْرَمَهُ أَبِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ، وَعَقَدَ عَلَيْهِ مَجْلِسَنَا فِي السَّمَاعِ، وَتَخَلَّى لَهُ عَنْ مُنَاطَرَتِهِ فِي مَسْجِدِهِ، وَصَدَرَ الرَّجُلُ عَنَّا رَاضِيًا، فَبَيْنَا (٣) إِذْ لَقِينَا أَبَا (٤) الْحَسَنِ بْنِ الْخَشَابِ الْمَذْكُورَ فَعَانَقَنَا وَدَعَا لَنَا وَقَالَ: هَا هُنَا أَنْتُمْ، وَكَيْفَ جِئْتُمْ؟ فَرَسَّ لَهُ أَبِي الْحَدِيثَ، وَبَقَرَ (٥) لَهُ عَنِ النَّجِثِ،

(١) ك، م: فينما.

(٢) أ، ب: أبو.

(٣) ك، م: نقد.

.....

(١) هو أبو الحسن الأسدي، ويعرف بابن الخشاب، من العلماء الذين اشتغلوا بالتجارة، وكان من أهل الثقة والصدق والثروة، حدث عن كثير من العلماء في الأندلس ومصر والعراق. وتوفي ببغداد سنة: 490، انظر ترجمته في الصلة: 634، وبغية الملتبس: 467.

(٢) هو صاحب الأندلس، الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادِ اللَّخْمِيِّ، من أعظم ملوك الطوائف، كان شهماً، صارماً، داهية، استوزر المثقفين والأدباء ومنهم ولد فقيها ابن العربي، توفي سنة: 488. انظر: الأنفس لابن خاقان: 10، والحلة السيرة: 52/2، ووفيات الأعيان: 21/5، وسير أعلام النبلاء: 58/19، ونفح الطيب للمقري: 212/4، وشذرات الذهب: 386/3.

(٣) هو أعظم سوق بمدينة بغداد في الجهة الشرقية منها.

فَمَشَى إِلَى الْوَزِيرِ عَمِيدِ الدَّوْلَةِ ابْنِ جَهِيرٍ^(١)، فَأَعْلَمَهُ بِنَا، وَكُنَّا قَدْ حَمَلْنَا مِنْ دِمَشْقَ كِتَابَ وَإِلَيْهَا وَجَمَاعَةٍ مِنْ رُؤَسَائِهَا إِلَى الْوَزِيرِ عَمِيدِ الدَّوْلَةِ، وَكِتَابَ الْقَاضِي نَجْمِ الْقَضَاةِ الشَّهْرِسْتَانِيِّ^(٢) بِالتَّقْرِيصِ لَنَا وَالتَّنْبِيهِ عَلَى مَكَانِنَا^(٣)، فَدَخَلْنَا الدِّيَّوَانَ إِلَى الْوَزِيرِ، وَوَقَفَ عَلَى مَا كَانَ عِنْدَنَا، وَرَفَعَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(٤) أَمْرَنَا، فَأَمَرَ بِتَكْرِيمَتِنَا^(٥) وَإِذْنَانَا^(٦)، وَأَجْرَى مَعْرُوفًا كَبِيرًا^(٧) لَنَا، وَأَبَاحَ الدِّيَّوَانَ لِمَدْخَلِنَا^(٨) وَمَخْرَجِنَا، فَوَقَرَّتْنَا الْعُلَمَاءُ، وَأَكْرَمَتْنَا الْمَشِيخَةُ، وَأَظْهَرَتِ الْجَمَاعَةُ لَنَا الْمَزِيَّةَ، وَنِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى الْعِلْمِ الرَّقَاسَةُ^(٩).

(١) ك: م: الوزير عميد الله بن جهيد عميد الدولة.

(٢) ب: والتنبيه علينا.

(٣) ك: بتكريمنا.

(٤) ب: كثيراً.

(٥) ك: م: بمدخلنا.

(١) هو عميد الدولة أبو منصور محمد بن فخر الدولة محمد بن محمد بن جهير، استوزر لخليفتين، وكان شجاعاً، شهماً، فصيحاً، أديباً، بليغاً، وكان نظام الملك يعظمه ويعجله كثيراً، وزوجه ابنته زبيدة، كانت نهايته مؤسفة سنة 493. انظر: العبر: 337/3، وسير أعلام النبلاء: 175/19، والوافي بالوفيات: 122/1.

(٢) لم أتمكن من معرفته.

(٣) هو أمير المؤمنين، الخليفة المستظهر بالله العباسي، أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله، ولي الخلافة بعد أبيه سنة 487 وعمره سبعة عشر عاماً، وكان موصوفاً بالسخاء والجود ومحبة العلماء وأهل الدين. قال ابن العربي في العارضة: 68/9: «أدركت المقتدي سنة 484، وعهد إلى المستظهر أحمد ابنه، وتوفي في المحرم سنة 486... وخرجت عنهم سنة: 495». انظر: العبر: 26/4، وسير أعلام النبلاء: 454/19، والنجوم الزاهرة: 215/5، وشذرات الذهب: 33/4.

(٤) وذلك بخطاب أمير في: 12 رجب 491، قال الوزير محمد بن جهير في حقهما: «... وكذلك

هذا الفقيه (أي والد ابن العربي) وولده من شاهدنا من خلالهما وحسن هديهما، بما يقتضي تربيتهما وإدناؤهما، فرأيتهما واعتمدنا برهما وإكرامهما إحساناً وتعطفاً عليهما وامتناناً» شواهد الجلة: 30/أ.

(٥) قال المؤلف في كتابه «ترتيب الرحلة في الترغيب إلى الملة»: «... نعمت المعرفة التعرف بالسلطان، والتشوف به عند التغرب من الأوطان، ونعم العون على العلم الرئاسة بالأمن والاستيطان». عن كتاب «المن بالإمامة» لابن صاحب الصلاة: 258 - 259.

ذِكْرُ التَّوَصُّلِ إِلَى الْمَطْلُوبِ مِنَ الْعِلْمِ

وَكُنْتُ إِبَانًا طَلَبِي فِي الْأَقْطَارِ، وَدَرَسِي آثَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَلِقَائِي أُولِي
الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ، لَا^(١) أَمَلٌ لِي إِلَّا التَّشَوُّفُ إِلَى الْمَقْصِدِ الْأَسْنَى، الْمُنْتَحَى فِي
كُلِّ مَعْنَى، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّا إِن نَّظَرْنَا فِي الْعَالَمِ لَمْ نَنْظُرْ فِيهِ مِنْ حَيْثُ
إِنَّهُ مُتَقَنَّ الصَّنْعَةَ، أَوْ جَمِيلُ الْمَنْظَرَةِ^(٢)، أَوْ عَامُ الْمَنْفَعَةِ، أَوْ كَبِيرُ الْجَرَمِ، وَإِنَّمَا
تَبْتَهَلُ^(٣) بِهِ، وَتُقْبَلُ بِوَجْهِ النَّظَرِ إِلَيْهِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ صَنَعَهُ اللَّهُ.

وَإِن نَّظَرْنَا فِي النَّبِيِّ ﷺ لَمْ نَنْظُرْ فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ آدَمِيٌّ أَوْ قُرَشِيٌّ أَوْ ذُو مَنْظَرٍ
بِهَيٍّ، وَإِنَّمَا نَنْظُرُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ.

وَإِن نَّظَرْنَا فِي^(٤) أَعْمَالِنَا لَمْ نَنْظُرْ فِيهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا حَرَكَاتٌ تَجَلِبُ مَنَفَعَةً أَوْ
تَدْفَعُ مَضَرَّةً، وَإِنَّمَا نَنْظُرُ فِيهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا خِدْمَةُ اللَّهِ أَوْ تُخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ، فَالْمَقْصُودُ
بِكُلِّ نَظَرٍ وَفِي كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ^(٥)(١).

(١) ك، م: إلا.

(٢) ك، م: الصورة.

(٣) ك: نبتهل.

(٤) أ، ب: إلى.

(٥) سبحانه غير مثبتة في أ، ك، م.

(١) هذه الفكرة اقتبسها المؤلف من الإمام الغزالي في كتابه «الاقتصاد في الاعتقاد»: (٣ - ٤ ط: المطبعة الأدبية بمصر) حيث يقول: «... فإذا نظرنا في العالم لم ننظر فيه من حيث إنه عالم وجسم وسماء وأرض، بل من حيث إنه صنع الله - سبحانه -، وإن نظرنا في النبي - عليه السلام - لم =

وَحِينَ اسْتَنْوَرْتُ^(١) الطَّرِيقَ، وَلَا حَتَّ لِي جَاذَةُ التَّحْقِيقِ، وَتَحَقَّقَ^(٢) عِنْدِي أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ هُوَ الْمُرْشِدُ إِلَيْهِ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ، لَمْ آلْ فِي التَّرَقِّي إِلَى دَرَجِ الْمَعْرِفَةِ، وَإِذَا لَمْ يَأْتِ الْعَبْدَ مِنَ اللَّهِ سَدَادُهُ، وَلَا كَانَ مِنْ بَحْرِهِ اسْتِمْدَادُهُ، لَمْ يُغْنِ عَنْهُ اجْتِهَادُهُ.

فَقَرَأْتُ^(١) مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ كَثِيرًا، وَوَعَيْتُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عُمُونًا، كَتَفْسِيرِ الثَّعَالِبِيِّ^(٢) الَّذِي كَانَ وَقَفًا فِي كُتُبِ الصَّخْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَنَسَخَهُ الطُّرُوشِيُّ^(٣)، فَزَادَ فِيهِ وَنَقَصَ فَجَاءَ تَأْلِيفًا لَهُ، وَكِتَابَ الْمَاورِدِيِّ^(٤)، وَمُخْتَصَرَ^(٥)

(١) ك، م: استمرت.

(٢) وتحقق: ساقطة من: ك، م.

= ننظر فيه من حيث إنه إنسان وشریف وعالم وفاضل، بل من حيث إنه رسول الله، وإن نظرنا في أقواله لم ننظر فيها من حيث إنها أقوال ومخاطبات وتفهيمات، بل من حيث إنها تعريفات بواسطة من الله - تعالى -، فلا نظر إلّا في الله، ولا مطلوب سوى الله.

(١) جلّ هذه الكتب قرأها المؤلف - رحمه الله - كما صرح بذلك في العواصم: 97 في دار الكتب بالمدرسة النظامية التي أنشأها الخليفة الناصر لدين الله سنة 589، ونقل إليها عشرة آلاف مجلد. انظر: مرآة الزمان للياضي: 421/8، الكامل لابن الأثير: 104/12.

(٢) المسمى «الكشف والبيان» والثعالبي أو الثعلبي (انظر تبصير المنتبه لابن حجر: 208/1) هو أحمد بن محمد (ت: 427)، وقد عني في تفسيره هذا باللغة والقراءات والحديث والآثار والأحكام الفقهية، بالإضافة إلى العناية بأقوال الصوفية، ومن أهم مميزات هذا التفسير العناية بالسند في نقل الأخبار والآثار، وقد شحنه بكثير من الموضوعات والأباطيل. وتوجد منه عدة نسخ في مختلف مكتبات العالم منها: نسخة في دار الكتب بالقاهرة رقم: 797 تفسير.

(٣) هو أبو بكر محمد بن الوليد القرشي الفهرري الأندلسي الطُّرُوشِي، سبقت ترجمته صفحة: 92 تعليق رقم: 1، لم يصل إلينا هذا التأليف الذي أشار إليه ابن العربي، ولكن ابن خير: 59 ذكره تحت عنوان «مختصر الكشف والبيان».

(٤) المسمى «النُّكْت والعُيُون» والماوردي هو أبو الحسن علي بن محمد البصري المعروف بالماوردي. (ت: 450) وطُبِعَ تفسيره المذكور في الكويت: 1983 تحت إشراف وزارة الأوقاف.

(٥) لأبي يحيى محمد بن صُمَادِح الجُبَيْي (ت: 419) طبع بتحقيق محمد حسن أبي العزم الزفيتي سنة 1970 بالقاهرة، وهذا الكتاب يغني عن مختصرات بعض المعاصرين لتفسير الطبري، على أن مختصر ابن صمادح أيضاً لم يكن اختصاراً علمياً مفيداً إذ لم يستوعب منه مباحث الكتاب، فأخذ ما شاء وترك ما شاء، وكأنه لم يفهم منهج الطبري رحمه الله في تفسيره.

الطَّبْرِيّ، وَكِتَابَ ابْنِ فُورَكٍ^(١)، وَهُوَ أَقْلُهُا حَجْماً وَأَكْثَرُهَا عِلْماً وَأَبْدَعُهَا تَحْقِيقاً، وَهُوَ مَلَامِحُ مِنْ^(٢) كِتَابِ «الْمُخْتَزَنِ» الَّذِي جَمَعَهُ فِي التَّفْسِيرِ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ فِي خَمْسِمِئَةِ مُجَلَّدٍ^{(٣)(٢)}، وَكِتَابِ النَّقَاشِ^(٣) وَفِيهِ حَشْوٌ كَثِيرٌ، وَمِنْ كُتُبِ الْمُخَالِفِينَ كَثِيراً، وَمِنْ الْمَسَانِيدِ جَمّاً غَفيراً. وَأَكْثَرُ مَا قَرَأْتُ لِلْمُخَالِفِينَ كِتَابَ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْهَمْدَانِيِّ الَّذِي سَمَّاهُ بـ «الْمَحِيطِ»^(٤) مِثَّةً مُجَلَّدٍ^(٣)، وَكِتَابَ الرُّمَانِيِّ^(٥) عَشْرَ

(١) من: ساقطة من: أ، ب.

(٢) ك، م: مجلدة.

(٣) مجلد: ساقطة من: أ، وفي ك، م: مجلدة.

(١) هو الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فُورَك الأنصاري الأصبهاني (ت: 406) المتكلم المشهور على مذهب الأشعرية، وتفسيره للقرآن لم يصل إلينا كاملاً، وفي مكتبة الوالد - حفظه الله - صورة لجزء من تفسيره عن مكتبة فيض الله أفندي بتركيا.

(2) هذا التفسير هو لأبي الحسن الأشعري (ت: 324) مؤسس المذهب الأشعري، ويُسمى هذا التفسير «بِالْمُخْتَزَنِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ خَالَفَ الْبَيَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ» وذكر ابن العربي في العواصم: 97 - 98 «أنَّ الصَّاحِبَ ابْنَ عِبَادِ انْتَدَبَ لَهُ فَبَذَلَ فِيهِ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ لِلخَازِنِ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ، فَأُلْقِيَ النَّارُ فِي الْخِزَانَةِ الَّتِي تَضُمُّ هَذَا التَّفْسِيرَ فَاحْتَرَقَ، وَكَانَتْ تِلْكَ نَسْخَةً وَاحِدَةً لَمْ يَكُنْ غَيْرُهَا فَفَقَدَتْ مِنْ أَيْدِي النَّاسِ».

(3) المسمى «شفاء الصدور المهذب في تفسير القرآن» والنَّقَاشُ هو أبو بكر محمد بن الحسن النَّقَاش (ت: 351) وتوجد منه عدة نسخ محفوظة في مختلف مكتبات العالم منها: نسخة بدار الكتب بالقاهرة: 145 تفسير، قال عنه ابن العربي: «إنه حاطب ليل لجهله بالحديث» قانون الأسكريال: 41/أ.

(4) لم يصل إلينا هذا الكتاب بقلم عبد الجبار، وإنما وصل إلينا بتهذيب تلميذه الحسن بن متويه (عاش في القرن الخامس) بعنوان «المجمع المحيط بالتكليف» ويوجد مخطوطاً بمكتبة برلين بألمانيا الغربية تحت رقم: 5149، وهناك نسخ أخرى، وقام بنشره في مصر: 1965 الأستاذ عمر السيد عزمي، كما نشر المستشرق «هوين» الجزء الأول منه ببيروت: 1965. والقاضي عبد الجبار هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني (ت: 415) قاضي القضاة وآخر المعتزلة النابيهين المكثرين في التأليف، وكان شافعي المذهب. انظر: تاريخ بغداد: 113/1، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى: 112 ط: سوزانا فلزور: بيروت).

(5) هو أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمَانِيُّ، المتكلم على طريقة المعتزلة كان محباً للعلم، واسع الاطلاع، متقناً للأدب وعلوم اللغة والنحو لذلك لقب بالنحوي المتكلم، ويبدو أنه تأثر بالمنطق والفلسفة، ولذا نرى ابن العربي يحذر من كتبه، توفي سنة 386، وكتابه المشار إليه هو «التفسير =

مُجَلَّدَاتٍ، وَفَاوَضْتُ فِيهِ^(١) عُلَمَاءَ الْمُؤَلِّفِينَ وَالْمُخَالِفِينَ^(٢)، وَأَهْلَ السُّنَّةِ
وَالْمُبْتَدِعِينَ، فَاسْتَفَدْتُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ^(٣)، وَجَادَلْتُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَهْلَ الْبِدْعَةِ،
وَأَفْنَيْتُ عَظِيمًا مِنَ الزَّمَانِ فِي طَرِيقَةِ الصُّوفِيِّينَ، وَلَقِيتُ رِجَالَهُمْ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ
أَجْمَعِينَ^(٤)، وَمَا كُنْتُ أَسْمَعُ بِأَحَدٍ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ أَوْ تُشْنَى عَلَيْهِ الْخَنَاصِرُ، أَوْ
تُصِخُّ إِلَى ذِكْرِهِ الْآذَانُ، أَوْ تُرْفَعُ إِلَى مَنْظَرَتِهِ الْأَحْدَاقُ، إِلَّا رَحَلْتُ إِلَيْهِ قَصِيًّا، أَوْ
دَخَلْتُ إِلَيْهِ قَرِيبًا. وَقَدْ كَانَ تَأَصَّلَ عِنْدِي - بِمَا قَدَّمْتُهُ^(٥) - تَثْقِيفُ الدَّلِيلِ وَقَانُونُ
التَّأْوِيلِ، فَوَلَجْتُ مِنْ ذَلِكَ جَنَّةً لَا يَتَكَدَّرُ تَسْنِيمُهَا^(١)، وَلَا يَتَغَيَّرُ نَعِيمُهَا. وَقَدْ كَانَ
«دَانِشْمَنْد» - رَحِمَهُ اللَّهُ - حِينَ عَرَضِي عَلَيْهِ - زَيْفَ مَا زَيْفَ، وَعَرَفَ مَا عَرَفَ،
فَتَخَلَّصَ الْإِعْتِقَادُ، وَتَحَصَّلَ الْمُرَادُ، وَوَقَفَ الْأَمْرُ عَلَى قِسْمَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: مَعْرِفَةُ النَّفْسِ، وَالثَّانِي: مَعْرِفَةُ الرَّبِّ.

(١) ك، م: فيها.

(٢) أ: المخالفين والمؤلفين.

(٣) والمبتدعين، فاستفدت من أهل السنة: ساقطة من: ك، م.

(٤) ك، م: مجمعين.

(٥) ك، م: قدمت.

= الكبير» أو «الجامع في علوم القرآن» انظر عنه بروكلمان: تاريخ الأدب: 175/1.
(١) التَّسْنِيمُ عين في الجنان يتنزل ماؤها من علو.

ذِكْرُ مَعْرِفَةِ النَّفْسِ

اعْلَمُوا - أَنَا لَكُمْ ^(١) اللهُ آمَالُكُمْ ^(٢) فِي الْمَعْلُومَاتِ - أَنَّ مَعْرِفَةَ الْعَبْدِ نَفْسَهُ مِنْ أَوَّلِي مَا عَلَيْهِ وَأَوْكِدِهِ ^(٣)، إِذْ ^(٤) لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ ^(٥): قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: 21).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (المؤمنون: 12) وَلَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَخَلَقَ الْمَعْرِفَةَ لِعَبْدِهِ ابْتِدَاءً مِنْ ^(٥) غَيْرِ أَنْ يَنْصِبَ لَهُ عَلَيْهِ ^(٦) دَلِيلًا، وَيُعَرِّفَهُ ^(٧) بِوَجْهِ الدَّلِيلِ، وَلَكِنَّهُ بِحُكْمَتِهِ خَلَقَهُ غَيْرَ عَالِمٍ، ثُمَّ رَتَّبَ فِيهِ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ^(٨)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾

(١) ك، م: أناكم.

(٢) ب، ك، م: أملككم.

(٣) ب: وآكده.

(٤) قانون القاهرة: نفسه على الحقيقة.

(٥) من: ساقطة من: ب واستدرك الخطأ في الهامش.

(٦) ك، م: عليها.

(٧) ك، م: ويعرف.

.....

(١) من هنا يتبدى قانون التفسير 64/أ نسخة دار الكتب بالقاهرة رقم: 184 تفسير.

(2) قال المؤلف في الأمد الأقصى 89/أ ما نصه: «الباري تعالى هو العالم الأعظم، وهو المعلم الأكبر،

فإنه أوصل العلم إلى العالمين من عباده، وذلك بخمس طرق:

الأول: أن يكون ما يخلق ابتداء في النفس كعلم المبتدأ والعاقبة إلى آخر العلوم الضرورية.

الثاني: تعليم النظر والتركيب في المعارف حتى يعلم ممَّا عُلِّمَ ما كان به جاهلاً.

وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴿ (النحل: 78) ⁽¹⁾.

فَلَا إِخْرَاجَ أَنْفُسِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَلَا وَصْفَ رَبِّهِمْ عَرَفُوهُ، وَلَا شَأْوَرَهُمْ فِيهِ، وَلَا عِلْمُوا بِحَالَةٍ مِنْ أَحْوَالِهِ سُبْحَانَهُ ⁽¹⁾، فَخَلَقَ السَّمْعَ لِخِطَابِهِ، وَالْبَصَرَ لِلْإِعْتِبَارِ بِهِ، وَالْأَفْئِدَةَ لِمَقَرِّ عِلْمِهِ ⁽²⁾.

وَعَرَفَ الْعَبْدُ نَسَبَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ لثَلَا يُعْجَبَ بِنَفْسِهِ، وَلِثَلَا يُتَعَجَّبَ أَحَدٌ ⁽²⁾ أَيْضاً مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ ⁽³⁾، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ (المؤمنون: 14).

لِيُعْرِفَكَ أَنَّ الشَّرْفَ وَالْقَدْرَ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّوْبَةِ لَا لِلتُّرْبَةِ ⁽³⁾.

فَإِذَا نَظَرَ الْعَبْدُ فِي نَفْسِهِ عَلِمَ أَنَّهُ مَوْجُودٌ بغيرِهِ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ ذَلِكَ الْغَيْرَ لَا يَصِحُّ أَنْ يُوجِدَهُ غَيْرُهُ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ أَيْضاً مَوْجُوداً لغيرِهِ لَأَفْتَقَرَ ذَلِكَ الْغَيْرُ إِلَى مِثْلِهِ، وَتَسَلَّسَل ⁽⁴⁾ الْأَمْرُ وَلَمْ يَتَحَصَّلْ، وَعَنْهُ وَقَعَ الْبَيَانُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَإِنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُتَتَّبِعِينَ ﴾ (النجم: 41).

(1) سبحانه: ساقطة من: ب، ك، م.

(2) أحد: ساقطة من: ك، م.

(3) ب: عمله.

(4) ك، م: يتسلسل.

= الثالث: تعليمه التكلم باللسان والعبارة عما في الجنان من الكلام.

الرابع: تعليمه الكتابة.

الخامس: خلق العلم بالإلهام وذلك جائز إلا في باب الفرق بين الحق والباطل فلا يثبت.

(1) انظر: الأحكام: 1956، حيث أحوال على القانون.

(2) قارن هذه العبارات بكلام الإمام القشيري في لطائف الإشارات 311/2، فلا شك أن ابن العربي قد استفاد منه.

(3) هذه العبارة مقتبسة من القشيري في لطائف الإشارات 569/2، وانظر: 112/3.

(4) لفظ التسلسل يُراد به التسلسل في العلل والفاعلين والمؤثرات بأن يكون الفاعل فاعل، وللفاعل =

فَإِنَّكَ بِأَيِّ شَيْءٍ بَدَأْتَ، فَعِنْدَ الْبَارِي تَعَالَى تَقِفُ، ابْتِدَاءُ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَنْتِهَاؤُهَا إِلَيْهِ، وَفَاتِحَةُ الْعُلُومِ مِنْ قَبْلِهِ، وَغَايَتُهَا^(١) عِنْدَهُ، لَا مَعْلُومَ بَعْدَهُ، فَصَحَّ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْوُقُوفِ بِالْعِلْمِ عَلَى مُوجِدٍ، لَا مُوجِدَ سِوَاهُ.

وَإِذَا رَأَى الْعَبْدُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْخُرُوجِ مِنْ حَالَةٍ عَدَمٍ إِلَى حَالَةٍ وُجُودٍ، وَالْإِنْتِقَالِ مِنْ صِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ، وَالْإِخْتِصَاصِ بِحَالَةٍ دُونَ حَالَةٍ، بِالْمَرَايَا الشَّرِيفَةِ مِنَ الْعِلْمِ، وَالنُّطْقِ^(٢)، وَالتَّدْبِيرِ، وَالْحَيَاةِ، وَالْقُدْرَةِ، عَلِمَ أَنَّهُ مُوجِدٌ لِمُوجِدٍ^(١) قَادِرٍ، وَعَلَيْهِ دَلٌّ بِقَوْلِهِ:

﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الملك: 1)⁽²⁾.

وَيَذُلُّ إِتْقَانُ جِبَلَتِهِ وَإِحْكَامُ صَنْعَتِهِ عَلَى أَنَّهُ عَالِمٌ⁽³⁾، إِذْ لَا يَصِحُّ تَقْدِيرُ مُوجِدٍ

(١) القانون: وعاقبتها، ك، م: نهايتها.

(٢) القانون: المنطق.

= فاعل إلى ما لا نهاية، وهذا متفق على امتناعه بين العقلاء، انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: 321/1، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز: 74 - 76.

(1) هذا الدليل هو الذي اعتمده مؤسس المذهب الأشعري في كتابه: اللمع: 17، ولخصه الشهرستاني في: الملل والنحل: 119/1، ونهاية الأقدام: 12 له. وقال عنه ابن تيمية ما يلي: «الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دَلَّ القرآن عليها وهدى الناس إليها» النبوات: 48.

(2) للتوسع في صفة «القدرة» انظر: الوصول إلى معرفة الأصول: لوحة 26، والمتوسط في الاعتقاد: لوحة 27، والأمد الأقصى: 59/أ، وسراج المريدين: 149/أ وكل هذه المؤلفات السابقة لابن العربي.

اللمع للأشعري: 25، والتمهيد: 26، والأنصاف: 35 وكلاهما للباقلاني، وأصول الدين للبغدادى: 93، والشامل في أصول الدين للجويني: 621، ولمع الأدلة له كذلك: 62 والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي: 119، وشرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية: 25.

(3) انظر الأمد: 64/أ والسراج: 44/أ، واللمع: 24، التمهيد: 26، الأنصاف: 35، الشامل: 621، والاقتصاد: 130، وشرح العقيدة الأصفهانية: 24.

لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا قُدْرَةَ، وَيَتَحَقَّقُ بَعْدَ أَنَّهُ حَيٌّ، إِذِ الْقُدْرَةُ وَالْعِلْمُ يَسْتَحِيلُ وَصَفُ الْمَوَاتِ بِهِمَا^(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: 253).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ (غافر: 65)^(٢).

وَيُثَبِّتُ^(٢) عِنْدَهُ أَنَّهُ مُرِيدٌ لِأَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ عَلَى أَحْوَالٍ وَصِفَاتٍ تَقَرَّرَ عِنْدَهُ أَنَّ كَوْنَ الْمَحَلِّ عَلَى غَيْرِهَا بَدَلًا مِنْهَا مُمَكِّنٌ^(٣)، فَلَا بُدَّ وَالْحَالَةَ هَذِهِ مِنْ مَعْنَى تَسْتَنِدُ^(٤) إِلَيْهِ هَذِهِ الْخَصِيصَةُ، وَهِيَ صِفَةٌ شَائِنَةٌ تَمَيِّزُ الشَّيْءَ عَنْ مِثْلِهِ وَهِيَ الْإِرَادَةُ، عَبَّرَ عَنْهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: *﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (البروج: 16)^(٣).

لَيْسَ عَلَيْهِ حَجَرٌ، وَلَا فَوْقَهُ أَحَدٌ^(٤).

(١) ك، م: بها.

(٢) ك، م، القانون: وثبت.

(٣) ك، م، على غير ما لا بد منها ممكن.

(٤) ك، م: تشتد.

(1) هذا الطريق في إثبات كون الصانع حياً هو الذي صار إليه معظم أثمة الكلام كما قال الجويني في الشامل: 622. وللتوسع في هذه الصفة انظر: الأمد: 72/أ، واللمع: 25، والإرشاد للجويني: 63، والاقتصاد: 131.

(2) للتوسع في صفة «الإرادة» انظر: الوصول إلى معرفة الأصول للمؤلف لوحة 26، والمتوسط: 32 - 39، والأمد: 73/أ، واللمع: 37، 47، والتمهيد: 27، والإنصاف: 36، وأصول الدين: 102، والإرشاد: 63 وفي مواضع أخرى، ونهاية الأقدام: 107، والاقتصاد: 131.

(3) ولخص ابن العربي أوصاف الباري تعالى في عبارة جامعة هي قوله: «لا إشكال في دلالة العقل على وجوب هذه الأوصاف، فالوجود يدل على القدرة، والاتقان على العلم، وتعيين أحد جائزي الوجود من صفة وهيئة على الإرادة، وأيضاً فإن الفعل لا يتحصل للفاعل على ما لم يقصده ويؤثره، هذا هو المعقول فيه، وذلك يتضمن العلم بكونه حياً، لأن العالم القادر المرید يستحيل ألا يكون حياً». المتوسط 30.

وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِعْتِقَادِ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ * (١) سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَقَدْ اخْتَلَفَتْ أَغْرَاضُ (١)
الْعُلَمَاءِ فِي الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ (٢): لِأَنَّهُ قَدْ خَلَقَهُمَا (٢)
لِلْعَبْدِ (٣) وَمَحَالٌ أَنْ يَخْلُقَ مَا لَا يَعْلَمُ، وَعَلَيْهِ نَبْهٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ (الملك: 14) (٤).

وَعَوَّلَ الْجَوْنِيُّ عَلَى (٣) أَنَّ الْأُمَّةَ قَدْ (٤) أَجْمَعَتْ (٥) عَلَى نَفْيِ الْآفَاتِ عَنِ الْبَارِي (٦)
تَعَالَى، وَلَا مُسْتَنْدَ إِلَّا السَّمْعُ، وَمَا قَالَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ لَا يَرْتَضِيهِ (٥).

(١) ما بين النجمتين ساقط من: ب.

(٢) ك، م: خلقها.

(٣) على: ساقطة من: ك، م.

(٤) قد: ساقطة من أ، ك، م.

(٥) ب، ك، م: اجتمعت.

(٦) ك، م: على.

.....

(١) يقصد بالأغراض المنحى الذي سلكه كل في الاستدلال على الصفتين.

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني الملقب بركن الدين، أصولي متكلم، شافعي
المذهب، له مصنفات في علم الكلام (ت: 418) انظر: تبيين كذب المفتري لابن عساكر 243،
والعبر للذهبي: 128/3، وشذرات الذهب لابن العماد: 209/3.

(٣) هذا يدل على علمه بهما، إذ المخلوق لا بد أن يكون معلوماً، ولا يدل على إثبات صفتي السمع
والبصر زائدتين على العلم مغايرتين له.

(٤) قال المؤلف في المتوسط: 40: «... ويجب أن يكون سميعاً بصيراً لثلاثة طرق: أحدهما: أن الحي
يجوز أن يتصف بكونه سميعاً بصيراً، وإذا خرج عن ذلك لزم اتصافه بكونه مؤوفاً فإن كل موجود
يقبل ضدّين على البديل يستحيل فرض سواهما لا يجوز أن يقدر في العقل خلوه عنهما جميعاً، وقد
تقدم استحالة الآفات عليه فوجب إثبات كونه سميعاً بصيراً. والطريق الثاني أن الباري يخلق للعبد
الإدراك الحقيقي بالمسموعات والمبصرات، فكيف يصح أن يخلق للعبد ما لا يدرك حقيقته.
والثالث أنه يخلق الأصوات والألوان ولا بد من التمييز بين المخلوقات منها، فلا بد من السمع
والبصر للتمييز بينهما... وللتوسع انظر: الوصول إلى معرفة الأصول: 27 وقد اعتمد فيه اعتماداً كلياً
على الجويني في عقيدته النظامية: 22 قارن بالأمد الأقصى: 65/أ، واللمع 25، والتمهيد 26،
والإنصاف: 37، وأصول الدين 96، والإرشاد 72، والاقتصاد: 137، وشرح العقيدة الأصفهانية:
88 - 73.

(٥) نص الجويني كما جاء في الإرشاد: 74 هو كالتالي:

قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ^(١) بْنُ الْعَرَبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَإِنَّمَا ذَكَّرْنَا لَكُمْ هَذَا^(٢) لِنَتَّخِذُوهُ قَانُونًا، وَتَعَجُّبُوا مِنْ رَأْسِ الْمُحَقِّقِينَ يُعَوِّلُ^(٣) فِي نَفْيِ الْآفَاتِ عَلَى السَّمْعِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّمْعُ طَرِيقًا إِلَى مَعْرِفَةِ الْبَارِي تَعَالَى وَلَا شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ، لِأَنَّ السَّمْعَ مِنْهُ، فَلَا يَعْلَمُ السَّمْعُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يَعْلَمُ هُوَ^(٤) إِلَّا بِالسَّمْعِ، فَيَتَعَارَضُ ذَلِكَ وَيَتَنَاقِضُ^(٥)، وَقَدْ مَهَّدْنَاهُ فِي «الْمُقْسِطِ» وَغَيْرِهِ.

وَقَدْ رَامَ الْجَوْنِيُّ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ ذَلِكَ بِأَسْئَلَتِهِ وَأَجْوِبَتِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ^(٥)^(٢).
وَعَوَّلَ الطُّوسِيُّ^(٦) عَلَى أَنَّ الْكَمَالَ وَاجِبٌ لِلَّهِ عَلَى الْمَخْلُوقِ، وَمِنْ الْمَحَالِ أَنْ تَكُونَ^(٧) لِلْعَبْدِ صِفَةً كَمَالٍ لَيْسَتْ لِلْخَالِقِ تَعَالَى^(٣)، وَهُوَ^(٨) أَقْوَى^(٩) مِنْ كَلَامِ

(١) أبو بكر محمد: ساقطة من: أ، ب.

(٢) ك، م: هذه.

(٣) ك، م: يقول.

(٤) أ: هذا.

(٥) ك، م: بأسئلة وأجوبة فلم يستطعه.

(٦) ب، ك: الجويني.

(٧) أ، ب: ومحال أن تكون.

(٨) أ: وهذا.

(٩) ب: القوي.

= «فإن قيل: من أركان دليلكم استحالة اتصاف الباري تعالى بالآفات المضادة للسمع والبصر، فما الدليل على ذلك؟

قلنا: هذا مما كثر فيه كلام المتكلمين، ولا نرتضي مما ذكره في هذا المدخل إلا الالتجاء إلى السمع، إذ قد أجمعت الأمة (في الأصل: الأئمة) وكل من آمن بالله تعالى على تقدس الباري تعالى عن الآفات والنقائص». قلت: انظر بسط هذا الدليل في لباب العقول للمكلائي: 217.

(1) لا يلزم التناقض لأن السمع يثبت بصدق الرسول الثابت بالمعجزة، وحينئذ يكون السمع طريقاً لمعرفة الله تعالى، والله أعلم.

(2) الإرشاد 72 - 76.

(3) وتعبير الإمام الغزالي في هذا المقام هو هكذا:

الْجَوْنِيَّ، وَلَكِنَّ الْمَعُولَ عَلَى مَا سَبَقَ لِلْأَسْتَاذِ، وَفِيهِ تَتَبُعُ عَظِيمٌ يَبِينُ^(١) فِي مَوْضِعِهِ.

وَكَذَلِكَ(*) لَا يَجُوزُ أَنْ يُشَبَّهَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِثْلَهُ، لَمَا كَانَ أَحَدُهُمَا أَوْلَى بِأَنْ يَكُونَ الْمَوْجِدَ مِنَ الْآخِرِ(*)^(٢).

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ شِبْهٌ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، وَكُلُّ مَنْ أَضَافَ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَهُوَ مُشَبَّهٌ، وَلِذَلِكَ كَانَ جَمِيعٌ مَنْ يَخْرُجُ عَنْ رَسْمِ الْمُوحِدِينَ مُشَبَّهًا^(١)، وَقَدْ أَحْكَمَ اللَّهُ بَيَانَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ، وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ، قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ، تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ (الشعراء: 94 - 99).
وَمِنْ أَيْمَةِ الْمُجْرِمِينَ الْقَدَرِيَّةُ⁽²⁾.....

(١) ب: تبين، ك: يبين.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من ك، م.

= «وكل كمال وجد للمخلوق، فهو واجب الوجود للخالق بطريق الأولى». وبخصوص صفتي السمع والبصر يقول في الاقتصاد: 138، والإحياء 138/1 (ط: الشعب)، معلوم أن الخالق أكمل من المخلوق، ومعلوم أن البصير أكمل ممن لا يبصر، والسميع أكمل ممن لا يسمع، فيستحيل أن يثبت وصف كمال للمخلوق ولا نثبت للخالق». وانظر نقد الفخر الرازي لمسلك الغزالي هذا في: محصل أفكار المتقدمين: 172.

(1) يوضح المؤلف هذه الفكرة في كتابه «المتوسط»: لوحة: 9 فيقول: إذا ثبت أنه واحد، فمن الواجب فيه المعرفة باستحالة أن يكون له شبه ومثل، ولا تتم المعرفة إلا بعد المعرفة بحقيقة المثليين. وها هنا زلت الملحدة حين قالوا ليس بموجد ولا عالم لأن في ذلك تشبيهاً له بخلقه، وهذا يجر من المحالات إلى عظام، منها اشتباه السواد بالبياض وكونها مثليين. وزلت المشبهة فأثبتت للباري مماثلاً لخلقه في صفاته وذاته، وزلت المعتزلة فأثبتت للباري تعالى مثلاً في أفعاله يخلق كخلقه، وذلك يقتضي تناهي مقدوراته، وبهذا نطلق على الطوائف كلها - خلا أهل السنة - المشبهة».

(2) أمثال مَعْبَدُ الْجَهَنِّي وَغِيلَانُ الدَّمَشْقِيِّ ومن تبعهما، ومن المعلوم أن من أصول أهل السنة والجماعة - كما يقول المَلْطِي في التنبيه: 12 - وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره. كما أجمع أهل السنة على أن =

الَّذِينَ سَاوَوْا الثَّنَوِيَّةَ⁽¹⁾، فَقَالُوا: «إِنَّ الْعِبَادَ يَخْلُقُونَ الشَّرَّ دُونَ اللَّهِ»، فَسَوَّوْا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَالِقِ، وَأَخَذُوا مِنْهُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصفات: 96).

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ خَلَقَ أَعْمَالَهُمْ كَخَلْقِهِ لَهُمْ. أَلَا تَرَى كَيْفَ زَادَهُ بَيَانًا لِيُثْبِتَهُ بُرْهَانًا فَقَالَ عَنْهُمْ وَعَنْ أَمْثَالِهِمْ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ، يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: 47، 48، 49)⁽²⁾.

وَهَكَذَا تَسْتَدِلُّ أَيُّهَا بِنَفْسِكَ عَلَى رَبِّكَ، حَتَّى لَقَدْ غَلَا فِي ذَلِكَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: إِنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الْعَالَمُ الْأَصْغَرُ، وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ بِمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ هُوَ الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ، وَأَفْرَطَ فِي التَّشْبِيهِ بَيْنَهُمَا وَالْمُنَاسَبَةِ لَهُمَا، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُعْتَرِضٍ عَلَى الدِّينِ، وَلَا قَادِحٍ فِي عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا بَعِيدٍ مِنْ حِكْمَةِ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ. فَلَا مَعْنَى لِإِنْكَارِهِ⁽¹⁾، فَإِنَّكَ لَا تَنْظُرُ إِلَى مَعْنَى فِي نَفْسِكَ إِلَّا وَلِلَّهِ فِيكَ⁽²⁾ دَلِيلٌ شَاهِدٌ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ.

وَإِنَّ الْعَبْدَ مِنَّا لَيُؤَلَّفُ كِتَابًا مُوعِبًا⁽³⁾ فِي عِلْمٍ، ثُمَّ يَخْتَصِرُهُ مِنْ طَرِيقٍ، ثُمَّ

(1) أ: لإِنْكَارِ.

(2) أ: فِيهِ.

(3) ب: مُوجِبًا، وَاسْتَدْرِكَ الْخَطَأَ فِي الْهَامِشِ.

.....

= «ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون» انظر قول الأشعري في مقالات الإسلاميين: 294 باب جملة أقوال أهل السنة.

(1) هم فرقة من الكفرة يقولون بِإِثْنَيْنِ الْإِلَهِ، إِلَهٌ لِلْخَيْرِ، وَإِلَهٌ لِلشَّرِّ، انظر التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون: 255.0241، 150/4 (ط/ تراثنا).

(2) هنا ينتهي نص قانون القاهرة 64/ب.

يُشِيرُ إِلَى نُكْتِهِ فِي آخِرِ^(١)، فَيَأْتِي عَمَلُهُ بَسِيطاً وَوَجِيزاً وَخُلَاصَةً، وَيَدُلُّ الْأَوَّلُ عَلَى الْآخِرِ، وَيَقْتَضِي الْقَلِيلُ الْكَثِيرَ.

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذَا تَأَمُّلاً مُحَقَّقاً، وَأَمَعَنْتَ النَّظَرَ، لَمْ يَبْعُدْ أَنْ يَخْلُقَ الْبَارِي - سُبْحَانَهُ - الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَهُوَ الْخَلْقُ الْأَعْظَمُ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمَا فِيهِنَّ وَبَيْنَهُنَّ، وَهُوَ الْخَلْقُ الْأَوْسَطُ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ آخِراً، وَخَاتِمَةً بَعْدَ تَمَامِ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا، وَهُوَ الْخَلْقُ الْأَصْغَرُ^(٢).

وَمِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ خَلَقَ الْعَالَمَ الْأَكْبَرَ كُلَّهُ لِلْعَالَمِ الْأَصْغَرِ نَعِيماً لِلطَّائِعِ وَعَذَاباً لِلْعَاصِي، وَلِذَلِكَ جَعَلَ الْعَالَمَ الْأَصْغَرَ فَرِيقَيْنِ، لَمَّا خَلَقَ الْعَالَمَ الْأَكْبَرَ دَارَيْنِ، وَبِهَذِهِ^(٣) الْمَعَانِي سُمِّيَ تَعَالَى الْخَالِقُ الْبَارِيءُ الْمُصَوِّرُ، فَإِنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمَوْجِدُ الْمُقَدِّرُ، وَالْبَارِيءُ هُوَ الْمَوْجِدُ الْمُصَوِّرُ، وَالْمُصَوِّرُ هُوَ^(٤) الْمُظْهِرُ لِتَرْكِيبِهَا وَصُورِهَا، وَالْخَالِقُ أَيْضاً هُوَ الْمُخْتَرِعُ، وَالْبَارِيءُ هُوَ الْمُصَوِّرُ عَلَى مِثَالٍ، وَالْمُصَوِّرُ هُوَ الْجَاعِلُ لَهُ عَلَى^(٥) هَيْئَاتٍ، وَلَيْسَ إِيْجَادُهُ لِمَا أَوْجَدَهُ عَلَى مِثَالٍ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْقَادِرُ الْمُرِيدُ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُوجِدَ ابْتِدَاءً أَوْجَدَ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُوجِدَ عَلَى مِثَالٍ أَوْجَدَ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ الْقُدْرَةُ الْوَاسِعَةُ، وَالْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ.

(١) ك، م: وجه آخر.

(٢) ك، م: بهذا.

(٣) ك، م: وهو.

(٤) على: ساقطة من: أ.

(١) قارن بالغزالي في ميزان العمل: 200 الذي يقول: «ومن رحمة الله على عباده أن جمع في شخص الإنسان على صغر حجمه من العجائب ما يكاد بوصفه يوازي عجائب كل العالم، حتى كأنه نسخة مختصرة من هيئة العالم، ليتوصل الإنسان بالتفكير فيها إلى العلم بالله».

قلت: وقارن كذلك كلام الإمامين الجليلين بما جاء في رسائل إخوان الصفاء: 462/2.

وَقَدْ خَلَقَ أَصُولَ الْعَالَمِ أَوَّلًا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، ثُمَّ رَتَّبَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ،
وَمِنْ جُمْلَةٍ ذَلِكَ تَرْتِيبُ آدَمَ عَلَى خَلْقِ حَوَاءَ مِنْهُ عَلَى مَا وَرَدَ بِهِ الْأَثَرُ الصَّحِيحُ فِي
قَوْلِهِ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، إِنْ ذَهَبْتَ أَنْ تُقِيمَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ
بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا عَلَى عَوَجٍ»^(١).

وَلِهَذَا مُنِعَ الْعَبْدُ مِنَ التَّصْوِيرِ لِئَلَّا يُضَاهِيَ خَلْقَ اللَّهِ^(٢)، وَأُذِنَ لَهُ^(١) فِي أَنْ
يُسَمِّيَ^(٢) الْخَالِقَ الْبَارِيَّ وَسَمَاءَهُ النَّبِيَّ ﷺ بِهِ، هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الثَّلَاثَةُ فِي حَقِّ^(٣)
الْبَارِيَّ - سُبْحَانَهُ - بِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ارْتِبَاطًا عَامًّا^(٤) عَلَى اخْتِلَافِ^(٥) مُتَعَلِّقَاتِهَا
كُلِّهَا، عُمُومًا وَخُصُوصًا، حَسَبَمَا رَتَّبْنَاهُ مُبَيَّنًّا فِي كِتَابِ «الْأَمَدِ الْأَقْصَى فِي الْأَسْمَاءِ
الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى وَالْأَفْعَالِ الْعُدْلَى» فَلْيَنْظُرْ^(٣) فَفِيهِ الْعَجَبُ الْعَجَابُ، مِنْ
لُبَابِ الْأَلْبَابِ، وَمِنْهُ يَنْفَتَحُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ فِي ذَلِكَ كُلِّ بَابٍ.

(١) ك، م: لهما.

(٢) ك، م: يسمى.

(٣) أ، ب: خلق.

(٤) ك، م: عاكفا.

(٥) اختلاف: ساقطة من: ك، أ، م.

.....

(1) نحوه في البخاري كتاب النكاح: 33/7، ومسلم في الرضاع: 109/2 والذاري في النكاح: 148/2.

(2) فَصَّلَ الْمُؤَلَّفُ فِي الْأَمَدِ: 115/أ، ب ما أَجْمَلَهُ هُنَا فَقَالَ: «وَوَرَدَتْ الرُّخْصَةُ فِي كُلِّ مَا لَا رُوحَ فِيهِ مِنْ
نَبَاتٍ أَوْ جِمَادٍ، وَوَقَفَ النَّهْيُ عَلَى مَا فِيهِ الرُّوحُ لِحِكْمَةِ بَدِيعَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ سِوَى الْآدَمِيِّ
فَإِنَّمَا لَهُ صُورَةٌ ظَاهِرَةٌ لَا بَاطِنَ لَهَا، وَالْآدَمِيُّ خُلِقَ خَلْقًا بَدِيعًا بِأَن جَعَلَتْ لَهُ صُورَةً ظَاهِرَةً وَهِيَ الْخَلْقُ،
وَصُورَةٌ بَاطِنَةٌ وَهِيَ الْخُلُقُ، وَمَدَارُ الْأَمْرِ فِيهِ عَلَى الصِّفَةِ الْبَاطِنَةِ... فَإِذَا تَعَاطَى الْعَبْدُ تَصْوِيرَ مَا لَا
بَاطِنَ لَهُ مُكِّنَ مِنْ ذَلِكَ رُخْصَةً، وَإِذَا تَعَاطَى تَصْوِيرَ مَا لَهُ صُورَةٌ بَاطِنَةٌ مُنِعَ مِنْ ذَلِكَ لثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:
الْأَوَّلُ: ارْتِبَاطُ الصُّورَةِ الْبَاطِنَةِ بِالظَّاهِرَةِ. وَالثَّانِي: كَوْنُهَا طَرِيقًا إِلَى الْمَعْجَزَةِ الظَّاهِرَةِ عَلَى يَدِ
عِيسَى... الثَّالِثُ: كَوْنُهَا حِمَى لِلصُّورَةِ الْبَاطِنَةِ الْمَعْجُوزِ عَنْهَا، وَحَكْمُ الْحِمَى حَكْمُ الْمَحْمِيِّ فِي
الْإِمْتِنَاعِ مِنْهُ».

(3) الْأَمَدُ: مِنْ 107/أ - 112/أ.

وَهَذَا تَحْقِيقٌ عَظِيمٌ، فِيهِ كَلَامٌ طَوِيلٌ، تَنْفَجِرُ مِنْهُ يَنَابِيعُ مَعَارِفَ لَا تُحْصَرُ^(١)،
هَذَا قَانُونٌ فِيهَا.

وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْعَالَمَ الْأَصْغَرَ إِذَا انْتَهَى إِلَى الْعَالَمِ الْأَكْبَرِ تَمَنَّى أَخِيرًا^(٢) أَنْ
يَرَى مِنْهُ^(٣) مَا رَأَى فِي الْأُولَى، فَرَوَى أَنَّهُ يَتَمَنَّى فِي الْجَنَّةِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ^(١) وَإِبِلٌ،
وَفَرَسٌ^(٢)، وَسَوْقٌ^(٣)، وَزَّرْعٌ^(٤)، وَقِيلَ^(٤) لَهُمْ: قُولُوا مَا تُرِيدُونَ فَإِنَّهُ كَائِنٌ، وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ، وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ مِمَّا لَا تَعْلَمُونَ.

(١) ك، م: تنحصر.

(٢) ك، م: أخرى.

(٣) ك: فيه.

(٤) ك، م: وقد قيل.

(١) روى ابن ماجه في أبواب الزهد رقم: 4394 (ط: الأعظمي) عن أبي سعيد الخُدري قال: «قال رسول الله ﷺ: المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه يتم في ساعة واحدة كما يشتهي» ورواه الترمذي في صفة الجنة رقم: 2566، ونحوه في صحيح ابن حبان (موارد الظمان للهيتمي: 655)، وقال ابن قيم الجوزية في الحكم على إسناد هذا الحديث بأنه على شرط الصحيح: حادي الأرواح: 167.

(2) أخرج الترمذي في صفة الجنة رقم: 2546 عن بُرَيْدَةَ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ هَلْ فِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ؟ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ فَلَا تَشَاءُ أَنْ تَحْمَلَ فِيهَا عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حُمْرَاءٍ تَطِيرُ بِكَ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ. . . وَقَالَ آخَرُ هَلْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ إِبِلٍ؟ فَلَمْ يَقُلْ لَهُ مَا قَالَ لِصَاحِبِهِ، فَقَالَ: إِنْ يَدْخُلَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، يَكُنْ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذْتَ عَيْنُكَ»، انظر مناقشة ابن قيم الجوزية لسند هذا الحديث في حادي الأرواح: 177.

(3) أخرج ابن ماجه في أبواب الزهد رقم 4392 (ط: الأعظمي) عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة، فقال أبو هريرة: أسأل أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، فقال سعيد: أو فيها سوق؟ قال: نعم أخبرني رسول الله ﷺ قال: إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم. . . الحديث، ورواه الترمذي في صفة الجنة رقم: 2552، وقال: هذا حديث غريب، وذكره الحافظ ابن كثير في كتابه «الفتن والملاحم»: 360/2-361، وابن قيم الجوزية في حادي الأرواح: 182.

(4) أخرج البخاري في التوحيد: 206/8 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ: أَوَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ. . . الحديث. ورواه أحمد في مسنده: 511/2 - 512، قال ابن قيم الجوزية: «ولا أعلم ذكر الزرع في الجنة إلا في هذا الحديث والله أعلم». حادي الأرواح: 121.

ذِكْرُ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ

قَدْ سَرَدْنَا مِنْ (١) مَعْرِفَةِ الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ - فِي مَعْرِفَةِ النَّفْسِ أَنْمُودَجًا يَتَبَيَّنُ بِهِ الْمَطْلُوبُ، وَيُظْهِرُ مِنْهُ وَجْهَ الدَّلِيلِ، وَيُحْكَمُ بِهِ لِمَنْ قَالَ «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ بِالْعِلْمِ» (١).

وَإِذَا أَضَاءَ لَكَ الْفَجْرُ عَلَى الطَّرِيقِ فَاسْلُكْهُ، حَتَّى تَطْلُعَ لَكَ الشَّمْسُ فَيَرْتَفِعَ اللَّبْسُ، وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ قَوْلًا مُتَفَرِّقًا نَظَمْنَا مِنْ كَلَامِهِمْ فَائِدَةً مَجْمُوعَةً:

إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - خَلَقَ (٢) الْعَبْدَ جِسْمًا (٣) مَوَاتًا، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِذَا بِهِ قَدْ صَارَ حَيًّا، عَالِمًا، قَادِرًا، سَمِيعًا، بَصِيرًا، مُتَكَلِّمًا، حَكِيمًا، مُدَبِّرًا. فَإِذَا رَدَّ الْعَبْدُ نَظْرَهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَرَأَاهَا عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ، مُتِمِّكِنًا فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ بِاقْتِرَانِ مَعْنَى مَوْجُودٍ (٤) بِالذَّاتِ سَمَاءُ اللَّهِ رُوحًا تَارَةً، وَسَمَاءُ نَفْسًا أُخْرَى، وَلَمْ (٥) يَقْدِرِ الْعَبْدُ

(١) من: ساقطة من: ك، م.

(٢) ب: الخلق.

(٣) ب: جنينًا.

(٤) ك، م: موجوداً.

(٥) ك، م: فلم.

.....

(١) أغلب المتكلمين ينسبون هذا القول - مع اختلاف في الألفاظ - إلى رسول الله ﷺ (انظر على سبيل المثال الجويني في العقيدة النظامية: 15)، والحق أن إسناده إلى رسول الله ﷺ باطل، وقد سئل عنه =

عَلَى إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي اقْتَضَى اقْتِرَانَهُ بِالذَّاتِ وَجُودَ هَذِهِ الصِّفَاتِ ،
كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَفْعَالِهِ ، وَإِنْ لَمْ تُدْرَكْ
مَاهِيَّةُ ذَاتِهِ ، وَلَا يَقْدَرُ عَاقِلٌ ^(١) أَنْ يُنْكِرَ وَجُودَ الرُّوحِ مِنْ نَفْسِهِ لَوْجُودِ أَفْعَالِهِ ، وَإِنْ
كَانَ لَمْ يُدْرَكْ حَقِيقَتُهُ ، كَذَلِكَ لَا يَقْدَرُ أَنْ يُنْكِرَ وَجُودَ الْبَارِيءِ سُبْحَانَهُ الَّذِي دَلَّتْ
أَفْعَالُهُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ لَمْ يُدْرَكْ حَقِيقَتُهُ .

(١) ك ، م : العاقل .

= الإمام النووي في فتاويه فقال: «إنه ليس بثابت» (فتاوى النووي لابن العطار: 274، ط: حلب)،
وقال ابن تيمية: «موضوع»، وذكر ابن السمعاني أنه من كلام يحيى بن معاذ. انظر: الصاغانى:
الموضوعات: 4 (ط: البارونية مصر) السخاوي: المقاصد الحسنة: 419، ابن الديبع: تمييز الطيب
من الخبيث: 17، ابن عراق: تنزيه الشريعة: 402/2، ملا علي القاري: الأسرار المرفوعة: 351،
والمصنوع: 189، القاوجي: اللؤلؤ المرصوع فيما قيل لا أصل له أو بأصله موضوع: 89
(ط: البارونية مصر)، العجلوني: كشف الخفاء: 262/2، السيوطي: «القول الأشبه في حديث من
عرف نفسه فقد عرف ربه» ضمن الحاوي للفتاوى: 238/2 - 239.

ذِكْرُ الْمَرْأَةِ

قَالُوا: وَكَذَلِكَ خَلَقَ اللَّهُ الْمَرْأَةَ يَتَشَكَّلُ فِيهَا لِصَفَائِهَا مَا قَابَلَهَا، فَيَرَى الْعَبْدُ نَفْسَهُ فِيهَا، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ رَأَيْتُ شَخْصِي فِي الْمَرْأَةِ، وَلَا مِثَالِي، لِأَنَّ الْمَرْأَةَ قَشْرَةٌ^(١) رَقِيقَةٌ^(٢) لَا تَحْمِلُ طُولَ الصُّورَةِ وَلَا عَرْضَهَا، وَلَا تَتَّسِعُ لِاقْبَالِهَا إِذَا أَقْبَلَتْ عَلَى الْمَرْأَةِ، وَلَا تَتَّسِعُ أَيْضاً لِإِدْبَارِهَا إِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهَا. فَثَبَّتَ أَنَّ الَّذِي يُرَى فِي الْمَرْأَةِ نَفْسُهُ^(٣) بِوَاسِطَةِ مُقَابَلَةِ الْمَرْأَةِ لَهُ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ فِي جِهَةٍ^(٤)، وَقَدْ أَطْنَبْنَا الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ فِي كِتَابِ «الْمُقْسِطِ» وَغَيْرِهِ^(٢). وَبِذَلِكَ يُعْلَمُ^(٤)

(١) ك: قشر.

(٢) رقيقة: ساقطة من: أ، ومثبتة في الهامش.

(٣) ك، م: يرى نفسه في المرأة.

(٤) ك، م: ولذلك تعلم.

(١) لعله يريد أن الشيء الواحد لا يُنسب إلى نفسه، ويعقد بينه وبين نفسه نسبة، فيقال هو أصغر من نفسه أو أكبر من نفسه، أو على يمين نفسه أو على يسار نفسه.

وعليه يستحيل أن يكون ما في المرأة هو نفس الإنسان لأنه منه في جهة، فيكون أمامه، ويكون خلفه، ويكون أصغر منه ويكون أكبر منه وهكذا...

(٢) قال المؤلف في كتابه «المسالك في شرح موطأ مالك»: 740 - 741 (مخطوط: القاهرة: 218275 ب) «... فقد خلق الله المرأة دليلاً على غيب القدرة، فانظر ترى فيها نفسك، وترى فيها ما وراءك، وليس الذي تراه في المرأة مثلاً، بل هو نفس المرء بعينه، والدليل على ذلك أن المرأة تكون في غلظ قشرة البيضة، ثم تقابل فتدنو من المرأة، فترى الدنو فيها، وتبتعد منها فتري البعد فيها، ومحال أن يكون ذلك الدنو والبعد الكثير في غلظ قشرة البيض، فدل على أن الذي يدرك إنما هو حقيقة المرئي.

بِوَاسِطَتِهَا وَتَجَلَّى الصُّورِ فِيهَا تَجَلَّى الْحَقَائِقُ لِلنَّفْسِ بِمَا تُلْقِي إِلَيْهَا الْحَوَاسُّ مِنْ
 الْمَعَانِي، وَهِيَ تَطْلُعُ عَلَيْهَا مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ النَّفْسُ بِهَا، وَلَا يَتَفَتَّنُ الْعَبْدُ لَوَجْهِهَا،
 وَقَدْ يَشْعُرُ إِذَا كَانَ مُقْبِلًا عَلَى الْحَقَائِقِ وَطَرِيقِ^(١) تَحْصِيلِهَا، وَعَلَى النَّظَرِ فِي
 الْأَدِلَّةِ^(٢) وَتَفَاصِيلِهَا، وَلَمْ تَشْغَلْهُ الْعَوَائِقُ، وَلَا صَرْفَتُهُ الْخَوَاطِرُ، وَلَا شَغَبَتُ عَلَيْهِ
 الْأَطْمَاعُ، وَلَا جَذَبَتْهُ عَلَائِقُ الْأَمَالِ^(١).

(١) الواو: ساقطة من ك.

(٢) ك، م: الدلالة.

(١) قارن بالغزالي في مقاصد الفلاسفة: 376 - 377.

ذِكْرُ حَقِيقَةِ النَّوْمِ وَحِكْمَتِهِ

وَكَذَلِكَ خَلَقَ اللَّهُ لِلْعَبْدِ النَّوْمَ، لِيَعْلَمَ بِهِ كَيْفِيَّةَ الْإِنْتِقَالِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَصِفَةَ الْخُرُوجِ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ، فَإِنَّهُ مَوْتُ أَصْغَرُ، وَقَدْ يُقَالُ بِنَظَرٍ آخَرَ إِنَّهُ يَقْطَعُ صُغْرَى، فَإِنْ نَظَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ عَدَمُ الْحَرَكَةِ وَالْحِسِّ وَالتَّصَرُّفِ بِالْأَفْعَالِ مَعَهُ، قُلْنَا: هُوَ مَوْتُ^(١) لِعَدَمِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِهِ^(١)، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ (الزمر: 39) وقال النَّبِيُّ ﷺ: «أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ»^(٢).

وَإِنْ نَظَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ انْقِطَاعٌ عَنْ عَالَمِ التَّصَرُّفِ^(٣) الْأَدْنَى مَعَ الْأَدَمِيِّينَ^(٣)، وَالْإِكْبَابُ عَلَى الدُّنْيَا وَمَعَانِيهَا، وَإِنَّهُ إِقْبَالٌ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ،

(١) كله به: ساقطة من: ك، م.

(٢) ك، م: التصريف.

(٣) أ: الأدمي، ب: مطموسة.

(1) انظر القول في الموت: «المتوسط في الاعتقاد» للمؤلف: 120 - 121.

(2) هو عند مسلم في المساجد رقم: 680 من حديث ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ قُفِلَ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، سَارَ لَيْلَهُ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْكَرَى (النَّعَاسُ) عَرَسَ (نَزَلَ) لِلْإِسْتِرَاحَةِ وَالنَّوْمِ قَالَ لَيْلَالٍ: أَكَلْنَا لَنَا اللَّيْلَ، فَلَمَّا تَقَارَبَ الْفَجْرُ اسْتَنَدَ بِلَالٍ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَعَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى ضَرَبَتْهُمُ الشَّمْسُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَهُمْ اسْتَيْقَظًا، =

وَتَفْرِغُ الْقَلْبَ لِذَرَاكِ الْحَقَائِقِ بِطَرِيقِ الْأَمْثَالِ ، وَاطَّلَاعٍ عَلَى مَا يَكُونُ غَدًا^(١) ، رَأَيْنَا أَنَّهُ حَيَاةٌ صَحِيحَةٌ ، وَيَقْظَةٌ مُتَحَقِّقَةٌ ، بَدَلًا عَنْ مَوْتٍ مُفْقِدٍ^(٢) ، وَنَوْمٍ مُفْسِدٍ .

وَقَدْ يَرَى نَفْسُهُ فِي الرُّؤْيَا كَبِيرًا وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَصَغِيرًا وَهُوَ كَبِيرٌ ، وَطَائِرًا وَهُوَ يَمْشِي ، وَبَهِيمَةً وَهُوَ آدَمِيٌّ ، وَقَرِيبًا وَهُوَ بَعِيدٌ ، وَبَعِيدًا وَهُوَ قَرِيبٌ ، وَمَذْرَكًا لِمَا لَا^(٣) يَنَالُهُ فِي يَقْظَتِهِ بِحَالٍ ، فَلَا يَسْتَكْبِرُ أَنَّ يَكُونَ لَهُ حَالَةٌ وَجُودٍ أُخْرَى ، يَوْجَدُ ذَلِكَ كُلُّهُ فِيهَا وَهِيَ الْجَنَّةُ ، فَيَرْتَقِي^(٤) فِيهَا إِلَى دَرَجَةٍ عَظِيمَةٍ بِتَسْخِيرِ^(٥) الْبَارِيءِ - سُبْحَانَهُ - لَهُ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ فَيَقُولُ لِلشَّيْءِ^(٦) : كُنْ كَذَا ، فَيَكُونُ كَمَا قَالَ وَأَرَادَ^(٧) .

وَقَدْ يَرَى ذَلِكَ فِي مَنَامِهِ مُتَفَرِّقًا وَمُجْتَمِعًا ، وَكَذَلِكَ لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٨) - تَارَةً كَبِيرًا حَتَّى يَمْلَأَ بِجِسْمِهِ^(٩) الْآفَاقَ^(١٠) ، وَتَارَةً صَغِيرًا حَتَّى

(١) ب : مقيد .

(٢) لا : ساقطة من : أ ، ك ، م .

(٣) أ ، ب : يرتقي .

(٤) ك ، م : فسخر .

(٥) ك ، م : لشيء .

(٦) ك ، م : وكما أراد .

(٧) ب ، ك ، م : شاء .

(٨) أ ، ب : جرمه .

= فَقَالَ : أَيُّ بِلَالٍ ؟ فَقَالَ بِلَالٌ «أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ» . . . الحديث . وانظر هذا الحديث في الموطأ كتاب وقوت الصلاة : 13/1 - 14 ، أبي داود في الصلاة رقم : 436 ، الترمذي في التفسير رقم : 3162 .

(1) نلاحظ أن المؤلف رحمه الله قد تأثر تأثراً بالغاً بشيخه الغزالي الذي قال في معرض كلامه عن النبوة : «وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه أن أعطاهم أنموذجاً من خاصية النبوة وهو النوم ، إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب إما صريحاً وإما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير المنقذ من الضلال : 146 وقارن كلام الغزالي بما جاء في الإشارات والتنبيهات لابن سينا : 119/4 .

(2) إشارة إلى الحديث الذي رواه البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه أنه ﷺ لما فتر عنه الوحي كان يجاور بحراء فلما هبط سمع صوتاً فرفع رأسه فإذا الملك الذي جاءه بحراء قاعد على كرسي بين =

يَكُونُ عَلَى قَدْرِ دِحْيَةٍ⁽¹⁾⁽¹⁾، وَيَأْتِي مَرَّةً فِي صِفَةِ طَائِرٍ⁽²⁾، وَأُخْرَى فِي هَيْئَةٍ⁽³⁾ آدَمِيٍّ⁽³⁾، وَرُبَّمَا ظَنَّ جَاهِلٌ⁽⁴⁾ أَنَّ حَالَةَ النَّوْمِ⁽⁵⁾ حَالَةٌ تَخِيلٍ⁽³⁾، وَهَذَا جَهْلٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ بَيَّنَّا الْكَلَامَ عَلَيْهِ فِي كُتُبِنَا وَخَاصَّةً فِي رِسَالَةِ «مَحَاسِنُ الْإِحْسَانِ فِي جَوَابَاتِ أَهْلِ تِلْمِسَانَ»⁽⁶⁾، وَالْمُشَاهَدَةُ تَدْفَعُ قَوْلَهُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ يَرَى الرُّؤْيَا نَائِمًا، وَيَرَى

(١) أ: درجته.

(٢) ك، م: صفة.

(٣) ك، م: حال تخيل.

= السماء والأرض قد سَدَّ الأفق بأجنحته... الحديث، البخاري في بدء الخلق: 26/1، 27 ومسلم في الإيمان رقم: 161.

(1) هو الصحابي الجليل دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ الْقُضَاعِي، وَرَسُولُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هِرْقَلٍ عَظِيمِ الرُّومِ، رَوَى قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ اللَّيْلِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ:

«يَأْتِينِي جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ دِحْيَةٍ، وَكَانَ دِحْيَةً جَمِيلًا» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (الهِشْمِيُّ: مَجْمَعُ الزَّوَادِ: 378/9) وَأُورِدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ: 191/3 عَنِ النَّسَائِيِّ وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ. وَلِلتَّوَسُّعِ فِي تَرْجُمَتِهِ انْظُرْ: ابْنُ سَعْدٍ: الطَّبَقَاتُ: 249/4، خَلِيفَةُ ابْنِ خِيَاطٍ: التَّارِيخُ: 79، ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: الْجَرَحُ وَالتَّعْدِيلُ: 439/3.

(2) لَمْ أَهْتَدِ إِلَى الْحَدِيثِ الَّذِي يُشِيرُ إِلَى هَذِهِ الصِّفَةِ.

(3) إِشَارَةٌ إِلَى الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الْإِيمَانُ؟... الْحَدِيثُ» الْبُخَارِيُّ فِي الْإِيمَانِ 20/1.

(4) الظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْمُؤَلِّفَ يَقْصِدُ بِهَذَا الْكَلَامِ الْعَنِيفِ شَيْخَهُ الْغَزَالِيَّ الَّذِي قَالَ فِي كِتَابِهِ «إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ»: 2938 (ط: الشَّعْب) مَا نَصَّهُ: «... إِلَّا أَنَّ النَّوْمَ مَانِعٌ سَائِرِ الْحَوَاسِّ عَنِ الْعَمَلِ، وَلَيْسَ مَانِعًا لِلْخِيَالِ عَنِ عَمَلِهِ وَعَنِ تَحْرُكِهِ، فَمَا يَقَعُ فِي الْقَلْبِ يَتَنَدَّرُ الْخِيَالُ فِي الْحِفْظِ، فَإِذَا انْتَبَهَ لَمْ يَتَذَكَّرْ إِلَّا الْخِيَالُ، فَيَحْتَاجُ الْمَعْبَرُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى هَذَا الْخِيَالِ حِكَايَةً أَيْ مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَا، فَيَرْجِعُ إِلَى الْمَعْنَا بِالنَّاسِبَةِ الَّتِي بَيْنَ الْمُتَخِيلِ وَالْمَعْنَا...».

(5) عَرَفَ الشَّرِيفُ الْجَرَجَانِيُّ النَّوْمَ فَقَالَ: «هُوَ حَالَةٌ طَبِيعِيَّةٌ تَتَعَطَّلُ مَعَهَا الْقُوَى بِسَبَبِ تَرْقِيِ الْبَخَارَاتِ إِلَى الدِّمَاغِ». التَّعْرِيفَاتُ: 129، وَانْظُرِ الْكَلِمَاتُ لِأَبِي الْبَقَاءِ: 368/4، كَشَافُ الْأَصْطِلَاحَاتِ: 1430 (ط: خِيَاط).

(6) أَحَالَ الْمُؤَلِّفُ فِي الْعَارِضَةِ: 123/3، عَلَى نَفْسِ الْكِتَابِ وَالَّذِي اعْتَبَرَهُ جُزْءًا مِنْ كِتَابِ: «الْعَوَاضُ الْمَحْمُود».

وَتَكَلَّمَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْقَبَسِ عَنِ الرُّؤْيَا فَقَالَ: «... خَلَقَ اللَّهُ الْعَبْدَ حَيًّا ذَرَأًا مُفَكِّرًا قَادِرًا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَّهَ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، ثُمَّ سَلَّطَ عَلَيْهِ السُّهُوَ وَالْغَفْلَةَ، لِيَتَبَيَّنَ قُصُورُ هَذِهِ

تَفْسِيرَهَا يَقْطَعُ، وَهَذَا مِمَّا يُدْرِكُهُ التَّقِيُّ^(١)، وَيَتَأْتِي مِنَ الْكَافِرِ كَمَا يَتَأْتِي مِنَ الْمُؤْمِنِ.

وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّا كُنَّا نَحَاصِرُ بَلَدًا مِنْ بِلَادِ الرُّومِ، وَكَانَ مَعَنَا ذِمِّيٌّ مُعَاهِدٌ حَظَرَ فِي غِمَارِ الْعَسْكَرِيَّةِ بِذِمَّةٍ^(٢) سَبَقَتْ لَهُ، فَقَاتَلْنَا ذَلِكَ الْبَلَدَ حَتَّى كِدْنَا نَيَّأُسُ مِنْهُ، فَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةَ يَوْمٍ جَاءَنِي فَتَكَلَّمْنَا فِي هَذَا الْغَرَضِ، فَقَالَ لِي: أَظُنُّ^(٣) الْبَلَدَ مَأْخُوذًا، فَإِنِّي كُنْتُ^(٤) أَرَى الْبَارِحَةَ حَيَّةً كَبِيرَةً تَلْسَعُ النَّاسَ فَكُنْتُ أَخْذُهَا^(٥) وَأَفْتَحُ بَطْنَهَا فَيَخْرُجُ مِنْهُ^(٦) أَوْلَادٌ صِغَارٌ فَأَرْمِي بِهِمْ فِي كِطَامَةٍ^(٧)؟.

فَقُلْتُ لِتَرْجُمَانٍ^(٨) بَيْنِي وَبَيْنَهُ: رُؤْيَا صَحِيحَةٌ، وَسَأَنْظُرُ.

فَقَالَ الْكَافِرُ: قَدْ فَسَّرْتُهَا: الْحَيَّةُ الَّتِي تَلْسَعُ النَّاسَ هَذِهِ الْبَلَدَةُ، وَهِيَ

(١) أ: الغبي.

(٢) ك، م: بذمة.

(٣) ب: من أظن.

(٤) كنت: ساقطة من: ك، م.

(٥) ب: مرفقاً.

(٦) ك، م: ويخرج منها.

(٧) ب: نظامه.

(٨) أ، ك، م: للترجمان.

= الفضائل التي فيه حتى لا يقول: أنا، أنا، وَسَلَّطَ عَلَيْهِ النوم وهذه آفة تدرك الحواس، وركود يقوم بالجوارح لا يلحق القلب ولا الروح ولا النفس منها شيء، ولذلك فإن الرؤيا إدراك حقيقة وعلم صحيح، والمرء في يقظته ومنامه لا ينفك عن حاله التي هو عليها، إن كان في اليقظة في تخليط وتلاعب مع البطالين، انتقل إلى مثل ذلك في المنام، وإن كان في يقظته في العلم والتحقيق، انتقل إلى مثل ذلك في المنام ولفظه (كذا) ملك الرؤيا إلى نفسه وألقى إليه مثل ما كان فيه من التحقيق، لكن الرؤيا أقرب حقاً، لأنها أقرب إلى الله تعالى ولأنها تأتي بواسطة الملك، وليس عنده إلا الحق، فلذلك كانت جزءاً من النبوة، لأن الملك يلقيها إلى العبد، ولأجل ذلك كانت بشرى لأنها خبر من الملك عن الله تعالى... «القبس شرح موطأ مالك بن أنس: 8 (مخطوط الرباط: 25 ج).

مَأْخُودَةٌ^(١)، وَسَيَّرَمِي بِأَهْلِهَا فَيَخْرُجُونَ إِلَى بِلَادِهِمْ، فَإِنَّهَا مَزَابِلُ عِنْدَكُمْ، وَالرُّؤْيَا لَكُمْ لَيْسَ لَنَا فِيهَا حَظٌّ.

فَعَجِبْتُ مِنْ صِدْقِ رُؤْيَاهُ، وَتَفْسِيرِهِ لِمَا^(٢) رَأَاهُ، وَكَذَلِكَ كَانَ، فَتَحَنَّاها^(٣) بَعْدَ يَوْمَيْنِ، وَمَنْ الْأَمِيرُ عَلَى مَنْ كَانَ بِهَا^(٤) فَخَرَجُوا إِلَى بِلَادِهِمْ.

وَقَدْ اتَّفَقَتِ الْعُقَلَاءُ^(٥) فِي^(٦) كُلِّ مِلَّةٍ عَلَيْهَا، وَقَامَ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ^(٧) عَقْلًا وَشَرْعًا عَلَى صِحَّتِهَا، وَقَدْ اسْتَدَلَّ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا، وَأَخْبَرَ عَنْهَا، تَارَةً يَقُولُ: رَأَيْتُ رَبِّي، وَأُخْرَى: رَأَيْتُ نَفْسِي، وَثَلَاثَةً: رَأَيْتُ أَصْحَابِي، وَرَابِعَةً: رَأَيْتُ أُمَّتِي، وَخَامِسَةً: رَأَيْتُ الدُّنْيَا، وَسَادِسَةً: رَأَيْتُ الدَّارَ الْأُخْرَى^(٨)، وَقَالَ مَا لَا يُحْصَى: رَأَيْتُ مِنَ الْأَحْوَالِ كَذَا...

فَقَدْ ثَبَتَ وَالْحَالَةُ هَذِهِ صِحَّةُ ذَلِكَ، وَهَذَا قَانُونٌ مِنَ التَّأْوِيلِ عَلَى جِهَةِ التَّمَثِيلِ، وَعِلْمُ خَفِيِّ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى صِحَّةِ الْحَقَائِقِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَوُجُودِ الْبَارِيءِ - تَعَالَى - وَمَا هُوَ عَلَيْهِ^(٩) مِنَ الصِّفَاتِ.

(١) ك، م: مؤخدة.

(٢) أ: بما.

(٣) ب: فتحنا.

(٤) ك، م: فيها.

(٥) ك، م: اتفق العلماء.

(٦) أ: من.

(٧) القاطع: ساقط من: ك، م.

(٨) ب: الآخرة.

(٩) ك، م: وهو عليه.

ذِكْرُ مَعْرِفَةِ (١) حَقِيقَةِ الْمَثَلِ (١)

وَهُوَ بَابٌ مِنَ التَّأْوِيلِ عَظِيمٌ، وَقَانُونٌ إِلَى الْمَعْرِفَةِ مُسْتَقِيمٌ.

إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَلَهُ الْحَمْدُ - لَوْ شَاءَ لَتَجَلَّى لِعِبَادِهِ حَتَّى يَعْلَمُوا حَقِيقَةَ ذَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ احْتَجَبَ عَنْهُمْ بِعَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ، وَعَرَفَهُمْ نَفْسُهُ بِالْأَدِلَّةِ، وَلَوْ شَاءَ أَيْضاً لَجَعَلَ الْأَدِلَّةَ وَاحِدًا، حَتَّى يَصِلَ الْخَلْقُ إِلَى الْعِلْمِ بِهِ مِنْ طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ (٢)، وَلَكِنَّهُ بِحِكْمَتِهِ (٣) نَصَبَهَا جَلِيَّةً وَخَفِيَّةً حَتَّى يَرْفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ، وَيُسْفَلَ الْمُعْرِضِينَ (٤) وَأَهْلَ الْجَهْلِ دَرَكَاتٍ، لِيَأْخُذَ فَرِيقًا حُكْمُ الْهُدَى وَالنَّجَاةِ، وَآخَرَ قَضَاءِ (٥) الضَّلَالِ وَالْهَلَكَةِ، لِيَحِقَّ الْكَلِمَةُ، وَتَمْتَلِئَ (٦) جَهَنَّمُ وَالْجَنَّةُ.

(١) معرفة: ساقطة من: ك، م.

(٢) أ: واحد.

(٣) ك، م: لحكمته.

(٤) أ: المعترضين.

(٥) ك، م: قساء.

(٦) ك، م: وتملأ.

(١) انظر في حقيقة المثل في القرآن عند الزركشي في البرهان: 488/1، وابن قيم الجوزية في كتاب «أمثال القرآن» (ط: د. ناصر الرشيد)، والسيوطي في معترك الأقران: 165/1، والإتقان: 44/4، والتجوير في علوم التفسير: 314 (ط: الرياض).

فَمِنْ خَفِيٍّ أَدْلَتْهُ ضَرْبُ الْأَمْثَالِ ، وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (الشورى: 9).

وَالْمِثْلُ وَالْمَثَلُ^(١) بِكَسْرِ الْمِيمِ وَإِسْكَانِ التَّاءِ وَفَتْحِهِمَا^(٢) عِنْدَ قَوْمٍ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، كَقَوْلِهِمْ: شَبَّهَ وَشَبَّهَ ، وَعِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ^(٣): الْمِثْلُ^(٤) بِكَسْرِ الْفَاءِ وَإِسْكَانِ الْعَيْنِ ، عِبَارَةٌ عَنْ شَبَّهِ الْمَحْسُوسِ ، وَبِفَتْحِهِمَا^(٥) عِبَارَةٌ عَنْ شَبَّهِ الْمَعَانِي الْمَعْقُولَةِ^(٦) ، فَإِلَّا نَسَانُ مُخَالَفَ لِلْأَسَدِ فِي صُورَتِهِ ، مُشَبَّهٌ لَهُ فِي جُرْأَتِهِ بِجِدَّتِهِ ، فَيَقَالُ لِلشُّجَاعِ^(٧): أَسَدٌ ، أَيْ يُشَبَّهُ الْأَسَدُ فِي الْجُرْأَةِ ، وَكَذَلِكَ يُخَالَفُ الْإِنْسَانُ الْغَيْثَ فِي صُورَتِهِ ، وَالْكَرِيمُ^(٨) مِنَ الْإِنْسَانِ يُشَابَهُهُ^(٩) فِي عُمُومِ مَنْفَعَتِهِ^(١٠) . وَأَنْتُمْ عَارِفُونَ بِشَبَّهِ^(١١) الْمَعَانِي ، فَلَا مَعْنَى لِلْإِطْنَابِ مَعَكُمْ فِيهِ ، وَإِذَا عَرَفْتُمْ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ ، فَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ الْأَمْثَالَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ^(١٢) مِنْ كِتَابِهِ فِي مَعَانِي تَوْحِيدِهِ وَرَبَّانِيَّتِهِ فَقَالَ^(١٣) : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - مِثْلُ نُورِهِ - إِلَى قَوْلِهِ : تَمْسَسُهُ نَارٌ ﴾ (النور: 35).

(١) المثل: ساقطة من: ك، م.

(٢) أ، ك، م: بكسر الميم وإسكان التاء وفتحها.

(٣) أ، ب: إن المثل.

(٤) أ، ك، م: وفتحها.

(٥) ك، م: المعقولات.

(٦) أ، ب: الشجاع.

(٧) ك، م: الكرم.

(٨) ك، م: يشابه.

(٩) ك، م: لنسبة.

(١٠) كثيرة: ساقطة من: أ، ب.

(١١) ك، م: فقد قال.

(1) النص التالي - إلى قوله... عموم منفعته، نقله الزركشي في البرهان: 490/1.

(2) انظر: ابن سيده: المخصص: 153/12، ابن فارس: مقاييس اللغة 296/5.

(*) وللتوسع في معرفة آراء المؤلف في هذا الموضوع، انظر: قانون الأسكريال 32/ب، والعارضة:

295/15 (حيث أحال على قانون التأويل)، والعواصم: 365.

ذَكَرُ قَانُونٍ مِنَ التَّأْوِيلِ فِي آيَةِ مُعِينَةٍ

وَهَذِهِ آيَةٌ مِنَ التَّوْحِيدِ كَرِيمَةٍ، وَعَلَى مَرْتَبَةٍ فِي الْعِلْمِ عَظِيمَةٍ، ضَرَبَهَا اللَّهُ مَثَلًا لِلْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، كَمَا ضَرَبَ لِلْجَهْلِ وَالْكَفْرِ مَثَلًا مَا بَعْدَهَا فِي قَوْلِهِ (١):
﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ - إِلَى قَوْلِهِ - فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (النور: 39).

قَالَ عَلَمَاؤُنَا: أَرَادَ اللَّهُ مُنَوِّرَ السَّمَوَاتِ بِمَا (٢) خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْأَنْوَارِ الْمَحْسُوسَةِ كَالْكَوَاكِبِ (٣)، وَمُنَوِّرَ الْقُلُوبِ بِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْهُدَى، وَلِذَلِكَ قَالُوا: نُورٌ بِمَعْنَى: هَادِي (١) التَّفَاتًا إِلَى هَذَا الْمَعْنَى (٢).

(١) ك، م: بقوله.

(٢) ك، م: فما.

(٣) ك، م: كالكوكب.

(1) من القائلين بهذا المعنى القشيري في الإشارات: 283/4، ولا يخفى ما فيه من الباطل.

(2) قال ابن العربي في الأمد الأقصى: 91/أ - ب:

«... اعلّموا أرشدكم الله أن الناس بعد معرفتهم بالنور اختلفوا في وصفه تعالى بأنه نور على

سبعة أقوال:

الأول: أن معناه هادي، قاله ابن عباس.

الثاني: أن معناه، منور قاله ابن مسعود، وروي أن في مصحفه: «الله منور السموات والأرض».

الثالث: أنه مُزَيَّن، قاله أبي بن كعب.

الرابع: أنه ظاهر.

وَقَالُوا: مَثَلُ نُورِهِ يَعْنِي فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ^(١)، تَأْكِيداً لِلْمَعْنَى الْمَذْكُورِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ التَّنْوِيرُ بِالْهُدَى إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ^(٢)، وَنِهَائُهُ الْيَقِينُ، وَمِنْ شُرُوطِهِ^(٣) الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

فَقَالَ قَوْمٌ: نَوَّرَ السَّمَوَاتِ بِالْعَقْلِ.

وَقِيلَ: بِالْعِلْمِ.

وَقِيلَ: بِالْيَقِينِ.

وَقِيلَ: بِالْقَبُولِ^(٤).

وَيَرْجِعُ مَعْنَاهُ إِلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّهَا تَرْجِعُ إِلَى هَادِي^(٥)، لَا سِتْعَمَامَ الْهُدَى لِذَلِكَ كُلِّهِ، وَلِكُلِّ نُورٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَارِ مَطْرَحُ شُعَاعٍ، وَمُنْتَهَى

(١) أ: اليقين.

(٢) أ، ب: شرطه.

(٣) ك، م: القول.

(٤) ك، م: هدى.

.....

= الخامس: أنه ذو النور.

السادس: أنه نور لا كالأنوار.

السابع: أنه لا يقال فيه أنه نور إلا بالإضافة، قاله المعتزلة...».

قلت: وبعد أن سرد هذه الأقوال عقب عليها بقوله: «... والصحيح عندنا أنه نور لا كالأنوار لأنه حقيقة، والعدول عن الحقيقة إلى أنه هادي أو مُنَوَّر وما أشبه ذلك هو مجاز من غير دليل فلا يصح...» الأمد: 92/ب. وانظر: واضح السبيل إلى معرفة قانون التأويل (مخطوط مكناس): 71/ب. ونلاحظ أن ابن العربي قد أثبت في كتابه «الأمد الأقصى» صفة النور لله كما هو مذهب السلف، أما هنا «بقانون التأويل» فقد تأثر بالمعطلة في حملهم للنور على المجاز، وهذا التفسير فيه غرابة وبعد عن الحقيقة، وإلا فإن «النور» جاء في أسمائه تعالى وتلقته الأمة بالقبول، وأثبتوه في أسمائه الحسنی، ولم ينكره أحد من السلف ولا أحد من أئمة أهل السنة. ولمعرفة أدلة أهل السنة بالتفصيل، انظر: ابن قيم الجوزية في مختصر الصواعق المرسلّة: 188/2 - 204.

(1) هذا هو القول المعتمد عند المفسرين، انظر: ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن: 328.

اسْتِضَاءَةً، فَالْنَّهَايَاتُ فِيهَا هُوَ ^(١) الْكَمَالُ، وَالتَّقْصِيرُ عَنْهَا ^(٢) هُوَ النُّقْصَانُ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ لَا يَعْتَرِضُ عَلَى الْأَصْلِ، وَقَدْ يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ.
وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» ^(١).
فَإِنَّ الشُّعَاعَ الْمُنبِتَّ مِنَ النُّورِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَرَّ ^(٣) مَا فِي الزَّانَا مِنَ الْفَحْشَاءِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْمُحَرَّمَاتِ.
وَقَالَ:

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» ^(٢).
وَهَذَا مَطْرَحٌ لِلشُّعَاعِ ضَيِّقٌ، وَنُقْصَانٌ مُؤَثِّرٌ ذَاهِبٌ إِلَى الْعَدَمِ، وَتَحْقِيقٌ لِلظُّلْمَةِ فِي الْقَلْبِ.
وَقَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بِوَائِقِهِ» ^(٣).

فَهَذَا مَحَلٌّ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، وَمَجَالٌ لِلتَّكْلِيفِ لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْهِ الشُّعَاعُ، وَلَا كَانَتْ لِلنُّورِ فِيهِ إِضَاءَةٌ، فَلَمَّا أَظْلَمَ عَلَيْهِ اقْتَحَمَ الْإِذَايَةَ لِلْجَارِ، وَهِيَ حَالَةٌ نُقْصَانٍ لَا تَقْتَضِي عَدَمَ الْإِيمَانِ.

(١) أ: فالنَّهَايَةُ فِيمَا هِيَ، ب: هِيَ الْكَمَالُ.

(٢) أ: فِيهَا.

(٣) ك، م: يَرَهَا.

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في المظالم: 86/5، ومسلم في الإيمان رقم: 57، وأبو داود في سننه رقم: 4689، والنسائي في قطع يد السارق: 64/8، وابن ماجه في الفتن رقم: 3984 (ط: الأعظمي).

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان: 55/1، ومسلم في الإيمان رقم: 44، والنسائي في الإيمان: 114/8، وابن ماجه في المقدمة رقم: 55 (ط: الأعظمي) مع اختلاف في الألفاظ.

(٣) نحوه في البخاري كتاب الأدب: 87/7، والإمام أحمد في المسند رقم: 7865 (ط: شاكر) والحاكم في المستدرک: 10/1، وانظر كتاب «حق الجار» للإمام الذهبي (ط: عالم الكتب - الرياض: 1985).

وَهَكَذَا تُرَكَّبُ عَلَيْهِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ، مِنْ مَعْرِفَةِ ذَاتِ وَصِفَاتِ،
وَخَصَائِصِ الرُّسُولِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَجَمِيعِ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ، وَتَدْرِيجِ بَعْضِهَا
عَلَى بَعْضٍ فِي الْمَرَاتِبِ فِيمَا تَقَدَّمَ، وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ^(١) بِهِ مِنْ كُفْرٍ وَفِسْقٍ وَتَبْدِيعٍ،
وَمُقَابَلَةِ ظَاهِرٍ بِتَّوِيلٍ، وَتَدْخُلُ فِي مَهَامِهِ^(٢) مِنَ التَّفْسِيرِ^(٣) لَا عِمَارَةَ لَهَا، وَتُرَكَّبُ
بُحُورًا مِنَ الْمَعَارِفِ لَا سَاحِلَ لَهَا^(٤).

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ (النور: 35).

فَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّ هَذَا مَثَلٌ لِذَاتِهِ وَضَلُّوا.

وَاخَذُوا مِنِّي نُكْتَةً هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ.

(١) أ، ب: تعلق.

(٢) أ: التوحيد، واستدرك الخطأ في الهامش.

(٣) أ، ب: بها.

(٤) المَهَامَةُ: المفازة البعيدة، وكلامه على سبيل الاستعارة.

ذِكْرُ تَنْزِيهِ الذَّاتِ عَنِ الْأَمْثَالِ (١)

اعْلَمُوا - أَفَادَكُمْ اللَّهُ عِلْمَهُ وَأَوْسَعَكُمْ حِلْمَهُ - أَنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى نَصَبَ الْأَدِلَّةِ عَلَى مَعْرِفَةِ صِفَاتِهِ، وَحَجَبَ الْخَلْقَ عَنْ مَاهِيَةِ ذَاتِهِ حَتَّى يَعْلَمُوهُ إِذَا شَاهَدُوهُ، فَلِلْعَيَانِ مَزِيَّةٌ فِي الْبَيَانِ، أَنَشَدَنِي (٢) الْقَاضِي الرَّشِيدُ (١) - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى - طَهَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى (٢) -.

لَيْنٌ أَصْبَحْتُ مُرْتَجِلًا بِشَخْصِي (٣) فَرُوحِي عِنْدَكُمْ أَبَدًا مُقِيمٌ (٣)
وَلَكِنْ لِلْعَيَانِ لَطِيفٌ مَعْنَى لَهُ سَأَلَ (٤) الْمُعَايِنَةَ الْكَلِيمُ
فَحَبًّا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مَعْرِفَةَ ذَاتِهِ لِمُشَاهَدَتِهِ، وَأَقَامَ الْأَدِلَّةَ عَلَى صِفَاتِهِ بِمَخْلُوقَاتِهِ، وَلِذَلِكَ إِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْأَمْثَالِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَجَدْتُهَا عَلَى

(١) العنوان ساقطة م: أ.

(٢) أ: أنشد.

(٣) ك: فروحي أبداً عندكم مقيم.

(٤) ك، م: سل.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) هذان البيتان لأبي محمد بن حزم، نسبهما إليه الحميدي في جذوة المقتبس: 292، وانظر: ابن

خلكان في وفيات الأعيان: 326/3، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب: 300/3، وابن الدُّبَّاغ

في مشارق أنوار القلوب: 88 - 89. (ط: ريت).

(٣) في الشذرات والمشارك: بجسمي.

الْصِّفَاتِ مُحَالَةً، وَفِي بَيَانِهَا وَارِدَةً، وَالذَّاتُ مَحْبُوءَةٌ تَحْتَ أَسْتَارِ الْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ،
يُخْبِرُ عَنْهَا بِالتَّقْدِيرِ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا الْمَثَلَ وَغَيْرَهُ لِصِفَاتِهِ.

فَضَرَبَ اللَّهُ الْمَثَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِعَشْرِ بَعَشْرٍ:

نُورٌ، مِشْكَاةٌ، مِصْبَاحٌ، زُجَاجَةٌ، كَوْكَبٌ، إِضَاءَةٌ، إِيقَادٌ، بَرَكَةٌ، شَجَرَةٌ،
زَيْتٌ، مُرْتَبًّا عَلَى حَذْفٍ وَاخْتِصَارٍ، وَاسْتِدْلَالٍ بِمَذْكُورٍ عَلَى مَتْرُوكٍ، وَسَبَبٌ عَلَى
مُسَبَّبٍ، وَحَالٌ عَلَى مَحَلٍّ.

وَالْعَشْرَةُ اللَّوَاتِي فِي جَانِبِ الْمَثَلِ .:

هُدًى، قَلْبٌ، إِيْمَانٌ، صَدْرٌ، صَفَاءٌ، انْشِرَاحٌ، الْإِسْتِضَاءُ^(١) بِهِ فِي الْمَعَارِفِ
وَالْأَعْمَالِ .

فَضَرَبَ مَثَلًا لِلْهُدَى النُّورَ، وَلِلْقَلْبِ الْمِشْكَاةَ، وَلِلْإِيْمَانِ الْمِصْبَاحَ، وَلِلصَّدْرِ
الزُّجَاجَةَ، وَلِلصَّفَاءِ الصَّدْرَ وَانْشِرَاحِهِ الْكَوْكَبَ الْمُضِيءَ، وَلِلْإِسْتِضَاءَةِ سَدَادَ
الْمَعَارِفِ وَصَلَاحَ الْأَعْمَالِ، وَلِلْإِيْقَادِ مِنَ الزَّيْتِ الْإِسْتِمْدَادَ مِنْ بَحْرِ الْمَعَارِفِ،
وَلِلشَّجَرَةِ انْقِسَامَ الْقُلُوبِ وَالْمَعَارِفِ مِنْ أَصْلِ الْعِلْمِ الْأَوَّلِ، عَلَى أَغْصَانٍ إِلَى
أُورَاقٍ إِلَى ثِمَارٍ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِ الشَّجَرِ وَصِفَاتِ الْأَغْصَانِ وَاخْتِلَافِ حَالِ
الثَّمَارِ فِي الْهَيْئَاتِ وَالطُّعُومِ، وَإِمْكَانِ الْجَنِيِّ وَتَعَدُّرِهِ، وَحُلُوهِ وَمُرِّهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ مَعَانٍ لَا تَبْلُغُهَا الْقُدْرَةُ الْبَشَرِيَّةُ، وَلَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ^(٢) الْعُلُومُ الْجُزْئِيَّةُ، فَبِهَا تَمَامُ
الْعَشْرِ فِي الْمَثَلِ، وَتَشَعَّبَتْ^(٣)

(١) ب: الاستضاءة.

(٢) ب: إليها.

(٣) ك، م: العلوم الحديثة فإتمام العشرة في المثل وشيعة.

فَلَمْ يُمْكِنْ إِيرَادَهَا^(١) فِي هَذِهِ الْعَجَالَةِ، وَامْتَزَجَتْ فَلَمْ^(٢) يُمْكِنْ تَخْلِيصُهَا مَعَ هَذِهِ الْحَالَةِ.

وَقَدْ مَهَّدْنَا لَكُمْ فِي سَبِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي أَمَالِي^(٣) «أَنْوَارِ الْفَجْرِ» وَكِتَابِ «الْمُسْكِلَيْنِ» مَا تَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى أَسَالِبَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْكَلَامِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ.

وَوَرَاءَ هَذَا وَجُوهٌ مِنَ التَّأْوِيلِ فِي الظَّاهِرِ، وَمَعَانِي فِي^(٤) الْبَاطِنِ، هَذَا وَسَطٌ مِنْهَا فِي الْحَالَيْنِ، فَخُذُوهَا دُسْتُورًا^(٥)، وَاتَّخِذُوهَا قَانُونًا.

وَحَصَّ الشَّجَرَةَ بِالْبَرَكَةِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ يَدْعُو بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، وَيَدُلُّ مَعْنَى مِنْهُ عَلَى مَعْنَى، وَالْبَرَكَةُ هِيَ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ^(٦).

وَإِنَّمَا أَرَدْنَا أَنْ نُرِيَكُمْ نَوْعًا مِنَ التَّفْسِيرِ، وَنَشْرَعَ لَكُمْ سَبِيلًا فِي فَنِّ مِنْ فُنُونِ التَّأْوِيلِ، وَنُوضِّحَ لَكُمْ عَنْ مُشْكِلٍ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَنَعْقِدَ عِنْدَكُمْ وَصْلًا مِنْ رِبْطِ الْمَعَانِي بَعْضُهَا^(٦) إِلَى بَعْضٍ، وَنَخْلَعَ لَكُمْ قِشْرًا مِنَ الظَّوَاهِرِ عَنْ لُبَابٍ مِنَ الْبَاطِنِ.

(١) أ: إفرادها.

(٢) أ، ب: ولم.

(٣) ك، م: إملاء.

(٤) في: ساقطة م: ك، م.

(٥) ك، م: فخذوا هذا دستوراً.

(٦) ك، م: بعض.

.....
(1) انظر الأحكام للمؤلف: 1388.

ذِكْرُ تَمَامِ الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّفْسِ وَالرَّبِّ

وَهَيْهَاتَ عَنْكُمْ مِنْ هَذَا الْمَطْلُوبِ إِنْ كُنْتُمْ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يَكْفِيكُمْ مَا تَقَدَّمَ فِيهِ،
حَتَّى يَكُونَ كُلُّ (١) مِنْكُمْ جِدًّا (٢) بِصِيرٍ بِنَفْسِهِ وَتَفَاصِيلِهَا وَأَحْوَالِهَا وَصِفَاتِهَا (٣)، فَيَقْدِرُ
مَا يَحْصُلُ لَكَ (٤) مِنْهَا فِي مَعْرِفَةِ نَفْسِكَ بِذَلِكَ الْقَدْرِ، يَحْصُلُ لَكَ مِنْ مَعْرِفَةِ رَبِّكَ،
وَفِي (٥) هَذَا الْمَقَامِ زَلٌّ مِنْ زَلٍّ عَنْ مَعْرِفَةِ نَفْسِهِ، فَضَلَّ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِ، وَلَا تَبْتَغِ
مَعْرِفَتَكَ لِنَفْسِكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تُنِيعَ النَّظَرَ فِي عَجَائِبِ صُنْعِ اللَّهِ فِيهَا، فَهَيْتَ لَكُمْ (٦).

إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَكَ - كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ - عَلَى نَوْعَيْنِ: مُدْرِكٍ بِالْبَصَرِ وَهُوَ الْجَسَدُ،
وَمُدْرِكٍ بِالْبَصِيرَةِ وَهُوَ الرُّوحُ، وَجَعَلَ مَا بَيْنَ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ رَابِطَةً الْحَوَاسِّ،
وَبِذَلِكَ انْتَضَمَ الْخَلْقُ، وَقَامَ الدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِ الْحَقِّ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَفْسٍ
وَمَا سَوَاهَا، فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: 7، 8) (١).

(١) كل: ساقطة من: أ، ب.

(٢) ب: حادق.

(٣) ك، م: وصفاته.

(٤) لك: ساقطة من: ك، م.

(٥) الواو: ساقطة من: ب.

(٦) ك، م: لك.

.....

(1) عَلَّقَ الْمُؤَلِّفُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: «يَعْنِي خَلَقَ ذَلِكَ لَهَا مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ وَلَا اسْتِدْلَالٍ» كِتَابُ «الْأَفْعَالِ»:
ب./214

فَدَلَّ عَلَى التَّوْحِيدِ بِتَسْوِيَّتِهَا حَسَنَةَ الْخَلْقَةِ فِي (١) أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ مِنْ اغْتِدَالِ
الْصِّفَةِ، وَنَبَّهَ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَذَكَرَ نَكْتَةً يَنْبَغِي أَنْ تَزْدَادُوا بِهَا تَبْصِيرًا، وَلَا
تَأْلُوا فِي كُلِّ آيَةٍ لَهَا تَذْكِيرًا، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿فَالْهَمَّهَا﴾: وَالْإِلَهَامُ (١) هُوَ الَّذِي يَخْلُقُهُ
اللَّهُ ابْتِدَاءً (٢) فِي النَّفْسِ، وَيَأْتِي لِلْعَبْدِ (٣) مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ، فَجَاءَ بِلَفْظِ الْإِلَهَامِ حِينَ
أَرَادَ الْعُمُومَ فِي الْآدَمِيِّ وَالْبَهِيمَةِ، وَلَمَّا ذَكَرَ الْآدَمِيَّ وَحْدَهُ قَالَ (٤): ﴿وَهَدَيْنَاهُ
النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: 10) (٢).

وَهَكَذَا (٥) مَتَى (٦) جَاءَ ذِكْرُ الْآدَمِيِّ (٧) وَحْدَهُ (٨) عَلَى الْإِخْتِصَاصِ، ذُكِرَ
الْهُدَى، وَمَتَى جَاءَ مُضَافًا إِلَى غَيْرِ جِنْسِهِ، ذُكِرَ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا يَعُمُّ الْجِنْسَيْنِ مِنْ
حَقِيقَةٍ مَا هُمَا عَلَيْهِ مِنَ الْمُتَعَلِّقَيْنِ.

ثُمَّ بَيَّنَ الْفُجُورَ وَالتَّقْوَى، وَشَرَحَ النَّفْعَ وَالضَّرَّ، وَأَمَرَ وَنَهَى، وَوَعَدَ وَأَوْعَدَ،
وَدَبَّرَ وَقَدَّرَ (٩)، وَنَبَّهَ عَلَى الْفُضِيلَةِ الَّتِي بِهَا يَنْتَظِمُ (١٠) حَالُ الرَّدِّ عَلَى الرِّذِيلَةِ،

(١) ك: أي.

(٢) ك، م: حتى خلقه ابتداءً.

(٣) ك، م: العبد.

(٤) قال: ساقطة من: ك، م.

(٥) الواو: ساقطة من: ك، م.

(٦) ب: إنما.

(٧) ك، م: الأمي.

(٨) وحده: ساقطة من: أ، ك، م.

(٩) وقدَّر ودبر.

(١٠) أ، ب: التي ينتظم بها.

.....

(1) انظر تعريف الإلهام في: بيان كشف الألفاظ لأبي المحامد اللامشي: 254 التعريفات للجرجاني:
19، كشاف اصطلاحات الفنون: 1308 (ط: خياط).

(2) انظر في التعليق على هذه الآية الكريمة: الأنفال: 214/ب، والسراج: 76/ب، 77/أ.

وَيَتَيَسَّرُ^(١) بِهَا جَمْعُ شَمْلِهَا فِي الْوُجُودَيْنِ، وَلِلتَّقْوَى^(٢) وَالْفُجُورِ^(٣) بَوَاعِثُ، وَعَلَيْهَا رَوَادِعُ وَحَائِثُ^(٤)، وَلِهَذَا^(٥) مُعِينٌ، وَمِنْ تِلْكَ قَاطِعٌ، وَجُنْدُ اللَّهِ مُنْقَسِمَةٌ عَلَى الْوَجْهَيْنِ، وَالْعَبْدُ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ بَيْنَ لَمَتَيْنِ^(٦)، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَ سُبْحَانَهُ زَوْجَيْنِ، وَهَذَا بَحْرٌ آخَرُ مِنَ التَّأْوِيلِ لَا سَاحِلَ لَهُ.

وَأُصُولُ الْفَضَائِلِ الَّتِي هِيَ عَلَامَاتُ النِّجَاةِ لِلنَّفْسِ بِاِكْتِسَابِهَا لَهَا، وَاِكْتِسَابِهَا بِخَلْعِ اللَّهِ عَلَيْهَا أَرْبَعَةً: الْحِكْمَةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْعِفَّةُ، وَالْعَدَالَةُ^(١).

أَمَّا الْحِكْمَةُ^(٢) فَهِيَ الْعِلْمُ الَّذِي تَنْزَهُ عَنْ تَطَرُّقِ الْجَهْلِ وَالشَّكِّ إِلَيْهِ، وَالْعَمَلُ بِخِلَافِهِ، قَالَ اللَّهُ^(٧) - سُبْحَانَهُ -: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ - إِلَى قَوْلِهِ - كَثِيرًا﴾ (البقرة: 268).

وَبِهَا^(٨) تَتَطَهَّرُ النَّفْسُ عَنِ الْبَلَاءِ وَالْخَبَثِ^(٩)، وَذَلِكَ بِأَنْ تُطِيعَ دَاعِيَ^(١٠) الْحَقِّ

(١) ك، م: ويتيسر.

(٢) أ، ك، م: والتقوى.

(٣) أ: وللـفجور والتقوى.

(٤) ك، م: وجناية.

(٥) ك: ولهذه.

(٦) ك: هاتين.

(٧) لفظ الجلالة غير مثبت في: ك، م.

(٨) ك: وبهذا.

(٩) ك، م: عن المقلة والخب، أ: الخب.

(١٠) أ: دواعي.

(1) لا شك أن المؤلف رحمه الله قد تأثر بطريقة الفلاسفة والحكماء في محاولتهم حصر الفضائل الأخلاقية في الأمهات الأربعة: الحكمة، الشجاعة، العفة، والعدالة، ولكن الجديد عند ابن العربي أنه يستخرج أصول هذه الفضائل من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، وبذلك يجعلها أموراً شرعية، بل نراه في العواصم (252 - 259) - يتتبع معانيها عند الفلاسفة بالنقد والتزييف.

(2) انظر: العواصم: 252، السراج: 15/أ، بيان كشف الألفاظ: 256، التعريفات: 49، الكليات: 222/2 - 224، كشف اصطلاحات الفنون: 223/2 - 229 (ط: تراثنا).

وَتَعْصِي دَاعِيَ الْهَوَى، وَأَنْ تَحْكَمَ نَفْسَكَ، وَلَا تُحْكَمَ نَفْسُكَ عَلَيْكَ، فَتَمِيلَ إِلَى رُغُونَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، وَتَزِيغَ عَنْ مُقْتَضَى الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَتُرْكِبَ عَلَيْهَا مَعْنَى الْحِكْمَةِ وَتَفْسِيرَهَا وَصَوَاحِبَاتِهَا الثَّلَاثَةَ وَمَعَانِيهَا، وَوَصَفَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِالْحَكِيمِ (1) الَّذِي هُوَ أَصْلُ هَذَا الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ، وَكَيْفَ تَتَعَلَّقُ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَتَرْجِعُ إِلَى وَصَفِ اللَّهِ الْعَلِيِّ وَاسْمِهِ الْحَسَنِ.

وَأَمَّا الشَّجَاعَةُ (2) فَهِيَ ثُبُوتُ الْقَلْبِ عِنْدَ تَعَارُضِ الْمُتَضَادَّاتِ (3) مِنَ الْمَخَافِ وَالْمَرْجُوَاتِ، وَلَمْ يَحْزُ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ هَذِهِ (4) الصِّفَةَ حَاشَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فَإِنَّهُ كَانَ أَشْجَعَ الْأُمَّةِ (5) بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ ثَبَتَ قَلْبُهُ فِي مَوَاضِعَ رَاغَتْ فِيهَا الْقُلُوبُ، وَذَلِكَ إِذْ نَزَلَتِ الْمُصِيبَةُ الْعُظْمَى (6) بِمَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاخْتَلَطَ عُمَرُ (7)، وَخَرَسَ عَثْمَانُ (8)، وَاسْتَخَفَى عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَاسْتَسَلَمَ سَائِرُ الْخَلْقِ، فَكَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ مَا قَصَرَتْ عَنْهُ جَمِيعُ الْأُمَّةِ.

(1) أ: المضادة.

(2) ك: هذا.

(3) ب: والرزية العظمى.

.....

(1) انظر: شرح اسم الجلالة: «الحكيم» من الأمد: 98/أ - ب، 99/أ.

(2) انظر: العواصم: 255، العارضة: 139/9، التعريفات: 67، كشاف اصطلاحات الفنون: 229/2 (ط: تراثنا).

(3) انظر هذه المواقف في العواصم: 373، الأحكام: 867 - 869، العارضة: 144/9، ففيها تفصيل لبعض ما أجمله هنا.

(4) انظر سيرة ابن هشام: 1069/4، تاريخ الطبري: 207/3، السيرة النبوية لابن كثير: 470/4، الإمتاع للمقريزي: 548/1.

(5) العواصم: وأما عمر فاهجر.

(6) العواصم: وأما عثمان فسكت، الأحكام: فبهت.

قَالَ (1) لِلنَّاسِ (١): «مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّمَا وَعَدَهُ اللَّهُ كَمَا وَعَدَ (٢) مُوسَى (2)، وَلَيَرْجِعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ النَّاسِ (3) وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ غَائِبًا فِي مَنْزِلِهِ بِالسُّنْحِ (3)، فَدَخَلَ مَنْزِلَ ابْنَتِهِ عَائِشَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسَجًى بِثَوْبِهِ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَبْلَهُ، وَقَالَ: يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي طُبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا. . . الْحَدِيثُ (4). إِلَى أَنْ خَرَجَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ: مَنْ كَانَ يَعْْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَتَلَا ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ . . . الْآيَةُ ﴾ (آل عمران: 144).

فَخَرَجَ النَّاسُ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ يَتْلُونَهَا كَأَنَّهُمْ لَمْ تَنْزِلْ إِلَّا ذَلِكَ الْيَوْمَ (5).

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ أَيْنَ يُدْفَنُ؟

فَقَالَ قَوْمٌ: يُدْفَنُ بِالْبَقِيعِ.

وَقَالَ قَوْمٌ: بِمَكَّةَ.

(١) في جميع الأصول: الناس، والمثبت هو المشهور في الروايات.

(٢) ك: وعده.

(٣) أ، ب: ناس.

.....

(1) أي عمر رضي الله عنه انظر العواصم: 374.

(2) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (البقرة: 50).

(3) طرف من أطراف المدينة المنورة بينها وبين منزل رسول الله ﷺ ميل. ياقوت الحموي: معجم البلدان: 256/3.

(4) انظر البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ: 8/5، والنسائي في الجنائز: 270/1 رقم 1466، ومسند أبي بكر للسيوطي رقم: 494 (ط: الغماري).

(5) انظر البخاري في الجنائز: 91/2، الإمام أحمد 220/6.

وَقَالَ قَوْمٌ: بَيَّتَ الْمَقْدِسَ إِذَا فُتِحَتْ يُحْمَلُ إِلَيْهَا.

فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُهُ ﷺ يَقُولُ: «مَا دُفِنَ قَطُّ نَبِيٌّ^(١) إِلَّا حَيْثُ مَاتَ»^(١).

وَاخْتَلَفُوا فِي مِيرَاثِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «لَا نُورَثُ»^(٢) فَتَذَكَّرُوا قَوْلَهُ وَرَضُوا حُكْمَهُ.

وَارْتَدَّتِ^(٢) الْعَرَبُ بِمَنْعِ الزَّكَاةِ، فَجَزَعَ جَمِيعُ النَّاسِ وَأَشَارُوا عَلَيْهِ^(٣) بِتَرْكِ الزَّكَاةِ حَتَّى يَتِمَّكَنَ الْإِسْلَامُ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا قَاتِلَنَ مِنْ فَرَقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ^(٣).

وَأَرْسَلَ جَيْشَ أُسَامَةَ^(٤) عَلَى مَا كَانَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَيَاتِهِ، فَقَالُوا: كَيْفَ تَتْرُكُ الْمَدِينَةَ وَالْعَرَبُ قَدْ ارْتَدَّتْ حَوْلَهَا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ لَعَبَتِ الْكِلَابُ بِخَلَاخِيلِ نِسَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَا رَدَدْتُ جَيْشًا أَنْفَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَدًا، فَقِيلَ لَهُ:

(١) أ: نَبِيٌّ قَطُّ.

(٢) ب: فَارْتَدَّتْ.

(٣) أ: إِلَيْهِ.

(١) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الجنائز، بَلَاغًا: 231/2.

(٢) هذا جزء من حديث طويل رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي 185/8، ومسلم في الجهاد رقم: 1760، والترمذي في السير رقم: 1610، وأبو داود في الخراج رقم: 2963، والنسائي في قسم الفيء: 132/7، وانظر السيوطي: مسند أبي بكر: 102.

(٣) رواه البخاري في استنابة المرتدين 191/9، ومسلم في الإيمان: 52/1، ومالك في الموطأ كتاب الزكاة: 269/1، والترمذي في الإيمان رقم: 261، وأبو داود في الزكاة رقم 1556، والنسائي في الزكاة: 14/5، وانظر مسند أبي بكر للسيوطي: 45.

(٤) هو الصحابي الجليل أسامة بن زيد بن حارثة، حب رسول الله ﷺ ومولاه وابن مولاه، توفي رضي الله عنه في خلافة معاوية رضي الله عنه حوالي: 54 هـ. انظر ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر: 57/1، والإصابة لابن حجر: 31/1.

وَمَعَ مَنْ تُقَاتِلُ الْعَرَبَ؟ قَالَ: وَحْدِي حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي^(١).

وَهَمَّتِ الْأَنْصَارُ بِالِاسْتِئْذَانِ بِالْبَيْعَةِ، فَبَادَرَ إِلَيْهِمْ، وَدَخَلَ مَجْلِسَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَخَطَبَ خُطْبَتَهُ الْمَشْهُورَةَ^(٢) فِيهِمْ^(١)، ثَابِتَ الْقَلْبِ، حَاضِرَ الْعِلْمِ، ذَلِقَ اللِّسَانِ، بَصِيرًا بِمَقَاطِعِ الْأَدِلَّةِ وَالْبَيَانِ، حَتَّى انْقَادُوا إِلَيْهِ خِلَافَتِهِ، وَاخْتَارَ أَمْرَاءَ^(٣) الْأَجْنَادِ فِي الْأَقْطَارِ، فَمَا وَجَدَ بَعْدَهُمْ أَحَدٌ يُتَوُّبُ مَنَابَهُمْ، هَذَا وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، فَكَيْفَ لَوْ كَانَتْ فِيهِ مِرَّةٌ؟.

وَبِفَضِيلَةِ الشَّجَاعَةِ تَتَطَهَّرُ النَّفْسُ عَنْ رَذِيلَةِ الْهَلَعِ وَالتَّهْوُرِ.

وَأَمَّا الْعِفَّةُ^(٣): فَهِيَ كَفُّ النَّفْسِ عَنِ الْمَكْرُوهِ، وَبِهَا يَكُونُ الْحَيَاءُ وَالصَّبْرُ وَالسَّخَاءُ وَالْوَرَعُ وَالْقَصْدُ وَالْوُدَّةُ وَحُسْنُ السَّمْتِ^(٤)، وَبِهَا تَنْتَزِعُ النَّفْسُ عَنِ الشَّرِّ وَالْجُمُودِ.

وَأَمَّا الْعَدَالَةُ^(٤): فَهِيَ انْتِظَامُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ عَلَى وَفْقِ الْمَقْصُودِ مِنَ الْخِصَالِ

الثَّلَاثَةُ^(٤) الْمُتَقَدِّمَةُ.....

(١) فِيهِمْ سَاقِطَةٌ مِنْ: ك، م.

(٢) ب: إِسْرَاءُ، وَأَسْتَدْرِكُ الْخَطَأَ فِي الْهَامِشِ.

(٣) ك، أ، م: الْمُوَدَّةُ وَحُسْنُ السِّيمَةِ.

(٤) أ: الثَّلَاثُ.

(١) ذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي جَمْعِ الْجَوَامِعِ (مُسْنَدُ أَبِي بَكْرٍ: 155) وَعَزَاهُ إِلَى الْبَيْهَقِيِّ وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِرُمُزِ «الْحَسَنِ»

وَمَعْنَى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، أَيِ يَفْرُقُ بَيْنَ رَأْسِي وَجَسَدِي.

(٢) حَدِيثُ السَّقِيفَةِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ: 213/1 (ط: الْمَعَارِفُ) وَحَكَمَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ بِصَحَّةِ الْإِسْنَادِ.

(٣) انْظُرِ الْعَوَاصِمَ: 256 - 258، الْعَارِضَةَ: 145/9، التَّعْرِيفَاتِ: 81، الْكَلِيَّاتِ: 282/3، كَشَافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ 229/2 (ط: ثَرَاثُنَا).

(٤) انْظُرِ: الْأَمَدُ: 106/ب، الْعَوَاصِمَ: 258، بَيَانَ كَشَفِ الْأَلْفَاظِ: 156، التَّعْرِيفَاتِ: 79، الْكَلِيَّاتِ: 253/3، كَشَافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ: 1015/4 (ط: خِيَاطُ).

وَهِيَ ^(١) الْمُرَادُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ ^(١) بِقَوْلِهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ لِمَنْ رَأَاهُ «شَيْبَتِي هُودُ» لقوله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ (هود: 112).

وَهِيَ الْعَدَالَةُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي حَمَلَنَا اللَّهُ عَلَيْهِ، وَدَعَانَا إِلَيْهِ، وَتُرَكَّبُ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ حَالِ النَّفْسِ وَأَحْكَامِهَا وَتَصَرُّفِهَا ^(٢) عَلَى الْآيَتِينَ، وَتَرُدُّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى الْعَدَالَةِ وَتُبَيِّنُ فَضِيلَتَهَا.

وَبِهَذِهِ ^(٣) الْفَضِيلَةِ تَتَطَهَّرُ النَّفْسُ عَنِ الْجَوْرِ ^(٤)، وَهُوَ الْخُرُوجُ عَنِ الْمَعْنَى الْمَلَائِمِ لِلْعَقْلِ وَالشَّرْعِ.

(١) أ: وهو. وفي ك: وهذا.

(٢) أ، ك: وتصرفاتها.

(٣) ب: وهذه.

(٤) ب: الجود.

(1) العبارة كما وردت عند الغزالي كما يلي:

«وقد رأى بعض المشايخ رسول الله في المنام فقال: ما الذي أردت بقولك: شيبتي هود وأخواتها؟ فقال: قوله: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾. يعني الاستمرار على الصراط المستقيم، وطلب التوسط بين هذه الأطراف شديد، وهو أدق من الشعرة». ميزان العمل: 268، وانظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي أيضاً: 88.

قلت والحديث الشريف «شيبتي هود وأخواتها» أخرجه الترمذي في التفسير رقم: 3293، وقال: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ورجاله رجال الصحيح، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد: 37/7، وحسنه السخاوي في المقاصد الحسنة: 255، وصححه الشيخ الألباني في الجامع الصغير: 231/3 رقم 3614. انظر العجلوني: كشف الخفاء: 15/2، السيوطي: الدرر المنتشرة: 133، ابن الديبع: تمييز الطيب من الخبيث: 92.

ذِكْرُ أَقْسَامِ حَالِ النَّفْسِ

وَقَسَمَ اللَّهُ - تَعَالَى - حَالَ النَّفْسِ ^(١) قِسْمًا بِهِ ^(١) يَتَبَيَّنُ أَمْرُهَا، وَتَزِيدُ الْمَعْرِفَةَ بِهَا، وَيَبْدُلُ عَلَى وُجُودِ رَبِّهَا وَصِفَاتِهِ، وَحِكْمَتِهِ فِي أَحْكَامِهِ، وَذَلِكَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ لثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ: أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ، وَلَوَامَةٌ، وَمُطْمَئِنَّةٌ.

فَالْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ ^(٢) هِيَ الَّتِي لَا يُلَوِّحُ لَهَا طَمَعٌ إِلَّا تَعَرَّضَتْ لَهُ، وَلَا تَبْدُو لَهَا

(١) به: ساقطة من: ب.

(١) وقد تعرض المؤلف رحمه الله إلى هذا الموضوع في سراج المريدين فقال: «اعلموا وفقكم الله أن بناء (ن ف س) في لسان العرب يتصرف على معان قد بينها في الأمد (١٨/أ - وما بعدها) وغيره، أصلها أنها ذات الشيء وروحه ورفيقه ومه، ويرتبط بهذه الأربعة غيرها، وربما رجعت إلى اثنين، وقد تكون ممدوحة وقد تكون مذمومة. والنفس حيث ما ردَّدناه نريد به الجملة الآدمية بذاتها وصفاتها وروحها وجميع ما تشتمل عليه ظاهراً وباطناً.

وللآدمي ثلاث حالات أخبر الله سبحانه عنها بثلاثة أخبار:

أحدها: أن تكون المعصية شأنه كله. الثانية: أن يكون مطيعاً من وجه وفي حال، عاصياً من وجه وفي حال. الثالثة: أن يكون مطيعاً في كل حال، أو في أكثر الأحوال، بحيث يغلب خيره شره، فالنفس الأولى هي الأماره بالسوء، والنفس الثانية هي اللوامة، والثالثة هي المطمئنة». السراج ١٦/٧٦. وقال في موضع آخر ١٦/٧٥: «واللنفس ثلاثة أعوان: إبليس، والدنيا، والهوى، وليس لها إلا ناصر واحد وهو العقل، والكل من حزب الشيطان والعقل من حزب الرحمن، والقضاء يسيطر على الكل يفصل بين تنازعهم ويمضي كل أحد إلى ما كتب له».

(٢) انظر: التعريفات: ١٣٧، كشاف اصطلاحات الفنون: ١٤٠٢/٦ (ط: خياط).

شَهْوَةٌ إِلَّا اقْتَضَتْهَا، لَمْ تَسْلُكْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَلَا اسْتَضَاءَتْ بِنُورِ السَّدَادِ^(١)، وَلَا أَحْكَمَتْهَا الرِّيَاضَةُ، فَهِيَ تَهِيْمُ مِنَ الْبَطَالَةِ فِي كُلِّ وَادٍ، وَذَلِكَ الَّذِي يُعْبِرُ عَنْهُ بِالْهَوَى.

وَأَمَّا اللَّوَامَةُ: فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ^(٢) مِنَ الْمَعْصِيَةِ، أَدْرَكَ مَا قَدَرَهُ^(٣) اللَّهُ - تَعَالَى - لَا مَحَالَةَ، وَخَلَقَ لَهُ الشَّهْوَةَ تَقْتَضِيهَا^(٤) الْمَعْصِيَةَ، وَخَلَقَ لَهُ الْعَقْلَ يَقْتَضِيهِ الْكَفُّ عَنْهَا، وَخَلَقَ الْمَلِكَ مُعِينًا لِلْعَقْلِ، وَخَلَقَ الشَّيْطَانَ مُعِينًا لِلشَّهْوَةِ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَيْهِ لَمَّةٌ، وَالْقَدَرُ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ^(٥)، فَإِنْ كَفَّ عَنْ الْمَعْصِيَةِ بِسَابِقِ الْفَضْلِ لَهُ بِالْعِصْمَةِ فِيهَا وَنِعْمَتٍ، وَإِنْ وَقَعَ فِيهَا بِنَافِذِ الْقَدْرِ، وَأَدْرَكَتْهُ رَحْمَةٌ، فَأَعْقَبَ ذَلِكَ نَدَامَةً عَلَى مَا فَعَلَ، وَمَلَامَةً لِنَفْسِهِ فَتِلْكَ حَالُهُ مَحْمُودَةٌ، وَلَهَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَاقِبَةٌ جَمِيلَةٌ لِيُخْلُوصَ^(٦) التَّوْبَةُ، وَهِيَ حَالُهُ أَكْثَرُ الْخَلْقِ.

وَلِفَضْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ، أَقْسَمَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - بِهَا فَقَالَ: ﴿وَأَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ (القيامة: 2).

وَقِيلَ: الَّتِي أَقْسَمَ اللَّهُ بِهَا هِيَ الَّتِي تَلُومُ عَلَى التَّقْصِيرِ فِي الطَّاعَةِ^(١).

(١) ب: السوء وفي الهامش السدد.

(٢) ك، م: حقه.

(٣) ك، م: أدركها قدرة الله.

(٤) أ: تقتضيه. وفي: ك: وتقتضيه.

(٥) كله: ساقطة من: ك، م.

(٦) أ: بخلوص.

.....

(1) عرفها المؤلف في السراج: 75/أ فقال: «هي التي إذا عثرت استقلت، وإذا طغت رجعت، وإذا =

وَقِيلَ: لَمْ يُقْسِمِ اللَّهُ قَطُّ^(١) بِنَفْسٍ، وَإِنَّمَا نَفَى الْقَسَمَ بِهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿أَقْسِمُ﴾ أَصْلِيَّةٌ فِي النَّفْيِ.

وَقِيلَ: هِيَ زَائِدَةٌ وَلَكِنَّ الْقَسَمَ عَلَى تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ كَأَنَّهُ قَالَ: أَقْسِمُ بِرَبِّ يَوْمِ^(٢) الْقِيَامَةِ وَنَحْوِهِ^(١).

وَأَمَّا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ^(٢): فَهِيَ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ وَتَمَكَّنَتْ، وَلَهَا فِي الْإِسْتِقْرَارِ مَنَازِلُ^(٣) لَمْ يُحِطْ بِهَا الْعُلَمَاءُ.

الْمَنْزِلَةُ الْأُولَى: الطَّمَأْنِينَةُ بِالتَّوْحِيدِ، حَتَّى لَا يَكُونَ بِهَا انْتِعَاجٌ بِرَيْبٍ.

الْمَنْزِلَةُ الثَّانِيَّةُ: الطَّمَأْنِينَةُ بِذِكْرِ اللَّهِ، حَتَّى لَا يَكُونَ لِعَیْرِهِ عِنْدَهَا^(٤) قَدَرٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا جُمْدَانٌ، سِيرُوا، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الَّذِينَ اهْتَدَوْا بِذِكْرِ اللَّهِ يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ^(٥)».

الْمَنْزِلَةُ الثَّالِثَةُ: الطَّمَأْنِينَةُ بِالْيَقِينِ حَتَّى لَا يَجْرِي عَلَيْهَا وَسْوَاسٌ، وَهَذَا لَيْسَ لِأَحَدٍ^(٦)، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ

(١) قط: ساقطة من: ك، م.

(٢) يوم: ساقطة من: أ.

= عَصَتْ اسْتَغْفَرَتْ، وَهِيَ أَبْدَأُ فِي اضْطِرَابٍ. انظر: التعريفات 127، كشاف اصطلاحات الفنون: 1402/6 (ط: خياط).

(1) انظر أقسام القرآن لابن قيم الجوزية: 11 - 15.

(2) عرفها المؤلف في السراج: 75/أ، فقال: «هي التي سارت على الجادة واستقرت في موطن الطاعة». وانظر: التعريفات: 127، كشاف اصطلاحات الفنون: 1402/6 (ط: خياط).

(3) انظر هذه المنازل في السراج: 76/ب.

(4) في السراج: حتى لا ترى لسواه لذة.

(5) أخرجه مسلم في الذكر رقم: 2676 عن أبي هريرة، مع اختلاف في اللفظ.

(6) في السراج: وهذا للأنبياء، فَإِنْ تَطَرَّقَ دَفَعَهُ بِالتَّوْحِيدِ وَهَذَا لِلْأَوْلِيَاءِ، فَإِنْ تَطَرَّقَ دَفَعَهُ بِالمجاهدة، وهذا للمؤمنين.

بِالله ﴿ (فصلت: 35). وَقَالَ الصَّحَابَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا شَيْئًا لَأَنْ نَخْرَ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفَنَا الطَّيْرُ أَحْفُ^(١) عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ^(١).

يَعْنِي: مُجَاهَدَةٌ دَفْعِهِ، إِذْ لَا بُدَّ مِنْ وَقْعِهِ، فَرَحِمَ اللَّهُ الْخَلْقَ حِينَ ابْتَلَاهُمْ بِهِ بِأَنْ جَعَلَ مُجَاهَدَتَهُمْ فِي دَفْعِهِ إِيْمَانًا صَرِيحًا^(٢).

الْمَنْزِلَةُ الرَّابِعَةُ: الطُّمَآنِينَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ - تَعَالَى -، حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ فِي الْمَعْصِيَةِ حَظٌّ، وَهَذَا مُمَكِّنٌ فِي الْكِبَائِرِ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَفِي الصَّغَائِرِ لِلْأَنْبِيَاءِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَالْأَوْلِيَاءِ.

الْمَنْزِلَةُ الْخَامِسَةُ: الطُّمَآنِينَةُ بِالتَّوْبَةِ، حَتَّى لَا يَبْقَى لِلْمَعْصِيَةِ فِي النَّفْسِ أَثَرٌ. الْمَنْزِلَةُ السَّادِسَةُ: الطُّمَآنِينَةُ بِالْبِشَارَةِ، كَقَوْلِ الصَّادِقِ عليه السلام: فُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ، أَوْ قَدْ غُفِرَ لَهُ⁽²⁾.

الْمَنْزِلَةُ السَّابِعَةُ: الطُّمَآنِينَةُ بِالْبُشْرَى عِنْدَ الْمَوْتِ، كَقَوْلِ⁽³⁾ الْمَلِكِ لِلْمَيِّتِ⁽⁴⁾ اخْرُجِي أَيْتَهَا الرُّوحُ الْمُطْمَئِنَّةُ⁽⁵⁾ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (يونس: 64).

(١) أ: أهون.

(٢) صريحاً: ساقطة من: ك، م.

(٣) ب: يقول.

(٤) أ: للحي.

(٥) ك، م: الطيبة.

(1) نحوه في مسلم كتاب الإيمان رقم: 132 عن أبي هريرة، وأبي داود في الأدب: رقم 5111، وأحمد في المسند رقم 2097 (ط: شاكر).

(2) انظر أحاديث المَبْشُرِينَ بِالْجَنَّةِ فِي أَبِي دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ رَقْم: 4648 - 4650، الترمذي في المناقب رقم: 3749.

(3) في السراج: «الطمأنينة بالبشارة عند الموت من جهة الملك القابض لروحه».

وَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ سَائِرَ الْبَشَارَاتِ الْمُتَرَادِفَةِ فِي الْقُبْرِ وَالنَّشْرِ وَالْعَرَصَاتِ، عِنْدَ نُزُولِ
الْمَخَافِ بِمَا يُشَاهَدُ مِنْ عَظِيمِ الْهَوْلِ وَشِدَّةِ الْكَرْبِ، وَجَوَازِ الصَّرَاطِ وَتَطَايُرِ
الصُّحُفِ، وَنَضْبِ الْمِيزَانِ وَزَفْرَةِ جَهَنَّمَ، وَنِدَاءِ الرَّبِّ الْمُتَحَابِّينَ^(١) وَالْمُقْسِطِينَ.

فَهَذِهِ أَقْسَامُ النَّفْسِ وَأَحْوَالُهَا، وَأُصُولُ مَرَاتِبِ كُلِّ قِسْمٍ مِنْهَا، وَوَجْهُ تَرْتِيبِهَا
فِي الْعِلْمِ، وَذِكْرُهَا عِنْدَ التَّعْلِيمِ وَمَا يَرْتَبِطُ بِهَا، وَسَوْقُهَا عِنْدَ التَّعْبِيرِ وَالتَّأْوِيلِ،
وَتَرْكِيبُهَا عَلَى الْآيَاتِ حَيْثُ مَا وَرَدَتْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَضَمُّ نَشْرِهَا بِذِكْرِ مَا يَتَّصِلُ بِهَا
وَيَنْفَصِلُ عَنْهَا، وَإِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى النَّفْسِ وَحَالِهَا، وَانْقِسَامَهَا فِي صِفَاتِهَا، وَنَقْصَانَهَا
أَوْ كَمَالِهَا^(٢)، وَتَصَرُّفُهَا فِي أَعْمَالِهَا، وَأَحْكَامُهَا فِي انْكِفَافِهَا وَاسْتِرْسَالِهَا، وَتَوْصِيلِهَا^(٣)
إِلَى بَارِئِهَا^(٤) بِاسْتِدْلَالِهَا، فَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ - كَمَا قَدَّمْنَا - فِي الْقِسْمِ بِهَا:

وَتَحْقِيقُ ذَلِكَ: أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْهَا مَا عَظَّمَهُ اللَّهُ، - وَكُلُّ عَظِيمٍ -، لِأَنَّ اللَّهَ
خَلَقَهُ، وَمِنْهَا مَا صَغَّرَهُ^(٤) لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ^(٥) - ذَمَّهُ وَحَقَّرَهُ، أَوْ يَقَالُ فِيهِ: إِنَّهُ صَغِيرٌ
بِمَعْنَى أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ أَعْظَمَ مِنْهُ.

وَلَقَدْ كُنْتُ يَوْمًا فِي جَامِعِ الْخَلِيفَةِ بِيَعْدَادَ لِمَصَلَّةِ الْجُمُعَةِ، وَإِذَا بِصَبِيٍّ وَقِفٍ
عِنْدَ حَائِطِ الْمَقْصُورَةِ لَمْ يَبْلُغْ ثَمَانِيَةَ أَعْوَامٍ بِحَالٍ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ فِي التَّوْحِيدِ وَيُورِدُ
فِيهِ مَسْطُورًا بَدِيعًا، تَعَجَّزُ الْمَشِيبَةُ عَنْهُ قَدْ كَانَ لِقْنُهُ، فَذَكَرْتُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الْمُبَارَكِ
سُئِلَ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ: هُوَ تَرْكُ التَّعَجُّبِ، وَمَعْنَى هَذَا: أَلَّا تَرَى شَيْئًا بَدِيعًا مُتَقَنَّأً

(١) أ: بالمتحابين.

(٢) ك، م: وكمالها.

(٣) أ، ب: توصيلها.

(٤) ب: نازلها.

(٤) ك، م: ما صغر الله.

(٥) ب: لأنه سبحانه.

فَتَعَجَبَ مِنْهُ لِأَن قُدْرَةَ اللَّهِ أَعْظَمَ مِنْهُ، فَجَعَلْتُ أَنَا أَعْجَبُ وَأُطْرُقُ مُدَّةً مُتَفَكِّرًا فِي جَوْدَةٍ، حِفْظِهِ^(١)، وَحُسْنِ إِيْرَادِهِ عَلَى فَرْطِ صِغَرِ سِنِّهِ. فَلَمَّا نَحْنُ أَنْ نُعْظِمَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ لِأَنَّهُ خَلَقَ اللَّهَ، وَلَمَّا أَنْ نُصَغِّرَهُ لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَعْظَمَ مِنْهُ، أَوْ بِإِصْافَتِهِ إِلَى غَيْرِهِ. وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى خَرَجَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ^(٢): «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»^(١).

لَيْسَ لَنَا نَحْنُ تَصَرُّفٌ فِي الْإِعْتِقَادِ وَالْقَوْلِ فِي هَذَا إِلَّا هَكَذَا.

فَأَمَّا^(٣) الرَّبُّ - سُبْحَانَهُ - فَلَهُ أَنْ يُعْظِمَ مَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ تَعْظِيمِهَا عِنْدَهُ نَ يُقْسِمُ بِهَا، أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِكْرَامًا لَهُ وَتَشْرِيفًا فَقَالَ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: 72)⁽²⁾.

ثُمَّ زَادَهُ تَشْرِيفًا بِأَن أَقْسَمَ بِخَيْلِهِ وَصُبَاحِهَا*، وَضَرْبِهَا فِي الْأَرْضِ وَانْقِدَاحِهَا، وَغَارَاتِهَا فِي صَبَاحِهَا*^(٤)، وَإِذَا قَالَ ذَلِكَ سُبْحَانَهُ وَعَظَّمَ وَأَقْسَمَ بِهَا وَتَكَلَّمَ فَيَكُونُ هَذَا مَخْصُوصًا بِالْبَارِي عَلَى قَوْلٍ⁽³⁾، وَفِي آخِرِ يَكُونُ لَنَا أَنْ نُقْسِمَ بِمَا أَقْسَمَ بِهِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِ^(٥) مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَسَمَ بِغَيْرِ اللَّهِ كَانَ مَمْنُوعًا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ قَطْعًا، لِذَرِيعَةِ^(٦) تَعْظِيمِ الْخَلْقِ لِغَيْرِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ لَهُمْ أَثَرًا

(١) أ: لفظه.

(٢) أ: قوله ﷺ.

(٣) ب: وأما.

(٤) ما بين النجمتين ساقط من: أ.

(٥) أ: غيرها واستدرك الخطأ في الهامش.

(٦) ك، م: للذريعة.

(1) أخرجه البخاري في الأدب: 436/10 وفي مواضع أخرى (من الفتح)، ومسلم في الآداب: رقم:

2150 من حديث أنس بن مالك، والنُّغَيْرُ تصغير النغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار، ويجمع

على نَغْرَان. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث: 86/5.

(2) قارن بالقشيري في لطائف الإشارات: 277/3.

(3) انظر أقسام القرآن لابن قيم الجوزية: 7.

فِي نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ، فَتُهَوَّأ عَنْ ذَلِكَ حُسْماً لِلْبَابِ، حَتَّى اسْتَقَرَّ التَّوْحِيدُ فِي الْقُلُوبِ وَقَدَّرَ الْكُلُّ اللَّهَ - تَعَالَى - حَقَّ قَدْرِهِ^(١)، وَلِذَلِكَ رُويَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ^(٢): أَفْلَحَ^(٣) وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ، دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ^{(١)(٤)}.

وَقِيلَ: إِنَّمَا أَقْسَمَ بِهَا لِمَا فِيهَا مِنْ عَظِيمِ الْقُدْرَةِ لِلَّهِ - تَعَالَى -، وَكُلُّ قَسَمٍ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ فَإِنَّهُ بِمَخْلُوقَاتِهِ، إِلَّا فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ^(٢) فَإِنَّهُ أَقْسَمَ فِيهَا بِنَفْسِهِ^(٥).

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ (الذاريات: 23).

الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ (يونس: 53)^(٦).

الثَّالِثُ: قَوْلُهُ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (النساء: 64).

الرَّابِعُ: قَوْلُهُ ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ (التغابن: 7).

الخَامِسُ: قَوْلُهُ ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ (المعارج: 40).

وَالنُّكْتَةُ الْعُظْمَى وَالْفَائِدَةُ الْكُبْرَى فِي ذِكْرِهِ لِهَذَا الْقِسْمِ الْخَامِسِ بِإِدْخَالِ

(١) ك، م: وقدر الله لكل حق قدره.

(٢) قال: ساقطة من: أ.

(٣) ك، م: قد أفلح.

(٤) دخل الجنة إن صدق: ساقطة من: أ.

(٥) ب: في نفسه.

(٦) ك: والثاني: فوربك.

(1) الذي في مسلم: «أفلح وأبيه إن صدق، أو دخل الجنة وأبيه إن صدق» كتاب الإيمان: رقم: 11،

وانظر: البخاري في الإيمان 97/1، ومالك في قصر الصلاة في السفر: 175/1، وأبو داود في

الصلاة، رقم: 391، والنسائي في الصيام: 121/4.

(2) فإنه مواضع منها الرعد: 92، مريم: 68.

حَرْفٍ «لَا» فِيهِ أَنْ يَكُونَ مَسَاقُ قَسَمِهِ فِيهِ بِنَفْسِهِ مَسَاقُ قَسَمِهِ ^(١) بِمَخْلُوقَاتِهِ، لِثَلَا يَظُنُّ مُقْصَرٌ ^(٢) أَنَّهَا زَائِدَةٌ، وَذَكَرُ ^(٣) الْقَوْلِ فِي تِلْكَ الْأَقْسَامِ عَلَى تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ كَمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ مُمْتَنِعٌ فِي قَوْلِهِ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ وَهُوَ شَافٍ كَافٍ لِكُلِّ مُتَكَلِّفٍ رَمَى ^(٤) بِالْقَوْلِ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمْ، فَافْهَمُوهُ تَرَشُّدُوا، وَتَيَقَّنُوا ^(٥) أَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَفْيٍ، وَلَا بِرَادَّةٍ لِكَلَامٍ مُتَقَدِّمٍ، فَقَدْ رَدَّهُ قَوْلُهُ: ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ (المعارج: 39).

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾.

وَأَنَا أَقُولُ إِنَّهُ لَوْ أُقْسِمَ بِهَا ^(٦) مُقْسِمٌ لَمَا أُقْسِمَ بِهَا إِلَّا بِالصَّبْغَةِ ^(٧) الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ - تَعَالَى -، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: لَا ^(٨) أُحْلِفُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ إِنَّهُ لَقَدْ كَانَ كَذًا وَكَذَا... وَالصَّحِيحُ الْإِقْتِدَاءُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيُحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ» ^(٩). فَقَدْ أُقْسِمَ اللَّهُ بِمَا أُقْسِمَ، فَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا أَمَرَ، وَشَرَعَهُ مُتَّبَعٌ، وَبِحَقٍّ ^(٩) لِلنَّفْسِ أَنْ تُعْظَمَ فَإِنَّ لَهَا خِصَالًا وَصِفَاتٍ ^(١٠)، وَهِيَ جَادَّةُ الْمَعْرِفَةِ وَطَرِيقُ التَّوْحِيدِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجَسَدِ مُنَازَعَاتٌ.

(١) مساق قسمه: ساقطة من: ك، م.

(٢) ك، م: مفسر.

(٣) ك، م: أو ذكر.

(٤) ك، م: مكلف رمى.

(٥) أ: تلقنوا.

(٦) ك، م: قسم به.

(٧) ب: الصبغة.

(٨) ك، م: لو.

(٩) ك، م: ولحق.

(١٠) في كل النسخ: وصفاتاً.

(I) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في الشهادات: 162/3.

ذِكْرُ الْمُنَازَعَةِ بَيْنَ (١) النَّفْسِ وَالْجَسَدِ (٢)

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ كَفَّرَتْ (٣) أَعْضَاؤُهُ اللِّسَانَ تَقُولُ: أَتَى اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّكَ إِذَا اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِذَا اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا» (١).

فَظَاهِرُ هَذَا أَنَّ الْجَسَدَ تَحْتَ حُكْمِ النَّفْسِ، وَأَنَّهُ يَتَّقِي الْهَلَكَ مِنْهَا بِمَا يُلْقِي إِلَى اللِّسَانِ، وَكَفَّرَ (٤) الْجَسَدُ اللِّسَانَ أَيُّ: سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخُضُوعِ وَالْإِنْحِنَاءِ، وَهُوَ (٥) سَلَامُ الْأَعَاجِمِ، وَعَبَّرَ ﷺ عَنِ السَّلَامِ بِتَكْفِيرِ (٦) الْأَعَاجِمِ (٧)، لِأَنَّهُمَا أَعْجَمِيَّانِ، وَلِأَنَّهُ الْغَايَةُ فِي الْخُضُوعِ، فَضَرَبَ الْمَثَلَ بِهِ لِعَظِيمِ التَّقِيَّةِ فِيهِ. وَفِي الْحَدِيثِ حِكْمٌ اسْتَوْفَيْنَا شَرْحَهَا (٨) فِي «مُخْتَصَرِ النَّبِيِّينَ» (٩).

(١) ب: التي بين.

(٢) أ، ك، م: بين النفس والجسد.

(٣) ب: بعدت، واستندرك الخطأ في الهامش، ك، م: كبرت.

(٤) ك، م: كَبَّرَ.

(٥) أ: وهي.

(٦) ك، م: بتكبير.

(٧) ما بين النجمتين ساقط من: أ.

(٨) ك، م: شرحه.

(٩) أ: كتاب.

(١) لفظ الحديث كما ورد عند الترمذي في الزهد رقم: 2409: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: أَتَى فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، إِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا» =

مِنْهَا أَنْ يُقَالَ ^(١): كَيْفَ كَفَرُ ^(٢) الْجَسَدُ اللَّسَانَ دُونَ النَّفْسِ وَهِيَ الْحَاكِمَةُ
لِللِّسَانِ؟

لَأَنَّهَا مَلِكُ الْبَدَنِ، أَوْ فَارِسُهُ، عَلَى اخْتِلَافِ الْمَقَاصِدِ فِي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ،
بِهَا اسْتَقَرَّتْ فِي الْبَدَنِ اسْتِقْرَارَ الْمَلِكِ، وَالْحَوَاسُّ جَوَاسِيسُ لَهَا، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ
مُطَّلَعٌ، فَمُطَّلَعُ الْبَصَرِ الْأَلْوَانُ، وَمُطَّلَعُ السَّمْعِ الْأَصْوَاتُ، وَهَكَذَا إِلَى آخِرِهَا،
فَيَنْهَوْنَ ^(٣) إِلَى النَّفْسِ مَا يَطْلُعُونَ عَلَيْهِ.

وَعَنْ كَعْبٍ ^(١) «إِنَّ الْإِنْسَانَ عَيْنَاهُ هَادٍ، وَأُذُنَاهُ قُمْعٌ، وَلِسَانُهُ تُرْجَمَانٌ، وَيَدَاهُ
جَنَاحَانِ، وَرِجْلَاهُ بَرِيدَانِ ^(٤)»، وَالْقَلْبُ مَلِكٌ، فَإِذَا طَابَ الْمَلِكُ طَابَتِ جُنُودُهُ ^(٢).

وَفِي جَامِعِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ^(٣)

(١) ك، م: ومنها أن يقول.

(٢) ك، م: كبر.

(٣) ك، م: فيمنون.

(٤) أ، ب: بريد.

= وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي في «شعب الإيمان» وقال عنه شيخنا ناصر الدين
الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير: 156/1.

والتكفير هو أن ينحني الإنسان ويطأ طء رأسه قريباً من الركوع، انظر الزمخشري: الفائق في
غريب الحديث: 268/3، وابن الأثير: النهاية في غريب الحديث: 188/4.

(1) هو كعب بن مَتَعِ الْجَمِيرِيُّ الْيَمَانِيُّ الْعَلَامَةُ الْحَبِيرُ، كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَحَسُنَ
إِسْلَامُهُ، وَكَانَ يَحْدِثُ كَثِيرًا مِنْ كُتُبِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ. ابن سعد: الطبقات: 445/7، الذهبي: سير
أعلام النبلاء: 489/3.

(2) تمام الحديث أن كعب الأحبار قال: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ عَيْنَاهُ...
الحديث، فقالت: هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: قلت: أورد هذا الأثر الغزالي في الإحياء: 13/3،
وعلق العراقي عليه بقوله: «أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي، والطبراني في «مسند الشاميين». والله
أعلم بدرجة.

(3) هو الإمام الحافظ عبد الرزاق بن هَمَّامِ الْجَمِيرِيُّ مَوْلَاهُمْ، أَبُو بَكْرٍ الصَّنْعَانِيُّ، رَوَى عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ
وَالْإِمَامِ مَالِكٍ وَخَلَقَ كَثِيرٌ، وَلَدَ سَنَةَ 126، وَتَوَفَّى سَنَةَ 211، انظر: طبقات ابن سعد: 548/5، والجرح =

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(١) قَالَ: «الْقَلْبُ مَلِكٌ وَلَهُ جُنُودٌ، فَإِذَا أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكَ صَلَحَتْ جُنُودُهُ، وَإِذَا فَسَدَ الْمَلِكُ فَسَدَتْ جُنُودُهُ، الْأُذُنَانِ قُمْعٌ، وَالْعَيْنَانِ^(٢) مَسْلِحَةٌ، وَاللِّسَانُ تُرْجَمَانٌ، وَالْيَدَانِ جَنَاحَانِ، وَالرُّجُلَانِ بَرِيدَانِ^(٣)، الْكَبِدُ رَحْمَةٌ، وَالطَّحَالُ ضَحْكٌ، وَالْكُلَيْتَانِ مَكْرٌ، وَالرِّثَةُ نَفْسٌ، فَإِذَا صَلَحَ^(٤) الْمَلِكُ صَلَحَتْ جُنُودُهُ وَإِذَا فَسَدَ الْمَلِكُ فَسَدَتْ جُنُودُهُ»^(٥).

(١) واو العطف في الجمل التالية ساقطة من: أ، ب.

(٢) أ، ب: بريد.

(٣) أ، ك، م: أصلح.

(٤) وإذا فسد الملك فسدت جنوده: ساقطة من: أ.

.....

= والتعديل: 38/6، ووفيات الأعيان: 216/3، وسير أعلام النبلاء: 563/9، وتهذيب التهذيب: 310/6.
(1) هو الصحابيُّ الجليل عبد الرحمان بن صخر الدؤسي، وهو أشهر من أن يُترجم له، قال عنه الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره، توفي رضي الله عنه سنة: 59، انظر في ترجمته، ابن قتيبة: المعارف: 120، ابن عبد البر: الاستيعاب: 202/4، الذهبي: تذكرة الحفاظ: 32/1.

(2) أورد المؤلف هذا الحديث في سراج المريدین: 66/أ وعقب عليه بقوله: وهذا لا يحتاج إليه من كلام النبوة ونبوع الحكمة، قال النبي ﷺ: «أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً... الحديث».
قلت: وحديث أبي هريرة أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه: 221/11 رقم: 20375، ورواه البيهقي في الشعب كما ذكره المتقي الهندي في كنز العمال: 241/1. وثمة اختلاف يسير في ألفاظ الحديث.

ذِكْرُ الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ فِي النَّفْسِ وَالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ

وَإِذَا ذَكَرْتَ الْفَلَاسِفَةَ مَعْنَى (١) هَذِهِ الْأَمْثَالِ ، فَفِيهَا حُجَّةٌ عَلَيْهَا فِي قَوْلِهَا : إِنَّ النَّفْسَ تَتَجَلَّى لَهَا الْحَقَائِقُ دُونَ نَظَرٍ ، وَإِذَا كَانَ اللِّسَانُ خَادِمًا لِلنَّفْسِ فَكَيْفَ تُكْفِّرُهُ (٢) الْأَعْضَاءُ دُونَهَا؟ .

وَنَحْنُ نَقُولُ : إِنَّ هَذِهِ التَّمَثِيلَاتِ الْوَارِدَةَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لَا مَطْمَعٌ فِي الْإِحَاطَةِ بِمُتَعَلِّقَاتِهَا ، وَإِنَّمَا يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ (٣) مِنْهَا بِمِقْدَارِ مَا تَفِضُّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْهَا ، وَلَعَلَّ الْجَسَدَ إِنَّمَا يَقْصِدُ اللِّسَانَ (٤) لِأَنَّهُ الْأَذْنَى إِلَيْهِ وَالظَّاهِرُ لَهُ .

وَقِيلَ : الْمَعْنَى أَنَّهُ (٥) يَوْرَعُهُ بِاللَّهِ - تَعَالَى - كَمَا فَعَلَتِ الصَّدِيقَةُ حِينَ قَالَتْ : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ (مريم : 17) .

وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ لِجِنَايَةِ اللِّسَانِ عَلَى الْبَدَنِ (٦) ، فَإِنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِمَا فِيهِ هَلَاكُهُ وَهَلَاكُ الْبَدَنِ مَعَهُ .

وَمِنَ الرِّبَاطِ الَّذِي بَيْنَ الْجَسَدِ وَالنَّفْسِ مِثَالُ غَرِيبِ ضَرْبِهِ الْعُلَمَاءُ ، وَأَسْنَدُهُ

(١) ك ، م : صفة معنَى .

(٢) ك : تكبير ، م : تكبره .

(٣) ك ، م : أحد .

(٤) ك ، م : الإنسان .

(٥) أنه : ساقطة من : أ ، ب .

(٦) ب : كناية اللسان دل بالبدن .

بَعْضُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَإِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ^(١) وَلَمْ يَصَحَّ، قَالُوا: «بَلَغَ مِنَ الْخُصُومَةِ بَيْنَ الْخَلْقِ^(٢) يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، فَيَقُولُ الرُّوحُ: رَبِّ هَذَا الَّذِي عَمِلَ^(٣) الْعَمَلَ، فَخَلَّدَ عَلَيْهِ الْعَذَابَ، فَيَقُولُ لَهُ^(٤) الْجَسَدُ: رَبِّ^(٥) وَمَا كُنْتُ أَنَا؟ إِنَّمَا كُنْتُ^(٦) أَسْبَطُ بِهِ، وَأَقْبِضُ بِهِ، وَأَعْمَلُ بِهِ، وَأَقُومُ بِهِ وَأَقْعُدُ^(٧)، فَيَقَالَ^(٨) لَهُمَا: أَرَأَيْتُمَا لَوْ^(٩) أَنْ أَعْمَى وَمُقْعَدًا^(١٠) أَدْخِلَا حَائِطًا مُثْمِرًا، فَقَالَ الْبَصِيرُ الْمُقْعَدُ^(١١): أَنَا لَا أَنَالُهُ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْمَى: أَنَا أَحْمِلُكَ عَلَى عُنُقِي حَتَّى تُدْرِكَهُ، فَأَخَذَهُ فَحَمَلَهُ حَتَّى أَخَذَ مِنَ الثَّمَرِ وَأَكَلَا جَمِيعًا، عَلَى مَنْ يَكُونُ الْعَذَابُ؟ فَيَقُولُ: عَلَيْهِمَا جَمِيعًا. وَلِعَظِيمِ مَوْقِعِ مَعْرِفَةِ النَّفْسِ^(١٢) مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ (الحشر: 19).

(١) ك، م: الخلائق.

(٢) ب: على.

(٣) له: ساقطة من: أ، ب.

(٤) ب: ساقطة من: ك، م.

(٥) كنت: ساقطة من: ك، م.

(٦) ك، م: وأقعد به.

(٧) ك، م: فيقول.

(٨) لو: ساقطة من: ك.

(٩) ب: مقعد.

(١٠) أ: للأعمى، وفي: ب: للمقعد.

(١١) ك، م: وتعظيم معرفة النفس.

.....

(1) هو الصحابي الجليل عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ وصاحبه، حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتَرْجُمان القرآن، توفي رضي الله عنه سنة: 63، انظر: الاستيعاب: 350/2، والإصابة 330/2، وتذكرة الحفاظ: 40/1.

(2) لم أعر على هذا الحديث الباطل المكذوب على رسول الله ﷺ بنصه كما ذكره ابن العربي، وإنما وجدت في الموضوعات لابن الجوزي: 249/3 حديثاً يشبهه عن أنس بن مالك، وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع، كما أورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة: 449/2 - 450 وعزاه إلى الدارقطني، وحكم عليه بالوضع كذلك، انظر الفتني: تذكرة الموضوعات: 224.

فَإِنَّكَ لَا تَغْفُلُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا وَقَدْ تَرَكَّبْتَ عَلَيْهِ (١) غَفْلَةً بِرَبِّكَ، لَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْكَ دَلِيلٌ عَلَيْهِ، وَطَرِيقٌ مَهْيَعٌ إِلَيْهِ، وَالْبَارِئُ (٢) - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يُبْصِرُكَ نَفْسَهُ بِنَفْسِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: 20، 21).

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ، فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُنَّ، وَفِي النَّفْسِ، وَنَفْسُكَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ وَأَقْعَدُ بِكَ.

فَهَذَا طَرِيقٌ وَأَصْلٌ فِي التَّفْسِيرِ، وَقَانُونٌ مِنَ التَّأْوِيلِ فَخُذْ بِهِ، وَرَكَّبْ عَلَيْهِ مَا فِي ابْنِ آدَمَ مِنَ الْآيَاتِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: 52).

قِيلَ: تَسْتَدِلُّ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى الْبَارِئِ، فَإِذَا عَرَفْتَهُ، اسْتَدَلَلْتَ بِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

وَقَوْلُهُ: «فِي الْأَفَاقِ»: مِنْ تَغْيِيرِ (٣) الْأَحْوَالِ، وَتَبْدِيلِ الدُّوَلِ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْغَيْمِ وَالصَّحْوِ، وَظُهُورِ الْإِسْلَامِ وَخُمُولِ الْكُفْرِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ بَحَارِ (٤) التَّأْوِيلِ، وَمَهَامِهِ التَّفْسِيرِ، وَتُرَكَّبُ عَلَيْهِ مَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ التَّنْظِيرِ.
نُكْتَةٌ فِي الْبَابِ:

وَلَا يَخْفَى فَضْلُ الرُّوحِ عَلَى الْجَسَدِ، فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - لَمَّا ذَكَرَهُ قَالَ: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (ص: 70).

(١) ب: عليك.

(٢) ك، م: الله.

(٣) ك، أ، م: تغيير.

(٤) ك، م: بحور.

فَأَصَافَ الْجَسَدَ إِلَى الطِّينِ، وَلَمَّا ذَكَرَ الرُّوحَ أَصَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفاً فَقَالَ:
﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ (ص: 71).

وَقَدْ قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْجَسَدَ يَفْنَى وَالرُّوحُ يَبْقَى، وَالْبَاقِي أَشْرَفُ مِنَ
الْفَانِي، وَحَقِيقَةُ التَّفْضِيلِ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَنَا بِالصِّفَاتِ لَا بِالذَّوَاتِ، فَإِنَّ الدَّلِيلَ قَدْ
قَامَ عَلَى أَنَّ الذَّوَاتِ مُتَجَانِسَةٌ.

مَزِيدُ بَيَانٍ فِيهِ^(١):

قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي...
الْآيَةُ ﴾ (الإسراء: 85)^(١).

فَحَجَبَهَا عَنِ الْخَلْقِ، فَتَسَلَّطُوا عَلَيْهَا، وَتَابَعَتِ الصُّوفِيَّةُ الْفَلَاسِفَةَ^(٢) فِي شَيْءٍ

(١) فِيهِ: ساقطة من: ك، م.

(1) قد أجاد المؤلف رحمه الله تحقيق هذا الموضوع - قضية الروح - في تفسيره الكبير الجامع الماتع
«معركة قانون التأويل»: 59/1 - 66/ب فقد ذكر فيه أقوال العلماء والفرق وتحرير آرائهم ومذاهبهم
على أفضل وجه وأجمعه فَرَأَجَعُهُ. وانظر المتوسط: 121، المسالك في شرح موطأ مالك لوجه: 72،
القبس شرح موطأ مالك بن أنس: 10، العواصم: 35، العارضة 42/7، الأحكام: 1224.

(2) على رأس الصوفية المتأثرين بالفلاسفة، شيخه الإمام الغزالي والذي عناه بقوله: «قالوا» فقد صرح
باسمه في المسالك: 79 حيث قال: «وأما الذي ذهب إليه الطوسي فهي عبارة فلسفية وهي عن سُبُلِ
الشَّرْعِ قَصِيَّةٌ، وقد حام عليها في أكثر كتبه». قلت: وهذه العبارة الفلسفية هي التي أوردها ابن
العربي هنا بقانون التأويل، وهي عند الغزالي في «روضة الطالبين»: 70 كالتالي: (. . .) فإن قيل فما
معنى قوله: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾؟ وما معنى عالم الأمر وعالم الخلق؟ فيقال: إن كل ما يقع
عليه مساحة وتقدير فهو من الأجسام وعوارضها، فهذا هو عالم الخلق، والخلق هاهنا بمعنى التقدير
لا بمعنى الإيجاد والإحداث، يقال خَلَقَ الشَّيْءُ: قَدَرَهُ، وكل ما لا كَمِّيَّةَ له ولا تقدير يقال إنه أمر
رباني . . . فكل ما هو من هذا الجنس من أرواح البشرية وأرواح الملائكة يقال أنه من عالم الأمر،
وعالم الأمر عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز والدخول
تحت المساحة والتقدير، لانتفاء الكمية عنه، فإن قيل: فهذا يُوهِمُ أَنَّ الرُّوحَ قَدِيمٌ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ،
فيقال: قد توهم هذا قوم ضلال، فمن قال إنه ليس بمخلوق بمعنى أنه غير مقدر بكمية لأنه لا يتجزأ
أو لا يتحيز فهو مصيب، إلا أنه مخلوق بمعنى أنه حادث وليس بقديم . . .) =

مِنْ أَغْرَاضِهَا فِيهَا، قَالُوا: الْعَالَمُ عَالَمَانِ، عَالَمُ الْخَلْقِ، وَعَالَمُ الْأَمْرِ، وَالرُّوحُ^(١) مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ^(١)، وَأَشَارُوا إِلَى أَنَّ^(٢) الْخَلْقَ مِنْ الْعَالَمِ مَا كَانَ كَمِّيًّا^(٢) مُقَدَّرًا، وَالْأَمْرَ مَا لَمْ يَكُنْ مُقَدَّرًا، وَالرُّوحُ عَنْدهُمْ حَدِيثٌ وَلَا يَكُونُ عَنْدهُمْ مُحَدَّثٌ^(٣) فِي احْتِرَازَاتٍ مِنْ مَقَاصِدَ لَا خَيْرَ فِيهَا قَدْ بَيَّنَّاها فِي كُتُبِ^(٤) «الْأُصُولِ»، وَأَوْضَحْنَا أَنَّ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ - تَعَالَى - مَخْلُوقٌ دَاخِلٌ فِي الْكَمِّيَّةِ مُقَدَّرٌ^(٥)، وَإِنَّمَا الَّذِي يَتَقَدَّسُ عَنِ الْكَمِّيَّةِ وَيَتَعَالَى عَنِ التَّقْدِيرِ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، وَيَكَادُ يَكُونُ هَذَا الْقَوْلُ تَحْلِيلًا^(٦) عَلَى مَذَاهِبِ الْحُلُولِيَّةِ، وَاعْتِصَامًا^(٧) بِمَذْهَبِ النَّصَارَى فِي عَيْسَى، وَالْقَوْلُ مُسْتَوْفَى فِي كُتُبِ «الْأُصُولِ» عَلَى فَسَادِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالذَّلِيلِ، وَمَا أَبْعَدَهُ عَنِ التَّحْصِيلِ وَأَفْسَدَهُ فِي التَّأْوِيلِ، وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ حِكَايَةِ الطُّوسِيِّ^(٨) (٥)^(٣) لَهُ^(٧)، وَلَقَدْ تَأَمَّلْتُهُ مَعَهُ وَمُذْ فَارَقْتُهُ تَأَمَّلْتُ الْمُصَنِّفِ^(٨) لَهُ، الْمُجْتَهِدِ فِي بَيَانِهِ، فَمَا وَجَدْتُ لَهُ فِي الثُّبُوتِ قَدَمًا، وَلَا اسْتَمَرَّ عَلَى سَبِيلِ التَّحْقِيقِ لِقَاصِدٍ أَمَّا. وَكَذَلِكَ تَسَوَّرَ الْقَاضِي

(١) الأمر ساقطة من: ب، واستدرك الخطأ في الهامش.

(٢) أن: ساقطة من: ك، م.

(٣) أ، ب: محدثا.

(٤) ك، م: قيدناها من كتاب.

(٥) أ: مقدور.

(٦) ك، ب: تحليل... اعتصام.

(٧) له: ساقطة من أ، وفي: ب: الطوسي محمد.

(٨) ب: المنصف.

= وانظر مثل هذا الكلام في كيمياء السعادة له: 506، وللتوسع في معرفة آراء المتصوفة انظر: الرسالة القشيرية: 49/1، 308/2، اللمع للطوسي: 554 عوارف المعارف للسهروردي: 443 - 452، كشاف اصطلاحات الفنون: 18/3 - 28 (ط: تراثا) وانظر نقد وتقويم هذه الآراء من وجهة شرعية كتاب «الروح»: 144 لابن قيم الجوزية ففيه تتبع عظيم.

(1) الكلام التالي أورده المؤلف في قانون القاهرة 60/ب - 61/أ مع اختلاف في الألفاظ.

(2) في قانون القاهرة 60/ب: كثيفاً.

(3) انظر تعليقنا السابق.

عَلَيْهَا، وَأُطْنَبَ الْقَوْلُ فِيهَا، وَأَبَانَ بِالْذَّلِيلِ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ، فَلَا يَخْلُو أَنْ تَكُونَ جَوْهَرًا أَوْ عَرَضًا، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهَا عَرَضٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمَعْلُومِ فِي كُتُبِهِ (١)، وَمَالَ الْجَوْنِيُّ إِلَى أَنَّهَا جِسْمٌ تَعْوِيلًا عَلَى ظَوَاهِرِ الشَّرْعِ فِيمَا أَضَافَ إِلَيْهَا مِنَ الْأَفْعَالِ، وَأَخْبَرَ عَنْهَا مِنَ الْأَحْوَالِ، وَخَاصَّةً فِي (١) الْعُرُوجِ وَالْإِنْتِقَالِ وَالْأَكْلِ فِي الْجَنَانِ، وَذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ الْأَجْسَامِ (٢) (٣).

وَأَشَارَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّ الرُّوحَ تُفَارِقُ الْبَدَنَ، وَهِيَ عَرَضٌ فَتَقُومُ بِجُزْءٍ مِنَ الْجِسْمِ تُضَافُ إِلَيْهِ هَذِهِ الْأَوْصَافُ كُلُّهَا الَّتِي تَسْتَحِيلُ عَلَى الْأَعْرَاضِ، وَلَعَلَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَفْنَى تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ» (٣) إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرْكَبُ» (٣) فَتَعَارَضَتْ هَذِهِ

(١) في: ساقطة من: أ، ك.

(٢) أ: الأجساد.

(٣) تأكله الأرض: ساقطة من: أ، ب.

(1) لم أتمكن من معرفة آراء الباقلاني في الروح، فهو لم يتطرق لهذا الموضوع في كتبه التي بين أيدينا، والذي عثرت عليه هو ما نقله ابن العربي عنه في «قانون القاهرة» لوحة 63/ب: قال: «إن الروح عرض يحدث في ظاهر الأجسام الكثيفة».

(2) قال الجويني ما نصه: «الأظهر عندنا أن الروح أجسام لطيفة مشابهة للأجسام المحسوسة، أجرى الله تعالى العادة باستمرار الأجسام ما استمرت مشابهتها لها، فإذا فارقتها يعقب الموت الحياة في استمرار العادة. ثم الروح من المؤمن يعرج به ويرفع في حواصل طيور خضر إلى الجنة، ويهبط به إلى سحيق من الكفرة (هكذا بالأصل وهو تحريف) كما وردت به الآثار، والحياة عرض تحيا به الجواهر، والروح يحيا بالحياة أيضاً وإن قامت به الحياة، فهذا قولنا في الروح» الإرشاد: 377. قال ابن العربي في «قانون القاهرة: 60/ب» «ألف الجويني ثلاثة مجلدات في الكلام على حقيقته ولم يصف (كذا) فيه شيئاً غير أنه حكى أقوال الناس وجميع الفرق».

قلت: وإلى هذا التأليف أشار الجويني في العقيدة النظامية: 59، حيث قال: «لَوْ ذَهَبَتْ أَتَكَلَّمُ فِي الرُّوحِ لَطَالَ الْمَرَامُ، وَقَدْ جَمَعْتَ كِتَابًا سَمِيَتْهُ «كِتَابُ النَّفْسِ» وَهُوَ يَشْمَلُ قَرِيبَ مِنْ أَلْفِ وَرَقَةٍ». (3) أخرجه البخاري في التفسير: 424/8، ومسلم في الفتن رقم: 2955، ومالك في الموطأ كتاب الجنائز: 239/1، وأبو داود في سننه رقم: 4743، والنسائي في الجنائز: 111/4، كلهم عن أبي هريرة بلفظ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ» ولم ترد كلمة «يفنى» فالله أعلم بها.

الْأَعْرَاضُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا، فَتَوَقَّفَ قَوْمٌ عَنْهَا، وَالَّذِي يَتَحَصَّلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَمْرَانِ :
أَحَدُهُمَا : * أَنَّ الرُّوحَ بِالذَّلِيلِ الْقَاطِعِ الْعَقْلِيِّ مَخْلُوقٌ مِنْ غَيْرِ إِشْكَالٍ ، يَكْفُرُ
جَاحِدٌ ذَلِكَ .

الثَّانِي * (١) : أَنَّ الرُّوحَ بِالذَّلِيلِ الْقَاطِعِ الشَّرْعِيِّ بَاقِيَةٌ لَا فَنَاءَ لَهَا، وَالنَّظَرُ بَعْدَ
ذَلِكَ فِي أَنَّهَا عَرَضٌ أَوْ جَوْهَرٌ؟ فَهَذَا مَوْضِعُ الْإِشْكَالِ ، وَمَحَلُّ الْاجْتِهَادِ ، وَسَبِيلُ
الْعُدْرِ فِي ذَلِكَ مُمَهَّدٌ لِمَنْ اضْطَرَبَ فِيهِ (٢) قَوْلُهُ ، وَاخْتَلَفَ عَلَيْهِ (٣) رَأْيُهُ ، وَالْأَقْوَى
أَنَّهَا عَرَضٌ لَا جَوْهَرٌ ، وَصِفَةٌ غَيْرُ مَوْصُوفٍ ، فَإِنَّ التَّحَامُلَ عَلَى الْأَلْفَافِ فِي تَأْوِيلِهَا
وَصَرَفِهَا مِنَ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ ، أَقْرَبُ فِي النَّظَرِ مِنَ الْإِضْطِرَابِ فِي الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ
الَّتِي تُوَجِّبُ أَنَّهَا لَا تَقُومُ بِنَفْسِهَا حَسَبَ مَا سَطَرْنَاهُ فِي كُتُبِ « الْأُصُولِ » مِنْ كَلَامِنَا ،
وَنَقَلْنَاهُ مُتَحَلًّا عَنْ عُلَمَائِنَا (٤) ، وَهُوَ قَانُونٌ عَظِيمٌ ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ فِي الْأَعْرَاضِ
الْعِلْمِيَّةِ ، وَصَرَّفُوهُ (٤) فِي الْأَبْرَامِ وَالْإِنْتِقَاضِ عِنْدَ التَّصَرُّفِ فِي وُجُوهِ التَّأْوِيلِ .

(١) ما بين النجمتين ساقط من : ب ، ك ، م .

(٢) فيه : ساقطة من : أ .

(٣) عليه : ساقطة من : ك ، م .

(٤) ب : وصرفه .

(١) هنا ينتهي نص قانون القاهرة 61/أ .

ذِكْرُ الْإِعْتِذَارِ عَنْ عُذُولِ الْعُلَمَاءِ عَنِ الْكِتَابِ إِلَى أدِلَّةِ الْعُقُولِ

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا عُذْرُ عُلَمَائِكُمْ فِي الْإِفْرَاطِ بِالتَّعَلُّقِ بِأدِلَّةِ الْعُقُولِ دُونَ الشَّرْعِ الْمُنْقُولِ فِي مَعْرِفَةِ الرَّبِّ، وَاسْتَوْغَلُوا فِي ذَلِكَ^(١)؟

قُلْنَا: لَمْ يَكُنْ هَذَا لِأَنَّهُ^(١) خَفِيَ عَلَيْهِمْ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ مِفْتَاحَ الْمَعَارِفِ، وَمَعْدِنُ الأدِلَّةِ، لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ إِلَى غَيْرِهِ سَبِيلٌ، وَلَا بَعْدَهُ دَلِيلٌ، وَلَا وَرَاءَهُ لِلْمَعْرِفَةِ مُعَرِّسٌ وَلَا مَقِيلٌ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا^(٢) وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الأدِلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ وَقَعَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مُخْتَصَرَةً بِالْفَصَاحَةِ، مُشَاراً^(٣) إِلَيْهَا بِالْبَلَاغَةِ، مَذْكُوراً^(٣) فِي مَسَاقِهَا الْأَصُولِ، دُونَ التَّوَابِعِ وَالْمَتَعَلِّقَاتِ

(١) أ: ولكنه.

(٢) أرادوا: ساقطة من ك، م.

(٣) ك، م: مشار... مذكور، ولكل وجه صحيح في العربية.

(١) قال المؤلف حول هذا الموضوع في سراج المريدين: 52/ب ما يأتي: «... نشأت المبتدعة من القدرية وأترابهم، فتكلموا باللفاظ الأوائل من عرض وجوهر وحامل ومحمول، وخاضوا في أن العرض يتعدد، وأن الجوهر الفرد لا يتعدد، وركبوا عليه أدلة التوحيد، وهذا وإن كان يفضي إلى تحقيق، ولكنه خروج عن سيرة السلف، ويصلح للغلبة في الجدل، وإلا فقد أغنى الله في كتابه بما وضع من أدلته، «وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ». ولو لم يمكنوا أنفسهم من هذه الألفاظ معهم ولا انقادوا في تَرَدِّدِهَا فِي النِّظَرِ إِلَيْهِمْ، لَكَانُوا قَدْ سَدَّوْا مِنَ الْبُدْعَةِ بَاباً، وَطَمَسُوا وَجْهَهَا، فَإِنَّ الْمَدَاخِلَةَ لَهُمْ، فِيهَا إِطَالَةُ النَّفْسِ، وَمَا حَلَّتْ عَقْدَةُ الْحَبْسِ».

مِنَ الْفُرُوعِ ، فَكَمَّلَ الْعُلَمَاءُ ذَلِكَ الْإِخْتِصَارَ ، وَعَبَّرُوا^(١) عَنْ^(٢) تِلْكَ الْإِشَارَةِ بِتَمَمَةِ
الْبَيَانِ ، وَاسْتَوْفُوا^(٣) الْفُرُوعَ وَالْمُتَعَلِّقَاتِ بِالْإِيرَادِ .

الثَّانِي : أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَصِّرُوا الْمُلْحِدَةَ ، وَيُعَرِّفُوا^(٤) الْمُبْتَدِعَةَ أَنَّ مُجَرَّدَ
الْعُقُولِ الَّتِي يَدْعُونَهَا لِأَنْفُسِهِمْ ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا مَعْيَارُهُمْ ، لَا حَظَّ لَهُمْ فِيهَا ، وَزَادُوا
الْفَاطَا حَرَرُوهَا بَيْنَهُمْ ، وَسَاقُوهَا فِي سَبِيلِهِمْ ، قَصْداً لِلتَّقْرِيبِ ، وَمُشَارَكَةً لَهُمْ فِي
ذَلِكَ مِنْ مُنَازَعَتِهِمْ ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ كَيْفَ دَارَتْ الْحَالُ مَعَهُمْ مِنْ كَلَامِهِمْ
بِمَنْقُولٍ^(٥) أَوْ مَعْقُولٍ ، فَإِنَّهُمْ فِيهِ عَلَى غَيْرِ تَحْصِيلٍ^{(١)(٦)} ، وَذَلِكَ يَتَبَيَّنُ بِتَتَبُعِ
أَدِلَّتِهِمْ فِي الْفُصُولِ ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - قَدْ أَوْعَبَ الْقَوْلَ فِي حَدَثِ
الْعَالَمِ ، وَنَبَّهَ بِاخْتِلَافِ الْأَعْرَاضِ عَلَيْهَا فِي الْإِنْتِقَالَاتِ^(٢) ، وَكَذَلِكَ كَرَّرَ الْقَوْلَ فِي

(١) ك ، م عمدوا ، ب : سقطت .

(٢) عن : ساقطة من : ب .

(٣) ب : استوفوا .

(٤) م : ويفرقوا .

(٥) ك ، م : كلام منقول .

(٦) أ : سهى الناسخ فكرر العبارة مرتين .

(١) انظر هل يرضي هذا الاعتذار علماء السلف؟ في رأينا أنه لا يرضيهم ومن أراد الوقوف على ذلك
فليرجع إلى ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل : 144/7 ، وابن أبي العز في شرح عقيدة
الطحاوي : 152 - 159 .

(٢) هذا الدليل هو المعتمد عند ابن العربي رحمه الله ، فهو يقول عنه : « . . . الاستدلال بالتغير على
الحدوث إليه يرجع كل بسيط وموجز من الأدلة ، وعليه عَوَّلَ الخليل إبراهيم عليه السلام . . . »
المتوسط في الاعتقاد : 7 .

وقال في واضح السبيل : 65/أ (مخطوط مكناس : 926 تفسير) : « . . . الدليل على حدث العالم
قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ تَكْ شَيْئاً ﴾ وللعلماء في إثبات حدث العالم طرق كثيرة منها
بسيطة ، ومنها وجيزة ، وأبسطها ما انعقد عليه القول وذكر فيه الدليل مرتباً على أربع مقدمات :
المقدمة الأولى : إثبات الأعراض . الثانية : إثبات حدثها . الثالثة : إثبات استحالة تعري الجواهر
عنها ، إذ الجواهر لا تسبق الحوادث . الرابعة : إثبات استحالة حوادث لا أول لها ، فإذا ترتبت هذه
الأربعة صحَّ المطلوب . . . » للتوسع في معرفة هذا الدليل انظر : « الوصول إلى معرفة الأصول » =

دَلَالَةُ التَّوْحِيدِ بِالتَّمَانِعِ ⁽¹⁾⁽¹⁾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (المؤمنون: 91).

وَقَوْلِهِ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: 22).

وَهَذَانِ الدَّلِيلَانِ هُمَا اللَّذَانِ بَسَطَ الْعُلَمَاءُ وَمَهَّدُوا بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا مِنْ فُصُولٍ وَتَوَاجِعٍ، ثُمَّ تَكَلَّمُوا مَعَ الْمُخَالِفِينَ بِمُجَرَّدِ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ غَيْرِ هَذَيْنِ، لِيَرَى الْمُلْحِدُ أَنَّهُ مَحْجُوجٌ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَقَدْ مَهَّدْنَا ذَلِكَ فِي كُتُبِ «الْأُصُولِ»، فَلْيَنْظُرْ فِيهَا وَلْيَنْقُلْ ⁽²⁾ مِنْهَا.

وَقَدْ عَلَا بَعْضُ النَّاسِ فَقَالَ: لَيْسَ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ، وَتَكَلَّفَ سَرْدٌ ⁽³⁾ ذَلِكَ، فَمَا ظَنُّكَ بِأَدِلَّةِ الْعُقُولِ، وَمَا سَطَّرَهُ الْعُلَمَاءُ، إِنَّهُ بِذَلِكَ لِأَجَدُّ، وَفِيهِ لِأَوْجَدُ ⁽⁴⁾.

(1) ب: قد يتمانع.

(2) ب، ك، م: وينقل.

(3) ك: بعد.

(4) ب، ك، م: أوجد.

= للمؤلف: 17، ابن فورك «رسالة التوحيد» 3/ب - 4/أ (مخطوط عارف حكمت: 926 تفسير الجويني «لمع الأدلة» 76، البيهقي: «الاعتقاد»: 38، وقال عنه ابن تيمية: «إن هذا الأصل في إثبات وجود الله ليس من أصول الدين، وهذه الطريقة مما يعلم بالإضطرار أن محمداً ﷺ لم يدع الناس بها إلى الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه، ولهذا اعترف حذاق أهل الكلام كالأشعري وغيره بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم، ولا سلف الأمة وأئمتها، وذكروا أنها محرمة عندهم، بل المحققون على أنها باطلة عندهم، وإن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقاً...» درء تعارض العقل والنقل: 39/1.

(1) وطريقة الأشاعرة في تقرير هذا الدليل كالتالي: «لو افترضنا وجود إلهين قادرين على الفعل والتتركز أمكن التمانع بينهما بأن يريد أحدهما تحريك الجسم، ويريد الآخر تسكينه، ويقصد كل منهما إلى تنفيذ مراده، فلا يخلو الأمر من وقوع أحد الاحتمالات الثلاثة الآتية:
الاحتمال الأول: تقدير حصول مراد كل منهما وذلك محال، لما يلزم عليه من اجتماع الضدين =

= الاحتمال الثاني: تقدير ارتفاع مراد كل منهما، وذلك محال أيضاً لامتناع خلو الجسم عن الحركة والسكون، ولو صح وقوع هذا التقدير لما استحق كل منهما أن يكون إلهاً لعجزه عن تنفيذ مراده. الاحتمال الثالث: تقدير نفاذ مراد أحدهما دون الآخر، وحيث أن نفاذ مراده هو الإله الْقَادِرُ دون غيره».

قلت: هذا الدليل هو الحجة المعتمدة عند جلّ علماء الكلام في الاستدلال على وحدانية الله عزّ وجلّ، ونحن نوافقهم على أن دليل التمانع دليل عقلي وبرهان تامّ على امتناع صدور العالم عن فاعلين قادرين صانعين له، ولكن الاعتراض عليهم يكمن في معرفة مطلوب هذه الآية؟ فهل الآية المذكورة تشتمل على دليل التمانع؟ في نظري أن مطلوبها ليس تقرير دليل التمانع، ولا سيقت لِيُسْتَدَلَّ بها على نفي أن يكون هناك شريك لله في خلق العالم وإيجاده، وإنما جاءت الآية لتقرر مطلوب الأنبياء في قضية التوحيد، وهو نفي الكثرة في الألوهية، بمعنى أنه لا يوجد من يستحق العبادة سوى الله، فهو استدلال على وحدة الألوهية بفساد العالم لو وجد من يستحق العبادة مع الله. انظر بسط هذا الدليل في كتب الأشاعرة: الأشعري في «اللمع»: 20، وفي «رسالته إلى أهل الثغر»: لوحة: 3 (المخطوط المصور بالجامعة العربية رقم: 105 توحيد)، و«رسالة التوحيد» لابن فورك: 4/أ - ب، 5/أ (مخطوط عارف حكمت بالمدينة رقم 926 تفسير) وأصول الدين للبغدادي: 75 والتمهيد: 25. والإرشاد: 35. وعند المعتزلة «المغني» للقاضي عبد الجبار: 241/4، 275، 300. أما نقد هذا الدليل من وجهة نظر كلامية فانظر: غاية المرام للأمدى: 152، ومن وجهة نظر فلسفية كلامية: ابن رشد في مناهج الأدلة: 157 (مع ضرورة الرجوع إلى مُقَدِّمة محمود قاسم)، والطوسي في شرحه على تحصيل الرازي: 140. ومن وجهة نظر صوفية: ابن العربي في الفتوحات المكية: 289/2. ولمعرفة رأي السلف في المسألة انظر: كتاب التوحيد لابن تيمية: 75، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز: 25، 32.

ذِكْرُ الْخَبَرِ عَنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ

وَقَدْ تَحَقَّقَ كُلُّ عَالِمٍ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ^(١) بَيَانٌ لِكُلِّ مَعْلُومٍ ، فَإِنَّ الْعُقُولَ وَإِنْ كَانَتْ خُلِقَتْ مُسْتَعِدَّةً لِقَبُولِ الْمَعَارِفِ وَتَمْيِيزِ الْحَقَائِقِ ، فَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ إِحَاطَتُهَا بِجُمْلَتِهَا ، فَإِنَّ الْإِحَاطَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْمُحِيطِ ، وَذَلِكَ مَعْلُومٌ قَطْعاً ، حَتَّى أَنَّ الْأَوَائِلَ قَالُوا: إِنَّ الْجُزْءَ^(٢) يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مُسَيِّطِراً عَلَى الْكُلِّ^(٣) وَاسْتَحْسَنَهُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ^(٤) ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِحَسَنِ ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ مَعْلُومٌ مِنْ طَرِيقِ الْعَادَةِ ، لَيْسَ^(٥) مِنْ طَرِيقِ الْوُجُوبِ الْعَقْلِيِّ ، إِذْ مِنْ الْجَائِزِ أَنْ يُيسِّرَ اللَّهُ لِلْعُقُولِ^(٥) إِدْرَاكَ-- كُلِّ مَعْقُولٍ ، كَمَا

(١) أ: رسوله واستدرك الناسخ فوق الكلمة ب: نبيه .

(٢) أ، ب: الجزئي .

(٣) ك، م، ب: الكلي .

(٤) ليس: ساقطة من: ك، م .

(٥) ب، ك، م: بالعقول .

(1) عبارة الجويني في البرهان: 142/1 - 143 كالاتي: «فأما الموقف الذي يحكم به (العقل) ويحيل تعديده، فهو الإحاطة بأحكام الإلهيات على حقائقها وخواصها، فأقصى إفضاء العقل إلى أمور جملية منها، والدليل القاطع في ذلك على رأي الإسلاميين أن ما يتصف به حادث موسوم بحكم النهاية، يستحيل أن يدرك حقيقة ما لا يتناهي، وعبر الأوائل عن ذلك بأن قالوا: «نصرف الإنسان في المعقولات يفيض ما يحتمله من العقل عليه، ويستحيل أن يدرك الجزء الكل، ويحيط جزء طبيعي له حكم عقلي بما وراء عالم الطبايع».

وهذه العبارات وإن كانت مستنكرة في الإسلام فهي محومة على الحقائق، ولكن لا يعدم العاقل بكل ما وراء عالم الطبايع، فأما الاحتواء على الحقيقة فهو حكم سلطنة الكل على الجزء».

يَتَسَرَّ - بِإِذْنِهِ - فِي الدَّارِ (١) الْآخِرَةِ (١)، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي كُتُبِ «الْأُصُولِ». وَإِيجَازُ
شَرْحِهِ:

أَنَّ الْمَعْلُومَاتِ عَلَى قِسْمَيْنِ: مَعْدُومٌ وَمَوْجُودٌ، وَالْمَوْجُودَاتُ عَلَى قِسْمَيْنِ:
خَالِقٍ وَمَخْلُوقٍ، وَالْأَوْقَاتُ قِسْمَانِ (٢): دُنْيَا وَآخِرَةٌ (٣)، وَالْأَعْمَالُ قِسْمَانِ: نَافِعٌ
وَضَارٌّ.

وَعَلَى هَذَا تُخْرَجُ جَمِيعُ عُلُومِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْعُقَلَاءُ مِنْ
الْمُتَشَرِّعِينَ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ الْمُخْتَلِفُونَ وَتَشَبَّثَ (٤) الْمُلْحِدُونَ بِتَفْسِيرِ هَذِهِ الْمَعَانِي،
فَفَسَّرَهَا قَوْمٌ بِمَعَانِي فَارِغَةٍ، وَآخَرُونَ بِمَعَانِي بَاطِنَةٍ، وَطَائِفَةٌ بِظَاهِرٍ، وَجُمْلَةٌ بِتَأْوِيلٍ
مَجَازِيٍّ، وَلَمَّةٌ (٥) بِرَدِّ كُلِّی، وَاسْتِيفَاءُ الْقَوْلِ فِي هَذِهِ الْمَعَانِي فِي كُتُبِ
«الْأُصُولِ»، وَبَيَانُهَا كُلُّهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ حَقَائِقِ الصِّفَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ
تَعَالَى.

بَلَى: إِنَّ عُلَمَاءَنَا - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - قَالُوا: «لَيْسَ يُمْكِنُ بِالْعُقُولِ إِدْرَاكَ كُلِّ
مَعْقُولٍ». بَيِّدَ أَنَّ الْبَارِيَّ - سُبْحَانَهُ - يَصْطَفِي مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يُطْلِعُهُ عَلَى الْعُلُومِ (٢)،
فَيَصِلُ إِلَى الْخَلْقِ بِوَاسِطَةٍ، وَذَلِكَ الْمُصْطَفَى، مِنْهُ يَكُونُ التَّعْلِيمُ، وَعَنْهُ يُؤْخَذُ

(١) الدار: غير واضحة في: أ.

(٢) ك، م: على قسمين.

(٣) ك، م: وأخرى.

(٤) أ، ب: وتشبثت، ك: تنشت.

(٥) ك، م: وجملة.

.....

(١) قلت: إن المعول في أمور الدار الآخرة إنما يتوقف على النقل، ولم يقدم ابن العربي دليلاً نقلياً على
أن الإنسان في الدار الآخرة يحيط بجميع المعلومات، ولذا فإني أتوقف في هذه المسألة حتى يظهر
الدليل.

(٢) التي يحتاج إليها الناس في هدايتهم إلى الله سبحانه، والتي يعجز البشر عن إدراكها تفصيلاً.

الْقَانُونُ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ التَّعْوِيلُ، وَبِهِ يُتَوَصَّلُ إِلَى الدَّلِيلِ، وَوَحْيُ اللَّهِ هُوَ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَهَدَى لِكُلِّ^(١) مُشْكِلٍ، إِلَّا أَنَّ الْمَرْءَ لَا تُمْكِنُهُ الْإِحَاطَةُ بِجَمِيعِ الْعُلُومِ، فَإِنَّ الْعُمَرَ الطَّوِيلَ لَا يَتَسَعُّ لَهُ، فَكَيْفَ أَعْمَارُنَا الْقَاصِرَةُ، وَهَذِهِ الدَّارُ لَمْ تُخْلَقْ لَهُ، وَالْآدَمِيُّ لَمْ يُعَدَّ لَهَا كَمَا هُوَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا^(٢) الْمُمْكِنُ الْإِطْلَاعُ عَلَى^(٣) جُمْلِ الْعُلُومِ، وَالْإِشْرَافُ عَلَى مَقَاصِدِهَا دُونَ دَرَكِ التَّفَاصِيلِ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ، وَقَفَ عِنْدَهَا، وَعَظَفَ عَلَى الْمَقْصُودِ الْأَوْفَى، وَتَعَرَّضَ لِلْمَطْلُوبِ الْأَعْلَى، وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا تَجَرَّدَ لِعِلْمٍ وَاحِدٍ لِيُذْرِكَ تَفَاصِيلُهُ، وَيُضَاعَفَ لَهُ عُمُرُهُ مَا أَحَاطَ بِهِ.

بَلَى: إِنَّهُ إِذَا بَلَغَ مَرْتَبَةَ الْإِشْرَافِ يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ مَنَّةً عَلَى دَرَكِ التَّفَاصِيلِ، حَتَّى إِذَا تَعَرَّضَ لِذَلِكَ نَالَهَا بِالْقَانُونِ، فَإِذَا وَصَلَتْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ، فَاجْتَهَدَ لِنَفْسِكَ^(٤) أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَامِلِينَ^(٥)، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَمِنَ الْمُبَلَّغِينَ، فَكِلَاهُمَا فِي نَضْرَةٍ وَنَعِيمٍ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فَقِيهِ غَيْرُ^(٦) فَقِيهِ^(١).

(١) ب: إلى كل.

(٢) الواو: ساقطة من: أ، ب.

(٣) على: ساقطة من: أ.

(٤) لنفسك: ساقطة من: ك، م.

(٥) أ، ك: العالمين.

(٦) ك، م: وهو غير.

(١) هذا الحديث صحيح متواتر روي في معظم كتب السنة المعتمدة بالفاظ متقاربة، وهو في الترمذي كتاب العلم رقم: 2658، وأبو داود في العلم رقم: 3660، وابن ماجه في المقدمة رقم: 250 (ط: الأعظمي) وألف في هذا الحديث الشيخ أحمد بن الصديق الغماري كتاباً سماه «المسلك التبتى بتواتر حديث نضر الله امرأً سمع مقالتي»، كما كتب الشيخ الزاهد عبد المحسن العباد رسالة في هذا الموضوع سماها «دراسة حديث: نضر الله امرأً سمع مقالتي، رواية ودراسة».

ذِكْرُ أَقْسَامِ الْعُلُومِ

وَإِذَا كَانَتِ الْعُلُومُ مَطْلُوبَةً لِلتَّوَصُّلِ إِلَى الْعِلْمِ الْأَقْصَى، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ - تَعَالَى -، فَلْتَقَدَّمْ عَلَى طَلَبِ الْعُلُومِ مَعْرِفَةُ أَقْسَامِهَا، وَهِيَ عَلَى طَرِيقِ التَّفْصِيلِ لَا تُحْصَى، وَإِنَّمَا مُدْرِكُهَا الْجَمْلُ، وَالَّذِي يَعْلَمُهَا عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْجُمْلَةِ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي ... الْآيَةُ ﴾ (الكهف: 109).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ ... الْآيَةُ ﴾ (لقمان: 26).

وَلَيْسَتْ الْكَلِمَاتُ - هَا هُنَا - الْمَعْلُومَاتُ ⁽¹⁾ كَمَا ظَنَّهُ أَهْلُ الْجَهَالَاتِ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى فِيهِ مَا سَرَدْنَاهُ فِي كِتَابِ «الْمُشْكِلَيْنِ» لُبَابُهُ:

أَنَّ الْعِلْمَ لَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ عَنْهُ فِي النَّفْسِ خَبْرٌ، وَذَلِكَ الْخَبْرُ هُوَ الْكَلَامُ ⁽²⁾، وَهُوَ

(1) انظر: القاضي عبد الجبار: تنزيه القرآن: 243.

(2) هذا كلام الأشاعرة الذين أثبتوا الكلام النفسي، مع أن المعروف أن الكلام لا يكون إلا حروفاً وأصواتاً دالة على معانٍ. انظر لزماماً كتاب الأخ عبد الله بن يوسف الجديع: «العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية» (ط: الكويت: 1408).

مِنْ اللَّهِ صِدْقٌ لِمُوَافَقَتِهِ^(١) الْعِلْمُ، وَيَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ فِي الْعَبْدِ صِدْقٌ، وَهُوَ مَا وَافَقَ عِلْمَهُ، وَيَكُونُ كَذِبًا، وَهُوَ مَا جَاءَ بِخِلَافِ الْعِلْمِ، وَالْكَذِبُ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، لِأَنَّ الْعَبْدَ لَهُ حَالَةٌ عِلْمٍ وَشَكٍّ، وَظَنٍّ وَجَهْلٍ وَوَسْوَاسٍ، فَكُلُّ مَعْنَى مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي قَامَ عَنْهُ خَبَرٌ فِي نَفْسِهِ، وَالصِّدْقُ مِنْهَا^(٢) مَا وَافَقَ الْعِلْمُ، وَاسْتَحَالَ^(٣) عَلَى اللَّهِ كُلُّ هَذِهِ الْحَالَاتِ إِلَّا الْعِلْمُ فَإِنَّهُ لَهُ وَاجِبٌ، فَخَبَرُهُ صِدْقٌ قَطْعًا، لِاسْتِحَالَةِ وُجُودِ أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ، فَلِهَذِهِ الْقُرْبَى وَالْمِلَازِمَةِ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْكَلَامِ فِي الْحَقِيقَةِ جَازَ^(٤) أَنْ يُعْبَرَ بِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ. وَقَدْ زَلَّ الْجَوْنِيُّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ زَلَّةً عَظِيمَةً^(٥) لَا تَقُومُ بِهَا اسْتِقَامَةٌ^(٦) الْعُمَرُ كُلُّهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَشَارَ فِي كِتَابِ «الْبُرْهَانِ»^(١) إِلَى اسْتِحَالَةِ تَعَلُّقِ عِلْمِ اللَّهِ بِالْمَعْلُومَاتِ عَلَى طَرِيقِ التَّفْصِيلِ،

(١) ك، م: لموافقة.

(٢) ك، م: منه.

(٣) أ: فاستحال..

(٤) ك، م: بأن.

(٥) عظيمة: ساقطة من: ب، ك، م.

(٦) ك، م: المقامة.

(1) 145/1 - 146، ونصَّ عبارته كما يلي:

«تردد المتكلمون في انحصار الأجناس كالألوان، فقطع قاطعون بأنها غير متناهية في الإمكان كأحاد كل جنس، وزعم آخرون أنها منحصرة، وقال المقتصدون لا ندري أنها منحصرة أم لا. ولم يثبتوا مذهبهم على بصيرة وتحقيق.

والذي أراه قطعاً أنها منحصرة، فإنها لو كانت غير منحصرة، لتعلق العلم منها بأجناس لا تنتهي على التفصيل، وذلك مستحيل، فإن استنكر الجهلة ذلك وشمخوا بأنافهم وقالوا: الباري سبحانه عالم بما لا يتناهى على التفصيل، سَفَهْنَا عقولهم... وبالجمله علم الله إذا تعلق بجواهر لا تنتهي فمعنى تَعَلُّقِهِ بِهَا استرساله عليها من غير فَرَضِ تفصيل الأحاد، مع نفي النهاية، فإن ما يُحِيلُ دَخَلَ ما لا يتناهى في الوجود، يحيل وقوع تقديرات غير متناهية في العلم والأجناس المختلفة التي فيها الكلام، يستحيل استرسال العلم عليها فإنها متباينة الخواص، وتعلق العلم بها على التفصيل مع نفي النهاية محال، وإذا لاحت الحقائق فليقل الأخرق بعدها ما شاء».

قلت: صرَّحَ الجويني في الإرشاد: 98 بأن الله عالم بالكليات والجزئيات فقال: «الباري تعالى =

وَقَالَ^(١)، فِيمَا أَخْبَرَنِي الطُّوسِيُّ وَالزَّنْجَانِيُّ عَنْهُ - «الَّذِي يُقْطَعُ^(٢) بِهِ: انْحِصَارُ
الْأَجْنَاسِ كَالْأَلْوَانِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ غَيْرَ مُنْحَصِرَةٍ لَتَعَلَّقَ الْعِلْمُ مِنْهَا بِأَحَادٍ لَا تَتَنَاهَى
عَلَى التَّفْصِيلِ، وَذَلِكَ مُحَالٌ، وَلَا يُقَالُ: الْبَارِيُّ عَالِمٌ بِمَا لَا يَتَنَاهَى، فَمَعْنَى ذَلِكَ
مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلِ الْأَحَادِ، فَإِنَّ مَا^(٣) يُحِيلُ دُخُولَ مَا لَا يَتَنَاهَى فِي الْوُجُودِ، يُحِيلُ
وَقُوعَ تَقْدِيرَاتٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ فِي الْعِلْمِ...»^(١).

وَكَانَ أَبُو حَامِدٍ صَاحِبُهُ يُعْظِمُ هَذَا عَلَيْهِ^(٤)، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَهِيَ هَفْوَةٌ
عَظِيمَةٌ، يُجْهَلُ بِهَا وَلَا يُكْفَرُ عَلَى مَذْهَبِ الْمُؤَوَّلَةِ^(٥)، فَإِنَّ الَّذِي قَالَهُ مُحَالٌ كُلُّهُ،
وَقَدْ بَيَّنَّاهُ فِي كُتُبِ «الْأُصُولِ»^(٢)، إِيْجَازُهُ:

(١) وقال: ساقطة من: ك، م.

(٢) ك، م: ينقطع.

(٣) ك، م: من.

(٤) أ: عليه هذا.

(٥) ك، م: المتأولة.

= متصف بعلم واحد متعلق بما لم يزل ولا يزال، وهو يوجب له حكم الإحاطة بالمعلومات على تفصيلها». ويقول الشيخ الكوثري - رحمه الله - في تعليقه على العقيدة النظامية للجويني: 32 ما يلي: «صرح المؤلف في مواضع من هذا الكتاب (أي العقيدة النظامية) بضرورة سبق علم الله التفصيلي، فيكون هذا مذهبه الذي استقر عليه رأيه لتأخر تأليف النظامية عن باقي مؤلفاته، فما في البرهان مما ينافي ظاهره لما هنا - وطال الجدل حوله فيشرح المازري ومنتظم ابن الجوزي وطبقات السبكي وغيرها - يكون فلتةً بدرت ثُمَّ انْطَوَتْ عفا الله عما سلف».

قلت: شرح المازري على البرهان مفقود، وقد وقفت على شرح علي بن إسماعيل الأبياري (مخطوط في مكتبة مراد ملا بتركيا رقم: 670) الذي علق على كلام الجويني المذكور بالتعليق التالي:

«قول الإمام بانحصار الأجناس واستدلاله على ذلك بأنها معلومة على التفصيل وذلك مستحيل في غير المتناهي، كلام باطل وقول غير صحيح، والذي عليه أهل الإسلام أن الله تعالى عالم بالمعلومات على التفصيل، فاقْتَصَرَ عَلَى الدَّعْوَى فِي مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ وَلَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ»
28/ب، 29/أ.

وانظر ابن الجوزي في المنتظم: 2/7، والسبكي في طبقاته الكبرى: 193/5.

(1) البرهان: 145/1 - 146.

(2) منها كتاب «التمحيص» مفقود، والعواصم من القواصم: 134 - 145، وللتوسع في صفة العلم عند =

إِنَّ تَعَلُّقَ الْعِلْمِ بِأَحَادٍ لَا يَتَنَاهَى عَلَى التَّفْصِيلِ جَائِزٌ، وَنَسْبَةُ الْمُحَالِ إِلَيْهِ دَعْوَى لَا مُسَاعَدَ فِيهَا، وَلَا بُرْهَانَ عَلَيْهَا، وَالْبَارِيءُ - سُبْحَانَهُ - عَالِمٌ بِالْجُمْلَةِ، عَالِمٌ بِالتَّفْصِيلِ، يُعْلَمُ ذَلِكَ بِدَلِيلِ الْعَقْلِ^(١)، فَإِنَّ قَدَمَ عِلْمِهِ وَعُمُومَهُ، وَاسْتِحَالَةَ الْجَهْلِ عَلَيْهِ، وَتَقْدُّسَهُ^(٢) عَنِ الْغَفْلَةِ، وَوُجُوبَ عِلْمِهِ لِمَا خَلَقَهُ عَلَى التَّفْصِيلِ؛ مَعْلُومٌ قَطْعًا، مُبَيَّنٌ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ شَتَّى شَرْعًا.

وَقَوْلُهُ: «إِنَّ مَا يُحِيلُ دُخُولَ مَا لَا يَتَنَاهَى فِي الْوُجُودِ، يُحِيلُ وَقُوعَ تَقْدِيرَاتٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ فِي الْعِلْمِ». لِأَنَّ الْعِلْمَ يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْدُومِ الَّذِي يَسْتَحِيلُ وُجُودُهُ، فَلَا يَمْتَنِعُ تَعَلُّقُ الْعِلْمِ بِتَقْدِيرَاتٍ لَا تُوْجَدُ، وَمِنْ أَفْسَدِ دَلِيلٍ اعْتِبَارُ الْمَعْدُومِ بِالْمَوْجُودِ، وَقَدْ قَالَ قَبْلَ هَذَا بِأَسْطَرٍ^(٣).

«إِنَّهُ^(٤) لَا قِيَاسَ فِي الْعَقْلِيَّاتِ، وَإِنَّمَا تَثَبَّتْ كُلُّ مَسْأَلَةٍ بِدَلِيلِهَا، فَإِنْ قَامَ فِيهَا^(٥) - يُرِيدُ قِيَاسَهُ عَلَى الثَّابِتِ - دَلِيلٌ مِثْلُ مَا قَامَ فِي الثَّابِتِ، فَالدَّلِيلُ أَثْبَتَهُ لَيْسَ الْقِيَاسُ، فَلَا نَ نُرِيدُ اعْتِبَارَ تَعَلُّقِ الْعِلْمِ بِمَا لَا يَتَنَاهَى تَقْدِيرًا بِاسْتِحَالَةِ^(٦) وُجُودِ مَا لَا يَتَنَاهَى تَحْقِيقًا^(١).

(١) ب: العقلي.

(٢) ك، م: تقديسه.

(٣) ك، م: بالاسطوانة.

(٤) أنه: ساقطة من: ك، م.

(٥) أ، ب، م: فيما.

(٦) ب: تقدير الاستحالة.

= ابن العربي، انظر: المتوسط: 32، الأمد الأقصى: 64/أ - 65/ب. وانظر رسالة ابن تيمية «مسألة علم الله» ضمن كتاب «جامع الرسائل»: 176 - 183 ففيها فوائد طيبة.

والواقع أن قضية كيفية تناول العلم القديم لمعلومه، قضية شائكة لا يرقى العقل الإنساني إلى إدراك كنهها، وهذا ينطبق على جميع الكيفيات المضافة إلى القديم، ولا قياس في العلم القديم الذي لا يتناهي على العلم الحادث المتناهي، لا سيما والعلم المخلوق قاصر متعدد بتعدد المعلومات والعلم القديم واحد عام، فالله سبحانه وتعالى يعلم ما لا يتناهي بعلم لا يتناهي.

(1) لم أعر على هذا النص في كتاب «البرهان» وأشبهه العبارات بالعبارة التي نقلها ابن العربي هي قول الجويني:

وَمَا (١) أَفْسَدَ هَذَا التَّنْظِيرَ فِي الْفِقْهِيَّاتِ! فَضْلاً عَنِ الْعَقْلِيَّاتِ، وَمَا هَذَا إِلَّا هِيَامٌ فِي الْعَقْلَاتِ.

عُدْنَا (٢) إِلَى مُتَحَانَا فَقُلْنَا: أَمَّا (٣) مَعْرِفَةُ الْعُلُومِ لَنَا عَلَى الْجُمْلَةِ فَمُمْكِنٌ (٤)، وَضَبْطُهَا بِالتَّقْسِيمِ جَامِعٌ لِنَشْرِهَا (٥).

وَهِيَ مِنْ وَجْهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

عِلْمٌ بِاللَّفْظِ، وَعِلْمٌ بِالْمَعْنَى، وَعِلْمٌ بِوَجْهِ دَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى. وَهِيَ تَنْقَسِمُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَلَى أَقْسَامٍ أُخْرَى (٦)، وَالتَّقْسِيمُ نَوْعٌ مِنَ الْعُلُومِ، فَإِنَّ الشَّيْءَ يَنْقَسِمُ مِنْ ذَاتِهِ وَمِنْ صِفَاتِهِ وَمِنْ مُتَعَلِّقَاتِهِ، وَقَدْ لَا يَنْقَسِمُ مِنَ الذَّاتِ بِطَرِيقٍ (١).

(١) الواو: ساقطة من: أ، ب.

(٢) ب: وعدنا.

(٣) أما: ساقطة من: أ، ب.

(٤) أ، ب: ممكن.

(٥) لنشرها: ساقطة من: ك، م.

(٦) أ: انقسام آخر.

= «إنه إن قام دليل على المطلوب في الغائب فهو المقصود، ولا أثر لذكر الشاهد، وإن لم يقدّم دليل على المطلوب في الغائب، فذكر الشاهد لا معنى له، وليس في المعقول قياس» البرهان: 130/1، 751.

(1) قال المؤلف في السراج: 50/أ - ب: «والعلم وإن كان معنى واحداً، وحقيقة واحدة، ولكنه ينقسم أقساماً كثيرة: من جهات مختلفة، من جهة صفاته واختلاف متعلقاته وما يتصل به ويرتبط معه. فأما انقسامه من جهة صفاته بأمر يختص به أهل السنة، فإنهم يقولون إنه على قسمين: قديم، ومخلوق. فعلم الله هو الذي لا أول له يتعلق بالمعلومات كلها على اختلاف أنواعها من قديم ومحدث، وموجود ومعدوم، على الجملة والتفصيل، لا يعزب عنه معنى يصح أن يتعلق به علم، ولا يتقرر في وهم، فهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير. والمقصود من العلوم العلم بالله تعالى، وبه يتعلق جميع المعلومات فإننا نفتقر إلى أن نعلم ذاته وصفاته ومخلوقاته، ونعلم من ذلك جملة من تفصيل، وقليلاً من كثير، إذ لا إحاطة له خاصة، ونعلم من وجه، ونجهل من وجه، ويطراً علينا السهو والذهول والشك وعدم علمنا، وهو القدوس من ذلك كله، وجبت له صفات الكمال، وتفرّد بنعوت الجلال.

وَقَدْ كُنْتُ أَضْرِبُ لَكُمْ فِي ذَلِكَ الْأَمْثَالَ، وَأَشِيرُ إِلَى جُمَلٍ مِنَ الْإِسْتِدْلَالِ،
إِلَّا أَنِّي لَمْ أَقْصِدُ لِلتَّوَابِعِ وَإِنَّمَا انْتَحَيْتُ الْمَقَاصِدَ.

وَيَنْقَسِمُ ^(١) أَيْضاً إِلَى خَالِقٍ وَمَخْلُوقٍ، فَالْخَالِقُ هُوَ الْمَقْصُودُ، وَالْمَخْلُوقُ
هُوَ ^(٢) مِنْهَاجُ السَّالِكِينَ.

وَيَنْقَسِمُ الْعِلْمُ بِالْمَخْلُوقِ إِلَى قِسْمَيْنِ:

عِلْمٌ دُنْيَا، وَعِلْمٌ آخِرَةٌ ^(٣).

فَتَتَأَوَّلُ ^(٣) عِلْمُ الدُّنْيَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾
(المؤمنون: 116).

(١) ك، م: وهو.

(٢) ك، م: أخرى.

(٣) ك، م: فيتناول.

= وتنقسم العلوم من جهة طرقها إلى ثلاثة أقسام:

قسم ثبت في النفس ابتداء، وقسم يعلم بالحواس، وقسم يعلم بالقياس على هذين القسمين وهو
الأكثر، وهو المأمور به وهو العلم المسمى بالنظري. وينقسم من جهة متعلقاته إلى ثلاثة أقسام:

الأول: معرفة الله بذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وهو المطلوب.

الثاني: معرفة أفعال المكلفين.

الثالث: معرفة الجزاء في الآخرة.

ولو قلت: إنه قسم واحد: معرفة الله بذاته وصفاته وأفعاله لدخل ذلك كله فيه وانتظم به.

وينبغي ذلك على معرفة المرء بنفسه فمن لا يعرف نفسه لا يعرف ربه، إذ لا سبيل إلى معرفة الله

إلا بالاستدلال عليه، وهذا مسطور موضح في كتاب الله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾

(الأنعام: 39). وأما أحكام أفعال المكلفين ففي القرآن الإيضاح لها، والإحالة أيضاً على بيان

النبي ﷺ، وتزكية النفس وتطهيرها والخروج عن آفاتها بالقلب والجوارح، علم محكم في القرآن

والسنة وهو نصف من جهة أن للعلم وجهان معرفة الخالق ومعرفة الخلق.

فَتَنَحَّلُ لك أن علوم الشريعة الإسلامية ثلاثة: التوحيد والأحكام والتذكير ويدخل عليها الناسخ

والمنسوخ وهو منها...».

(1) أي المعلومات.

وَتَنْقَسِمُ الْعُلُومُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ إِلَى ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ^(١)، وَفِي الْأَثَرِ:

«إِنَّ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ^(٢) الْقُرْآنِ حَدًّا وَمُطْلَعًا، وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا»^(١).

وَتَنْقَسِمُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ إِلَى نَظَرِيٍّ وَعَمَلِيٍّ^(٣).

وَتَنْقَسِمُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ إِلَى عِلْمٍ عَقْدٍ، وَعِلْمٍ عَمَلٍ.

فَأَمَّا انْقِسَامُهَا إِلَى ثَلَاثَةٍ، وَهُوَ عِلْمٌ بِاللَّفْظِ إِلَى آخِرِهِ، فَهُوَ فَنُّ لُغَوِيٍّ، وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ وَقُوعِ الْعِبَارَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ، كَعِلْمِكَ بِالْبَيَانِ أَنَّهُ الدَّلِيلُ^(٢)، وَبِالنَّسْخِ أَنَّهُ الْإِزَالَةُ^(٣)، وَهَذَا يَقْرُبُ تَارَةً وَيَبْعُدُ أُخْرَى.

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ وَجْهِ دَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى، فَيَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ^(٤):

الْأَوَّلُ: دَلَالَةُ الْمُطَابَقَةِ^(٤)، كَقَوْلِكَ: «بَيْتٌ»^(٥).

(١) ب: وإلى باطن.

(٢) من حروف: ساقطة من: ب، ك، م.

(٣) أ: وعلمي، ب: محملي، ك، م: عقلي. ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) ك، م: الطائفة.

(٥) أ: بيت في البيت.

(1) ذكر بنحو السيوطي في الإتيان: 184/2 (ط: الحلبي) وعزاه إلى الفريابي، وانظر في ذلك «رسالة في علم الظاهر والباطن» لابن تيمية.

(2) انظر المحصول في علم الأصول للمؤلف: 15/ب.

(3) م، ن: 62/أ - 65/أ.

(4) انظر الغزالي في معيار العلم: ص 72، وفي مقاصد الفلاسفة قسم المنطق: 39، ومحك النظر: 15.

وحول أصالة هذه الفكرة المنطقية، يرى الدكتور علي سامي النشار (ت: 1400) أن هذا التقسيم لم يعرفه المنطق الأرسططاليسي على هذه الصورة، كما لم يعرفه منطق الشراح اليونانيين، وَرَجَّحَ أَنْ يَكُونَ الْإِسْلَامِيُّونَ قَدْ اسْتَمَدُوا فِكْرَةَ الدَّلَالَاتِ مِنَ الْمَذْهَبِ الرَّوَاقِي مَعَ وَجُودِ فِكْرَةِ أُخْرَى عَنْ هَذَا الْبَحْثِ لَدَيْهِمْ. انظر مناهج البحث: 41. قلت: ويحتمل أن يكون العلماء المسلمون قد ابتدعوا هذه التقسيمات من وحي اللغة ومباحثها.

(5) أي كدلالة لفظ «البيت» على معناه.

وَدَلَالَةُ التَّضْمِينِ^(١)، كَدَلَالَةِ^(٢) الْبَيْتِ عَلَى السَّقْفِ.

وَدَلَالَةُ الْإِلْتِزَامِ، كَدَلَالَةِ^(٣) السَّقْفِ عَلَى الْحَائِطِ^(١).

الثَّانِي: أَنَّ الْأَلْفَاظَ بِالإِضَافَةِ إِلَى خُصُوصِ الْمَعْنَى وَعُمُومِهِ تَنْقَسِمُ إِلَى لَفْظٍ يَدُلُّ عَلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ كَقَوْلِكَ: هَذَا زَيْدٌ، وَسَوَادٌ، وَإِلَى مَا يَدُلُّ عَلَى أَشْيَاءٍ مُتَعَدِّدَةٍ كَقَوْلِكَ: السَّوَادُ، وَلِنُسَمِّهِ الْمُطْلَقَ^(٢).

الثَّالِثُ: أَنَّ الْأَلْفَاظَ إِذَا تَعَدَّدَتْ^(٣) بِالإِضَافَةِ إِلَى الْمُسَمَّيَاتِ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبٍ:

الْمُتَرَادِفَةُ^(٣): كَاللَّيْثِ وَالْأَسَدِ.

وَالْمُتَوَاطِئَةُ^(٤): كَالرَّجُلِ وَالْجِسْمِ.

الْمُشْتَرَكَةُ^(٥): كَالْعَيْنِ تَطْلُقُ عَلَى مُسَمَّيَاتٍ كَثِيرَةٍ.

(١) ك، م: التضمين.

(٢) ك، م: كذلك.

(٣) أ: تعدت.

(1) هذا المثال أصبح غير منطبق على الواقع في حياتنا، فإنه في القديم كان الذي يحمل السقف هو الحيطان، فأما الآن فإن الأعمدة في البناء بالمساحات هي التي تحمل السقف، والحيطان إنما هي فقط للستر، فالأولى أن يمثل لدلالة الالتزام بالزوجية اللازمة للأربعة.

(2) عبر علماء المنطق عن هذه النسبة بعبارة أخرى ملخصها، أن اللفظ ينقسم إلى جزئي وكلّي. فالجزئي هو ما يمنع نفس تصور معناه عن وقوع الشركة في مفهومه، فالمتصور من لفظ زيد شخص معين. والكلّي هو الذي لا يمنع نفس تصور معناه عن وقوع الشركة فيه، فإن امتنع امتنع بسبب خارج عن نفس مفهومه ومقتضى لفظه. انظر الغزالي في معيار العلم: 73، وَمِحْكُ النَّظَر: 16. ويرى الدكتور الشار أن تقسيم اللفظ إلى جزئي وكلّي تقسيم أرسططاليسي بحث. مناهج البحث: 42.

(3) المترادفة: هي الألفاظ المختلفة الدالة على معنى يندرج تحت حد واحد.

(4) المتواطئة: هي التي تدل على أعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينهما.

(5) المشتركة: وهي اللفظ الواحد الذي يطلق على موجودات مختلفة بالحد إطلاقاً متساوياً.

الْمُتَبَايَنَةُ^(١): كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، وَهِيَ أَكْثَرُ^(٢) فِي الْأَلْفَاظِ.

وَهَذَا أُنْمُوذَجٌ لَا غِنَى عَنْهُ فِي مَعْرِفَةِ التَّأْوِيلِ، وَهُوَ أَصْلٌ يُنْظَمُ الدَّلِيلَ وَلَا غِنَى
لِلنَّاطِرِ عَنْهُ^(٣).

وَأَمَّا عِلْمُ الْمَعْنَى فَهُوَ الْمَطْلُوبُ الَّذِي يُوصِلُكَ إِلَيْهِ هَذَانِ الْعِلْمَانِ.

وَأَمَّا انْقِسَامُهَا إِلَى ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ. فَالظَّاهِرُ كَاللُّغَاتِ وَتَفْسِيرِهَا، وَالْقِرَاءَاتِ
وَتَقْيِيدِهَا، وَالْبَاطِنُ كَعِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ مَثَلًا.

وَفِي تَحْقِيقِ الظَّاهِرِ مِنَ الْبَاطِنِ كَلَامٌ وَرِجَامٌ بَيَّانُهُ فِي كِتَابِ «شَرْحِ
الْمُشْكِلِينَ».

وَنَعْنِي بِالظَّاهِرِ الْآنَ مَا تَبَادَرُ إِلَى الْأَفْهَامِ مِنَ الْأَلْفَاظِ، وَنَعْنِي بِالْبَاطِنِ مَا
يَفْتَقِرُ إِلَى نَظَرٍ، فَإِذَا تَأَمَّلْنَا الْأَلْفَاظَ^(٣) الَّتِي هِيَ طَرِيقُ^(٤) الْعِلْمِ بِالْمَعْنَى، فَهِيَ
مُتَعَلِّقَاتٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا مُتَشَعِّبَةٌ. تَحْصِيلُ الْقِرَاءَاتِ وَالرَّوَايَاتِ: عِلْمُ اللَّغَةِ^(٢) وَعِلْمُ
النَّحْوِ، وَقَدْ نُقِلَ الْقُرْآنُ نَقْلًا تَوَاتُرًا يُوجِبُ الْعِلْمَ، وَيَقْطَعُ الْعُدْرَ، وَقِرَاءَاتُهُ^(٣) نُقِلَتْ
نَقْلًا آحَادٍ، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: «أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ»^(٤).

(١) أ، ب: الأكثر.

(٢) أ: بالباطل. ك: بالناطر.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من: ك، م.

(٤) أ: من طريق.

(1) وهي الأسماء المتباينة التي ليس بينها شيء من هذه النسب، فهي ألفاظ مختلفة تدل على معان
مختلفة بالحد والحقيقة.

(2) لعل هنا سقطاً، وتستقيم العبارة إذا أضفنا [منها] تحصيل... [و] علم اللغة.

(3) أي قراءاته الشاذة، انظر موقف ابن العربي من القراءات التي دُوِّنت بطريق الآحاد في المعيار
المُعَرَّبَ لِلْوَشْرِيسِي: 92/12 - 94.

(4) سبق تخريجه صفحة: 70.

وَعِلْمُ الْحُرُوفِ^(١) فَإِنَّ الْكَلِمَةَ^(٢) مِنْهُ تَتَرَكَّبُ، وَالْكَلَامُ يَتَرَكَّبُ مِنَ الْكَلِمَاتِ، وَهُوَ أَيْضاً مُتَشَعَّبٌ إِلَى مَعْرِفَةِ مَخَارِجِهِ وَفَوَائِدِهِ، وَرَوَابِطِهِ وَمُتَعَلِّقَاتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِهِ مِنْ «سَيَوِيهِ»، وَأَبْرَزَهُ مِنْ مُخَبَّاتِ إِشَارَاتِ «سَيَوِيهِ» «الْفَارِسِيِّ» وَ«ابْنِ جَنِّي»^(٣)، وَذَلِكَ أَنَّ الْبَارِي - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - خَلَقَ الْكَلَامَ فِي النَّفْسِ لَزِيْمَ الْعِلْمِ وَقَرِيْنَهُ كَمَا بَيَّنَّاهُ^(٤)^(٥)، فَيَجِدُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ عَالِماً مُخْبِراً عَنْ عِلْمِهِ، كُلُّ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ افْتَقَرَ إِلَى إِعْلَامِ الْغَيْرِ بِمَا هُوَ بِهِ عَالِمٌ، لِأَجْلِ ضَرُورَاتِ الْإِصْطِحَابِ وَالْاجْتِمَاعِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ، فَجَعَلَ اللِّسَانَ دَلِيلاً عَلَى الْفَوَادِ، وَخَلَقَهُ^(٦) رَطْباً ذَلِيقاً لِيَقْطَعَ بِحَدِّهِ الْأَصْوَاتَ الْمَخْلُوقَةَ لِأَدَاءِ الْمَعَانِي الْمَفْهُومَةِ، وَجُعِلَتْ الْأَسْنَانُ لَهُ^(٧) سِنْدًا^(٨)، وَالشَّقَتَيْنِ رِفَادَةً^(٩) لِيَعْتَمِدَ فِي التَّقْطِيعِ عَلَيْهَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَثْبَتَ فِي التَّقْطِيعِ، وَأَبْيَنَ عِنْدَ الْجَمْعِ وَمُؤَالَاةِ تَرْدَادِ الْقَطْعِ وَالِاتِّصَالِ بَيْنَ الْحَرَكَاتِ، وَخَلَقَ مِنَ الْحُرُوفِ مَا لَا يَفْتَقِرُ إِلَى اللِّسَانِ وَمَا مَعَهُ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى حُرُوفَ الْحَلْقِ، وَلَا سَبْدَادِهَا جَعَلَ لَهَا قُوَّةَ الْقَلْبِ فِيمَا^(١٠) يَخْرُجُ مِنَ الْأَسْنَانِ

(١) أ: الكلمات.

(٢) ك، م: بينه.

(٣) أ، ب، ك: خلق، واستدرك ناسخ ب في الهامش وأثبت: خلقه.

(٤) لَهُ: ساقطة من: ك، م.

(٥) أ، ب: سندانا.

(٦) م، ك: قادة.

(٧) أ: لها في القلب فيما.

.....

(١) انظر: التعريفات: 46، الكليات: 241/2 - 248، كشاف الاصطلاحات: 66/2 - 77 (ط: ترانسا).

(٢) هو أبو الفتح عثمان بن جني أديب نحوي من أصحاب أبي علي الفارسي له عدة مؤلفات (ت: 392). انظر: الفهرست ابن النديم: 128؛ إنباه الرواة للقفطي: 335/2، معجم الأدباء: 81/12.

(3) في الأمد الأقصى: 87/أ - 88/ب.

وَالشَّفَتَيْنِ، فَيَقُولُهَا اللِّسَانُ مُفْرَدَةً، وَيَقُولُهَا - إِذَا شَاءَ - مَجْمُوعَةً، فَيَقُولُ «الْف» «لَام»
«لَام»^(١) «هَاء»، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُ» فَيَكُونُ ذَلِكَ مُطَابِقًا لِلْمَعْنَى الْقَائِمِ بِالنَّفْسِ
الْمَلَائِمِ لِلْعِلْمِ، فَيَعْبَرُ عَنْهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ قِرَاءَةً، وَيُعْبَرُ عَنْ غَيْرِهِ بِأَسْمَائِهِ، كَالْإِنْشَادِ
فِي الشُّعْرِ، وَيَعُمُّ هَذَا اللَّفْظُ لِكِتَابِ اللَّهِ وَغَيْرِهِ^(١).

فَإِذَا كَانَتْ قِرَاءَةً، اخْتَلَفَتْ جِهَةُ التَّعْبِيرِ فِيهَا بِاخْتِلَافِ اللُّغَاتِ، فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ
مِنْ ضَبْطِ الْأَمْرَيْنِ لِاخْتِلَافِ الْمَعْنَى بِاخْتِلَافِهِمَا، حَتَّى يَتَرْتَّبَ الْمَعْنَى عَلَى اللُّغَاتِ
وَقَانُونُهَا - وَهُوَ النَّحْوُ - لِتَغْيِيرِ الْمَعْنَى بِتَغْيِيرِهِمَا.

وَكَذَلِكَ «عِلْمُ الْحَدِيثِ»^(٢) يَفْتَقِرُ الْمُحَدِّثُ فِيهِ إِلَى هَذَا.

وَعُلُومُ الْحَدِيثِ سِتُونَ عِلْمًا، وَعُلُومُ الْقُرْآنِ^(٣) أَكْثَرُ، وَمِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ مَا لَا
مَدْخَلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ، وَمِنْ عُلُومِ الْحَدِيثِ مَا لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا
يَبَيِّنُ^(٢) بِتَتَبُعِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ حَتَّى يَظْهَرَ لَكَ مُشَاهَدَةً مَا أُلْقِيَ إِلَيْكَ عِلْمُهُ عَيْنًا.
أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ
بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: 77).

فَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمَقْتُولِ عَمْدًا، هَلْ يَكُونُ لَوْلِيهِ الْقَتْلُ خَاصَّةً؟ أَمْ هُوَ
مُخَيَّرٌ بَيْنَ الْقَتْلِ وَالذِّبَةِ؟ وَمَبْنَى هَذَا الْاخْتِلَافِ عَلَى مَعْرِفَةِ مَعْنَى الْعَفْوِ، فَإِنَّهُ فِي

(١) لَام: ساقطة من: ك، ب.

(٢) ب: يبين.

(1) انظر الأحكام: 1956 - 1957.

(2) انظر في تعريف «علم الحديث» مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة: 60/2 - 62، 128 - 149 كشاف

اصطلاحات الفنون: 13/2 - 17 (ط: تراثنا) أبجد العلوم لصديق خان: 219/2.

(3) انظر مفتاح السعادة 62/2 - 128، 369 - 377، 380 - 595.

اللُّغَةُ عَلَى سَبْعَةِ مَعَانِي، مِنْهَا الْبَدَلُ، وَمِنْهَا الْإِسْقَاطُ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِيبِ الْآيَةِ عَلَى جَمِيعِ مَعَانِي الْعَفْوِ حَتَّى تَتَزَيَّفَ (١)، وَيَبْقَى (٢) مَعْنَى الْبَدَلِ وَالْإِسْقَاطِ تَحْتَ النَّظَرِ وَالتَّرْجِيحِ، فَتُقَابَلُهُ بِمَعْنَى «بَدَلٍ»، وَتُقَابَلُهُ بِمَعْنَى «إِسْقَاطٍ» (٣)، فَأَيُّهُمَا (٤) كَانَ بِهِ الْوُطْ (٥)، وَلِمَعَانِيهِ أَضْبَطُ، فَقُلْ بِهِ، وَأَسْقِطِ الْآخَرَ، وَيَبَيِّنُهُ فِي كِتَابِ «أَحْكَامِ الْقُرْآنِ» (١).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ (المائدة: 97) (٢).

يُقَالُ أَحْرَمَ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَلَا شَيْءَ عَلَى مَنْ قَتَلَ فِيهِ، وَيُقَالُ أَحْرَمَ إِذَا تَلَبَّسَ بِالْإِحْرَامِ (٦)، وَمَنْ قَتَلَ فِيهِ عَلَيْهِ الْجَزَاءُ اتِّفَاقًا، وَيُقَالُ أَحْرَمَ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ فِي الْحَرَمِ، وَاخْتَلَفُوا فِي جَزَاءِ مَا قَتَلَ فِيهِ؟ وَهَذَا مَدْرَكُهُ (٧) اللَّغَةُ فَلْيُطْلَبْ مِنْهُ.

وَكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فِيمَنْ قَتَلَ صَيْدًا، هَلْ عَلَيْهِ الْقِيَمَةُ (٨)، أَوِ الْمِثْلُ مِنَ النَّعَمِ؟ لِأَجْلِ اخْتِلَافِ الْقِرَاءَاتِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَجَزَاءُ مِثْلٍ﴾ (المائدة: 97) بِإِضَافَةِ الْجَزَاءِ إِلَى الْمِثْلِ، أَوْ (٩) وَضَعِهِ نَعْتًا لَهُ (٣)، فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ مَعْرِفَةِ الْقِرَاءَاتِ وَاللُّغَاتِ

(١) ب: تتزلف، وهي ساقطة من: ك، م.

(٢) الواو: ساقطة من: ك، م.

(٣) ب، ك، م: اسقط.

(٤) ك، م: فأيهما.

(٥) ك، م: أحوط.

(٦) ك، م: الإحرام.

(٧) ك: مدرك.

(٨) ك، م: القيمة أم لا؟

(٩) ب: أو موضعه، أ: وموضعه.

.....

(1) صفحة: 62 وما بعدها.

(2) انظر الأحكام: 664 - 670.

(3) قال المؤلف في الأحكام: 670.

وَقَانُونَهَا النَّحْوُ، وَتَرْكِبِ الْأَحْكَامِ عَلَى ذَلِكَ بِمَا اضْطَرَّ النَّاسُ إِلَيْهِ حِينَ فَسَدَ عَلَيْهِمُ
الْكَلَامُ الْعَرَبِيُّ وَافْتَقَرُوا^(١) إِلَى تَحْصِيلِهِ بِالتَّعْلِيمِ الصَّنَاعِيِّ.

وَلَمَّا أَرَادَ مِنْ حِفْظِ دِينِهِ، وَضَبَطَ شَرِيعَتَهُ، وَإِنْجَازِ وَعْدِهِ فِي إِكْمَالِ دِينِهِ،
اخْتَارَ^(٢) «الْخَلِيلَ» نَشَاءً فَارِسِيَّةً، وَأَمَرَ^(٣) فَاخْتِطَفَ مِنْ بَيْنِهِمْ^(٤)، وَيَسَّرَ لَهُ ضَبْطَ
اللُّغَةِ، وَتَرْتِيبَ قَوَائِنِهَا، وَجَاءَ بِالْمُعْجَزِ لِلْعَالَمِ فِي ذَلِكَ، وَالْقَى مَا عَلِمَ مِنْهُ إِلَى
حُذَاقٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ لَقِنَهُ إِلَّا «سَيَبَوِيه» وَرَادَ «الْخَلِيلُ» بِأَنْ أَخَذَ
فِي عِلْمِ الْأَلْحَانِ لِيَضْبِطَ عَلَى الْعَرَبِ الْأَوْزَانَ الَّتِي لَا يَتِمُّ الشُّعْرُ إِلَّا بِهَا، وَهُوَ^(٥)
دِيَوَانُهَا، وَقَدْ كَانَتْ تَسْتَرْسِلُ وَالْمَاءُ فِي كَلَامِهَا نَمِيرٌ^(٦)^(١)، وَالْغُصْنُ نَضِيرٌ،
فَكَيْفَ^(٧) وَقَدْ كَدَّرَتْهُ الدَّلَاءُ، وَجَفَفَتْهُ حَرَارَةُ الْإِنْتَوَاءِ^(٢).

(١) ب: وافتقر، ك: م: فافتقروا.

(٢) ك: م: واختار.

(٣) ك: م: وأمره.

(٤) ك: م: من لغتهم.

(٥) ك: م: وهذا.

(٦) أ: رطيب. واستدرك الخطأ في الهامش.

(٧) أ: وكيف.

= «قرئ بخفض مثل على الإضافة إلى «فجزاء» ويرفعه وتنوينه صفة للجزاء، وكلاهما صحيح
رواية، صواب معنى، فإذا كان على الإضافة اقتضى ذلك أن يكون الجزاء غير المثل، إذ الشيء لا
يضاف إلى نفسه وإذا كان على الصفة برفعه وتنوينه اقتضى ذلك أن يكون المثل هو الجزاء بعينه،
لوجوب كون الصفة عين الموصوف».

قلت: قراءة الرفع بالتنوين قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي (الكوفيون) وقرأ الباقون من غير تنوين
مع خفض «مثل». انظر: ابن مجاهد: السبع في القراءات: 247 - 248، ابن زنجلة: حجة
القراءات: 235، ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع 134، ابن بادش: الإقناع في القراءات
السبع: 636.

(١) قال الجوهر في الصحاح: 838/2 «ماء نمير، أي ناجع، عذباً كان أو غير عذب».

(٢) الانتواء هو الابتعاد.

ذِكْرُ الْبَاطِنِ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ (١)

وَأَمَّا عِلْمُ الْبَاطِنِ، فَقَدْ ضَلَّتْ فِيهِ الْأُمَمُ فَأَوْعَدُوا (١) فِي هَذَا الْبَابِ وَأَوْعَدُوا (٢)،
حَتَّى كَفَرَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَا يُحْكِي قَوْلُهَا الْآنَ لِسَخَافَتِهِ، وَتَسَوَّرَتْ عَلَيْهِ أُخْرَى،
وَادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ (٣) مِنْهُمْ أَنَّ عِلْمَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، لِيُحَرِّضَ عَلَيْهِ مَنْ يَطْلُبُهُ.

وَإِنَّمَا عَنِ الْعُلَمَاءِ بِقَوْلِهِمْ: «إِنَّ الْعُلُومَ كُلَّهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ» مَا كَانَ عِلْمًا
لِذَاتِهِ، لَا مَا وَقَعَتِ الدَّعْوَى فِيهِ أَنَّهُ عِلْمٌ وَهُوَ (٣) جَهْلٌ، وَذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى الْعُلُومِ
الشَّرْعِيَّةِ وَالْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ، فَإِنَّ جَمِيعَهَا مُضْمَنٌ (٤) فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ
مُبِينٌ، وَكُلُّ جَهَالَةٍ وَسَخَافَةٍ ادَّعَتْهَا طَائِفَةٌ فَالَرَّدُ عَلَيْهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مَوْجُودٌ أَيْضًا
مُبِينٌ.

وَتَكَلَّفَتْ طَائِفَةٌ مَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ وَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ أَنْحَاءَ (٥) غَرِيبَةٍ مِنْهَا

(١) أ: من علوم الكتاب، ب: من علم الكتاب.

(٢) واحد: ساقط من: أ، ب.

(٣) وهو: ساقطة من أ، واستدرك الخطأ في الهامش.

(٤) أ: مضمرة.

(٥) أنحاء: ساقطة من: ك، م.

(١) أي جاءوا بحمق لا سداد فيه.

(٢) هو من وعيد الفحل أي هديره إذا هم أن يصول. لسان العرب مادة «وعد» والكلمتان بمعنى صالوا وجالوا دون طائل.

قَوْلُهُمْ^(١) «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَمَّا خَلَقَ آدَمَ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: 29)^(٢) وَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي خَالِقُ عَرْشًا، وَلَا سَمَاءً وَلَا أَرْضًا، وَلَا جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا شَجَرًا^(٣) وَلَا حَيَوَانًا، حَتَّى خَلَقَ آدَمَ، وَقَالَ^(٤) لَهُمْ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (فَمَا الْحِكْمَةُ فِيهِ؟)^(٥).

ثُمَّ اخْتَلَفَتْ مَذَارِكُ خَوَاطِرِهِمْ فِي بَيَانِ مَا تَكَلَّفُوا سُؤَالَ، فَكَتَبَ كُلُّ وَاحِدٍ^(٦) مِنْهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَنَاءً مِنْ فُنُونِ الْمَقَاصِدِ عَظِيمًا، وَوَلَجُوا مَقَارَةً لَا تَقْطَعُهَا الْمَهَارَى، وَلَا تَزَالُ الْفِكْرُ فِيهَا حَيَارَى، حَتَّى أَدْخَلَهَا الْمُتَأَخَّرُونَ فِي كُلِّ آيَةٍ وَحَرْفٍ، وَغَادَرُوا فِي سَبِيلِهِمْ رَذِيَّةً كُلَّ جَلْدِيَّةٍ^(٧) وَحَرْفٍ^(٨)، وَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ هَذَا الْفَنَّ فِي مِطَانِهِ، وَفِي مُرَاجَعَةِ شَيْوَحِهِ فِيهِ، حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى حَقِيقَةِ مَذْهَبِهِ.

وَلَقَدْ سَأَلَنِي بَعْضُ أَصْحَابِي مِنَ السَّالِكِينَ عَنْ قَوْلِ صَاحِبِ الْحَقَائِقِ^(٩): مَا

(١) ب: من لهم.

(٢) ك، م: بحراً.

(٣) ك، م: فقال.

(٤) ك، م: قد.

(٥) فما الحكمة فيه: ساقطة من: ك، م.

(٦) واحد: ساقطة من: أ، ب.

(٧) ك: حادية.

(١) انظر تفسير هذه الآية في معرفة قانون الأسكريال: 38/ب، 39/أ-ب، ولم يتعرض لهذا الإشكال الذي طرحته الصوفية بالرغم من تعرضه لتفسيرها بطريق الإشارة. أما القشيري في لطائف الإشارات: 75/1 فقد تطرّق لهذا الإشكال وأبان الحكمة فيه فقال: «وإنما قال الله تعالى (إِنِّي جَاعِلٌ) تشريفاً وتخصيصاً لآدم».

(2) الرَذِيَّةُ الناقية المهزولة من السير، والجلدية هي الكبار من النوق التي لا أولاد لها ولا ألبان، أما الحرف فهي الناقية الضامرة المهزولة، ومراد المؤلف هنا الإشارة إلى مشاق السفر الذي يتحملونه في طلب معرفة ذلك، والله أعلم.

(3) هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلَمي (ت: 412) من كبار المتصوفة له تأليف عديدة في التصوف والتفسير والحديث، وكتاب «الحقائق» الذي أشار إليه ابن العربي هو تفسيره الصوفي للقرآن =

الْحِكْمَةُ فِي (١) قَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ، وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ...﴾ (يونس: 107). فَأَصَابَ الضُّرُّ إِلَى الْمَسِّ، وَالْخَيْرُ إِلَى الْإِرَادَةِ؟

فَأَمَلَيْتُ فِي ذَلِكَ عَلَى طَرِيقَةِ (٢) الْقَوْمِ مَا نَصَّهُ:

سَأَلْتَنِي - وَفَقَّكَ اللَّهُ - عَنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ، وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام: 18).
وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ، وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (يونس: 107) (٣).

مَا الْحِكْمَةُ (٤) عَلَى مَذْهَبِ الْأَشْيَاخِ فِي ذِكْرِهِ (٥) الْمَسِّ فِي الضُّرِّ، وَالْإِرَادَةِ فِي الْخَيْرِ؟

فَقُلْتُ: فِيهِ إِشَارَةٌ لِلْقَوْمِ لَا يَحْتَمِلُهَا أَهْلُ هَذَا الْقَطْرِ، مِنْهَا مَا فِيهِ (٦) إِشْكَالٌ،

(١) فِي سَاقِطَةٍ مِنْ: أ.

(٢) ك، م: طَرِيق.

(٣) هُنَاكَ تَقْدِيرٌ وَتَأْخِيرٌ فِي الْآيَةِ فِي: ك، م.

(٤) ك، م: الْحِكَايَةُ.

(٥) ك، م: ذَكَرَ.

(٦) ب: فِيهَا.

= الْكَرِيمُ وَالْمُسَمَّى بِـ «حَقَائِقُ التَّفْسِيرِ» وَتَوْجَدُ مِنْهُ عِدَّةُ نَسَخٍ مَخْطُوطَةٍ فِي مَخْتَلَفِ مَكْتَبَاتِ الْعَالَمِ، وَلِلْوُقُوفِ عَلَى أَمَاكِنِهَا انْظُرْ: تَارِيخُ التَّرَاثِ لِسُرْكِينِ 468/2 - 499، وَلَمْ أَتِمَّكَ مِنْ مَرَاجَعَةِ نَصِّ السَّلْمِيِّ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الْأَصْلِيَّةِ، وَإِنَّمَا وَقَفْتُ عَلَى مَقْتَطَفَاتٍ نَشَرَهَا الْقَسَّ بُولَسْ نَوَايَا السُّوْعِيِّ - هَدَاهُ اللَّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ - فِي كِتَابٍ تَحْتَ عُنْوَانِ «نُصُوصٌ صُوفِيَّةٌ غَيْرُ مَنْشُورَةٌ» دَارُ الْمَشْرِقِ بِيْرُوتَ صَفْحَةُ: 58، وَلِلتَّوَسُّعِ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ انْظُرْ: تَارِيخُ بَغْدَادَ لِلْمَخْطِيبِ: 248/2، وَالْمُنْتَظَمُ لِابْنِ الْجُوزِيِّ: 6/8، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ لِلْسَّيْكِيِّ: 143/4، وَمِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ: 523/3، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ لِلذَّهَبِيِّ: 247/17، وَانْظُرِ الْمَقْدَمَةَ النَّفِيسَةَ الَّتِي كَتَبَهَا الشَّيْخُ نُورُ الدِّينِ شَرِيبَةُ لِكِتَابِ «طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ» لِلْسَّلْمِيِّ.

وَمِنْهَا مَا هُوَ دَاخِلٌ ^(١) فِي قِسْمِ الْإِخْتِلَالِ ^(٢)، وَالَّذِي حَضَرَ مِنْهَا الْآنَ سَبْعَةُ أَقْوَالٍ :
 الْأَوَّلُ : قَوْلُهُ : ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ، وَيَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ فِي (سُورَةِ
 الْأَنْعَامِ) فِي الْمَوْضِعَيْنِ، وَتَفَرَّقَتْهُ بَيْنَهُمَا فِي (سُورَةِ يُوسُفَ) بَيَانٌ، لِأَنَّهُ - سُبْحَانَهُ ^(٣) -
 خَالَقُ الضَّرِّ وَمُنْشِئُهُ وَمُبْدِعُهُ وَمَخْتَرِعُهُ عَلَى الْإِنْفِرَادِ، فَذَكَرَ بِأَبْلَغِ أَنْوَاعِ الْخَلْقِ وَهُوَ
 الْإِصْطِلَاقُ لَهُ إِلَى الْعَبْدِ وَالِاتِّصَالُ بِهِ رَدًّا ^(٤) عَلَى مَنْ يَقُولُ : إِنَّهُ لَا يَخْلُقُ إِلَّا الْخَيْرَ
 وَالضَّرَّ الَّذِي لَا كَسْبَ فِيهِ لِلْعَبْدِ ^(٥)، فَأَمَّا الْمَضَرَّةُ الَّتِي يَكْتَسِبُهَا الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ فَلَا
 يَخْلُقُهَا عِنْدَ الْمُبْتَدِعَةِ ^(٦) إِلَّا الْعَبْدُ، وَالضَّرُّ عِنْدَنَا هُوَ الْأَلَمُ الَّذِي ^(٧) لَا نَفْعَ يُوَازِيهِ أَوْ
 يُوفِي ^(٨) عَلَيْهِ، وَيَقَعُ ^(٩) جَزَاءً أَوْ قِصَاصًا أَوْ عِقَابًا.

وَهَذِهِ الْآيَةُ رَدًّا ^(١٠) عَلَى هَؤُلَاءِ ^(١١) الْمُبْتَدِعَةِ، فَإِنَّهُ أَضَافَهُ ^(١٢) إِلَى نَفْسِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ
 مُتَّصِلٌ بِالْعَبْدِ بِفِعْلِهِ، فَهُوَ الْمُنْفَرِدُ خَلَقَ الضَّرَّ مِنْ غَيْرِ شَرِيكَ يَعْضُدُّهُ، وَكَذَلِكَ يَنْفَرِدُ
 بِكَشْفِهِ مَنْ غَيْرِ نَصِيرٍ يُنْجِدُهُ ^(١٣)، فَإِنْ خَصَّصُوا الْأَوَّلَ ^(١٤)، خَصَّصْنَا الثَّانِي، وَعَادَ
 الْكَلَامُ إِلَى فَنِّ الْأَصُولِ، وَالْأَدِلَّةُ فِيهِ قَاطِعَةٌ.

(١) داخل : ساقطة من : ك، م.

(٢) أ : الاختلاف، ك، م : الاعتلال.

(٣) ك، م : لأن الله.

(٤) ك، م : رد.

(٥) لا كسب للعبد فيه، في : أ، ب.

(٦) الذي : ساقطة من : أ.

(٧) ك، م : الذي يقع موازیه وموافي عليه.

(٨) ك، م : فيقع.

(٩) ك : رد.

(١٠) هؤلاء : ساقطة من : أ، واستدرك النقص في الهامش.

(١١) ك، م : أضاف.

(١٢) ب، ك، م : يتخذه.

(١٣) ك، م : الأولى.

(١٤)
 (1) يقصد بالمبتدعة المعتزلة ومن وافقهم.

الثاني: أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُضِيفَهُ إِلَى نَفْسِهِ بِاللَّفْظِ الْأَخْصِّ الْأَقْرَبِ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَى الْحَبِيبِ وَأَعَذَبَ^(١)، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ: «الْحَنْظَلَةُ مِنْ كَفٍّ^(٢)» مَنْ تُحِبُّ مُسْتَعَذِبَةً^(٣).

وَقَالَ النَّازِمُ فِي الْمَخْلُوقِ:

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي أَيْمَانِكُمْ قَمَرًا تَرَاهُ بِالشَّوْقِ عَيْنِي وَهُوَ مَحْجُوبٌ
أَرْضَى أَوْ اسْخَطَ^(٤) أَوْ أَنْوِي تَجَنُّبَهُ^(٥) فَكُلُّ مَا يَفْعَلُ الْمَحْبُوبُ مَحْجُوبٌ
فَاللَّهُ^(٥) - تَعَالَى - أَحَقُّ.

الثالث: أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ مِنَ الشَّرُّورِ وَالطَّرَبِ، فَإِنَّ الرُّكُونَ إِلَى ذَلِكَ غَفْلَةٌ وَغُرُورٌ وَأَمْنٌ مِنَ الْمَكْرِ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلْمَحِبِّ أَنْ يَكُونَ مَعَ^(٦) حَبِيبِهِ مُتَدَرِّجًا عَلَى بَسَاطِ الْوَصْلِ الظَّاهِرِ بِتَحْفُظٍ وَتَيْقِظٍ وَتَوَقُّفٍ وَتَشَوُّفٍ^(٧).

الرابع: أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ وَالْإِرَادَةُ أَحَدُ^(٨) أَسْبَابِ التَّقْدِيرِ وَالْإِيْجَادِ، فَرُبَّمَا اقْتَرَنْتَ بِمَا هُوَ فِي ذَلِكَ مَعَهَا مُعْجَلًا أَوْ مُؤَجَّلًا حَسْبَمَا وَقَعَ بِهِ الْعِلْمُ، وَالْإِمْسَاسُ إِيْجَادٌ وَقَعَ بِالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَسَائِرِ الْأَسْبَابِ وَالشَّرُوطِ، فَعَلَقَ

(١) ك، م: وأعظم وأعذب.

(٢) كف: ساقطة من: أ، وفي ك، م: الحنطة بكف من تحب مسعدته.

(٣) أ: واسخط.

(٤) أ، ك، م: أم ألوي محبته.

(٥) ك، م: والله.

(٦) مع: ساقطة من: ك، م.

(٧) أ: وتيقظ وتشوق.

(٨) أ: آخر.

(١) الكلام السابق جلّه مستفاد من القشيري في لطائف إشارات: 119/2.

(2) عند القشيري: 119/2 «الْحَنْظَلُ يُسْتَلَدُ مِنْ كَفٍّ مَنْ تَحِبُّهُ».

الْخَيْرِ الْمُرَكَّبِ^(١) بِالْإِرَادَةِ، وَعَلَّتِ الضَّرُّ الْمُتَوَقَّعَ الْمَغْفُولَ عَنْهُ بِالْإِيْجَادِ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ أَنَّهُمْ وَإِنْ غَفَلُوا عَنْهُ فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ^(٢)، وَأَكْثَرُ فِيهِمْ لِدُنُوبِهِمْ.

الخَامِسُ: أَنَّهُ عَرَفَ^(٣) الضَّرُّ بِإِضَافَتِهِ إِلَيْهِ كَمَا قَدَّمَ نَاهُ، فَلَمَّا^(٤) أَوْجَبَ عَيْنَ الضَّرُّ مِنَ الْخَوْفِ، أَبْدَلَ مَكَانَهُ بِقَوْلِهِ ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ﴾ مَا لَا يُقَدَّرُ قُدْرُهُ مِنَ السَّرُورِ وَالطَّرَبِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَإِنْ كَانَ الضَّرُّ يَخْلُقُهُ فِيَّ أَوْ يُنْزِلُهُ بِي، فَذَلِكَ^(٥) مِنَ الذِّكْرِ وَالْإِهْتِمَامِ، فَغَشِيَهُمْ لِذَلِكَ طَرَبٌ حَيْثُ ذَكَرَهُمْ مَوْلَاهُمْ وَإِنْ كَانَ بِمَا^(٦) سَاءَهُمْ، كَمَا قَالَ النَّاطِمُ فِي^(٧) الْمَخْلُوقِ:

لِئِنْ سَاءَنِي أَنْ نِلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ^(١)
السَّادِسُ: أَنَّ الضَّرُّ عَبَّرَ عَنْهُ بِالْإِمْسَاسِ لِمَا فِيهِ مِنْ عَظِيمِ الْإِحْسَاسِ، فَإِنَّ الْخَيْرَ لَا يُحْسُ بِذَوَاتِهِ^(٨) وَلَا بِأَوْقَاتِهِ، بَلْ يَذْهَبُ مُعْجَلًا وَتَمُرُّ أَوْقَاتُهُ سَرِيعَةً، وَالضَّرُّ يُؤْلِمُ مَوْقِعُهُ، وَيُرَى مَوْضِعُهُ، وَيَطُولُ وَقْتُهُ^(٩)، وَيَمْنَعُ الْمَنْزُولَ^(١٠) بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

(١) أ، ب: المتوكف، وكتب بهامش ب: المركب. ك: المتركب.

(٢) أ، ب: إليه.

(٣) أ: عذب، ب: عد بالضرب.

(٤) أ، ب: فما، واستدرك ناسخ ب الخطأ في الهامش.

(٥) ك: أَوْ يُنْزِلُهُ فِي ذَلِكَ.

(٦) ك، م: ما.

(٧) أ: من.

(٨) ب، ك، م: بذاته.

(٩) ويطول وقته: ساقطة من: أ.

(١٠) ك، م: المنزل.

(1) البيت لابن الدُّمَيْنَةِ فِي دِيَوَانِهِ: 17 (ط: دار العروبة بالقاهرة 1959 بتحقيق العلامة المحقق أحمد

راتب النفاخ) مِنْ قَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ لَهُ مَطْلَعُهَا:

«قَفِي يَا أُمَيِّمَ الْقَلْبِ نَقْضَ لِبَانَةِ وَنَشْكُ الْهُوَى ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَا لَكَ»

وقد وردت هذه القصيدة في كثير من كتب الأدب، وأدخلها الأدباء في اختياراتهم في شعر =

سِوَاهُ، فَعَبَّرَ عَنْهُ بِحَالِهِ الْوَاقِعَةِ^(١)، وَصِفَتِهِ اللَّازِمَةِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ﴿مَسْنِي الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: 82) فَعَبَّرَ عَنْهُ بِأَبْلَغِ صِفَاتِهِ، وَأَعْظَمِ مَوَاقِعِهِ وَهِيَ الْإِمْسَاسُ، لِمَا فِيهِ مِنْ عَظِيمِ الْإِحْسَاسِ، وَلَمْ يَعْزِ فِي قَوْلِهِ^(٢) ﴿بِالضَّرِّ﴾ مَا نَالَ جِسْمَهُ مِنَ الْبَلَاءِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ مَا نَالَ بِهِ الشَّيْطَانُ^(٣) مِنَ الْوَسْوَسةِ فِي نَفْسِهِ بِاسْتِطَالَةِ الْبَلَاءِ وَعَظِيمِ الضَّرَاءِ، وَمَا نَالَ فِي^(٤) أَهْلِهِ بِمَا^(٥) كَانَ قَدْ فَاوَضَهَا فِيهِ، إِذْ لَقِيَهَا فِي صُورَةِ رَجُلٍ فِي الطَّرِيقِ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ^(٦)، وَلِذَلِكَ نَسَبَهُ إِلَى الشَّيْطَانِ فَقَالَ: ﴿مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص: 40).

وَقِيلَ: لَمْ يُضِفْهُ إِلَى الْبَارِيءِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَدَبًا^(٧) كَمَا فَعَلَ «إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ» فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: 80) وَأَضَافَ الْأَفْعَالَ كُلَّهَا إِلَى الْبَارِيءِ^(٨) - سُبْحَانَهُ - وَهِيَ بِهِ وَمِنَهُ، وَأَضَافَ الْمَرَضَ إِلَى نَفْسِهِ - وَهُوَ^(٩) مِنْ فِعْلِ اللَّهِ حَقِيقَةً - أَدَبًا لِثَلَا يَكُونَ فِي مَعْرِضِ التَّشْكِي، فَآثَرَا جَمِيعًا الْإِسْتِسْلَامَ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ -، وَتَأَدَّبَا بِإِضَافَةِ الضَّرْرِ إِلَى أَنْفُسِهِمَا^(٩)، وَهُوَ مِنَ اللَّهِ خَلْقٌ، وَفِيهِمَا حَقٌّ.

(١) أ: الواقعة عنه.

(٢) أ، م: قولهم.

(٣) ك: ما ناله الشيطان به.

(٤) ك: ناله به في.

(٥) ب: مما.

(٦) أدبا: ساقطة من: ب.

(٧) أ، ب: الله.

(٨) ك: وهي.

(٩) ك، م: نفسيهما.

= النسيب. وانظر تخريج هذه القصيدة باستيفاء في ملحق ديوان ابن الدُمَيْثَةِ: 217 - 219.
(1) انظر السيوطي: الدر المنثور: 317/4، والقشيري: لطائف الإشارات: 517/2.

السَّابِعُ: أَنَّ الْأَلْفَافَ كُلَّهَا سَوَاءٌ، لَوْ وُضِعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَوْضِعَ الْآخَرِ لِأَجْزَاءٍ، فَقَدْ قَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ، وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ، وَإِنْ يَرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ... الْآيَةُ﴾.

وَقَالَ فِي سُورَةِ الزَّمَرِ: 36: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾. فَتَارَةً أَضَافَ الْإِرَادَةَ إِلَى الْخَيْرِ وَالضَّرِّ، وَتَارَةً أَضَافَهُمَا إِلَى الْإِمْسَاسِ، وَتَارَةً غَايَرَ، وَكُلُّ صَحِيحٍ فَصِيحٌ، وَهَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ، وَأَطْيَبُ مَا يُجْلَبُ فِي الْإِثَارِ^(١)، وَهُوَ قَوْلِي^(٢) مِنْ جُمْلَةِ الْأَقْوَالِ^(١).

وَقَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ شُيُوخِ الزُّهَادِ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ رَدَّ «مُوسَى» عَلَى أُمِّهِ فِي لَحْظَةٍ، وَرَدَّ «يُوسُفَ» عَلَى يَعْقُوبَ^(٣) فِي^(٤) مَلَّةٍ فِيهِ سَبْعَةُ أَوْجِهٍ مِنَ الْحِكْمَةِ: الْأَوَّلُ^(٥): أَنَّ أُمَّ مُوسَى^(*) كَانَتْ ضَعِيفَةً بِالْأَنْوَةِ، وَكَانَ يَعْقُوبُ قَوِيًّا بِالذُّكُورَةِ.

الثَّانِي: أَنَّ رَمَى مُوسَى^(*)^(٦) كَانَ مِنَ اللَّهِ، وَذَهَابَ يُوسُفَ كَانَ مِنَ النَّاسِ.

(١) ب: الامتياز.

(٢) قولي: ساقطة من: ك.

(٣) على يعقوب ساقطة من: ك، م.

(٤) ك: بعد.

(٥) الحكمة الأولى ساقطة من: ك، م.

(٦) ما بين النجمتين ساقط من: ك.

(1) انظر كتاب «الأفعال» للمؤلف: 192/ب.

بِاسْتِحْفَازِهِ لِإِخْوَتِهِ^(١)، فَخَانُوا^(٢) فِيهِ، فَادَّبَ لَثَلًا يَسْتَحْفِظُ أَحَدٌ^(٣) غَيْرَ اللَّهِ.

الثَّالِثُ^(٤): أَنَّ أُمَّ مُوسَى وَثَّقَتْ بِوَعْدِ اللَّهِ، وَرَجَا يَعْقُوبُ شَفَقَةَ الْإِخْوَةِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ أُمَّ مُوسَى وَعَدَهَا اللَّهُ فَأَنْجَزَ وَعْدَهُ^(٥)، وَيَعْقُوبُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ اللَّهِ وَعْدٌ، وَإِنَّمَا بَقِيَ بَيْنَ^(٦) الْأَسْبَابِ مُتَرَدِّدًا، حَتَّى سَاقَتْهُ إِلَيْهِ الْمَقَادِيرُ عَلَى كَلِمَةٍ وَتَقْدِيرٍ.

الخَامِسُ: أَنَّ «مُوسَى» رُمِيَ صَغِيرًا^(٧)، فَسَبَّبَ اللَّهُ لَهُ كَفِيلًا.

السَّادِسُ: أَنَّ «يُوسُفَ» لَوْ قَالَ حِينَ أُخْرِجَ مِنَ الْجُبِّ: أَنَا حُرٌّ، وَابْنُ^(٨) نَبِيٍّ، وَهَؤُلَاءِ إِخْوَتِي، وَهَذِهِ قَرَبَاتِي، لَمَا اشْتَرَوْهُ، وَلَكِنَّهُ اسْتَسْلَمَ، فَأَسْلَمَهُ اللَّهُ إِلَى الْحِكْمَةِ حَتَّى يَجْعَلَهُ سُنَّةً لِمَنْ بَعْدَهُ، وَمُوسَى صَغِيرًا^(٩)، فَتَوَلَّى اللَّهُ - تَعَالَى - سَلَامَتَهُ وَرَدَّهُ فِي الْحَالِ.

السَّابِعُ: أَنَّ إِخْوَةَ «يُوسُفَ» قَالُوا اطْرَحُوهُ أَرْضًا، وَالْأَرْضُ أُمُّ الْآدَمِيِّ وَمَقَرُّهُ، فَلَمْ يُلْقَ بِمَضِيعَةٍ^(١٠)، وَمُوسَى رُمِيَ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ هَلَكَةٍ أَوْ نَجَاةٍ، فَكَانَتْ^(١١) النُّجَاةُ السَّابِقَةُ فِي عِلْمِ اللَّهِ.

(١) ك: م: لاستحفاظه بإخوته.

(٢) ك: فكانوا.

(٣) أحد: ساقطة من ك، م.

(٤) ك: الثاني.

(٥) وعده: ساقطة من: أ.

(٦) ب: من.

(٧) ك: صغير.

(٨) ك، م: وأبي.

(٩) أ: صغيراً.

(١٠) ك، م: بضیعة.

(١١) ب: لكانت.

وَأَغْرَبَ مِنْهُ^(١) أَنَا كُنَّا يَوْمًا بِمَحْرَسِ الْكُومِينَ بِالشَّغْرِ^(٢) حَمَاهُ اللَّهُ^(٣)، فَسُئِلَ «الْفَهْرِيُّ»^(٤) عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾^(٥) فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ (165). وَقَالَ: ﴿لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ فِي الْأَعْرَافِ (167) بِزِيَادَةِ اللَّامِ، فَمَا الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ؟.

فَقَالَ الْفَهْرِيُّ: إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - أَخْبَرَ فِي سُورَةِ^(٦) الْأَنْعَامِ أَنَّهُ جَعَلَ الْخَلْقَ خَلَائِفَ الْأَرْضِ لِيَتْلِيَهُمْ^(٧)، وَوَعَدَهُمْ وَتَوَعَّدَهُمْ، وَأَمَّهُلَهُمْ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ^(٨) وَلَمْ^(٩) يَهْمِلْهُمْ، وَأَخْبَرَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا اقْتَحَمُوهُ، وَمَا نَزَلَ بِهِمْ فِي الْحَالِ، وَعَجَّلَ لَهُمْ مِنْ^(١٠) الْعَذَابِ، فَأَكَّدَهُ بِاللَّامِ لِمَا كَانَ فِيهِ مِنْ سُرْعَةِ الْجَزَاءِ^(١١) وَتَعَجَّلَ الْعَذَابِ^(١٢).

وَقَدْ أَخَذَ قَوْمٌ هَذَا الْمَقْصِدَ^(١٣) فِي طَرِيقِ السُّؤَالِ، وَعَلَى فَنٍّ مِنَ الْفِقْهِ فَقَالُوا^(١٤): مَا الْحِكْمَةُ فِي أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَدَأَ كِتَابَهُ بِمُحَمَّدٍ نَفْسِهِ، وَقَدْ نَهَى أَنْ يَحْمَدَ أَحَدٌ نَفْسَهُ؟.

(١) أ، ب: وأقرب.

(٢) ك، م: حرسها الله.

(٣) الآية غير مثبتة في: أ.

(٤) سورة: ساقطة من: أ، ب.

(٥) أ: ليلوهم.

(٦) ب ز، ك، ز م: الأخرى.

(٧) الواو: ساقطة من: ب.

(٨) من: ساقطة من: ك، م.

(٩) ك، م: الإجزاء.

(١٠) ك، م: القصد.

(١١) ك، م: وقالوا.

.....
(1) أي بشعر الإسكندرية.

(2) هو أبو بكر الطرطوشي وقد سبقت ترجمته في صفحة: 92 تعليق رقم: 1.

(3) انظر: الأمد: 95/أ، السراج: 130/أ.

وَهَذَا قِشْرٌ^(١) مِنْ لُبِّابٍ^(٢) هَذِهِ^(٣) الْأَسِيلَةُ، وَفَنٌ فَفْهِي فِي جَمْعِ
الْمُتَعَارِضِ^(٤) مِنَ الْأَلْفَافِ، وَالسُّؤَالُ فِي نَفْسِهِ فَاسِدٌ لِأَنَّهُ مُتَنَاقِضٌ، إِذْ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ
حَمَدَ نَفْسُهُ، وَنَهَى الْمَخْلُوقَ عَنْ حَمْدِ نَفْسِهِ، وَأَيُّ تَعَارُضٍ فِي هَذَا؟ وَأَصْلُ
التَّعَارُضِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، إِنَّمَا يَنْبَغِي عَلَى تَسَاوِيهِمَا فِي الْمَرْتَبَةِ، وَلَا مُسَاوَاةَ بَيْنَ اللَّهِ
وَالْخَلْقِ، فَلَا مُعَارَضَةَ.

تَحْقِيقُهُ: أَنَّ^(٥) التَّعَارُضَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ^(٦) إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا تَعَلَّقَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ مِنْ
جِهَةٍ وَاحِدَةٍ فِي حَقِّ شَخْصٍ وَاحِدٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُعَوَّلَ عَلَيْهِ فِي
هَذَا الْبَابِ كِتَابُ «ابْنِ فُورَكٍ» فِي «مُشْكِلِ الْقُرْآنِ»^(١) فَإِنَّهُ لَمْ يُؤَلَّفْ مِثْلُهُ، وَقَدْ جَمَعَ
عَلَى نَحْوِهِ «الرَّمَانِيُّ» كِتَاباً^(٧) فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» عَشْرَ مُجَلَّدَاتٍ، حَسَنًا فِي وَصْفِهِ^(٨)،
بَاطِلًا فِي مَقْطَعِهِ، فَإِنَّهُ مُبْتَدِعٌ، فَلَا^(٩) يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقْرَأَ كِتَابَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَبُوحًا
فِي لُجَّةِ بَحَارِ الشُّبْهِ، لِئَلَّا تَتَعَلَّقَ بِقَلْبِهِ شُبْهَةٌ يَظُنُّهَا شَهَادًا وَهِيَ صَبْرٌ، وَيَرَى فِيهِ مَا
يُعْجِبُهُ فَإِذَا بِهِ قَذَارَةٌ وَهَلَكَةٌ. وَقَدْ كُنْتُ فِي إِمْلَاءِ «أَنْوَارِ الْفَجْرِ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ»
أَسْأَلُكَ هَذَا الْبَابَ كَثِيرًا، وَأُورِدُ فِيهِ عَظِيمًا كَمَا سَمِعْتُمْ، وَكَانَتْ^(١٠) اللَّوَاقِطُ تَكْثُرُ فِي

(١) ك: م: حصر.

(٢) ب: باب.

(٣) أ: أهل هذه.

(٤) ك: م: جميع التعاجز، ب: جميع المتعارض.

(٥) ك: م: تحقيق إذا.

(٦) ك: م: السببين.

(٧) كتاباً: ساقطة من: ك، م.

(٨) أ: رصفه.

(٩) ك: م: لا.

(١٠) ك: كتاب.

(1) لم أقف عليه.

مَجْلِسِي، فَمَا ظَفِرْتُ قَطُّ بِشَيْءٍ مِنَ السَّوَاقِطِ، لِأَنَّ طُرُقَ كَلَامِي كَانَتْ مَحْفُوظَةً
بِالْحَرَسِ، مُحَقَّقَةً بَيْنَ النَّفْسِ وَالنَّفْسِ، وَهُوَ مَعْنَى عَظِيمٌ، وَقَدْ فَتَحْتُ لَكُمْ بَابَهُ،
وَهَتَكْتُ حِجَابَهُ، وَشَرَعْتُ سَبِيلَهُ، وَأَوْضَحْتُ دَلِيلَهُ، فَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْكُمْ قَلْبٌ فَقَدْ
وَعَاهُ.

وَمِنْ عِلْمِ الْبَاطِنِ أَنَّ تَسْتَدِلَّ مِنْ مَذْلُولِ اللَّفْظِ عَلَى نَظِيرِ الْمَعْنَى، وَهَذَا^(١)
بَابٌ جَرَى فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ كَثِيرًا، وَأَحْسَنُ مَا أُلْفَ فِيهِ كِتَابُ «اللُّطَائِفِ وَالْإِشَارَاتِ»
لِلْقُشَيْرِيِّ^(٢) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَإِنَّ فِيهِ لَتَكْلُفًا أَوْقَعَهُ فِيهِ مَا سَلَكَهُ مِنْ مَقَاصِدِ
الصُّوفِيَّةِ، فَخُذُوا مَا تَعْلَمُونَ، وَقِفُوا دُونَ مَا تَجْهَلُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ^(٣) قَالُوا
سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ.

(١) أ، ب: وهو.

(٢) ك، م: من الذين.

(٣) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري، الملقب بزَيْن الإسلام، صوفي معتدل له مصنفات
كثيرة (ت: 465).

انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: 83/11، وتبيين كذب المفتري لابن عساكر: 271، ووفيات
الأعيان 205/3، وسير أعلام النبلاء: 227/18، طبقات الشافعية للسبكي: 153/5، وطبقات الشافعية
للإسنوي: 313/2، وطبقات الأولياء لابن الملقن: 257.

ذِكْرُ الْحُرُوفِ الْمَذْكُورَةِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ (1)

وَمِنَ الْبَاطِنِ (2) عِلْمُ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَائِلِ (1) السُّورِ، وَقَدْ قَيَّدَتْ فِيهَا أَزِيدَ مِنْ عِشْرِينَ قَوْلًا (3)، وَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ أَحَدًا (2) يَحْكُمُ عَلَيْهَا بِعِلْمٍ، وَلَا يَدَّعِي فِي الْمُرَادِ مِنْهَا فَهَمًّا، بَلَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

(1) ك: المتقطعة في أول، م: أول.

(2) ب: خلقاً.

.....

(1) انظر في هذا الموضوع: الطبري: التفسير: 67/1 - 74، وابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن: 299، والقشيري: الإشارات: 65/1، والمحاسبي: العقل وفهم القرآن: 329، والزمخشري: الكشاف: 12/1 - 19، وابن عطية: المحرر الوجيز: 94/1 (ط: المغرب)، وابن حيان: البحر المحيط: 34/1، والقرطبي: جامع أحكام القرآن: 154/1.

(2) الذي نقله السيوطي في الإتيان: 30/3 وفي معترك الأقران: 156/1 عن ابن العربي في فوائده رحلته هو: «ومن الباطل (باللام) علم الحروف المقطعة...».

قلت: ولا يخفى أن هذا النقل فيه تحريف، لأن سياق الكلام لا يفيد معنى (الباطل) فابن العربي ما زال يتحدث عن الباطن في علوم القرآن، وأتى بنماذج من ذلك، ومن جملة هذه النماذج الحروف المقطعة في أوائل السور، إضافة إلى أن هذا العلم لو كان من العلوم الباطلة فكيف يخوض فيه ابن العربي ويقيد فيه أزید من عشرين قولاً!

انظر الشاطبي في الموافقات: 396/3. وقد ترتب على هذا التحريف نتائج غير مرضية، فنجد د. عائشة عبد الرحمن تقول في كتابها «الإعجاز البياني للقرآن»: 136: «ويشس بعضهم من كل الجدل المثار في الحروف واختلاف الأقوال في تأويلها، منهم القاضي أبو بكر بن العربي الذي قال - فيما نقل السيوطي من كلامه في فوائده رحلته - ومن الباطل علم الحروف المقطعة...».

(3) وقفت على هذه الأقوال في تفسيره: «معرفة قانون التأويل»: 27/1 وما بعدها (مخطوط الأسكريال رقم: 1264) حيث أورد اثني عشر قولاً لعلماء التفسير، وسبعة أقوال للصوفية.

يَبْدَأُنِي أَذْكَرُ لَكُمْ فِيهَا قَوْلًا^(١) بَدِيعًا لَمْ أُسَبِّحْ إِلَيْهِ، وَلَا زُوِّحْتُ عَلَيْهِ، فِي
 أُسْبَابِ^(٢) سُلُوكِي إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ -، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى
 الْخَلْقِ بِمُعْجَزٍ تَحْدِي بِهِ الْعَرَبَ خَاصَّةً وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَاسْتَفْتَحَ بَعْضَ سُورِهِ بِهِذِهِ
 الْحُرُوفِ الْمُقْطَعَةِ، وَالْعَرَبُ قَدْ شَفِنَتْ^(٣) (١) لَهُ، وَقَوْمُهُ جُرَاءُ^(٤) عَلَيْهِ، يَرْقُبُونَ مِنْهُ
 زَلَّةً، وَيَتَرَبَّصُونَ بِهِ سَقَطَةً، فَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ سَالِكَةً سَبِيلَ الْإِشْكَالِ، غَيْرَ
 دَاخِلَةٍ فِي فَنٍّ مِنْ فُنُونٍ فَصَاحَتِهِمْ، لَا تَهْتَدِي إِلَيْهَا مَعَارِفُهُمْ، مَا تَرَكُوهُ أَنْ يَنْتَقِلَ عَنْهَا
 شِبْرًا، حَتَّى يُحْدِثَ لَهُمْ فِيهِ ذِكْرًا، وَيُظْهِرَ إِلَيْهِمْ بِهَا عِلْمًا، وَقَدْ قَالَ لِلْمُبْتَدِئِينَ مِنْهُمْ
 بِالْأَذَايَةِ، الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالنِّكَايَةِ، الْمُسْتَهْزِئِينَ^(٥) بِكُلِّ دَلِيلٍ وَآيَةٍ: ﴿ص، وَالْقُرْآنِ ذِي
 الذِّكْرِ﴾ (ص: 1). ﴿حَم، تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (فصلت: 1)،
 وَالْأَنْدِيَّةُ حَافِلَةٌ بِالْإِعَادِ، وَالنُّفُوسُ مُتَشَوِّفَةٌ إِلَى عَشْرَةِ مِنَ الْحُسَادِ، فَادْعُونَا لِفَصَاحَةِ^(٦)
 الْقَوْلِ بِاتِّفَاقٍ، وَلَمْ يَقُولُوا: هَذَا اخْتِلَاطٌ، بَلْ قَالُوا: هَذَا اخْتِلَاقٌ، وَلَيْسَ يَقْدَحُ فِي
 عِلْمٍ مِنْ عُلُومِ الدِّينِ^(٧) جَهْلٌ مَنْ جَهَلَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مِمَّا
 يُنَالُ بِالْإِجْتِهَادِ، وَيَجْرِي عَلَيْهِ بِالظَّنِّ^(٨) لَقُلْتُ لَكُمْ فِيهِ: إِنَّ الْأَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ
 قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ^(٩) إِشَارَةٌ إِلَى تَعْجِيزِ الْعَرَبِ عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانُهُ^(١٠) إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) قولاً: ساقطة من: أ.

(٢) أ، ب: أسلوب.

(٣) ك، م: شفته.

(٤) أ: أجراً، ك، م: جداً.

(٥) المستهزئين: ساقطة من: ب.

(٦) أ، ك، م: الفصاحة.

(٧) أ: من العلوم الدين.

(٨) ب: ويجري في غلبة الظن.

(٩) ك، م: إنها.

(١٠) بيبانه: ساقطة من: أ.

(1) أي نظرت له في اعتراض أو أبغضته وتكررت له. انظر: الصحاح للجوهري: 1383/4.

ذَكَرُ دُخُولِ الْاجْتِهَادِ فِي عُلُومِ ^(١) الْقُرْآنِ بِطَرِيقِهِ ^(٢)

اعْلَمُوا - أَوْصَلَكُمْ اللَّهُ إِلَى دَرَجَتِهِ وَيَوِّأَكُم مَقْعَدَ صِدْقٍ فِي مَرْتَبَتِهِ - أَنَّ مَدَارِكَ
الْعُلُومِ تَنْقَسِمُ ^(٣) مِنْ وَجْهِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

مُدْرَكَةٌ ضَرُورَةٌ ^(١) : كَعُلُومِ الْحَوَاسِّ، وَمَا ثَبَتَ فِي النَّفْسِ ابْتِدَاءً، كَعِلْمِ ^(٤)
الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ وَصِحَّتِهِ وَسَقَمِهِ، وَأَنَّ الْاِثْنَيْنِ أَكْثَرُ مِنَ الْوَاحِدِ، وَأَنَّ الضَّدَّيْنِ لَا
يَجْتَمِعَانِ .

وَمُدْرَكَةٌ بِالْأَدَلَّةِ، وَالْأَدَلَّةُ عَلَى قِسْمَيْنِ : عَقْلِيَّةٌ وَسَمْعِيَّةٌ .

وَالدَّلِيلُ : كُلُّ مَا يُوصِلُ إِلَى الْيَقِينِ ^(٢) ^(٥) .

(١) أ : علم .

(٢) بطريقه : ساقطة من : ك ، م .

(٣) ك ، م : فتتقسم .

(٤) أ ، ب : من علم .

(٥) أ ، ك : النفس .

- (١) انظر : التمهيد للباقلاني : 35 (ط : القاهرة 1947) ، والإنصاف : 14 ، والحدود للباقي : 25 - 27 .
(٢) انظر تعريف الدليل في : المحصول في علم الأصول لابن العربي : 2 / أ ، ورسالة التوحيد : لابن
فورك : 4 / أ ، وبيان كشف الألفاظ : 265 ، والتمهيد للباقلاني : 13 - 14 ، والإنصاف له : 15 ، والحدود
للباقي : 37 ، والمنهاج له : 11 ، والكافية للجويني : 46 - 47 ، والتعريفات : 55 ، والكليات : =

وَبَعْدَ ذَلِكَ أَمَارَاتٌ^(١) تُفِيدُ غَلَبَةَ الظَّنِّ فِي النَّفْسِ لِأَحَدِ الْمُحْتَمَلَيْنِ عَلَى الْآخَرِ لَا يُمَكِّنُ سِوَاهُ.

فَأَمَّا الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ وَالْبَدِيهِيُّ فَقَدْ عَرَفْتُمُوهُ.

وَأَمَّا الْعِلْمُ النَّظَرِيُّ^(٢) فَفِيهِ تَاهَتِ^(٣) الْفِرْقُ، وَجَارَ مَنْ جَارَ، وَقَصَدَ مَنْ قَصَدَ، وَلَا يُمَكِّنُ بَيَانُهُ فِي^(٤) التَّفْصِيلِ إِلَّا بِذِكْرِ كُلِّ مَسْأَلَةٍ بِمَا تَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الدَّلِيلِ.

وَالْأَمَارَاتُ أَعْظَمُ فِي الْإِشْكَالِ، وَمَا يُفِيدُ الظَّنَّ أَقْرَبُ إِلَى الْإِخْتِلَافِ وَأَدْعَى إِلَى الْإِخْتِلَالِ.

وَالَّذِي أَفْتَقَرُ إِلَيْهِ الْآنَ: أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ الْمَطْلُوبُ مِنْهُ حُصُولَ الْعِلْمِ فَلَا تَسْلُكُ إِلَيْهِ إِلَّا جَادَّةَ الدَّلِيلِ الْمُؤَقَّفَةِ^(٥) بِكَ عَلَيْهِ، وَلَا تَسْتَعِدَّ^(٦) لِسِوَاهُ، فَإِنَّكَ تَقَعُ فِي مَهْوَاةٍ^(٧) لَا قَعَرَ لَهَا، وَتَسْلُكُ مَغْوَاةً^(٨) لَا هِدَايَةَ فِيهَا.

(١) ك، م: أَمَارَة.

(٢) ك، م: تَامَة.

(٣) أ: مِنْ.

(٤) ك، م: الْمُؤَقَّفَة.

(٥) ك، م: وَلَا تَسْتَعِدُّ لَهُ سِوَاهُ.

(٦) ب: سِوَاهُ، وَاسْتَدْرَكَ الْخَطَأَ فِي الْهَامِشِ.

(٧) ب: مَغْرَاهُ، ك، م: مَغَارَة.

.....
= 320/2، والحدود للتفتزاني: 3 (مخطوط خاص)، وكشاف اصطلاحات الفنون: 292 - 298 (ط: تراثنا).

(1) عرف الشريف الجرجاني الأمانة فقال: «... هي التي يلزم من العلم بها الظن بوجود المدلول، كالغيم بالنسبة إلى المطر، فإنه يلزم من العلم به الظن بوجود المطر...» التعريفات: 20، وانظر أبو حامد اللامشي: بيان كشف الألفاظ: 265 - 266.

(2) عرف الباقلاني العلم النظري في كتابه الإنصاف: 14 بقوله: «ما احتيج في حصوله إلى الفكر والروية، وكان طريقه النظر والحجة». وانظر التمهيد: 8، والحدود: 27 - 28، والمنهاج: 11، والكافية: 30.

وَكُلُّ مَا كَانَ الْمَطْلُوبُ فِيهِ الظَّنَّ، فَاطْلُبْ لَهُ أَمَارَتَهُ، وَلَعَلِّي أُسْتَعْنِي عَنْ التَّوَصِيَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِالتَّثْبِتِ، فَإِنَّ الدَّلِيلَ الْقَطْعِيَّ لَا يُمْكِنُكَ مِنَ الظَّنِّ وَلَا يَمُرُّ بِكَ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ يُنْهِيكَ إِلَيْهِ؟.

وَالْأَمَارَةُ الظَّنِّيَّةُ هِيَ الَّتِي يَنْخَدِعُ بِهَا^(٢) الشَّادِي، وَالَّذِي^(٣) يَضْبِطُ هَذَا الْأَصْلَ أَنَّ كُلَّ^(٤) مَا كَانَ مِنْ بَابِ التَّكْلِيفِ، فَإِنَّهُ تَارَةً يُعْلَمُ قَطْعًا بِدَلِيلِ الْقَطْعِ، وَتَارَةً يُفِيدُ ظَنًّا بِأَمَارَةِ الظَّنِّ، وَيجوزُ أَنْ يُسَمَّى دَلِيلًا.

وَأَمَّا مَا خَرَجَ عَنْ بَابِ التَّكْلِيفِ وَالْعَمَلِ فَطَرِيقُهُ^(٥) الْقَطْعُ، وَالْمَطْلُوبُ فِيهِ الْعِلْمُ، فَلَا تَسْلُكُ إِلَيْهِ عَلَى مَنْهَجِ^(٦) الظَّنِّ، وَمِنْ ذَلِكَ أَخْبَارُ الْآخِرَةِ مِنْ كَيْفِيَةِ الْمِيزَانِ وَأَحْوَالِ الصَّرَاطِ وَتَرْتِيبِهِ عَلَى الْحَوْضِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَمِنْهُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْقَوْلِ فِي كَيْفِيَّةِ تَأْوِيلِ أَوَائِلِ السُّورِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَابِ التَّكْلِيفِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ الْعِلْمِ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى الظَّنِّ فِيهِ، وَلَا يَوْجَدُ دَلِيلُ الْقَطْعِ عَلَيْهِ فَوَجَبَ التَّوَقُّفِ.

وَمِنْ جُمْلَةِ الْعِشْرِينَ قَوْلًا مَا لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِالْعَقْلِ، وَإِنَّمَا يُعْلَمُ بِالنَّقْلِ الشَّرْعِيِّ، وَمِنْهَا مَا يُعْلَمُ بِالنَّقْلِ اللَّغَوِيِّ لَوْ وُجِدَ مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحَةٍ وَلَكِنَّهُمَا مَعْدُومَانِ^(٧).

(١) ك: من، ب: على.

(٢) بها: ساقطة من: أ، وفي ك: م: يتجرع بها.

(٣) ب: والتي.

(٤) كل: ساقطة من: ك، م.

(٥) ب، ك، م: بطريقة.

(٦) ك، م: فلا يسلك علم على منهاج.

(٧) ك، م: معدوم، أ: معدمان.

فَلَوْ جَاءَ خَبْرٌ صَحِيحٌ بِأَنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ (١) أَوْ مِنْ أَسْمَاءِ السُّورِ (٢) أَوْ الْقُرْآنِ (٣) لَأَخْتَرْنَاهُ وَاعْتَقَدْنَاهُ، وَكَمَّا أَنَّهُ لَوْ جَاءَنَا مِنْ طَرِيقِ اللُّغَةِ أَنَّ «يَسَ» (١) مَعْنَاهُ: يَا سَيِّدُ، أَوْ «طَه» مَعْنَاهُ: يَا رَجُلُ (٤)، أَوْ «حَم» مَعْنَاهُ «يَا سَلَامٌ» (٥) لَسَلَّمْنَاهُ لَهُ، غَيْرَ أَنَّ الْإِنْصَافَ دِينٌ فَفَقُولُ:

لَمَّا رَأَيْنَا الْعَرَبَ الْأَعَادِي وَالْأَوْلِيَاءَ، وَالشَّادِينَ (٣) وَالْعُلَمَاءَ، لَمْ يَقْدَحُوا (٤) فِيهِ وَلَا سَأَلُوا عَنْهُ، قَطَعْنَا عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَفْهُومًا عِنْدَهُمْ، جَارِيًا (٥) عَلَى سَبِيلِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهَذَا مَقَامٌ عِلْمٍ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بَعْضُ حَرْفٍ يُسْتَدَلُّ (٦) بِهِ عَلَى بَاقِي الْكَلِمَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ اسْتِفْتَاخَ كَلَامٍ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى وَجْهِ التَّعْجِيزِ، كَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: هَذَا كَلَامٌ عَرَبِيٌّ فَصِيحٌ مُؤَلَّفٌ مِنْ ﴿الْمَصَّ﴾ (الأعراف: ١) وَمِنْ ﴿كَهَيَّعَصَ﴾ (مريم: ١) وَمِنْ ﴿حَمَ، عَسَقَ﴾ (الشورى: ١) فَإِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِي مَنْظُومًا، وَمِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي مَقُولًا (٨) فَشَأْنُكُمْ وَالْحُرُوفُ، تَجَرَّدُوا لِلنَّظْمِ وَالتَّأْلِيفِ بِهَا فِي

(١) يس: ساقطة من: ك.

(٢) ب، ك، م: سلام.

(٣) الواو: ساقطة من: ك، م.

(٤) أ، ب: يقدموا.

(٥) ك، م: جارٍ.

(٦) أ، ب: ليستدل.

(٧) من: ساقطة من: ك، م.

(٨) مقولاً: ساقطة من: ك، م.

(١) روي أن الحروف المقطعة هي اسم الله الأعظم وهو قول السُّدِّي والشَّعْبِي، انظر: الماوردي:

النكت والعيون: 61/1، والطبري: التفسير: 67/1.

(٢) ونسب هذا القول إلى زيد بن أسلم، انظر: الماوردي في النكت والعيون: 61/1، والطبري في

التفسير: 67/1، وابن عطية في المحرر الوجيز: 95/1 (ط: المغرب).

(٣) نسب هذا القول إلى قتادة ومجاهد وابن جريج، انظر: المصادر السابقة وابن حيان في البحر

المحيط: 34/1.

(٤) هذا التأويل رواه الطبراني عن ابن عباس، وفيه الكليبي وهو متروك، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد:

56/7.

مُعَارَضَتِي، وَأَنْتُمْ جَمَاعَةٌ وَأَنَا وَاحِدٌ، وَلَا^(١) أَمْلِكُ إِلَّا عُمْرِي، وَلَكُمْ فِي الْمُعَارَضَةِ
الدَّهْرُ كُلُّهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ^(٢).

فَتَخْصِيصُ بَعْضِ الْأَغْرَاضِ أَوْ الزِّيَادَةُ^(٣) عَلَيْهَا مَقَامُ ظَنْ، وَالظَّنُّ لَا مَدْخَلَ
لَهُ فِي هَذَا^(٤)، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَابِ التَّكْلِيفِ، فَالْأَوَّلِيُّ التَّوَقُّفُ دُونَهُ.

أَوَّلًا تَرَوْنَ إِلَيَّ نُكْتَةً بَدِيعَةً وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - لَمَّا أَمَرَ رَسُولَهُ بِكِتَابَةِ^(٥)
الْقُرْآنِ، وَجَرَّدَ لَهُ النَّبِيَّ ﷺ حُذَّاقَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْكُتَّابِ، وَنَقَلَتْهُ الصَّحَابَةُ عِنْدَ
الْحَاجَةِ إِلَى إِرْسَالِهِ إِلَى الْبُلْدَانِ، وَانْتَقَوْا كُتَّابَهُ، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ أَفْصَحَهُمْ «سَعِيدُ بْنُ
الْعَاصِ»^(٦)^(١) وَأَحْفَظُهُمْ «زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ»^(٢) فَانْتَدَبَا لِذَلِكَ، وَنَقَلُوهُ كَمَا وَقَعَ^(٣)،

(١) الواو: ساقطة من: أ، ك، م.

(٢) ب: القيامة.

(٣) ك، م: والزيادة.

(٤) ك، م: فيها.

(٥) ك: بكتاب.

(٦) ك: العاصي وهو خطأ.

.....

(١) هو الصحابي الجليل ابن أبي أُحَيَّةَ سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، أبو عثمان، قال عنه
سعيد الدمشقي: إن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص، لأنه كان أشبههم لهجة برسول
الله ﷺ، وقال عنه الحافظ الذهبي: كان سعيد بن العاص أحد من نديه عثمان لكتابة المصحف
لفصاحته... توفي رضي الله عنه: 53 هـ. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات: 30/5،
الفسوي: المعرفة والتاريخ: 292/1، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: 48/4، الذهبي: سير أعلام
النبلاء: 444/3.

(٢) هو الصحابي الجليل أبو خازجة زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجي الأنصاري، الإمام الكبير شيخ
المقرئين والقرضيين، مفتي المدينة وكتّاب الوحي، أكمل رضي الله عنه حفظ القرآن في حياة النبي
ﷺ توفي رحمه الله سنة: 42 وقيل 43 أو 45، انظر ترجمته: ابن سعد: الطبقات: 385/2، خليفة بن
خياط: التاريخ: 99، 207، 223، ابن قتيبة: المعارف: 260، 355، ابن الجزري: طبقات القراء:
296/1.

(٣) ينبغي التنبيه على أن جمع أجزاء المصحف كان في عهد أبي بكر، والنسخ في مصحف واحد
والاقتصار على قراءة معينة كان من توجيه سيدنا عثمان رضي الله عنه، انظر حول جمع القرآن: ابن =

وَقَيَّدُوهُ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ، وَاخْتَلَفُوا فِي «التَّابُوتِ»^(١)، قَالَ زَيْدٌ: يُكْتَبُ بِالْهَاءِ، وَقَالَ سَعِيدٌ: بِالتَّاءِ^(٢)، فَقَالَ عُثْمَانُ: يُكْتَبُ بِالتَّاءِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ، يُرِيدُ وَهِيَ لُغَةُ قُرَيْشٍ^(٣). وَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى قِرَاءَتِهِ بِالتَّاءِ لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ فِيهِ، فَأَرَادَ زَيْدٌ أَنْ تَكُونَ قِرَاءَتُهُ بِالْهَاءِ، وَكَتَبَتْهُ مِثْلَهُ، وَهِيَ لُغَةُ الْأَنْصَارِ، فَأَثَرُوا لُغَةَ قُرَيْشٍ إِذْ بِهَا نَزَلَ الْقُرْآنُ. وَكَتَبُوا ﴿كَهَيْعَصَ﴾ الْخَمْسَةَ الْأَحْرَفِ مَوْصُولَةً، وَكَتَبُوا ﴿حَمَّ عَسَقَ﴾ الْخَمْسَةَ الْأَحْرَفِ مَفْصُولَةً، وَكَتَبُوا ﴿قَ، وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ ﴿قَ: 1﴾ ﴿نَ وَالْقَلَمَ﴾ (القلم: 1) حَرْفَ صَوْتٍ لَا حَرْفَ هِجَاءٍ، أَيُّ: لَمْ يَكْتُبُوهُ «قَافٌ» وَلَا كَتَبُوهُ «نُونٌ» وَلَوْ كَتَبُوهُ حَرْفَ هِجَاءٍ لَكَانَ الْأَصَحُّ مِنَ الْأَقْوَالِ فِيهِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ الْحَوْتُ الَّذِي تَحْتَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا، وَالْقَلَمُ الَّذِي فَوْقَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا^(٢)، وَلَوْ كَتَبُوهُ «قَافٌ» حَرْفَ هِجَاءٍ لَظَهَرَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ الْجَبَلُ الْمُحِيطُ بِالْأَرْضِ^(٣)، وَلَوْ كَانَ الْمَعْنَى فِيهِ مَا قَالَهُ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّهُ شَطْرُ كَلِمَةٍ لُكْتُبَ^(٣) أَيْضاً «قَافٌ» حَرْفَ هِجَاءٍ كَمَا كَتَبُوا قَوْلَهُمْ:

(١) وقال سعيد: يكتب بالتاء.

(٢) يريد وهي لغة قريش: ساقطة من: أ، ب.

(٣) ك: فكتب.

= العربي: معرفة قانون التأويل: 5/أ (مخطوط الأسكريال: القيسي: الإبانة عن معاني القراءات: 44 - 52، 68 - 77، الباقلائي: الانتصار: 354 وانظر نقد ابن العربي لكلام الباقلائي في العارضة: 258/11.

(1) قال الباقلائي في نكت الانتصار: 386 «... فإن قيل لم كتبوا التابوت بلغة قريش، ولم يكتبوه بلغة زيد؟ قيل: لأنها قراءة النبي ﷺ المشهورة، ولو كانت «التابوه» هي المشهورة لأثبتوها، ولو تساوتا في الاشتهار لأثبتوهما وخبروا بهما. فإن قيل كيف يكون «التابوت» قراءة ثابتة عنه ﷺ ولم يعلم زيد؟ قيل بل قد علم ذلك وإنما أراد «التابوه» لأنه توهم صحة نقل من نقل إليه...» انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء: 441/2. ابن عطية المحرر الوجيز: 359/2 (ط: الأنصاري)، القرطبي جامع أحكام القرآن: 248/2.

(2) لمعرفة الروايات التي قيلت في تفسير «ن» انظر السيوطي: الدر المنثور، 250/6.

(3) هذا أثر أخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن مجاهد كما ذكر السيوطي في الإتيان: 33/3، والدر المنثور: 101/6.

قُلْتُ لَهَا قَفِي^(١) فَقَالَتْ قَاف^(١).

كَلِمَةً هِجَاءٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ.

فَهَذَا كُلُّهُ يَفْتَحُ لَكَ^(٢) أَبْوَاباً مِنَ التَّفْسِيرِ إِلَى مَا لَا يُحْصَى^(٣) مِنَ الْمَعَارِفِ،
وَيُعْطِيكَ قَانُونًا فِي مَأْخَذِ التَّأْوِيلِ.

(١) ب: قفي لنا.

(٢) لك: ساقطة من: ك، م.

(٣) ك: ما يحصى.

(1) هذا من رجز للوليد بن عتبة، انظر الأصفهاني، الأغاني: 181/5، شرح شواهد الشافية: 271، وقد ورد غير منسوب في مصادر كثيرة منها: ابن حيان، البحر المحيط: 35/1، لسان العرب 275/11.

ذَكَرُ دَلَالَةِ الْعِلْمِ عَلَى الْكَلَامِ وَرَبَطَ مَا بَيْنَ اللِّسَانِ^(١) وَالْقَلْبِ

إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - لَمَّا خَلَقَ الْعَبْدَ نَاطِقًا^(٢)، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ، خَلَقَ لَهُ الْأَصْوَاتَ وَالْحُرُوفَ لِيُلْقِيَ بِهَا إِلَى مَنْ سِوَاهُ مَا عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ، بِعِبَارَةٍ عَنْ كَلَامِهِ الْمُوَافِقِ لِعِلْمِهِ حَسَبَمَا بَيَّنَّاهُ مِنْ قَبْلُ، وَخَلَقَ لَهُ الْأَصْوَاتَ وَالْحُرُوفَ^(٣) عَلَى جِهَةٍ تَسْتَوْفِي بَيَانَ مَا عِنْدَهُ، تَقْطِيعُهَا^(٤) كَمَا سَلَفَ، وَقَسَمَ تَقْطِيعُهَا الدَّالَّ عَلَى النُّطْقِ^(٥) ثُمَانِيَةً وَعَشْرِينَ قِسْمًا، مِنْهَا وَاحِدٌ مُرَكَّبٌ، وَالْبَاقِي أُصُولٌ، فَأَوْصَلَ^(٦) الْعِلْمَ بِهَذَا التَّقْطِيعِ - وَهُوَ الْحُرُوفُ - لِللِّسَانِ^(٧) إِلَى مَنْ دَانَاهُ، وَعَلِمَ الْحَكِيمُ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ^(٨) إِلَى أَنْ يُوَصَلَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى مَنْ نَأَى عَنْهُ، فَخَلَقَ الْقَلَمَ، وَعَلَّمَ بِهِ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَيَسَّرَ لَهُ مَعْرِفَةَ الْحُرُوفِ، وَرَتَّبَ صُورَهَا^(٩) عَلَى هَيْئَاتٍ ثَلَاثٍ فِي

(١) ك، م: ما بين الناس.

(٢) أ، ب: نطقاً، ك، م: سقطاً، والمثبت من قانون القاهرة.

(٣) ب: الأحرف.

(٤) أ: تقطيعاً، قانون القاهرة: بقطيعة.

(٥) ك: النظر.

(٦) فأوصل: ساقطة من: ك.

(٧) ك، م: للبيان.

(٨) أنه محتاج: ساقطة من: أ.

(٩) ك: سورها.

الْعَدَدِ صِفَةَ الْحُرُوفِ فِي الْكَلَامِ^(١)، فَيُلْقِي الْقَلَمُ^(٢) مَا يَقْتَضِيهِ^(٣) الصَّوْتُ، وَيُلْقِي الصَّوْتُ مَا تَضَمَّنَهُ الْحَرْفُ^(٤).

وَيَذُلُّ الْحَرْفُ عَلَى مَا أَحَسَّ فِي الْقَلْبِ، وَوَقَعَ مَا فِي الْقَلْبِ مُوَافِقًا لِلْعِلْمِ، فَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى فِي طُورِ سَيْنَاءَ بِغَيْرِ^(٥) صَوْتٍ وَلَا حَرْفٍ^(٦)، وَكَلَّمَهُ فِي مَوْطِنٍ^(٧) آخَرَ عَلَى لِسَانِ جِبْرِيلَ بِصَوْتٍ وَحَرْفٍ، وَكَتَبَ لَهُ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ فِي الْأَلْوَحِ بِقَلَمٍ، فَاجْتَمَعَتْ لَهُ الْحَقَائِقُ كُلُّهَا.

وَاجْتَمَعَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّ كَلِمَةَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ^(١) بِغَيْرِ صَوْتٍ وَلَا حَرْفٍ^(*) وَدُونَ وَاسِطَةٍ، وَكَلَّمَهُ عَلَى لِسَانِ جِبْرِيلَ بِصَوْتٍ وَحَرْفٍ^(*)^(٢)^(٨)، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا بِقَلَمِهِ الَّذِي لَا يُشْبِهُ الْأَقْلَامَ، وَكِتَابَتِهِ الَّتِي لَا تُشْبِهُ هَذِهِ الْكِتَابَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عَلَى أَصْحَابِهِ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ - وَأَشَارَ بِالَّذِي فِي يَمِينِهِ -: هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّي فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ، فَلَا يُزَادُ^(٩) فِيهِمْ وَلَا

(١) في الكلامي: ساقطة من: ب، وفي أ: في العلم.

(٢) أ: العلم.

(٣) م: يفيضه.

(٤) ك، م، ب: الحروف.

(٥) ك، م: من غير.

(٦) ب: بغير حرف ولا صوت.

(٧) أ، ك: موطن.

(٨) ما بين النجمتين ساقط من: أ.

(٩) ك، م: قانون القاهرة: يزداد.

(١) يشير إلى حديث الإسراء المعروف الذي أخرجه البخاري في بدء الخلق باب ذكر الملائكة:

217/6 - 219، ومسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله رقم: 164، والترمذي في التفسير، باب

ومن سورة ألم نشرح رقم 3343، والنسائي في الصلاة، باب فرض الصلاة: 217/1 - 218.

(2) إذ كان جبريل يتمثل له على صورة رجل كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في الإيمان

رقم: 8 وفيه أن النبي ﷺ قال: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ

جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

يُنْقَضُ مِنْهُمْ^(*)، وَأَشَارَ إِلَى الَّذِي فِي يَدِهِ الشَّمَالِ فَقَالَ: هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّي فِيهِ
أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ، وَلَا يُنْقَضُ مِنْهُمْ^(*) (١) (١).

وَلَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ لَوْ أَنَّ أَهْلَ بَلَدٍ كَتَبُوا بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ فِي مَهَارِقَ
لَمَلَأَتِ الْأَفْقَ، وَلَضَاقَ بِهَا الْفَضَاءُ^(٢)، فَكَيْفَ بِأَسْمَاءِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ؟!.

وَبِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ وَغَيْرِهَا، تَمَيَّزَ^(٣) مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى إِخْوَتِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ^(٤)، وَإِلَيْهِ وَقَعَتِ الْإِسَارَةُ بِقَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ وَرَفَعْنَا
بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ (الزخرف: 31).

فَأَقْرَنَهُ بِنَظِيرِهِ يَحْصُلُ لَكَ مِنْهُ بَابٌ مِنَ التَّفْسِيرِ عَظِيمٌ، وَاسْتَعَيْنَ عَلَيْهِ بِمَا
جَمَعْنَاهُ فِي «خَصَائِصِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمُعْجَزَاتِهِ الْأَلْفِ» الَّتِي أَمْلَيْنَاهَا عَلَيْكُمْ فِي
مَجَالِسِ «أَنْوَارِ الْفَجْرِ»^(٥).

وَهَذَا الْكِتَابُ بِالْقَلَمِ وَالِدَّوَاةِ^(٥)، وَالْقِرَاءَةُ بِالصَّوْتِ عَلَى كُلِّ لُغَةٍ وَعِنْدَ كُلِّ
أُمَّةٍ وَفِي كُلِّ مَعْنَى، مُعَلِّمٌ^(٦) لِأَدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَبِهَذِهِ الْمَرْيَةِ فِي رَأْيِ جَمَاعَةِ
مَا زَادَ الْمَلَائِكَةَ، فَإِنَّهُمْ خُلِقُوا لِلطَّاعَةِ الَّتِي لَا تَتَعَدَّاهُمْ وَهِيَ التَّسْبِيحُ، وَأُعْطِيَ آدَمُ

(١) ما بين النجنتين ساقط من أ.

(٢) ك، م: لفظاً.

(٣) ك، م: ما تميز.

(٤) ب: عليهم السلام. وفي: أ، سقطت «أجمعين».

(٥) والدواة: ساقطة من: أ، ك.

(٦) ك، م: فهو معلم.

(1) هذا جزء من حديث طويل رواه - مع اختلاف في الألفاظ - الترمذي في القدر رقم: 2142، وقال

عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب، ورواه أحمد في المسند: 167/2.

(2) انظر قائمة مؤلفات ابن العربي في كتابنا حول ابن العربي الذي سيصدر قريباً.

الْعِلْمَ الَّذِي يَتَعَدَّى، وَالْمُتَعَدِّي أَفْضَلُ مِنَ اللَّازِمِ⁽¹⁾، وَذَلِكَ مُحَقَّقٌ فِيمَا أَمْلَيْنَاهُ عَلَيْكُمْ فِي «أَنْوَارِ الْفَجْرِ» فِي ذِكْرِ التَّفْضِيلِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ⁽²⁾، وَلَنَا فِيهِ فَضْلُ التَّرْتِيبِ وَالِاسْتِيفَاءِ، وَالْحِكْمَةُ الْعُظْمَى فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَالْفَائِدَةُ الْكُبْرَى فِيهِ، مَا نَذْكُرُهُ لَكُمْ وَنُسْتَوْفِيهِ، وَبِهِ تَتِمُّ جَمِيعُ مَعَانِيهِ.

..... إلى هنا ينتهي نص قانون القاهرة: 119/أ.

(2) انظر فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب: 215/2 - 235، ابن حزم: الفصل: 126/5 (ط: الرياض).

ذِكْرُ الْحِكْمَةِ الْعُظْمَى فِي خَلْقِ الْكَلَامِ ^(١) وَتَسْخِيرِ الْقَلَمِ

إِنَّ الْخَلْقَ قَصَرُوا ^(٢) عَنْ فَهْمِ كَلَامِ اللَّهِ قُصُورَهُمْ عَنْ فَهْمِ ^(٣) مَعْرِفَةِ ذَاتِهِ، فَإِنَّ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ مُقَدَّسَةٌ عَنْ أَنْ تُنَالَ بِوَهْمٍ ^(٤)، أَوْ تُعْلَمَ ^(٥) بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ، مَعَ مَا هُمْ - الْخَلْقُ - عَلَيْهِ مِنَ الْقُصُورِ، فَنَصَبَ الْمَخْلُوقَاتِ دَلِيلًا عَلَيْهِ ^(٦)، كَمَا وَضَعَ الْحُرُوفَ وَالْأَصْوَاتَ دَلِيلًا عَلَى كَلَامِهِ، وَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ الْعَلِيَّةَ مَخْبُوءَةٌ تَحْتَ أَسْتَارِ الدَّلَائِلِ، فَكَذَلِكَ كَلَامُهُ الْعَظِيمُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ أَسْتَارِ الْعِبَارَاتِ، فَلَا يُنَالَ بِالْعِبَارَاتِ مِنْ كَلَامِهِ إِلَّا مَا يُنَالَ بِالدَّلَائِلِ مِنْ ذَاتِهِ، وَهُوَ الْعِلْمُ الْمُطْلَقُ الْجَمْلِيُّ دُونَ التَّفَاصِيلِ الْمُحِيطَةِ بِالْجَلِيِّ ^(٧)، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ (آل عمران: 7)، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ...﴾ (البقرة: 229)، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَصِفَاتِهِ فِي عُلُوِّ التَّقْدِيسِ ^(*) عَنْ

(١) أ، ب: الكلم.

(٢) ك، م: قَصَرَ.

(٣) فهم: ساقطة من: أ، ب.

(٤) ك، م: برسم.

(٥) ك، م: تعليم.

(٦) عليه: ساقطة من: ب.

(٧) ك، م: الجملي.

الإِدْرَاكِ، فَأَنْزَلَهُ^(١) مِنْ عُلُوِّ التَّقْدِيسِ^(*) (٢) وَرِيَاضِهِ، إِلَى بَقَاعِ الْعِلْمِ - مَنَّا بِهِ - وَحِيَاضِهِ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِبُهُ بِكَأْسِ الصَّفَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَكَدَّرَ عَلَيْهِ وَحَالَتِ الْحُبُّ دُونَهُ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ أَمَّهَاتُهَا أَرْبَعَةٌ:

الأَوَّلُ: عَدَمُ الْهَادِي، فَلَا غِنَى عَنْ مُعَلِّمٍ عَالِمٍ لِيَكُونَ مَا يُلْقِيهِ الْقَنْ إِلَى الْقَلْبِ، وَأَدْخَلَ فِي النَّفْسِ.

الثَّانِي: الْاجْتِرَاءُ^(٣) بِمَعْنَى الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ، كَالْمُقَرَّئِينَ فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَإِنَّهُمْ يُقْبَلُونَ عَلَى الْحُرُوفِ وَيُضَيِّعُونَ الْعُلُومَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ (البقرة: 77)، يَعْنِي «تِلَاوَةً» فِي أَحَدِ الْأَقْوَالِ^(٢)، وَفِي الْحَدِيثِ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَحْفَظُونَ فِيهِ حُرُوفَ الْقُرْآنِ^(٤)، وَيُضَيِّعُونَ حُدُودَهُ^(٣).

الثَّالِثُ: الْإِقْتِنَاعُ بِقَوْلٍ مَنْ مَضَى دُونَ أَنْ تَتَحَرَّى^(٥) فِي النَّظَرِ، وَتَكُونَ مِمَّنْ حَكَمَ بِعِلْمِهِ وَقَضَى.

(١) أ: أنزله.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من: ك، م.

(٣) أ: الاحتراز، وفي: ك، م: الابتداء.

(٤) ك، م: حروفه.

(٥) ب: تتبحر، ك، م: تستحيي.

(١) أي: الإكتفاء.

(٢) في اللسان: 164/20 «قال أبو منصور الأزهري: والتلاوة سميت تلاوة لأن تالي القرآن إذا مر بآية رحمة تمنّاها».

وقال ابن عطية في المحرر الوجيز: 364/1 (ط: قطر) تمنى: أي تلي، قال الشاعر:

تمنى كتاب الله أول ليلة وأخيره لاقى جِمامَ المقادير

قلت: هذا البيت لحسان بن ثابت في رثاء عثمان، ونسب إلى كعب بن مالك انظر: التسهيل:

90/1.

(٣) نحوه في موطأ مالك: 173/1 من كلام عبد الله بن مسعود.

الرَّابِعُ: الْإِلْتِبَاسُ بِالْمَعَاصِي، وَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ حِجَابٍ.

تَتِمُّمٌ:

وَمِنْ عِلْمِ الْبَاطِنِ عِنْدَهُمْ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَالذَّارِ الْآخِرَةِ، وَمِنْهُ مَعْرِفَةُ الْأَدِلَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَى جَمِيعِ الْمُخَالِفِينَ لِلْمِلَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَقَوَاعِدِ الْعَقَائِدِ، وَاسْتِنْبَاطِ أَحْكَامِ أَفْعَالِ الْمُكَلِّفِينَ الْخَمْسَةِ، وَمَنَاطِ مُتَعَلِّقِهَا فِي أدْلَتِهَا وَهِيَ «أُصُولُ الْفَقْهِ»^(١).

فَإِنْ أَرَادَ هَؤُلَاءِ بِحُسْبَانِ هَذِهِ مِنَ الْبَاطِنِ أَنَّهَا تَفْتَقِرُ إِلَى نَظَرٍ وَتَأَمُّلٍ وَتَأْوِيلٍ^(١)، وَبِخِلَافِ دَلَالَةِ الْأَلْفَافِ عَلَى الْمَعَانِي اللَّغَوِيَّةِ، فَإِنَّهُ مَعْنَى يَقِفُ عَلَيْهِ الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ تَأَمُّلٍ، وَبِخِلَافِ مَعْرِفَةِ النُّصُوصِ مِنَ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْبِدَايَةِ^(٢) مِنَ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ.

أَوْ أَرَادُوا بِأَنَّهُ بَاطِنٌ أَنَّهُ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ بَاطِنٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ، فَهَذَا كُلُّهُ مُمَكِّنٌ صَحِيحُ الْقَصْدِ لَا مُشَاحَّةَ فِيهِ، بَيِّنٌ أَنَّهُ قَدْ صَارَ الْيَوْمَ مَعْرِفَةُ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ عِنْدَنَا بَاطِنٌ، لِأَنَّهُ يَفْتَقِرُ إِلَى تَعَلُّمٍ، حَتَّى قَدْ صُنِّفَ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ وَنَحْوِهِ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ اسْتَغْرَقَتِ الْعُمُرَ، وَأَتَعَبَتِ النَّفْسَ فَصَارَتْ بَاطِنًا، وَقَدْ كَانَتْ^(٣) عِنْدَ الصَّحَابَةِ ظَاهِرًا يَقِينًا^(٤).

(١) وتأويل: ساقطة من: أ.

(٢) أ: وابتدائه.

(٣) ك، م: كان.

(٤) ب: يقيناً.

(١) قال المؤلف في المحصول: ٢/١: «وأفعال المكلفين هي حركاتهم التي تتعلق بها التكاليف من الأوامر والنواهي وهي على خمسة أضرب: واجب وفي مقابلته محظور، ومندوب وفي مقابلته مكروه، وواسطة بينهما وهو المباح».

وَلَمَّا قَالَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنَ السَّلَفِ: لِكُلِّ حَرْفٍ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، وَحَدٌّ وَمُطْلَعٌ^(١)،
نَصَبْنَا لَهُ مِثَالًا يَتَبَيَّنُ فِيهِ قَانُونُهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ (الحج: 24).

فَحَدُّ الْبَيْتِ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْبَاحَةِ وَالْحَائِطِ وَالسَّقْفِ. وَمُطْلَعُهُ اقْتِضَاؤُهُ اللَّبَنِ
وَالْخَشَبَ بِطَرِيقٍ، وَبِاقْصَى^(٢) مِنْهُ، اقْتِضَاؤُهُ الْبِنَاءَ وَالنَّجَارَ وَنَحْوَهُ.

وِظَاهِرُهُ^(٣): قَوْلُهُ فِي الْكَعْبَةِ «بَيْتِي»، يَعْنِي^(٤) الَّذِي كَرَّمْتُهُ بِأَنْ دَحَوْتُ مِنْهُ
الْأَرْضَ، وَجَعَلْتُهُ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا، وَفِيَامًا لِلْخَلِيقَةِ وَحِصْنًا، وَبَعَثْتُ مِنْهُ^(٥)
مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَمَرْتُ الْخَلْقَ بِقَصْدِهِ، وَأَضَفْتُهُ إِلَى نَفْسِي دُونَ غَيْرِهِ، إِلَى سَائِرِ
فَضَائِلِهِ، وَأَسْرَدْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ^(٦).

وَبَاطِنُهُ: قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ الَّذِي كَرَّمْتُهُ بِأَنْ جَعَلْتُهُ مَحَلَّ مَعْرِفَتِي، وَشَرَحْتُهُ
بِنُورِ هِدَايَتِي، وَمَلَأْتُهُ حِكْمَةً مِنْ عِلْمِي، وَخَصَصْتُهُ بِأَنْ أُحْيِيَتْهُ بِرُوحِي^(٣).

قَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَنَحْنُ نَقْطَعُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِخِطَابِ إِبْرَاهِيمَ هَذَا الْكَعْبَةَ^(٦)،

(١) ك، م: الساحة.

(٢) ك، م: ما قصد.

(٣) ك، م: وظاهر.

(٤) يعني: ساقطة من: ك، م.

(٥) منه: ساقطة من: ك، م.

(٦) الكعبة: ساقطة من: ك، م.

(1) وأصل هذا القول حديث ابن مسعود مرفوعاً عند البزار وأبي يعلى في الكبير والطبراني بنحوه كما
عزاه إليهم الهيثمي في مجمع الزوائد (47 - 152).

(2) قارن بلطائف الإشارات للقشيري: 538/2 - 539، وتفسير القرآن للتستري: 65.

(3) استشكل أبو إسحاق الشاطبي مثل هذه المعاني الباطنة فقال: «... إن هذا التفسير يحتاج إلى
بيان، فإن هذا المعنى لا تعرفه العرب، ولا فيه من جهتها وضع مجازي مناسب، ولا يلائمه مساق =

وَلَكِنَّ النَّاطِرَ الْعَالِمَ يَتَجَاوَزُ مِنَ الْكَعْبَةِ إِلَى الْقَلْبِ بِطَرِيقِ الْإِعْتِبَارِ^(١) عِنْدَ قَوْمٍ ،
وَبِطَرِيقِ الْأُولَى عِنْدَ آخَرِينَ ، وَلِهَذَا إِذَا جَاءَ النَّائِمُ إِلَى^(٢) الْمُعْبَرِ فَقَالَ : رَأَيْتُ فِي
مَنَامِي بَيْتِي مَمْلُوءاً تَعْشِيشاً أَوْ أَذْناساً يَقُولُ لَهُ : طَهَّرْ قَلْبَكَ مِنْ شُغُوبِ الدُّنْيَا ،
وَأَرْحَاضِ الْمَعَاصِي الَّتِي هِيَ الْعُجْبُ وَالْحَسَدُ وَالْحَقْدُ وَنَحْوُهُ ، وَكَمَا تُطَهَّرُ الْكَعْبَةُ
مِنَ الْقُمَّامَةِ وَالنُّخَاعَةِ^(٣) وَالْمُشْرِكِينَ ، كَذَلِكَ^(٤) يَلْزَمُ أَنْ يُطَهَّرَ الْقَلْبُ مِنْ عِلَاقِ
الدُّنْيَا الْقَاطِعَةِ عَنِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، وَعَنِ الْمَعَاصِي الَّتِي تَفْتَرِسُ الْحَسَنَاتِ كَمَا يَفْتَرِسُ
الذُّئْبُ الشَّاةَ .

وَمِنْ بَاطِنِهِ أَيْضاً : إِلْحَاقُ سَائِرِ الْمَسَاجِدِ بِهِ فِي التَّطْهِيرِ لِاسْتِوَائِهَا فِي حُرْمَةِ
الْمَسْجِدِيَّةِ مَعَهُ ، وَقَدْ أَضَافَهَا الْبَارِي - سُبْحَانَهُ - إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ
لِلَّهِ ﴾ (الجن : 18) .

وَهَذَا بَاطِنٌ فَقْهِيٌّ وَنَظَرٌ عَمَلِيٌّ .

وَمِنْ بَاطِنِهِ عِنْدَ قَوْمٍ : الْعُبُورُ بِهِ - بَعْدَ تَقْرِيرِهِ - مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قِيلَ
فِيهِمْ : ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ (التوبة : 28) ، إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ^(٣) مِنَ الْأَجْنَاسِ بِتَأْمِيلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ^(٤) وَتَعْظِيمِهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْعُلَمَاءُ :

(١) إلى : ساقطة من : ك ، م .

(٢) أ : وكذلك .

(٣) في جميع الأصول : إلى غير الله ، والمثبت من هامش : ب .

(٤) بتأميل أحد من الناس : ساقطة من : ك ، م .

= بحال ، فكيف هذا؟ والعذر فيه أنه لم يقع فيه ما يدل على أنه تفسير للقرآن ، فزال الإشكال . . .
الموافقات : 401/3 .

(1) يقسم الشاطبي هذا الاعتبار إلى قسمين : اعتبار قرآني ، واعتبار وجودي ، والأول مقبول لأنه فهم
للقرآن يرد على القلوب على وفق ما نزل له القرآن ، والثاني مردود لأنه اعتبار وجودي خارج عن
القرآن الموافقات : 404/3 .

(2) النُّخَاعَةُ هِيَ النُّخَامَةُ وَهِيَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الصَّدْرِ أَوْ الْخِشُومِ .

«مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيِّ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ»^(١). لِأَنَّ الدِّينَ اعْتِقَادٌ وَقَوْلٌ وَعَمَلٌ، فَإِذَا هَشَّ إِلَى الْغَنِيِّ^(٢) لِغِنَاهُ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ لِذُنْيَاهُ^(٣)، وَأَعْرَضَ عَنْهُ بِهَوَاهُ، ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ فِي الْهَشِّ وَالسَّلَامِ، وَبَقِيَ لَهُ الثُّلُثُ فِي الْإِعْتِقَادِ.

وَلَوْ هُدَيْتَ لِهَذِهِ^(٤) الْفِرْقَةُ الضَّالَّةُ - مِنَ الشَّيْعَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ - لَمَا كَانَتْ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ نَاكِينَ^(٥)، وَقَالَتْ إِنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ ﴿وَطَهَّرْ بَيْتِي﴾ الْقَلْبَ، وَلَا حَظَّ^(٥) لِلْكُفَّةِ فِيهِ^(٦)، وَلَكِنَّهُ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا، وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة: 25).

وَقَدْ رَكَّبَ الْعُلَمَاءُ عَلَى هَذَا^(٦) كَلَامًا، فَقَالُوا^(٣): إِنَّ عُلُومَ الْقُرْآنِ خَمْسُونَ

(١) أ: للغني.

(٢) ك: م: عليه.

(٣) أ، ب: هذا.

(٤) أ: سبيل الحق كانت عن الحق ناكبين.

(٥) ك: ولا لله.

(٦) أ، ب: على هذا العلماء.

(1) هذا القول أسنده بعض العلماء إلى رسول الله ﷺ، فقد أخرجه الديلمي في الفردوس: 467/3، الحديث: 5449. من حديث أبي ذر بلفظ «لَعَنَ اللَّهُ فَقِيرًا تَوَاضَعَ لِغَنِيِّ مِنْ أَجْلِ مَالِهِ، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَقَدْ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ» ونحوه في شعب الإيمان للبيهقي وهذه الأحاديث كلها ضعيفة بل أوردها ابن الجوزي في الموضوعات: 139/3، انظر: فتاوى ابن الصلاح: 18، السخاوي: المقاصد: 408، الزرقاني: مختصرة المقاصد: رقم: 406، السيوطي: اللآلئ المصنوعة: 318/2، ملا علي القاري: الأسرار المرفوعة: 339، العجلوني: كشف الخفاء: 241.0242، ابن الديبع تمييز الخبيث من الطيب: 160.

(2) انظر تفسير القرآن المنسوب لمحيي الدين بن العربي (ت: 638): 101/2 - 102.

(3) هذه الفقرة إلى قوله: «ولا يعلمه إلا الله»، نقلها الزركشي في البرهان: 16/1 - 17 والسيوطي في معترك الأقران: 23/1، والإتقان في علوم القرآن: 37/4، وطاش كبرى زادة في مفتاح السعادة: 75/1، 536/2، والكتاني في التراتيب الإدارية: 175/2.

ويحتمل أن يكون هذا النص قد نقله ابن العربي عن الإمام الغزالي فقد ورد في «إحياء علوم الدين» ما نصه: «... وقال آخرون: القرآن يحوي على سبعة وسبعين ألف علم ومثني علم، إذ كل =

عِلْمًا وَأَرْبَعُمِئَةِ عِلْمٍ^(١)، وَسَبْعَةُ آلَافٍ عِلْمٍ^(٢)، وَسَبْعُونَ أَلْفَ عِلْمٍ عَدَدَ كَلِمِ
الْقُرْآنِ، مَضْرُوبَةً فِي أَرْبَعَةٍ، إِذْ لِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، وَحَدٌّ وَمُطْلَعٌ، هَذَا
مُطْلَقٌ دُونَ اعْتِبَارِ تَرْكِيبِهِ، وَنُضِّدَ^(٣) بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَمَا بَيْنَهَا مِنْ رَوَابِطَ عَلَى
الاسْتِيفَاءِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ^(٤)، وَهَذَا^(٥) مِمَّا لَا يُحْصَى، وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ - تَعَالَى -

(١) علم : ساقطة من : أ..

(٢) علم : ساقطة من : ك، م.

(٣) ك، م : وقصد.

(٤) كله : ساقطة من : أ.

(٥) وهذا : ساقطة من : ب.

= كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع «الإحياء :
290/1 (ط : الحلبي). وهذه العبارة الأخيرة أوردها المؤلف في معرفة قانون التأويل : 7/أ ونسبها إلى
بعض الصوفية.

ذِكْرُ الْعِلْمِ النَّظَرِيِّ وَالْعِلْمِ الْعَمَلِيِّ

وَقَدْ تَرَدَّدَ فِي أَثْنَاءِ التَّقْسِيمِ (١) الْإِتِّحَاءُ إِلَى هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ (٢)، حَتَّى قُلْنَا:
 إِنَّ النَّظَرَ فِي الْوَحْيِ يَكُونُ فِيمَا يُفَضِّلُ إِلَى الْعِلْمِ، وَفِيمَا يُفَضِّلُ إِلَى النَّظَرِ.
 وَالنَّظَرِيُّ: مَعْرِفَةُ (٣) اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَالْمَعَادِ، فَأَحْكَمُهُ بِالْأَصُولِ (١).
 وَالْعَمَلِيُّ: أَحْكَامُ أَفْعَالِ الْمُكَلَّفِينَ، وَأَحْكَمُهُ بِأَصُولِ الْفِقْهِ، وَيَكْفِي فِي
 الْأَوَّلِ «الْمُتَوَسِّطُ» وَفِي الثَّانِي «الْمَحْصُولُ».

وَكَذَلِكَ قَوْلُنَا فِي انْقِسَامِهِمَا إِلَى عَقْدٍ وَقَوْلٍ وَعَمَلٍ يَنْدَرِجُ تَحْتَهُ هَذَا، فَإِنَّ
 الْعَقْدَ فِيهِ عِلْمٌ وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَفِيهِ عَمَلٌ وَهُوَ: مَعْرِفَةُ الْحَسَدِ وَالْغُرُورِ وَالنِّيَّةِ
 وَالتَّوَكُّلِ، وَمَا ضَارَعَ الْجَنَسَيْنِ وَالْقَوْلُ فِيهِ عِلْمٌ وَهُوَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَمَا يَرْتَبِطُ
 بِذَلِكَ، وَإِلَى عَمَلٍ وَهُوَ: الذِّكْرُ وَنَحْوُهُ.

(١) ب: التفسير، ك، م: القسم.

(٢) القسمين: ساقطة من: أ.

(٣) ب: هو معرفة.

(١) أي بأصول الدين (علم الكلام).

وَكَذَلِكَ الْعَمَلُ فِيهِ مَا هُوَ مَعْلُومُ الطَّرِيقِ، فَيَكُونُ حُكْمُهُ قَطْعِيًّا كَالنُّصُوصِ (١)
فِيمَا تَقْتَضِيهِ، وَالْإِجْمَاعُ فِيهَا يَكُونُ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ مِنْ طَرِيقِ الْأَحَادِ فَيَكُونُ
ظَنًّا وَهُوَ غَالِبُهُ (١).

(١) ك، م: النفوس.

(١) قارن كلام المؤلف بكلام الغزالي في ميزان العمل: 230، فلا شك أنهما ينظران من كوة واحدة.

ذِكْرُ الْقِسْمِ الْخَامِسِ (1)

وَالَّذِي اخْتَارَهُ مِنْ هَذَا التَّقْسِيمِ فِي طَرِيقِ الْبَيَانِ، وَعَلَيْهِ كُنْتُ أُعَوِّلُ قَدِيمًا فِي الْإِيرَادِ، أَنَّ عُلُومَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: تَوْحِيدٌ، وَتَذْكِيرٌ، وَأَحْكَامٌ.

فَقِسْمُ التَّوْحِيدِ فِيهِ تَدْخُلُ مَعْرِفَةُ (1) الْمَخْلُوقَاتِ بِحَقَائِقِهَا (2)، وَمَعْرِفَةُ الْخَالِقِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

وَيَدْخُلُ فِي عِلْمِ التَّذْكِيرِ: الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ وَالْحَشَرُ، وَتَصْفِيَةُ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ عَنْ أَخْلَاطِ الْمَعَاصِي.

وَيَدْخُلُ فِي الْأَحْكَامِ: التَّكْلِيفُ كُلُّهُ مِنَ الْعَمَلِ فِي الْقِسْمِ النَّافِعِ مِنْهُ وَالضَّارِّ، وَحِظُّ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالنَّدْبِ.

فَالْأَوَّلُ: كَقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (البقرة: 162) فَرَكَّبَ عَلَيْهِ قِسْمَ التَّوْحِيدِ كُلُّهُ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ.

(1) معرفة: ساقطة من: أ.

(1) انظر بعض النقول المتفرقة من هذا الفصل أوردها كل من الزركشي في البرهان: 16/1 - 18، والسيوطي في معترك الأقران: 23/1 - 24، والإنتقان: 37/4، وطاش كبرى زادة في مفتاح السعادة: 536/2 - 537.

(2) علم التوحيد لا يتعرض لحقائق المخلوقات، وإنما يتعرض لها من حيث أحوالها في المبدأ والمعاد.

الثاني: قَسَمُ التَّذْكِيرِ، قَوْلُهُ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: 55) وَهَذَا مَخْصُوصٌ بِالْعِظَةِ فِي الْمُتَعَارَفِ، مُتَنَاوِلٌ لِلْكَلِّ بِالْحَقِيقَةِ^(١).

الثالث: قوله: ﴿وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (المائدة: 51).
كَمَا^(٢) تَرْجِعُ عُلُومُ الْقُرْآنِ إِلَى آيَتَيْنِ كَقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ... إِلَى قَوْلِهِ: عَلِمَاءُ﴾ (الطلاق: 12).

الثانية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56).
وَقَدْ تَرْجِعُ إِلَى آيَةٍ وَاحِدَةٍ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعِينِ﴾ (الدخان: 36).

وَقَوْلِهِ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجِعُونَ﴾ (المؤمنون: 116).

وَلِذَلِكَ قَالَ جَمَاعَةُ الْعُلَمَاءِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: 1) إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ^(١) يَعْنِي فِي الْأَجْرِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

وَقَالَتْ جَمَاعَةٌ: تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي الْمَعْنَى، لِأَنَّ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ كَمَا

(١) ك، م: في الحقيقة.

(٢) قانون القاهرة: وقيل.

(1) جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم في صلاة المسافرين رقم: 812 قوله ﷺ: «... إلّا أنها تعدل ثلث القرآن... الحديث».

قَدَّمْنَا⁽¹⁾، فَقِسْمُ التَّوْحِيدِ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى الْخُصُوصِ، وَبِهَذَا صَارَتِ الْفَاتِحَةُ أُمَّ الْكِتَابِ لِأَنَّ فِيهَا الْأَقْسَامَ الثَّلَاثَةَ.

فَأَمَّا قِسْمُ التَّوْحِيدِ فَمِنْ أَوَّلِهَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: 3).

وَأَمَّا قِسْمُ الْأَحْكَامِ فَ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 4).

وَمِنْ قَوْلِهِ: ﴿اهْدِنَا﴾ (الفاتحة: 5) إِلَى آخِرِهَا تَذَكِيرٌ.

فَصَارَتْ بِهَذَا أُمًّا يَتَفَرَّعُ عَنْهَا كُلُّ بِنْتٍ.

وَقِيلَ: صَارَتْ أُمًّا لِأَنَّهَا مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ بِالْقَبْلِيَّةِ، وَالْأُمُّ قَبْلَ الْبِنْتِ.

وَقِيلَ: سُمِّيَتْ فَاتِحَةً لِأَنَّهَا تَفْتَحُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ عَلَى وُجُوهِ بَيَانِهَا فِي مَوَاضِعِهَا،

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (آل عمران: 7).

فَسُمِّيَتْ الْمُحْكَمَاتُ أُمًّا لِلْمُتَشَابِهَاتِ، لِأَنَّ الْمُتَشَابِهَاتِ إِذَا أَشْكَلَ أَمْرُهَا رُدَّتْ إِلَى

الْمُحْكَمَاتِ فَعُرِفَ تَأْوِيلُهَا، كَمَا تُرَدُّ الْبِنْتُ إِلَى الْأُمِّ فَيَعْرِفُ نَسَبُهَا، وَخَصَّ الْأُمُّ دُونَ

الْأَبِ لِأَنَّهَا الَّتِي يُعْلَمُ كَوْنُ الْوَلَدِ مِنْهَا قَطْعاً^(*)، ثُمَّ يُضَافُ إِلَى الْأَبِ ظَنًّا بِوَاسِطَةِ

الْوُجُودِ الْكَافِي فِي الْأُمِّ قَطْعاً^{(1)(*)}، وَبِذَلِكَ فَضَلَتْ جَمِيعَ سُورِ الْقُرْآنِ: قَالَ

النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَنْ كَعْبٍ⁽²⁾: لَا عِلْمَنَّكَ سُورَةٌ مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ

وَلَا فِي الْقُرْآنِ⁽³⁾ مِثْلُهَا. . وَذَكَرَهَا لَهُ⁽³⁾.

(١) ما بين النجمتين ساقط من: أ.

(٢) ب: الفرقان.

(1) انظر مناقشة هذه الأقوال في تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى: 103/17.

(2) هو أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر، سيد القراء وكاتب الوحي، شهد بدرًا،

توفي رضي الله عنه حوالي 22. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر: 47/1، ومعرفة القراء الكبار

للذهبي: 28/1، وسير أعلام النبلاء: 389/1.

(3) أخرجه الترمذي في ثواب القرآن: 2878 وقال عنه: حديث حسن صحيح. وانظر المنار المنيف لابن =

وَلَيْسَ فِي الْفَاتِحَةِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ إِلَّا هَذَا، وَقَوْلُهُ: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي»⁽¹⁾ فَلَا يُنْفَتَحُ إِلَى سِوَاهُمَا⁽²⁾، فَإِنَّ شَغْلَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ بِمَا لَا يَصِحُّ إِثْمٌ فِي الْأَجْرَةِ وَتَضْيِيعٌ لِلزَّمَانِ.

كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي سُورَةِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَدِيثٌ صَحِيحٌ إِلَّا الْمُتَقَدِّمُ⁽³⁾، وَقَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الَّذِي سَمِعَهُ⁽⁴⁾ يَقْرَأُهَا «وَجَبَتْ»⁽⁵⁾ يَعْني: الْجَنَّةَ.

أَمَّا أَنْ فِيهَا خَصِيصَةٌ لَيْسَتْ فِي سُورَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَهَا يُفَسِّرُ بَعْضًا، لِأَنَّكَ تَقُولُ: مَنْ هُوَ؟

فَيُقَالُ لَكَ: اللَّهُ.

وَيُقَالُ لَكَ: مَنْ اللَّهُ؟

فَيُقَالُ لَكَ: الْأَحَدُ.

فَتَقُولُ: مَنْ الْأَحَدُ؟

(1) ب: يسميها.

.....

= قيم الجوزية: 113.

(1) هذا جزء من حديث صحيح رواه مسلم في الصلاة رقم: 395، ومالك في الموطأ كتاب الصلاة: 84/1، وأبو داود في الصلاة رقم: 819، 820، 821، والترمذي في التفسير رقم: 2954، 2955، والنسائي في الافتتاح: 135/2، 136.

(2) الظاهر أن ابن العربي قد خالف منهجه هذا في كتابه سراج المريدين: 54/ب حيث أورد عدة أحاديث في فضل الفاتحة منها الصحيح والحسن والضعيف.

(3) وهو الذي ذكرته في تعليقي السابق صفحة: 231، وينبغي التنبيه على أن الأحاديث التي تفيد أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن كثيرة منها ما رواه البخاري في فضائل القرآن 53/9، ومالك في الموطأ: 208/1، وأبو داود في الصلاة رقم: 1461، والنسائي في الافتتاح: 171/2.

(4) رواه الترمذي في ثواب القرآن رقم: 2899 وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح، ومالك في الموطأ: 208/1 بزيادة، والحاكم في فضائل الصحابة: 566/1 من حديث أبي هريرة، وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

فَيَقَالُ لَكَ: الصَّمَدُ.

فَتَقُولُ: مَنِ الصَّمَدُ؟

فَيَقَالُ لَكَ: الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى أَوْلَهَا، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: وَمَنِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ^(١)، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ؟ فَيَقَالُ لَكَ: اللَّهُ.

وَهَذَا أَيْضًا - بِهَذَا^(٢) التَّرْتِيبِ - فَنُ مِنْ فَنُونَ الْفَصَاحَةِ غَرِيبٌ يَعِزُّ وَجُودُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَظِيرُهُ^(٣) مِنَ السُّنَّةِ فِي الْمَعْنَى قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٤).

وَهِيَ كَلِمَاتُ يَسِيرَةٍ تَضَمَّنَتْ التَّوْحِيدَ كُلَّهُ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ -.

أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضَائِلِ بْنُ طَوْقٍ الْمَعْدَلِ^(٤)^(٢) قَالَ: أَخْبَرَنَا^(٥) الْأُسْتَاذُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقَشِيرِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ الْإِمَامَ أَبَا بَكْرٍ بْنَ فُورَكَ يَقُولُ - وَكَانَ مِنْ عُظَمَاءِ

(١) لم يلد ولم يولد: ساقطة من: ب.

(٢) ب: فهذا.

(٣) ب: ونظيرها.

(٤) وأخبرنا أبو الفضل بن طوق العدل.

(٥) أ، ب: ثنا.

(١) رواه مالك في الموطأ: 214/1، 215 في القرآن، باب ما جاء في الدعاء، وأول الحديث هو قوله ﷺ: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ... الْحَدِيثُ» ورواه الترمذي كذلك في الدعوات رقم: 3579.

(2) هو أبو الفضائل محمد بن أحمد بن عبد الباقي الموصلي، من العلماء العاملين، تفقه على الماوردي وأبي إسحاق الشيرازي والقشيري، توفي سنة: 494. انظر: ابن الأثير: الكامل 225/8، ابن كثير: البداية والنهاية: 161/12.

الصُوفِيَّةِ وَالْعُلَمَاءِ -: إِنَّ كَلِمَةَ «هُوَ» مُسْتَقَلَّةٌ بِنَفْسِهَا فِي الْعِبَارَةِ عَنْ تَوْحِيدِ الْبَارِي - سُبْحَانَهُ - ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ابْتِدَاءَ الْأَشْيَاءِ مِنْهُ^(١) ، وَانْتِهَاءَهَا إِلَيْهِ ، وَكُلُّهَا بِهِ^(٢) ، لِأَنَّ الْهَاءَ مِنْ حُرُوفِ الْحَلْقِ وَهُوَ الْإِبْتِدَاءُ فِي الْكَلَامِ ، وَالْوَاوُ مِنْ حُرُوفِ الشَّفَتَيْنِ وَهُوَ^(٣) الْإِنْتِهَاءُ فِي الْكَلَامِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا حُرُوفُ الْكَلَامِ^(٤) ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ لِأَبِي بَنْ كَعْبٍ : أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟ قَالَ لَهُ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (البقرة: 253) قَالَ لَهُ النَّبِيُّ : لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ^(٥) .

وَإِنَّمَا صَارَتْ أَعْظَمَ بِعِظَمِ مُقْتَضَاهَا ، فَإِنَّ الشَّيْءَ إِنَّمَا يَشْرَفُ بِشَرَفِ ذَاتِهِ وَمُقْتَضَاهُ وَمُتَعَلِّقَاتِهِ ، وَهِيَ فِي آيِ^(٦) الْقُرْآنِ كَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فِي سُورِهِ ، إِلَّا أَنَّ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ تَفْضُلُهَا بَوَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهَا سُورَةٌ وَهَذِهِ آيَةٌ ، وَالسُّورَةُ أَعْظَمُ لِأَنَّهُ وَقَعَ التَّحْدِي بِهَا ، وَالسُّورَةُ^(٧) إِذَا وَقَعَ بِهَا التَّحْدِي^(٨) أَفْضَلُ مِنَ الْآيَةِ الَّتِي لَمْ يَقَعْ بِهَا التَّحْدِي .

الثَّانِي : أَنَّ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ اقْتَضَتْ التَّوْحِيدَ فِي خَمْسِ عَشْرَةِ كَلِمَةً^(٩) ، وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ اقْتَضَتْ التَّوْحِيدَ فِي خَمْسِينَ حَرْفًا ، فَظَهَرَتْ الْقُدْرَةُ فِي الْإِعْجَازِ ، بِوَضْعِ

(١) أ : الله .

(٢) ب : بها .

(٣) أ ، ب : وهي .

(٤) آي : ساقطة من : أ .

(٥) والسورة : ساقطة من : ك .

(٦) ك ، م : التحدي بها .

(٧) أ : حرفا .

(1) أورد المؤلف هذا القول في الأمد : 14/أ ونسبه إلى ابن فورك، وعقب عليه بقوله : «وهذه أغراض صوفية محومة على الحقائق، وإن كان لم يقع بها أنس لكم، وابن فورك شيخ من شيوخهم، وإمام مقدم فيهم» .

(2) رواه مسلم في صلاة المسافرين رقم : 810 ، وأبو داود في الصلاة رقم 1460 .

مَعْنَى يُعَبَّرُ عَنْهُ مَكْتُوبٌ مَدَدُهُ السَّبْعَةُ الْأَبْعُرُ وَلَا يَنْفَدُ، عَدَدُ حُرُوفِهِ خَمْسُونَ كَلِمَةً، ثُمَّ يُعَبَّرُ عَنْ مَعْنَى الْخَمْسِينَ كَلِمَةً خَمْسَ عَشْرَةَ كَلِمَةً، وَذَلِكَ كُلُّهُ بَيَانٌ لِعَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَالْإِنْفِرَادِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ⁽¹⁾.

تَنْقِيحٌ:

قَالَ أَبُو حَامِدٍ: «إِنَّ أُمَّ الْقُرْآنِ إِنَّمَا صَارَتْ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ، وَالْجَنَّةُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، وَفَاتِحَةُ الْكِتَابِ ثَمَانِيَةُ مَعَانٍ: ذَاتٌ، صِفَاتٌ، وَأَفْعَالٌ، الصُّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ بِجَمِيعِ طُرُقِهِ، التَّزْكِيَّةُ، التَّحْلِيَّةُ، ذِكْرُ نِعْمَةِ الْأَوْلِيَاءِ، وَغَضَبِ الْأَعْدَاءِ، وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهَا إِلَّا مُحَاجَّةُ الْكُفَّارِ وَهُوَ عِلْمُ الْكَلَامِ وَأَحْكَامُ الْفِقْهِ. .»⁽²⁾ إِلَى آخِرِ قَوْلِهِ.

(1) قَارَنَ بِالزَّرْكَشِيِّ فِي الْبِرْهَانِ: 442/1، وَالسِّيُوطِيُّ فِي الْإِتْقَانِ: 142/4 وَطَاشٌ كَبِيرٌ زَادَةٌ فِي مِفْتَاحِ السَّعَادَةِ: 560/2.

(2) عِبَارَةُ الْغَزَالِيِّ كَمَا جَاءَتْ فِي كِتَابِهِ جَوَاهِرُ الْقُرْآنِ: 43 هِيَ كَالتَّالِي: «إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَمِفْتَاحُ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مِفْتَاحًا لِأَنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةٌ، وَمَعَانِي الْفَاتِحَةِ تَرْجِعُ إِلَى ثَمَانِيَةٍ، فَاعْلَمْ قَطْعًا أَنَّ كُلَّ قِسْمٍ مِنْهَا مِفْتَاحُ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ تَشْهَدُ بِهِ الْأَخْبَارُ. . .». وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: 43. «وَقَدْ اشْتَمَلَتِ الْفَاتِحَةُ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَقْسَامٍ: الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ وَذِكْرِ الْمَعَادِ وَالصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِجَمِيعِ طَرَفِيهِ، أَعْنِي التَّزْكِيَّةَ وَالتَّحْلِيَّةَ، وَذِكْرَ نِعْمَةِ الْأَوْلِيَاءِ، وَغَضَبِ الْأَعْدَاءِ، وَذِكْرَ الْمَعَادِ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ إِلَّا قِسْمَانِ، مُحَاجَّةُ الْكُفَّارِ، وَأَحْكَامُ الْفُقَهَاءِ، وَهُمَا الْفَنَانُ اللَّذَانِ يَتَشَعَّبُ مِنْهُمَا عِلْمُ الْكَلَامِ وَعِلْمُ الْفِقْهِ».

قُلْتُ: وَنَسَبَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ هَذَا الْقَوْلَ فِي كِتَابِهِ السَّرَاحُ: 195/ب إِلَى الصُّوفِيَّةِ وَانْتَقَدَهُ بَعْضُ قَائِلَاتِهِ: «. . . وَهَذَا كُلُّهُ تَعَدُّ عَلَى الْقُرْآنِ وَعَلَى الشَّرِيعَةِ وَعَلَى الْعِلْمِ، وَطَرِيقُ الْحَقِّ فِيهِ أَنَّهُ ثَبِتَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ أَنَّ لِحْزَمِهِمْ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، وَثَبِتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا الْعِلْمُ بِوُجْهِ التَّقْدِيرِ وَلَا نَقْلُهُ مُحَقَّقٌ. . . إِنْ الْحَرْزُ وَالظَّنُّ وَالْقِيَاسُ لَمْ يَعْجِزْ (فِي الْأَصْلِ: يَعْجُزُ) لَنَا إِلَّا فِي بَابِ الْأَحْكَامِ الَّتِي الْمَطْلُوبُ مِنْهَا الْعَمَلُ، فَأَمَّا مَا خَرَجَ مِنَ الْأَحْكَامِ فَلَيْسَ لِلْقِيَاسِ فِيهِ مَدْخَلٌ، حَتَّى قَالَ عِلْمَاؤُنَا مِنَ الْأَصْبَاحِيِّينَ وَلَا لِخَيْرِ الْوَاحِدِ، وَلَمْسْتُ أَقُولُ بِهِ، بَلْ أَقْضِي بِالْخَيْرِ الْوَاحِدِ الصَّحِيحِ فِي الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا أَحْكَامُهَا وَكُلُّ مَا أَخْبَرْنَا عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ».

قُلْتُ لِلتَّرَوُّعِ فِي مَعْرِفَةِ رَأْيِ الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَوْضُوعِ الْخَيْرِ الْوَاحِدِ رَاجِعِ الْمَحْصُولِ: 1/51 أ.

قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١):

قَدْ^(٢) بَيَّنَّا - وَهُوَ الصَّحِيحُ - أَنَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَحَقَّقْنَا أَنَّ عُلُومَ الْقُرْآنِ فِيهَا، وَسَاعَدْنَا عَلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَهُوَ مِنْهُمْ، فَكَيْفَ^(٣) يَرْجِعُ فَيُحَدِّثُ مِنْهَا مَا ذَكَرَ أَنَّهُ فِيهَا، بَلْ لَوْ قُلْنَا إِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ لَكَانَ أَصَوَّبَ، فَكَيْفَ وَقَدْ بَيَّنَّ صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ خَاصَّةً الْأَبْوَابِ وَأَسْمَاءَهَا^(٤) فَقَالَ: فَمَنْ^(٥) كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ... الْحَدِيثُ^(١) فَبَيَّنَ ﷺ جِنْسَ الْأَبْوَابِ وَأَنَّهَا أَبْوَابُ عَمَلٍ تُطْلَبُ فِي فُرُوعِ الشَّرِيعَةِ وَأَنْوَاعِ الْأَفْعَالِ.

وَقَدْ كَمَّلَهَا قَوْمٌ فَقَالُوا: إِنَّهَا ثَمَانِيَّةٌ أَبْوَابٌ:

بَابُ الْإِيمَانِ.

بَابُ الصَّلَاةِ.

بَابُ الصَّدَقَةِ.

بَابُ الصَّيَامِ.

(١) ك، م: قال أبو حنيفة.

(٢) أ، ب: وقد.

(٣) أ، ب: وكيف.

(٤) الأبواب وأسمائها: ساقطة من: ب.

(٥) أ، ب: من.

(١) رواه البخاري في الصوم: 96/4، ومسلم في الزكاة رقم: 1027، ومالك في الموطأ، كتاب الجهاد: 469/2، والترمذي في المناقب رقم: 3675، والنسائي في الجهاد: 48/6، ويتم الحديث كما هو عند مسلم هو أن رسول الله قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَوَدَّى فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّيَامِ... الْحَدِيثُ».

بَابُ الْحَجِّ.

بَابُ الْجِهَادِ.

بَابُ الْعَدْلِ.

بَابُ التَّوْبَةِ.

وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّهَا مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ، لَأَنَّهَا سَبْعُ آيَاتٍ تَنْغَلِقُ أَبْوَابَ النَّارِ السَّبْعَةَ دُونَهَا، وَلَيْسَ بَعْدَ النَّارِ دَارٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، لَمْ يَتَعَدَّ نَظْرًا، لَكِنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ، إِذْ لَا طَرِيقَ إِلَى الْعِلْمِ بِهِ كَمَا بَيَّنَّاهُ.

وَقَدْ عَدَّدُوا أَبْوَابَ النَّارِ فَقَالُوا:

بَابُ الشُّرْكِ.

بَابُ الْإِثْمِ.

بَابُ الْفُسَادِ.

بَابُ الْعُدْوَانِ.

بَابُ الْفَحْشَاءِ.

بَابُ الْمُتَنَكَّرِ.

بَابُ الْبَغْيِ (١).

تَجْرِي (٢) عَلَى الْجَوَارِحِ السَّبْعَةِ، وَهِيَ الْحَوَاسُّ الْخَمْسُ، مِنْهَا الْيَدَانِ وَالرَّجْلَانِ، وَسَابِعُهَا الْقَلْبُ (١).

(١) أ، ك، م: باب المنكر والبغي.

(٢) تجري: ساقطة من: ك، م.

(1) في السراج: 195/ب: وقد قالوا: إن أبواب النار السبعة للجوارح السبع، السمع والبصر والشم والذوق واللمس واللسان والقلب.

وَهَذَا كُلُّهُ تَحَكُّمٌ^(١)، لِأَنَّهُ قَوْلٌ بِالظَّنِّ فِي مَعْنَى لَا يُعْلَمُ بِالْقِيَاسِ، وَلَا يَجْرِي فِيهِ إِلَّا الْقَطْعُ.

وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ^(٢) قَالَ: «لِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، بَابٌ مِنْهَا لِمَنْ سَلَ السَّيْفَ عَلَى أُمَّتِي»^(٣).

وَهَذَا فَنٌ لَمْ^(٤) يَنْتَبِهْ هُوَ لِأَنَّهُ لَهُ، وَكُلُّ مَا قَالُوهُ - كَمَا قَدَّمْنَا - لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

وَقَدْ أَتَاهُمُ الْبَارِي - سُبْحَانَهُ - أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فِي الطَّاعَاتِ لِيَلْتَزِمَ الرَّاجِي لِدُخُولِهَا جَمِيعَهَا، كَمَا أَتَاهُمْ سَاعَةُ الْجُمُعَةِ فِي الْيَوْمِ، وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي الشَّهْرِ، وَأَتَاهُمُ الْكَبَائِرُ فِي الْمَعَاصِي كُلِّهَا، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لِعُمُومِ^(٥) فِعْلِ الذِّكْرِ وَالطَّاعَةِ فِي الْيَوْمِ كُلِّهِ وَالشَّهْرِ كُلِّهِ فِي اجْتِنَابِ الْمَعَاصِي، وَلَوْ أَخَذَ رَجُلٌ يَطْلُبُ أُمَّهَاتِ الطَّاعَاتِ فَيُرْتَّبُ مِنْهَا الْأَبْوَابَ لَكَانَ ذَلِكَ اسْتِعْمَالًا لِلظَّنِّ فِي مَوَاضِعِ الْقَطْعِ^(٦)، وَهُوَ إِيْتَانُ الْبُيُوتِ مِنْ أَذْبَارِهَا، وَرَبَّمَا دَخَلَ فِي قَوْلِهِ:

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك: 22)، وَلَمْ يَتْرِكِ الشَّيْطَانُ النَّاسَ مَعَ هَذَا الْحَدِيثِ وَلَا مَعَ هَذِهِ

(١) أ، ك، م: وهو بمحكم.

(٢) أنه: ساقطة من: ك، م.

(٣) لم: ساقطة من: أ.

(٤) ك، م: لعلوم.

(٥) أ: فيها تقديم وتأخير.

(1) أخرجه الترمذي في التفسير رقم: 3123 عن ابن عمر. وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول، وذكره المباركفوري في تحفة الأحوذى: 522/8 وعزاه إلى البخاري في تاريخه: 235/2، وقد حكم الشيخ الألباني على هذا الحديث بالضعف. انظر ضعيف الجامع الصغير وزيادته: 10/5.

الآيَةِ - وَذَلِكَ كَافٍ - حَتَّى أَضِلَّ^(١) مَنْ عَمِلَ لَهُمُ الْأَحَادِيثَ فِي فَضَائِلِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ^(٢)، فَرَوَى لَهُمْ فِي «آيَةِ الْكُرْسِيِّ» أَنَّهَا^(٣) سَيِّدَةُ آيَاتِ الْقُرْآنِ^(٤)، وَ «يَسَّ» قَلْبُ الْقُرْآنِ^(٥)، وَأَمثالها، فَلَا تَحْفَلُوا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَقْبِلُوا عَلَى مَا صَحَّ فِيهِ الْغَنِيُّ.

وَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ^(٦)، فَلَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِصَحِيحِ الْأَثَارِ، وَطَلَبُ سَقِيمِ الْأَثَارِ مُضَافًا إِلَى صَحِيحِهَا، يَقْرُبُ مِنْ قِرَاءَةِ الْإِنْجِيلِ وَالتَّوْرَةِ مُضَافًا إِلَى الْقُرْآنِ.

(١) ك، م: أضل لهم.

(٢) أنها: ساقطة من: ك.

.....

(1) قال المؤلف - رحمه الله - في السراج: 55/ب، وقانون الأسكر يال: 7/ب، 8/أ:

«... وقد أقحم (في الأصلين: اقتحم) الناس في فضائل القرآن وسوره أحاديث كثيرة منها ضعيف لا يُعَوَّل عليه، ومنه ما لم ينزل الله به من سلطان، وأشبه ما جمع في ذلك «كتاب ابن أبي شيبة» وكتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد القاسم بن سلام وفيها باطل عظيم وحشو كثير، وانتقى الأئمة من ذلك الحشو جملة، واستخرجوا من ذلك المنتقى الصحيح...» وقد أورد هذا النص القرطبي في «التذكار في أفضل الأذكار» 210 (ط: الأرناؤوط).

(2) حُكِّمَ المؤلف - رحمه الله - على هذا الحديث بالوضع فيه نظر، فقد اعتبر الحافظ ابن قيم الجوزية هذا الحديث من جملة الذي صَحَّ في أحاديث السُّور، المنار المنيف: 114، وأخرجه الترمذي في ثواب القرآن رقم: 2881 عن أبي هريرة بلفظ: «لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة القرآن: هي آية الكرسي» وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه.

قال الأرناؤوط في تعليقه على هذا الحديث في التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي: 216: وإسناده ضعيف، ولكن له شواهد بمعناه يُقَوَّى بها.

(3) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي في ثواب القرآن رقم: 2889، والدارمي في فضائل القرآن: 456/2، وفي سنده هارون أبو محمد شيخ مجهول، قاله عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على هذا الحديث في جامع الأصول لابن الأثير: 481/8.

(4) هذا حديث شريف أخرجه البخاري في التوحيد: 418/13 عن أبي هريرة، وأحمد في المسند رقم: 1476، 1513، 1549، (ط: شاكر) وأبو داود في الصلاة رقم: 1469، والدارمي في فضائل القرآن: 471/2 من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

ذَكَرَ اسْتِيفَاءَ الْغَرَضِ فِي التَّقْسِيمِ

قَدْ عَلِمْتُمْ - فِي الْجُمْلَةِ - أَنَّ الْعُلُومَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ ، وَأَنَّ الْمَعْلُومَاتِ أَرْبَعَةٌ :
النَّفْسُ ، وَالرَّبُّ ، وَالْعَمَلُ النَّافِعُ ، وَالضَّارُّ .

وَأَنَّ مَعْرِفَةَ النَّفْسِ تَكُونُ بِالنَّظَرِ فِي ذَاتِهَا وَصِفَاتِهَا ، وَاتِّقَالَاتِهَا فِي أَحْوَالِهَا ،
وَأَبْتِدَائِهَا وَانْتِهَائِهَا ، وَاسْتِعْلَائِهَا فِي شَرَفِهَا ، وَاسْتِسْفَالِهَا ^(١) فِي نَقْصِهَا ، حَسَبَ مَا
وَقَعَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ
أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ (التين : 4 - 5) وَذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَهُ سَمِيعاً بَصِيراً ، حَيّاً مُتَكَلِّماً ، قَادِراً
مُرِيداً ، وَهَذِهِ نِهَآيَةٌ فِي ^(٢) مَرَاتِبِ الشَّرَفِ ، وَخَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ مَذْرُوءَةٍ ، وَيُصِيرُهُ جِيفَةً
قَذِرَةً ، وَيُحْمِلُ بَعْدَ ذَلِكَ عَذْرَةً .

أَشَدُّنَا ابْنُ طُوقٍ ، قَالَ ^(٣) : أَشَدُّنَا الْقَشِيرِيُّ :

كَيْفَ يُزْهَى مَنْ رَجِيْعُهُ	أَبَدَ الدَّهْرِ ضَجِيْعُهُ
فَهُوَ مِنْهُ وَإِلَيْهِ	وَأَخُوهُ وَرَضِيْعُهُ
وَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْحُشْرِ	بِصُغْرِ فَيْطِيْعُهُ

(١) ب : واستقلالها ، أ : واستقلالها .

(٢) ب ، ك ، م : من .

(٣) قال : ساقطة من : أ ، ب .

وإن اعتَصَ عَلَيْهِ فَهُوَ لَا شَكَّ صَرِيحُهُ

وَتَبَيَّنَ لَكُمْ (١) أَنَّ مَعْرِفَةَ الرَّبِّ (٢) تَكُونُ بِالْعِلْمِ (١) بِذَاتِهِ الْعُظْمَى، وَصِفَاتِهِ
الْعُلَى، وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَأَفْعَالِهِ الْعُدْلَى، وَقَدْ بَيَّنَّا فِي كِتَابِ «الْأَمَدِ الْأَقْصَى»
فَمَنْ (٣) أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ اللَّهَ - تَعَالَى - كَذَلِكَ فَعَلَيْهِ بِهِ، فَإِنْ عَرَضَهُ إِشْكَالٌ فَحَلُّهُ فِي
كِتَابِ «الْمُتَوَسِّطِ». وَفِي كِتَابِ «الْأَمَدِ الْأَقْصَى» مَا لِلْعَبْدِ مِنْ حَالَةٍ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ،
وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّبِّ فِي كُلِّ اسْمٍ انْطَلَقَ عَلَى اللَّهِ بِالْكَمَالِ، فَأُطْلِقَ (٤) عَلَى الْعَبْدِ
بِلَفْظِهِ (٥)، وَبَيَّانُ الْمَنْزِلَةِ الْعُلْيَا لِلرَّبِّ (٦) فِيهِ، وَالسُّفْلَى لِلْعَبْدِ فِيمَا يُعْطِيهِ لَفْظُهُ مِنْ
مَعَانِيهِ.

(١) ك، م: لك.

(٢) أ: الله، واستدرك الخطأ في الهامش.

(٣) ب: من.

(٤) ب: وأطلق.

(٥) على العبد بلفظه: ساقطة من: ب.

(٦) أ: للذي.

(١) إلى هنا تنتهي مخطوطة الشيخ عبد الحي الكتاني - رحمه الله تعالى - وكذلك مخطوطة الشيخ محمد
المنوني - حفظه الله تعالى - وكتب بهامش كل منهما: هذا ما وجدناه في الأم.

ذِكْرُ مَعْرِفَةِ رُكْنِي النِّجَاةِ

وَتَبَيَّنَ أَنَّ مَعْرِفَةَ الْعَمَلِ ^(١) النَّافِعَ هُوَ مَا يَحْصُلُ بِهِ الْمَطْلُوبُ فِي تَرْكِيبَةِ النَّفْسِ بِمَعَايِشِهَا ^(٢)، وَمَا يُنَالُ بِهِ الْمَرْغُوبُ، مَعَ صِفَةِ السَّلَامَةِ فِي دَوَامِ النِّقَاءِ مِنَ الْأَفَاتِ، وَمَعْرِفَةُ الْعَمَلِ الضَّارِّ وَهُوَ ضِدُّهُ، فَإِذَا تَمَّ لَهُ ذَلِكَ أَوْ بَعْضُهُ، فَهَنَالِكَ ^(٣) رُكْنَانِ وَهُمَا: الْعَمَلُ النَّافِعُ فِي جَلْبِ النَّعِيمِ الْأَكْبَرِ فِي الْبَقَاءِ الدَّائِمِ بِالْعِلْمِ الَّذِي هُوَ ^(٤) أَصْلُهُ وَعَلَيْهِ مَبْنَاهُ، لِأَنَّ الْعِلْمَ أَوَّلَ، وَالْعَمَلَ ثَانٍ ^(٥)، وَلَا يَتَأْتِي الْعَمَلُ إِلَّا بِالْعِلْمِ، إِذْ لَا تَنْفِقُ عِبَادَةٌ ^(٦) إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْمَعْبُودِ.

وَقَدْ زَلَّتْ فِي هَذِهِ طَوَائِفُ يَهُوْلِكَ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا: «إِنَّ الْعَمَلَ قَبْلَ الْعِلْمِ». وَغَلَّتْ أُخْرَى فَقَلَبَتِ الْقَوْسَ رِكْوَةً وَقَالُوا: «إِنَّمَا يَتَوَصَّلُ إِلَى الْعِلْمِ بِالْعَمَلِ» ^(٧).

(١) أ: معرفة النجاة العمل الصالح وعلم المراجع على كلمتي النجاة والصالح بعلامة الخطأ.

(٢) أ: بمعاشيها.

(٣) أ: فهناك.

(٤) هو ساقطة من: أ.

(٥) ب: ثاني.

(٦) عبادة: ساقطة م: أ، واستدركت في الهامش.

(٧) أ: هنا كمل الجزء الأول.

(١) اعتبر المؤلف الإمام الغزالي من جملة هذه الطائفة الغالية التي قلبت القوس رِكْوَةً. انظر العواصم:

20. والركوة هي حوض الماء وفي المثل: صارت القوس رِكْوَةً، يضرب في الإدبار وانقلاب الأمور.

انظر الجوهري: الصحاح: 2361/6.

ذِكْرُ بَيَانِ أَنَّ الْعِلْمَ قَبْلَ الْعَمَلِ

لِأَنَّ مَحَلَّ الْعِلْمِ وَهُوَ الْقَلْبُ، خُلِقَ مُسْتَعِدًّا لِلْعُلُومِ، وَهُوَ صَقِيلٌ يَصْدَأُ
بِالدُّنُوبِ، فَإِنْ أُحْجِمَ الْعَبْدُ عَنِ الدُّنُوبِ بَقِيَ بِصِفَاتِهِ، وَإِنْ أَقْلَعَ عَنِ الدُّنُوبِ بِالنُّورِ
فَهِىَ صَفَالَةٌ، فَمَتَجَلَّى حِينَئِذٍ فِيهِ الْعِلْمُ^(١).

وَتَسَبَّبَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ، وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: 281)⁽²⁾.

وَقَالُوا: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْفِتْنَ فَقَالَ: «تُعَرِّضُ عَلَى الْقَلْبِ كَالْحَصِيرِ عُرْدًا
عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نَكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَيَصِيرُ أَسْوَدَ مُرْبَادًا»⁽³⁾، كَالْكُوزِ
مُجْحِيًا⁽⁴⁾(١)، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا⁽⁵⁾.

(١) أ: فيصير كالكوز أسود مريداً كالكوز محجياً.

(1) توسع المؤلف رحمه الله في عرض آراء الصوفية ومناقشتها في العراصم: 13 وما بعدها، السراج:
231/ب - 232/أ، 236/ب، وقانون القاهرة رقم: (184 تفسير) وصفحاته غير مرقمة، وقد تكلم في
هذا الموضوع بمناسبة شرحه للآية الكريمة ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام: 126).

(2) علق المؤلف على هذه الآية في كتابه سراج المريدين: 199/أ - فقال: قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: يعني
في مجاوزة حدود المعاملة الدنيوية التي بيننا، ومنوهاً فرضي ومنها تدب. ﴿وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾: يعني ما
ألزمكم به من العمل وتدابيركم إليه وجعل إخلاصكم فيه.

(3) السَّرْبَاءُ وَالْمُوبِدُ: الذي في لونه رُبْدَةٌ، وهي بين السواد والغبرة.

(4) الْمَجْحِي: المائل عن الاستقامة والاعتدال.

(5) هذا جزء من حديث طويل رواه مسلم في الإيمان رقم: 144 باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود
غريباً.

وَهَذَا كَلَامٌ يَحُومُ عَلَى مَقَاصِدِ الْفَلَاسِفَةِ، فَثَانَهُمْ يَدْعُونَ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَاشْتَغَلَ بِمَحْوِ مَا يَنْبَغِي عَنِ النَّفْسِ، وَوَاطَبَ عَلَى اكْتِسَابِ مَا يَنْبَغِي، وَلَا زَمَ الذِّكْرُ^(١) حَتَّى يَجْرِيَ مِنْهُ مَجْرَى النَّفْسِ، صَفَا قَلْبُهُ، فَتَجَلَّتْ فِيهِ جَمِيعُ الْمَعْلُومَاتِ، إِذْ خُلِقَ الْقَلْبُ صَقِيلًا كَالْمِرَاةِ^(٢)، فَإِذَا قَابَلَتْهُ الْمَعْلُومَاتُ تَجَلَّتْ فِيهِ مَا لَمْ يَصْدَأْ، فَإِذَا طُهِرَ بِدَفْعِ الْمَعَاصِي وَالْفُضُولِ، بَقِيَ صَقِيلًا فَتَجَلَّتْ فِيهِ الْحَقَائِقُ وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى تَعَلُّمٍ^(٣).

تَبْصِيرُ:

تَأَمَّلُوا - وَفَقِّحُوا اللَّهَ وَبَصِّرْكُمْ - مَا أَبْسَطُهُ لَكُمْ هَا هُنَا مِنَ الْكَلَامِ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ صَعَبَ الْمَرَامِ، يُفْضِي بِكُمْ إِلَى أَرْحَبِ مَقَامٍ.
هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي أَمَلْتُ^(٣) الْفَلَاسِفَةَ^(٢)

(١) ب: الذكرى.

(٢) ولا يفتقر إلى تعلم: ساقطة من: ب.

(٣) أ: أملت به.

(١) يقول المؤلف في المواسم: 42: «وأما المرآة فلا يصح التمثيل بها في هذه القضية، وأنا أعلم بسرهم فيها واعتقادهم في حقيقتها، فإنهم بنوها على أن الإدراك فيها إنما يكون بانعكاس الأشعة على زوايا في مرايا، وذلك مذكور في كتب المناظر وخاصة المنسوبة إلى ابن الهيثم». قلت: ابن الهيثم هو أبو علي الحسن بن الحسن (354 - 430) وهو من أعظم علماء الطبيعة المسلمين والباحثين الأفاضل في البصريات واشتهر في الكتب اللاتينية باسم AVENATINI انظر: دائرة المعارف الفرنسية 811/3 (ط. الثانية: باريز) وعيون الأنبياء لابن أبي أصيبعة: 140/3، وكتاب المناظر يحتوي على سبع مقالات وهو من أهم كتبه، وكان المرجع المعتمد عند أهل أوروبا حتى القرن 16 للميلاد وترجم إلى لغات عديدة، ويوجد مخطوطاً بمكتبة الفاتح بإستانبول رقم: 3213 - 3216، وفي آيا صوفيا رقم: 2448.

(٢) يحسن بنا في هذه التعليقة أن نقل كلام الفيلسوف «ابن سينا» في مثل هذا الموضوع الخطير، فإنه سيساعد - بإذن الله - على توضيح فكرة الفلاسفة حول الرياضة والمجاهدة ثم الاتصال بالملكوت والتي أثرت تأثيراً قوياً على المتصوفة منذ القدم إلى يومنا هذا، يقول ابن سينا:
«... والعارفون المنزهون إذا وضع عنهم مقارنة البدن، وانفكوا عن الشواغل، خلصوا إلى عالم =

وَأَنخَذَ بِهِ رُومَةً مِّنَ الصُّوفِيَّةِ⁽¹⁾، فِيهِ نَظَرٌ مِّنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

النَّظَرُ الْأَوَّلُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي قَالُوهُ مِنْ طَلَبِ تَصْفِيَةِ الْقَلْبِ وَتَطْهِيرِهِ، إِلَى قَوْلِهِمْ: «صَفَا قَلْبُهُ»، كَلَامٌ صَحِيحٌ مُّوَافِقٌ لِلشَّرِيعَةِ لَا دَرَكَ فِيهِ. وَقَوْلُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ: «إِنَّهُ إِذَا صَفَا قَلْبُهُ تَجَلَّتْ فِيهِ الْمَعْلُومَاتُ» خَطَأٌ بَحْتٌ^(١)،

(١) بهامش أ: البحث الخالص.

= القدس والسعادة، وانتعشوا بالكمال الأعلى وحصلت لهم اللذة العليا... ثم إنه (أي الفيلسوف العارف) إذا بلغت به الرياضة والإرادة حداً ما، عنت له خلصات من نور الحق عليه،... ثم إنه ليتوغل في ذلك حتى يغشاها غير الارتياض... يكاد يرى الحق في كل شيء... ثم لتبلغ به الرياضة مبلغاً يتقلب له وقته سكيناً، فيصير المخطوف مألوفاً، والوميض شهاباً، وتحصل له معارف مستقرة، كأنها صلبة مستمرة، ويستمتع بها بيهجته... «الإشارات والتنبيهات: 198 (ط: د. دنيا: 1957) وانظر مثل هذا الكلام: الفارابي: آراء المدينة الفاضلة: 112 (ط: الكاثوليكية: 79).

(1) وعلى رأسهم حجة الإسلام الغزالي كما ذكر المؤلف في العواصم: 31، حيث أورد نفس القول - مع اختلاف في اللفظ سير - وزعم أن الغزالي قاله بلفظه وَكَبَّهُ لَهُ بخطه أيام لقائه ببغداد في جمادي الآخرة سنة 490، ولمعرفة رأي الغزالي انظر الإحياء: 12/1، وقانون التأويل: 245 (ط: الجندي) له، وكيمياء السعادة: 516 - 517.

وقد تعقب ابن تيمية كلام الغزالي فقال: «وما يوجد في كلام أبي حامد وغيره من أن أهل الرياضة وتصفية القلب وتركية النفس بالأخلاق المحمودة قد يعلمون حقائق ما أخبرت به الأنبياء من الإيمان بالله والملائكة والكتب والنبيين واليوم الآخر ومعرفة الجن والشياطين بدون توسط خبر الأنبياء، هو بناء على هذا الأصل الفاسد، وهو أنهم إذ صَفَّوْا نفوسهم نزل على قلوبهم ذلك، إما من جهة العقل الفعال أو غيره، وأبو حامد يكثر ذكر هذا، وهو مما أنكره عليه المسلمون وقالوا فيه أقوالاً غليظة بهذا السبب الذي أسقط فيه توسط الأنبياء في الأمور الخيرية... ولهذا قالوا: كلامه يقدر في الإيمان بالأنبياء»، الرد على المنطقيين: 509 - 510.

قلت: ويرى ابن تيمية أن كثيراً من الصوفية كمحيي الدين بن العربي (ت: 638) وصدر الدين القونوي (ت: 673) وعفيف الدين التلمساني (ت: 690) وغيرهم قد بنوا أصولهم الفكرية والعقدية على أصول الفلاسفة ومناهجهم، ولكنهم غَيَّرُوا عباراتهم فأخذوا عبارات المسلمين الموجودة في كلام الله ورسوله ﷺ وسلف الأمة وعلمائها وعُبادِها وَمَنْ دخل في هؤلاء من الصوفية المتبعين للكتاب والسنة كالفضيل بن عياض (ت: 178) ومعروف الكرخي (ت: 200)، والجنيد البغدادي (ت: 297) وغيرهم. أخذوا معاني أولئك الملاحدة فعبروا عنها بالعبارات الموجودة في كلام من هو معظم عند المسلمين، فيظن من سمع ذلك أن أولئك المعظمين إنما عنوا بهذه العبارات الموجودة في كلامهم ما أرادوه هؤلاء الملحدون، وهكذا وقع الخلط وعظم الخطب ووقع المسلمون في مكائد الشيطان، فلا حول ولا قوة إلا بالله. انظر: الرد على المنطقيين: 281، 488.

وَدَعَوَى عَرِيضَةً لَا بُرْهَانَ عَلَيْهَا مِنَ الْعَقْلِ ، وَلَا مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ (1) .

وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزاً لَوْ فَعَلَهُ الْبَارِي - سُبْحَانَهُ - وَدَلَّ عَلَيْهِ ، وَأَخْبَرَ عَنْهُ ، فَلَا مَعْنَى لِإِنْكَارِهِ جُمْلَةً ، وَهَذَا التَّقْصِيرُ هُوَ الَّذِي يَزِلُّ فِيهِ الْمُدَّعُونَ لِلْعِلْمِ ، فَإِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ لِحَرْفٍ فِيهِ مَزْجٌ مِنَ الْبَاطِلِ (1) ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَهُمَا وَيُخْلَصَ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ ، وَالْإِنْصَافُ دِينٌ .

النَّظَرُ الثَّانِي : هُوَ أَنَّ الصُّوفِيَّةَ لَمَّا وَجَدَتْ كَلَامَهُمْ (2) إِلَى قَوْلِهِ : « صَفَا قَلْبُهُ » سَلِيمًا ، تَرَكَتْ مَا بَعْدَهُ وَرَكِبَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ : « صَفَا قَلْبُهُ فَيَتَفَكَّرُ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَالْآلَاءِ حَتَّى تَتَكَشَّفَ لَهُ أَسْرَارُهَا » .

فَقَوْلُهُمْ : « فَيَتَفَكَّرُ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ وَالْآلَاءِ » صَحِيحٌ ، وَهُوَ النَّظَرُ الْمُفْضِي - بِشُرُوطِهِ - إِلَى الْعِلْمِ ، وَكَانَهُمْ أَرَادُوا أَنَّ سُلُوكَ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - بِالنَّظَرِ فِي الْآلَاءِ وَالتَّفَكُّرِ فِي مَلَكُوتِ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ لِيُوصَلَ إِلَيْهِ ، وَيَقِفَ بِالنَّظَرِ عِنْدَهُ ، لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْمُتَّقِينَ ، فَأَمَّا الْمُذْنِبُونَ الْمُتَهَمِّكُونَ فِي الشَّهَوَاتِ ، الْمُقْبِلُونَ عَلَى الدُّنْيَا ، فَلَيْسُوا فِي جُمْلَةِ السَّالِكِينَ ، وَلَا يَعُدُّونَهُمْ - بِمَا حَصَلَ عِنْدَهُمْ - مِنْ جُمْلَةِ الْعَالَمِينَ بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ - .

وَهَذَا أَيْضاً كَلَامٌ صَحِيحٌ ، فَقَدْ نَفَتْ ظَوَاهِرُ الشَّرِيعَةِ عَنِ الْعَاصِي الْإِيمَانَ

(1) ب : مزج به من الباطل .

(1) قال المؤلف في العواصم : 22 - 23 ما نصه : لا ينكر أحد من الإسلاميين لا من الفقهاء ولا من المتكلمين أن صفاء القلب وطهارته مقصود شرعي ، وإنما المستنكر أن صفاءه يوجب تجلّي العلوم فيه بذاته .

(2) أي كلام الفلاسفة .

وَالْعِلْمَ فِي الْإِطْلَاقِ، كَمَا نَفَعْتُهُ عَنِ الْكَافِرِ أَيْضاً فِي الْإِطْلَاقِ، وَهَذَا الْقَوْلُ بِإِطْلَاقِهِ لَا يَرُدُّهُ ظَاهِرُ الشَّرْعِ، وَلَكِنْ يَفْتَقِرُ إِلَى مَزِيدٍ تَحْقِيقِيٍّ.

النَّظَرُ الثَّالِثُ: قَوْلُهُمْ: «حَتَّى تَنْكَشِفَ لَهُ أَسْرَارُهَا» فَيَنْبَغِي أَنْ يُكَاشَفُوا عَنْ هَذَا السِّرِّ، وَلَهُمْ فِيهِ ثَلَاثُ (١) طُرُقٍ:

الطَّرِيقَةُ الْأُولَى: أَنْ يَقُولُوا: هُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَأَيَّاتِ الْأَفَاقِ وَالسَّمَوَاتِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْأَنْثَارِ الْعُلَوِّيَّةِ، وَأَقْسَامِ الْمَوْجُودَاتِ وَكَيْفِيَّةِ وُجُودِهَا وَارْتِبَاطِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - وَمَعْرِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْحَشْرِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْجِنِّ، وَتَحْقِيقِ أَنَّ مَا سَبَقَ إِلَى أَفْهَامِ الْعَامَّةِ مِنْ (٢) أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي مَكَانٍ، وَمَا اسْتَقْدَوْهُ فِي أَحْوَالِ الْآخِرَةِ، هَلْ هِيَ خَيَالَاتٌ؟ أَوْ لَهَا مَعَانٍ (٣) سِوَى الْمَفْهُومِ؟ وَهَذَا قَوْلٌ خُلِفَ.

أَمَّا مَعْرِفَةُ اللَّهِ - تَعَالَى - : فَهِيَ بِالتَّفَكُّرِ فِي آيَاتِهِ.

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ الْأَنْبِيَاءِ: فَإِنَّهَا تَقَعُ بِمُعْجَزَاتِهِمْ.

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ الْمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِينِ: فَلَا سَبِيلَ لِدُخُولِ دَلِيلِ الْعَقْلِ فِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ بِالشَّرْعِ، لِأَنَّ طَرِيقَةَ الْحَبَرِ.

وَأَمَّا حَقَائِقُهُمْ: فَإِنَّهُمْ أَجْسَامٌ خَلَقَهُمُ اللَّهُ عَلَى صِفَةٍ يَتَأَتَّى مَعَهَا التَّصَوُّرُ فِي الْهَيْئَاتِ، كَمَا خَلَقْنَا عَلَى هَيْئَةٍ يَتَأَتَّى لَنَا بِهَا التَّصَرُّفُ (٤) فِي الْحَرَكَاتِ.

(١) أ: ثلاثة.

(٢) من: ساقطة من: أ.

(٣) ب: معاني.

(٤) ب: التصور، واستدرك المخطأ في الهامش.

وَأَمَّا آيَاتُ الْآفَاقِ: فَهِيَ دَحْوُ^(١) الْأَرْضِ، وَتَبَايُنُ مَنَاقِبِهَا، وَإِرْسَاؤُهَا بِالْجِبَالِ، وَاتِّسَاعُ الْقِفَارِ بِهَا، وَاخْتِصَاصُ بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ بِمَا خُصَّتْ بِهِ مِنْ مَنَفَعَةٍ أَوْ حَالَةٍ.

وَقِيلَ آيَاتُ الْآفَاقِ: اخْتِلَافُ الدُّوَلِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا طَرِيقُهُ مَعْلُومٌ لِلْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ.

وَأَمَّا السَّمَاءُ: فَمَعْلُومٌ أَنَّهَا أَجْسَامٌ^(٢)، وَكَذَلِكَ الْأَرْضُ.

وَأَمَّا الْكَوَاكِبُ: فَهِيَ أَجْسَامٌ نُورِيَّةٌ مُشَاهِدَةٌ.

وَأَمَّا مَسِيرُهَا^(٣) وَتَصَرُّفُهَا فِي أَفْلَاكِهَا: فَيُعْلَمُ مُشَاهَدَةً لِلْأَنْبِيَاءِ، أَوْ بِالْحِسَابِ^(٤) فِي جُزْءٍ يَسِيرٍ مِنْهَا، لَا بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ.

وَأَمَّا الْأَثَارُ الْعُلَوِيَّةُ: فَإِنْ أَرَادُوا بِهِ الْغَيْثَ وَالسَّحَابَ وَالرَّعْدَ وَالْبُرْقَ، فَذَلِكَ كُلُّهُ مُشَاهَدٌ مُحْسُوسٌ، وَإِنْ أَرَادُوا كَيْفِيَّةَ نَشْأَتِهِ وَصِفَةَ سِيَاقِ وُجُودِهِ، وَكَوْنَهُ فِي السَّحَابِ وَصَوْنَهُ حَتَّى يَقَعَ عَلَيْنَا، فَلَا يُعْلَمُ ذَلِكَ بِذَلِيلِ الْعَقْلِ، وَإِنَّمَا طَرِيقُهُ الْخَبَرُ يَعْلَمُ ذَلِكَ قَطْعًا، وَقَدْ بَيَّنَّاهُ فِي كُتُبِ «الْأُصُولِ».

وَمَا جَرَى فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ مِنْ اسْتِمْدَادِ السَّحَابِ مِنَ الْبَحْرِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا تَلَفَّفَتْهُ مِنْ أَقْوَالِ الْعَامَّةِ الْجَارِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ بِمَا سَمِعَتْهُ مِنْ سَوَاقِطِ كَلَامِ الْأَوَائِلِ^(١).

(١) ب: دوح، واستدرك الخطأ في الهامش.

(٢) ب: جسم.

(٣) ب: مصيرها.

(٤) أ: وبالْحِسَابِ.

(١) انظر في هذه المسألة الرازي في مفاتيح الغيب: 29/19، 13/24، وأبو العباس التيفاشي في سرور =

وَعَجَبًا مِمَّنْ يَأْخُذُ الْحَقَائِقَ مِنَ الْأَشْعَارِ، أَوْ مِنْ مُتَرَدِّدِ الْأَلْسِنَةِ الْعَامِيَّةِ بِالْأَثَارِ.
وَأَمَّا أَقْسَامُ الْمَوْجُودَاتِ: فَمِنْهُ مَا يُعْلَمُ بِالمُشَاهَدَةِ، وَمِنْهُ مَا يُعْلَمُ بِالنَّظَرِ، وَمِنْهُ
مَا يُعْلَمُ بِالخَبَرِ.

وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ ارْتِبَاطِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ حَتَّى تَصِلَ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى -، فَمِنْهُ مَا (١)
يُعْلَمُ بِالمُشَاهَدَةِ وَبِالنَّظَرِ وَبِالخَبَرِ، وَلَيْسَتْ الطَّاعَاتُ إِلَيْهِ طَرِيقًا وَلَا شَرْطًا، بَلْ
يَحْصُلُ ذَلِكَ كُلُّهُ دُونَهَا.

فَإِنْ أَرَادُوا أَنَّ صَفَاءَ الْقُلُوبِ يَكْشِفُ هَذِهِ الْعُلُومَ فَبَاطِلٌ قَطْعًا.

وَإِنْ أَرَادُوا أَنَّ الْفِكْرَةَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ وَالْآيَاتِ يُوصِّلُ إِلَيْهَا فَبَاطِلٌ أَيْضًا قَطْعًا،
وَمَا (٢) أَعْلَمَنِي بِمَا يَحُومُونَ حَوْلَهُ وَيَسْفُونَ عَلَيْهِ.

الطَّرِيقَةُ الثَّانِيَّةُ:

قَوْلُهُمْ: «وَتَحْقِيقُ مَا سَبَقَ مِمَّا تَخَيَّلْتَهُ الْعَوَامُ...» كَمَا سَرَدْنَاهُ عَلَيْكُمْ (٣)،
وَلَيْسَ يَخْفَى أَنَّ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الْبَارِيَّ يَحْوِيهِ مَكَانٌ أَوْ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ زَمَانٌ، بَاطِلٌ
بِالْأَدَلَّةِ الْمَعْلُومَةِ فِيهِ، الْقَاطِعَةِ عَلَيْهِ، وَقَدْ كُفِينَا شَأْنَهُ مَعَهُمْ (٤).

وَأَمَّا (٥) مَنْ اعْتَقَدَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَنَّهَا خَيَالَاتٌ وَتَمَثُّلَاتٌ، فَلَا يَخْلُو أَنَّ يُرِيدُ

(١) ب: غير واضحة في الأصل، واستدرك النقص في الهامش.

(٢) ب: لا.

(٣) أ: وأما.

(٤) أ: عنهم.

= النفس بمدارك الحواس الخمس: 290، ورسالة «الآثار العلوية» ضمن مجموع رسائل إخوان الصفا: 62/2، ورسائل الكندي: أ- في العلة التي لها تكون بعض المواضع لا تكاد تمر: 70 ب- في علة كون الضباب: 76، ج- في علة الثلج والبرد والبرق والصواعق والرعد والزمهرير: 79. (جمع وتحقيق د. محمد عبد الهادي أبو ريدة).

(1) انظر: المتوسط: 20.

بِهِ أَنَّهُ لَا مَعْنَى لَهَا، وَلَا حَقِيقَةً وَرَاءَهَا، فَهَذَا مَذْهَبُ النَّصَارَى وَالْفَلَاسِفَةِ (١) وَهُوَ بَاطِلٌ قَطْعاً، لِأَنَّ فِيهِ تَكْذِيبَ الرُّسُلِ، وَالْحُكْمَ عَلَيْهِمْ بِالِاسْتِخْفَافِ بِالنَّاسِ وَالتَّغْرِيرِ بِهِمْ (٢).

وَأَمَّا مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ لَهَا مَعَانِي (٣) سِوَى الْمَفْهُومِ مِنْهَا، فَهُوَ عُذُولٌ عَنِ الظَّاهِرِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، وَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَنْهُ مِنَ الْبُعْثِ وَالْحَشْرِ، وَالصِّرَاطِ وَالْحَوْضِ، وَالْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَالنَّارِ وَعَذَابِهَا، كُلُّ ذَلِكَ مُمَكِّنٌ فِي الْقُدْرَةِ، فَلَا يَشَيْءٌ يَرُدُّ ظَاهِرُهُ، وَإِنَّمَا يُطْلَبُ تَأْوِيلُ الْخَبَرِ إِذَا عَارَضَ ظَاهِرُهُ دَلِيلٌ مِنَ الْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَهَذَا يَبَيِّنُ لَكُمْ بِتَبَعِ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرِدْ مِنْهَا شَيْءٌ يَرُدُّ ظَاهِرُهُ الْعَقْلَ حَتَّى يُفْتَقَرَ فِيهِ إِلَى تَأْوِيلٍ.

فَإِنْ قِيلَ: بَلْ (٣) قَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ مَا يَعْتَرِضُ عَلَى الْعَقْلِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ

(١) بهم: ساقطة من: أ.

(٢) أ: معنى.

(٣) بل: ساقطة من: أ.

(١) يذهب الفلاسفة إلى أن ما ورد في الشرع من الصور الحسية والتمثيل بالمحسوسات، القصد بها ضرب الأمثال، لقصور الأفهام عن درك هذه اللذات العقلية، ومن ثم فقد مثل الشرع للبشر ما يفهمون، مقرباً ما لا يفهمونه إلى أفهامهم بالتشبيه والتمثيل، يقول ابن سينا في كتابه «رسالة أضحوية في أمر المعاد»: «... أما أمر الشرع فينبغي أن يعلم فيه قانون واحد، وهو أن الشرع والملل الآتية على لسان نبي من الأنبياء يرام بها خطاب الجمهور كافة»: 44، ويقول عمّا ورد في الشرع من أمور الآخرة: «... بل التعبير عنها بوجوه من التمثيلات المقربة إلى الأفهام». ويقول في كتابه «النجاة»: القسم الثاني: 298 (ط: السعادة: 1938):

«(إن النفس) تتخيل جميع ما كانت اعتقدته من الأحوال الأخروية، وتكون الآلة التي يمكنها بها التخيل شيئاً من الأجرام السماوية، فتشاهد جميع ما قيل لها في الدنيا من أحوال القبر والبعث والخيرات الأخروية، وتكون الأنفس الرديّة أيضاً تشاهد العقاب المصور لهم في الدنيا وتقاسيه...».

قلت: انظر في نقد هذه السخافات: الغزالي: تهافت الفلاسفة: 287، ابن تيمية: الرد على المنطقيين: 281.

مِنْ أَذْنَاهَا قَوْلُ الصَّادِقِ: «إِنَّ أَتْلَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَرَلَةً يُؤْتَى مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرُ أَمْثَالِهَا» (١) وَهَذَا بَعِيدٌ عَقْلاً.

قُلْنَا: مِنْ أَيِّ طَرِيقٍ يَبْعُدُ وَخَالِقُ الدُّنْيَا مَرَّةً يَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَهَا أَلْفَ مَرَّةٍ، وَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَحْوَجَ بَعْضَ الْأَشْيَاخِ إِلَى أَنْ يَقُولَ (٢) إِنَّهُ يُؤْتَى مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا قِيمَةً، كَمَا يُقَالُ: الْيَاقُوتَةُ عَشْرَةُ أَمْثَالِ الدُّنْيَا أَيُّ (٣): فِي الْقِيمَةِ وَإِنْ كَانَتْ أَقَلَّ مِنْهُ فِي الزَّوْنِ، وَالْمُخْبِرُ عَنْ ذَلِكَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَهَا عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا قِيمَةً وَزَوْناً وَمَسَاحَةً، وَخَلَقَهُ وَعَظَاوُهُ وَإِحْيَاؤُهُ وَإِمَاتَتُهُ وَمَنْعُهُ كَلَامٌ كُلُّهُ، إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ (٤): كُنْ فَيَكُونُ (٥)، بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا مَشْنُونَةٍ، وَلَا كُفْلَةٍ وَلَا مَعُونَةٍ، مَاذَا يَقِفُ عَلَيْهِ؟ أَوْ يَمْتَنِعُ مِنْهُ؟ وَقَدْ قَامَ الدَّلِيلُ الشَّرْعِيُّ عَلَى بُطْلَانِ هَذَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: «قَابُ قَوْسٍ أَحَدُكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، (*) وَالنَّصِيفُ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٦) (*) (٣).

فَإِذَا أُعْطِيَ عَشْرًا مِنَ الْحُورِ، أَوْ عَشْرًا مِنْ غَيْرِهِنَّ (٧)، فَقَدْ أُوتِيَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرًا، وَبِهَذَا الْقَدْرِ كَانَتْ الْمِنَّةُ تَقَعُ لِمَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ.

(١) فِي كَلَا الْأَصْلِينَ: رَايَ أَوْ زَايَ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتَ.

(٢) أ: قَالَ لَهُ.

(٣) مَا بَيْنَ النَجْمَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ: أ.

(٤) ب: حَمْرَهْنَ.

(١) نَحْوُهُ مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: 26/3 - 27 وَالبخاري في الرقائق: 146/8 والترمذي في أبواب صفة جهنم: 112/4 (ط: عبد الرحمن محمد عثمان) وابن ماجه في الزهد رقم: 4395 (ط: الأعظمي).

(٢) الْقَائِلُ هُوَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ، إِذْ صَرَحَ الْمُؤَلِّفُ فِي الْعَوَاصِمِ بِاسْمِهِ وَزَعَمَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَالَهُ لَهُ الْإِمَامُ، وَقَدْ تَوَسَّعَ الْمُؤَلِّفُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ انْظُرْ: الْعَوَاصِمُ: 333 - 335.

(٣) الْآيَةُ: 81 مِنْ «يَس».

(٤) نَحْوُهُ فِي الْبَخَارِيِّ كِتَابُ الْجِهَادِ: 145/8 - 146، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي أَبْوَابِ فَضَائِلِ الْجِهَادِ: 287/5 - 288 (تَحْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ).

صِيَهَاتٍ لَقَدْ عَظُمَتْ هَذِهِ وَدَلَّةٌ، وَكَأَنِّي بِمَنْ طَالَعَ شَيْئاً مِنْ عُلُومِ الْأَوَائِلِ إِذَا
بَلَغَ الْمُنْتَهَى، وَقَرَأَ كَلَامَنَا هَا هُنَا، رَوَى حَاجِبِيهِ تَقْبُضاً، أَوْ أَوْحَى بِشَفْتِيهِ (١) تَبَسُّماً،
فَإِنْ كَانَ عَنِّي رَاضِياً، أَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ عَالِماً قَالَ: دَاهَنَ فُلَانٌ، وَإِنْ كَانَ عَنِّي سَاطِطاً،
وَكُنْتُ مِنْهُ جَاهِلاً قَالَ: مَا أَجْهَلُ هَذَا الْإِنْسَانَ.

الْمُنْتَهَى:

لَأَنَا أَجَادِلُهُ بِالْحُجُجِ حِينَ عَجَزْتُ عَنْ عُقُوبَةِ الدُّنْيَا، وَأَقُولُ: يَعْلَمُ اللَّهُ وَتَشْهَدُ
لِي كُتُبِي وَمَسَائِلِي وَكَلَامِي مَعَ الْفِرَقِ، بِأَنِّي جِدْتُ بِصِيرٍ بِأَغْرَاضِ الْقَوْمِ وَمَقَاصِدِهِمْ،
فَإِنْ مَعْلَمِي (٢) كَانَ مُعَاوِلاً مِنْ فُحُولِهِمْ، عَظِيماً مِنْ عُظَمَائِهِمْ، وَتَالَلَّهِ إِنِّي كُنْتُ (٣)
مُحْتَشِماً لَهُ خَيْرَ رَاضٍ مِنْهُ، وَقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِ فِيمَا أُمَكَّنَ، وَاحْتَشَمْتُ جَانِبَهُ فِيمَا
تَبَسَّرَ، وَقَدْ كُنْتُ أَقْبِلُ عَلَى هَذَا الْمُنْكَرِ، وَأَتَّبِعُ الرَّدَّ عَلَى هَذَا الْمُعْتَرِضِ مِنْ جَمِيعِ
جَوَانِبِهِ، إِلَّا أَنَّهُ مَسْطُورٌ فِي سَائِرِ كُتُبِ الْعُلَمَاءِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ أَخْرُجَ عَنِ الْغَرَضِ
إِلَيْهِ (٣)، وَيَكْفِي مَا نَبَهْتُكُمْ مِنْهُ عَلَيْهِ.

الطَّرِيقَةُ الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُمْ «إِنَّ الْخَبَرَ وَإِنْ كَانَ وَرَدَ بِهِدِ الْمَعَانِي كُلُّهَا وَالْأَسْمَاءِ
بِجُمْلَتِهَا وَهِيَ مَحْمُولَةٌ عَلَى ظَاهِرِهَا، فَلَهَا عِبْرَةٌ (٤) إِلَى سِوَاهَا مِمَّا فِي مَعْنَاهَا».

وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّهُ يُمْنَعُ الْإِعْتِبَارُ بِالِافْتِكَارِ، وَالتَّجَاوُزُ بِالْدَّلِيلِ مِنْ نَظِيرٍ إِلَى

(١) أ: أوحى شفتيه، ب: أوحى بشفتيه.

(٢) ب: إني وإن كنت.

(٣) إليه: ساقطة من: أ.

(٤) ب: فلنا غيرها.

.....
(١) يقصد الإمام الغزالي.

نَظِيرٍ، وَهَذَا كَلَامٌ صَحِيحٌ لِلصُّوفِيَّةِ، وَعِلْمٌ بَدِيعٌ مِنْ عُلُومِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ غَلَا فِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ اقْتَصَدَ، وَلَكِنَّهُ مَعْرُوضٌ عَلَى قَوَانِينِ الشَّرِيعَةِ، فَمَا لَمْ يَعْتَرِضْ عَلَيْهَا، وَلَا قَادَ إِلَيْ مُنَاقَضَتِهَا، فَهُوَ صَحِيحٌ.

النَّظَرُ الثَّلَاثُ: هُوَ أَنَا نَقُولُ: قَدْ قَامَ الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى أَنَّ ^(١) الْعِلْمَ قَبْلَ الْعَمَلِ، كَمَا قَامَ الدَّلِيلُ الشَّرْعِيُّ عَلَى أَنَّ الْعَالِمَ بِاللَّهِ هُوَ الَّذِي لَا يَعْصِي، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر: 28).

فَكُلُّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْمَلَكُوتَ كُلَّهُ لِلَّهِ، وَأَنَّ بَدَنَهُ وَنَفْسَهُ مِنْ جُمْلَةِ مَلَكَوتِهِ، وَهُوَ مَلِكٌ لَهُ ^(٢)، لَمْ يَصْرِفْهُ إِلَّا بِأَمْرِهِ، فَإِنْ عَصَاهُ فَمَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَلَا تَحَقَّقَ مَا بَلَغَ إِلَيْهِ مِنْ تَحْذِيرِهِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ رَأَيْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُتَبَحِّرِينَ فِي الْفِقْهِ تَعْصِي؟

قُلْنَا: هَذَا الَّذِي حَصَلَ لَهُ نَوْعٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، لَا يَخْتَصُّ بِالْبَارِي - تَعَالَى - وَلَا يَرْتَقِي بِهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا، وَقَدْ يَتَنَبَّأُ أَنْ يُحْسِنَ فِيهِ النِّيَّةَ، فَيَكُونُ قُرْبَةً، لَكِنَّهُ دُونَ الْعِلْمِ الْأَفْضَلِ الَّذِي هُوَ مَعْرِفَةُ نَفْسِهِ وَرَبِّهِ بِدَوَامِ حُضُورِهِ فِي الْقَلْبِ، وَحُسْنِ الْحَالِ فِي اكْتِسَابِهِ كَمَا جَاءَ فِي بَيَانِهِ، وَالْمُسْتَغْلُ بِهَذَا الْعِلْمِ وَحْدَهُ مِنَ ^(٣) الْعَاكِفِينَ عَلَى الدُّنْيَا، الَّذِينَ لَمْ يَخْتَصُّوا بِالْمَوْلَى، فَذَلِكَ الَّذِي أَوْقَعَهُمْ فِي التَّرَخُّصِ بِالذُّنُوبِ، وَالتَّرَخُّصِ بِالْعُيُوبِ.

(١) إن: ساقطة من: أ.

(٢) ب: وهو أقدره ملك.

(٣) من: ساقطة من: أ.

فَإِنْ قِيلَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا، أَيْكُونُ^(١) جَاهِلًا؟ أَوْ تَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ كَمَا قَالَتْ فِرْقَةُ^(١)؟.

قُلْنَا: لَمَّا كَانَ هَذَا مَوْضِعَ إِشْكَالٍ عَلَى الْعَامَّةِ^(٢)، اضْطَرَبَتْ فِيهِ آرَاؤُهُمْ، وَقَدْ أوردْنَا تَحْقِيقَهُ بِالْغَايَةِ فِي كِتَابِ «الْمُشْكِلِينَ»، وَهَذِهِ نُكْتَةٌ مِنْهُ يَسِيرَةٌ بِحَسَبِ مَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا «الْقَانُونُ» وَهِيَ أَنَا نَقُولُ:

إِذَا وَقَعَ الْعَبْدُ الْمَعْصِيَةَ فَلَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ لَاهِيًا عَنِ الْوَعِيدِ أَوْ ذَاكِرًا لَهُ، فَإِذَا كَانَ لَاهِيًا عَنْهُ لَمْ يَحْضُرْهُ ذِكْرُهُ فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ^(٢)، وَمِمَّنْ آتَاهُ آيَاتِهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا، لِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُحْضَرَ ذِكْرُ^(٣) التَّحْرِيمِ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْعَظِيمِ، فَإِذَا لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ الذَّكَرَ لَهُ فَقَدْ أَرَادَ هَلَكَتَهُ، وَعَلَيْهِ إِنْهُمُ الذَّاكِرُ، لِأَنَّ أَمْرَهُ لَمْ يَكُنْ بِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ بِالْإِنْهَمَاكِ فِي أَسْبَابِ الْمَعَاصِي، وَالْإِكْبَابِ عَلَى الشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَةِ أَوَّلًا، ثُمَّ الْمُشْتَبِهَاتِ ثَانِيًا، ثُمَّ الْمُحَرَّمَاتِ الْمَحْضَةِ ثَالِثًا، ثُمَّ تَغْلِبُهُ الشَّهْوَةُ، وَتَجْرُهُ الْعَادَةُ، فَيَقَعُ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الْإِسْتِدْرَاجِ الَّتِي قَالَ فِيهِ سُبْحَانَهُ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القلم: 44).

(١) أ: يكون.

(٢) أ: الكافة.

(٣) أ: ذلك.

(1) وهم الخوارج إذ أجمعوا - كما قال الإسفراييني في التبصير في الدين - 46، والرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: 46 - على أن مرتكب الكبيرة كافر ومخلد في النار، انظر: الأشعري مقالات الإسلاميين: 168/1، الشهرستاني: الملل والنحل: 119، والواقع أن الباحث الذي يدرس مقالات كتاب الفرق عن آراء الخوارج، دراسة مقارنة مع آرائهم كما هي في كتبهم يرى أن الخوارج لم يُجْمِعُوا صراحةً إلا على إكفار علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل أما ما عدا ذلك فقد اختلفت فرق الخوارج فيه اختلافًا كثيرًا.

(2) الآية 19 من «الحشر».

فَتَذَكَّرُ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ، وَتُرَكَّبُ عَلَيْهِ اسْتِدْرَاجُ الْكُفَّارِ، وَتَمِّمُهُ وَاسْتَوْفِهِ.
وَأَمَّا إِنْ كَانَ ذَاكِرًا، وَحَضَرَتِ الْمَعْصِيَةُ، وَحَضَرَ ذِكْرُ الْمُحَرَّمِ وَالتَّحْرِيمِ
وَعُقُوبَتِهِ، وَصِدَقَ الْمُخْبِرُ بِالْعُقُوبَةِ فِي خَبَرِهِ، وَقُدْرَتُهُ عَلَى إِنْفَازِ حُكْمِهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ
يَكْفَى عَنِ الْإِقْدَامِ، أَوْ يَدْخُلَهُ الشُّكُّ فِي وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ أَوْ مَا يَرْتَبِطُ بِهَا، فَإِنْ
دَاخَلَهُ (١) شُكٌّ فَهُوَ كَافِرٌ.

وَإِنْ قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي تَكْذِيبٌ، وَإِنَّمَا عِنْدِي تَسْوِيفٌ، أَقْضِي شَهَوَاتِي،
وَأَنْتَظِرُ تَوْبَتِي، أَوْ تُسَعِّفَنِي رَحْمَةُ رَبِّي، فَهَذَا مَغْرُورٌ، وَهُوَ أَحَدُ أَقْسَامِ الْمَغْرُورِينَ،
بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ بِحَقِّ الطَّاعَةِ بِمَلَاذِمَتِهَا، وَيَعْصِيَ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ دَائِمًا،
فَيُرْشِدُ اللَّهُ أَقْوَالَهُ وَيُسَدِّدُ أَعْمَالَهُ، وَالْخَيْرُ إِلَى الْخَيْرِ وَلَايَةُ، وَالشَّرُّ إِلَى الشَّرِّ غَوَايَةُ،
وَاتَّبَاعُ الشَّهَوَاتِ عَمَايَةُ، وَالْعِفَّةُ هِدَايَةُ، وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (١).

فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْعُلُومَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِالنَّظَرِ، وَأَنَّ الْقَلْبَ الصَّافِيَ - مِنْ كَدُورَاتِ
الْمَعَاصِي شَرْطُ لِبَقَائِهَا وَاتِّصَالِهَا، وَأَنَّ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ عِلْمَهُ، أَيُّ: أَبْقَى لَهُ مَا عَلِمَ (٢)،
أَوْ نَفَعَهُ بِهِ، فَإِنْ مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ كَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ، بَلْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، عَلَى أَنَّ
أَرْبَابَ الظَّاهِرِ (٣) مِنَ الْفُقَهَاءِ قَالُوا: إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ، وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: 281) (٢). مَعْنَاهُ: كَيْفَ تَتَّقُوهُ، فَإِنْ

(١) ب: دخله.

(٢) أ: عرف، واستدرك الخطأ فوق الكلمة نفسها.

(٣) أ: الظواهر.

(1) الآية: 72 من الإسراء.

(2) أعتقد - والله أعلم - أن ابن العربي لم يوفق في رأيه هذا، فحماسه الشديد في النكير على الغزالي =

الآيَةُ هِيَ آيَةُ الدِّينِ فَبَصَّرَهُمْ أَحْكَامَهَا، وَأَمَرَهُمْ بِامْتِنَالِهَا، وَحَذَّرَهُمْ عَنْ مُخَالَفَتِهَا،
مَعَ مَا سَبَقَ مِنَ الرَّبِّ^(١) قَبْلَهَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ يَعْنِي: مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ
﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (البقرة: 282) فِي اجْتِنَابِ مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ
﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ مَا تَفْعَلُونَ وَمَا تَتْرَكُونَ^(١).

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُمْ إِذَا أَكَلُوا الرَّبَّ عَزَبَتْ أَحْلَامُهُمْ، وَاسْتَرْسَلَتْ أَفْعَالُهُمْ،
وَتَحَيَّرُوا ﴿كَالَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(٢).

(١) أ: من أمر الربا.

(٢) عن: ساقطة من: أ.

= ومن اعتقد مذهبه من الفيضيين والإشراقين، قد أدَّى به إلى المغالاة في إنكار ما هو معلوم ومُسلَّم
لدى علماء السنة من أن تقوى الله عزَّ وجلَّ سبب من جملة الأسباب التي تساعد على تحصيل العلم
والمعرفة، ويبدو أن ابن تيمية قد اطلع على مقالة ابن العربي هذه فرد عليه وعلى من ارتضى مذهبه
قائلاً:

«وقد أنكر عليه (أي على الغزالي) طائفة من أهل الكلام والرأي مما قاله من الحق، وزعموا أن
طريق الرياضة وتصفية القلب لا تؤثر في حصول العلم، وأخطؤوا أيضاً في هذا النفي، بل الحق أن
التقوى وتصفية القلب من أعظم الأسباب على نيل العلم» الرد على المنطقيين: 511.
وقال في موضع آخر: «وأما العلم اللدني فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده
الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم لما يحبه، ما لا يفتح به على غيرهم...» رسالة
«في علم الظاهر والباطن» ضمن مجموعة الرسائل المنيرية: 237/1.

(1) لم أعر على هذا القول المنسوب إلى الفقهاء في كتب التفسير التي استطعت الرجوع إليها.

(2) الآية: 275 من «البقرة».

ذِكْرُ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

فَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَالَّذِي عَلِمْتُهُ لَيْسَ بِصَفَاءِ قَلْبٍ مِنْهُمْ قَابِلُهُ مَقَرُّ الْعُلُومِ فَتَجَلَّتْ فِيهِ، وَإِنَّمَا يَتَوَصَّلُونَ^(١) إِلَى الْمَعْرِفَةِ بِتَعْلِيمِ جَبْرِيلَ، وَهُوَ الْمُعَلِّمُ الثَّانِي.

وَقَدْ فَضَلَتِ الْأَنْبِيَاءُ الْخَلِيقَةَ فِي عُلُومِهَا بِوَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ عِلِمُوا عِلْمَهُمْ ضَرُورَةً بِمَا شَاهَدُوا مِنَ الْمَلَكُوتِ وَأَطْلَعُوا عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ.

الثَّانِي: تَوَالِي الْأَدِلَّةِ عَلَيْهِمْ بِاتِّصَالِ الْمَعَارِفِ وَتَتَابُعِ الطَّاعَاتِ، وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَعَافَسَ أَهْلَهُ:

«إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»^(١) فَكَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ تِلْكَ الْفَتْرَةَ لَا يَجْبُرُهَا إِلَّا اسْتِغْفَارُهُ، وَهِيَ عِنْدَنَا نَحْنُ عِبَادَةٌ لِمَا فِيهَا لَنَا مِنَ الْعَوْنِ عَلَى الطَّاعَةِ، فَإِنَّ الرَّاحَةَ

(١) فِي النِّسَخَتَيْنِ: يَتَوَصَّلُونَ.

(١) جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الذِّكْرِ رَقْمُ: 2702، وَأَبُو دَاوُدَ فِي الصَّلَاةِ رَقْمُ 1515. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي جَامِعِ الْأَصُولِ: 386/4 فِي شَرْحٍ مَعْنَى «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي» أَي: لَيُغَطِّي وَيُغْشَى، وَالْمُرَادُ بِهِ: السَّهْوُ، لِأَنَّهُ كَانَ ﷺ لَا يَزَالُ فِي مَزِيدٍ مِنَ الذِّكْرِ وَالْقُرْبَةِ وَدَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ، فَإِذَا سَهِيَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، أَوْ نَسِيَ، عُدَّ ذَنْبًا عَلَى نَفْسِهِ فَفُزِعَ إِلَى الْإِسْتِغْفَارِ. انْظُرْ: ابْنُ سَلَامٍ: غَرِيبُ الْحَدِيثِ 136/1، الزَّمَخْشَرِيُّ الْفَائِقُ: 82/3، ابْنُ الْأَثِيرِ: النِّهَايَةُ: 403/3.

بَيْنَ الْعِبَادَتَيْنِ طَاعَةٌ لَنَا لِعَجْزِنَا عَنِ الْمُوَالَاةِ فِي الطَّاعَةِ، وَضَعْفُ أَبْدَانِنَا عَنْ تَوَالِي الْعِبَادَةِ، وَلِذَلِكَ نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ»⁽¹⁾.

وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»⁽²⁾.

فَأَمَّا نَحْنُ فَقَدْ دُعِينَا إِلَى النَّظَرِ وَالْإِعْتِبَارِ عَلَى مَنَاهِجِ مَشْرُوعَةٍ، وَنَحْنُ مَأْمُورُونَ بِهَا، فَسَنُقْصِدُ لَقَمَهَا فَهُوَ وَاصِلٌ، وَمَنْ حَادَّ عَنْهَا فَهُوَ نَاصِلٌ.

وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَهُمْ أَمْثَالُنَا فِي الْمَعْرِفَةِ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ وَاصِلُوا الطَّاعَةَ فَوَصَلُوا، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ مُوَاصَلَةَ الطَّاعَةِ سَبَبٌ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ.

تَكْمِلَةٌ:

وَلَا تَسْتَبِعِدْ عَلَى⁽¹⁾ الْقَوْمِ أَنْ يَضْرِبُوا الْأَمْثَالَ فِي كَلَامِهِمْ⁽²⁾ لِعُلُومِهِمْ بِالذُّرِّ فِي الْبَحَارِ وَأَنْوَاعِ الثَّمَارِ، فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ، وَخَلَقَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ زَوْجَيْنِ، وَخَاصَّةً صِنْفَ الثَّمَارِ، فَإِنَّهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

صِنْفُ⁽³⁾ يُؤْكَلُ كُلُّهُ، وَصِنْفُ يُؤْكَلُ دَاخِلُهُ، وَصِنْفُ يُؤْكَلُ خَارِجُهُ.

وَالَّذِي يُؤْكَلُ بَاطِنُهُ مِنْهُ مَا لَهُ ظَاهِرَانِ:

(1) أ: عن.

(2) أ: لكلامهم.

(3) أ: قسم.

(1) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى البزار والبيهقي، وقال عنه شيخنا ناصر الدين الألباني: حديث حسن، انظر: صحيح الجامع الصغير: 256/2.

(2) هذا بعض حديث رواه البخاري في التهجد: 279/3، ومسلم في صلاة المسافرين رقم: 785، والموطأ في صلاة الليل 118/1، والنسائي في صلاة الليل: 218/3. وعلق ابن العربي على هذا الحديث فقال: «المعنى فيه لا يترك ثوابكم حتى تتركوا العمل، وهي عبارة بديعة»، قانون الأسكريال: 32/أ، وانظر: المتوسط: 19.

أَحَدُهُمَا: وَسَطُ بَيْنِ الظَّاهِرِ الْأَظْهَرِ^(١)، وَبَيْنِ الْبَاطِنِ الْأَبْطَنِ، فَأَيُّ مَانِعٍ مِنْ
أَنْ يُقَالَ: إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَكُونُ عَلَى ثَلَاثِ^(٢) مَرَاتِبَ بَعْضُهَا أَجْلَى مِنْ بَعْضٍ،
وَهِيَ دَرَجَاتٌ تَمْثِيلًا.

وَكَذَلِكَ الْبَحْرُ فِيهِ مَنَافِعٌ، وَيَنْطَوِي عَلَى جَوَاهِرٍ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مُتَعَلِّقٌ
بِالْقُدْرَةِ، وَحَظٌّ مِنَ الْحِكْمَةِ.

وَضَرَبُ الْأَمْثَالِ جَائِزٌ، كَمَا ضَرَبَهَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، وَوَكَّلَ الْمَلَكَ بِضَرْبِهَا
أَيْضًا فِي الْمَنَامِ.

وَنَحْنُ نَذْكُرُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنْهَا مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْغَرَضِ، وَيَكُونُ عَوْنًا
عَلَى مَا يَعْنُ مِنْ ذَلِكَ وَيَعْرِضُ، بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ.

(١) أ: والأظهر، وعُلمَ على الواو بعلامة الخطأ.
(٢) ب: ثلاثة.

ذِكْرُ حِكْمَةِ الْأَمْثَالِ (١)

لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يُدْرِكُ حَقِيقَةَ الْأَمْثَالِ ، وَلَا يَنَالُ رُبَّةَ التَّشَاكُلِ وَالْمِثَالِ (٢) ،
عَلَى وَجْهِ تَصْدِيقِ اللَّهِ لِهَذَا الْمَقَالِ ، كَمَا أَخْبَرَ وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ، حِينَ قَالَ
سُبْحَانَهُ : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾
(العنكبوت : 43) .

وَلَا يُصْغِي إِلَيْهَا كُلُّ نَفُورِ الْقَلْبِ نَكُودِ الْحَالِ ، وَالَّذِي تَضَمَّنَتْ مِنَ الْحِكْمَةِ
كَثِيرٌ ، يَكْفِيكُمْ مِنْهَا ظَاهِرٌ وَاحِدٌ وَبَاطِنٌ .

أَمَّا الْمَعْنَى الظَّاهِرُ : فَإِنَّ الْفَصَاحَةَ الْعَرَبِيَّةَ وَالْبَلَاغَةَ السَّلْيَقِيَّةَ ، وَهِيَ الَّتِي تَمَيَّزَ
بِهَا الْقُرْآنُ ، وَعَنْهَا وَصَلَتْ (٣) الْمَعَانِي إِلَى الْقُلُوبِ ، فَإِنَّ الْقَوْلَ إِذَا كَانَ بَدِيعَ النَّظْمِ
حَسَنَ الرِّصْفِ (٤) ، كَانَ أَلْوَطَ (٥) بِالنَّفْسِ ، وَأَسْرَعَ إِلَى الْقَبُولِ وَالْفَهْمِ ، وَبِهَذَا
كَانَتْ الْعَرَبُ تَتَبَالُغُ فِي خِطَابِهَا ، وَتَبَارَى فِي كَلَامِهَا ، فَجَاءَهُمُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا لَا
طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ وَإِنْ جَرَى (٦) فِي أَسَالِيهِمْ .

(١) أ : عنوان في الهامش : وجه ضرب الأمثال .

(٢) أ : الأمثال .

(٣) ب : وصلب ، واستدرك الخطأ في الهامش بكلمة : وصل .

(٤) ب : الوصف .

(٥) ب : الوطء ، واستدرك الخطأ في الهامش .

(٦) ب : جرة .

وَأَمَّا الْبَاطِنُ: فَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَ الْخَلْقَ كَيْفَ يَتَجَاوَزُونَ فِي الْعِبَرَةِ مِنَ
الْمُشَاهَدَةِ إِلَى الْغَيْبِ.

وَزَعَمَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ أَنَّ الْبَارِي - تَعَالَى - إِنَّمَا ضَرَبَ الْأَمْثَالَ فِي
الْمَنَامِ لِإِنْتِقَاشِ الْعُلُومِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ دُونَ الْكَشْفِ الصَّرِيحِ وَ«النَّاسُ
نِيَامٌ، فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا»⁽¹⁾ فَتَظْهَرُ لَهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ حَقَائِقُ كَانَتْ عِنْدَهُمْ مَشْرُوحَةً
بِالْأَمْثَالِ⁽²⁾، وَهَذِهِ نَزْعَةٌ فَلَسْفِيَّةٌ، وَأَغْرَاضٌ عَنِ الْحَقِّ قَصِيَّةٌ، بَلْ نَحْنُ الْآنَ فِي
حَقَائِقٍ وَاضِحَةٍ، وَأُمُورٍ عَبَّرَتْ عَنْهَا عِبَارَاتٌ لَاحِظَةٌ، وَقَدْ بَيَّنَّا فَسَادَ هَذَا الْغَرَضِ⁽³⁾.

(1) قال ابن العربي في العواصم: 16 معلقاً على هذا الأثر: «وهذا الحديث ليس له أصل في الدين، ولا يدخل في منزلة من منازل السقيم»، وقال في موضع آخر: 17 «وليس بخبر، وإنما هو مثل ضربه بعض الحكماء لِيُظْهِرُوا بِذَلِكَ فَضْلَ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا». وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: 442 «إنه من قول عليٍّ»، وقال شيخنا الألباني في «الأحاديث الضعيفة»: 137/1 رقم: 102: «لا أصل له» انظر: الزرقاني: مختصر المقاصد الحسنة: 205، ملا علي القاري: المصنوع في الحديث الموضوع: 199، والأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: 367، ابن الديبع: تمييز الطيب من الخبيث: 177، العجلوني: كشف الخفاء: 312/2.

(2) عبارة الغزالي في هذا المقام هي كالتالي: «إن النائم لم ينكشف له الغيب من اللوح المحفوظ إلا بالمثل دون الكشف الصريح، وذلك يعرفه من يعرف العلاقة الخفية التي بين عالم الملك والملكوت، ثم إذا عرفت ذلك، عرفت أنك في هذا العالم نائم وإن كنت مستيقظاً، فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، فينكشف لهم عند الانتباه بالموت حقائق ما سمعوه بالمثل...» جواهر القرآن: 31.

(3) في العواصم: 41.

ذَكَرُ نُمُودَجٍ مِنَ الْأَمْثَالِ تَمْهيداً لِمَا تَقَدَّمَ

مَثَلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة: 16).
فَضْرَبَ فِيهِ الْمَثَلَ لِأَرْبَعَةٍ بِأَرْبَعَةٍ^(١):

مُنافِقٌ، آمَنَ بِلِسَانِهِ، ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِ، وَبَقِيَ فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ.
بِأَرْبَعَةٍ: مُوقِدٌ لِلنَّارِ، أَطْفَأَ نَارَهُ^(٢) ضَعْفُهَا وَمَا هَبَّ عَلَيْهَا، فَوَقَعَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

فَالْمُنافِقُ فِي مُقَابَلَةِ الْمُوقِدِ، شَخْصاً بِشَخْصٍ، وَنَارُ الْمُوقِدِ الَّتِي اسْتَضَاءَ بِهَا، بِنُورِ الْمُنافِقِ الَّذِي اسْتَفَادَهُ مِنْ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ الْجَارِيَةِ عَلَى لِسَانِهِ فِي عِصْمَةِ مَالِهِ وَدَمِهِ، لَحِظَةً، ثُمَّ هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيحُ الْمَنِيَّةِ فَأَطْفَأَتْ ذَلِكَ النُّورَ وَوَقَعَ فِي ظُلْمَةِ الْكُفْرِ^(١).

(١) أ: بأربعة لأربعة.

(٢) ب: نوره.

(1) قارن بالقشيري في لطائف الإشارات: 65/1.

ذَكَرُ الْإِسْطِطْرَادِ مِنْ كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ فِي هَذَا الْغَرَضِ (١)

وَقَدْ زَادَ بَعْضُ النَّاسِ فِي هَذَا الْمَعْنَى صِلَةً لَهُ، وَهَذَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ (١):

حِينَ تَمَّ (٢) الْهَوَىٰ وَقُلْنَا سُرْرَنَا وَحَسِبْنَا مِنَ الْفِرَاقِ أَمْنًا
بَعَثَ الْبَيِّنُ رُسُلَهُ فِي خَفَاءٍ فَأَبَادُوا مِنْ شَمْلِنَا مَا جَمَعْنَا

وَرَكَّبَ مَعْنَى الْبَيِّنِينَ عَلَى حَالِ الْمُنَافِقِ الْمَذْكُورَةِ، وَهَذَا فَنٌّ مِنْ تَوَابِعِ التَّفْسِيرِ اعْتَنَتْ بِهِ الصُّوفِيَّةُ حَتَّى غَلَبَ فِي بِلَادِ الْمَشْرِقِ مِنْ تُرْكِسْتَانَ (٣) إِلَى الشَّامِ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى دَفْعِهِ، وَإِنَّمَا رَكَّبَتْهُ عَلَى مَذْهَبِهَا فِي أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فَإِنَّمَا هُوَ لِلَّهِ، فَصَدَّ ذَلِكَ صَاحِبَهُ أَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ، وَأَنَّ الْعِبَادَ أَقْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ لِلَّهِ - تَعَالَى - حَتَّى إِذَا قَالَ الْكَافِرُ: اللَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ - تَعَالَى (٤) - فَهَذَا الْقَوْلُ لِلَّهِ - تَعَالَى - خَلْقًا، وَعَلَى نَفْوِذِ إِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ دَلِيلًا، وَبِوَحْدَانِيَّتِهِ شَاهِدًا، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (٥)، يُسَبِّحُ الْجَمَادُ بِحَالِهِ، وَالْحَيُّ بِمَقَالِهِ، كَيْفَ مَا كَانَ مِنْ

(١) أ: الفن.

(١) هذان البيتان أوردهما القشيري في لطائف الإشارات: 66/1 ي ولم ينسبهما.

(٢) في لطائف الإشارات: قر.

(٣) تركستان اسم لجميع بلاد الترك، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان: 23/2 - 26.

(٤) انظر كتاب «ابن تيمية» (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) وكتاب الإمام ابن قيم الجوزية «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، وكتاب الجويني: «شفاء الغليل».

(٥) الآية: 44 من الإسراء.

إِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ، أَوْ صِدْقٍ أَوْ كَذِبٍ، لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ^(١) مِنْ ذَلِكَ عَنْ مُلْكِهِ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى غَيْرِهِ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ يَتَعَلَّقُ مِنَ التَّوْحِيدِ بِحَبْلِ، وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ بِوَجْهِ، فَإِنِّي لَا أَرَى لِأَحَدٍ أَنْ يَشْتَغِلَ بِهِ، فَإِنَّهُ فُضُولٌ، وَكَأَنَّ الشَّيْطَانَ قَصَدَ بِهِ الْقَطْعَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ بِمِقْدَارٍ يَرِبُحُ فِيهِ مِنَ الْعَبْدِ^(٢) الْإِنْتِقَالَ مِنْ كَلَامِ^(٣) اللَّهِ إِلَى كَلَامِ النَّاسِ، وَالشَّيْطَانُ بِفُسْقِهِ إِنْ قَدَّرَ أَنْ يَنْقُلَ الْعَبْدَ مِنْ طَاعَةٍ إِلَى مَعْصِيَةٍ فَعَلَ، فَإِنْ غَلَبَهُ، خَدَعَهُ بِأَنْ يَنْقُلَهُ عَنْ طَاعَةٍ إِلَى أَذْنَى مِنْهَا، فَيَرِبُحُ مَعَهُ ذَلِكَ الْمِقْدَارَ، وَأَكْثَرُ مَا يَحْفِلُ بِهَذَا الْوُعَاظُ لِاسْتِجْلَابِ قُلُوبِ الْعَوَامِّ وَاسْتِدْرَارِ خِلْفِ أُمُورِهِمْ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ كَبِيرِ الصُّوفِيَّةِ يَتَكَلَّمُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر: 29) وَقَدْ رَتَّبَ الْكَلَامَ وَسَاقَهُ أَحْسَنَ مَسَاقٍ فِي أَجْمَلِ نِظَامٍ، ثُمَّ جَعَلَ يَمَسِّحُ أَعْضَاءَهُ^(٤)، وَيَلْوِي أَطْرَافَهُ، حَتَّى رَكَّبَ عَلَيْهِ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

كِتَابِي إِلَيْكُمْ بَعْدَ مَوْتِي بَلِيلَةٌ وَلَمْ أَذْرِ أَنِّي بَعْدَ مَوْتِي أَكْتُبُ^(٥)

بِكَلَامِ^(٥) غَرِيبٍ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ لَسْتُ لَهُ، وَلَا أَنْتُمْ، فَأَعْرَضْنَا عَنْهُ.

(١) ب: بشيء.

(٢) ب: مع الغير.

(٣) ب: كتاب.

(٤) أ: أعطافه.

(٥) أ: كلام.

(1) أورده القشيري في لطائف الإشارات: 281/3 ولم ينسبه.

مَثَلُ قَوْلِهِ تَعَالَى
﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ . . . ﴾
الآية (إبراهيم : 26)

فَتِلْكَ الشَّجَرَةُ «أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ». فَضَرَبَ اللَّهُ الْمَثَلَ بِسَبْعَةِ لِسَبْعَةٍ^(١):

«الشَّجَرَةُ» لِلْإِيمَانِ.

وَأَصْلُهَا: لِلتَّوْحِيدِ.

وَتُبُوتهُ: اسْتِقْرَارُهُ فِي الْقَلْبِ حَتَّى لَا تَزْعِزَهُ رِيَّاحُ الشُّكُوكِ، وَلَا تُرْحِضَهُ أَذْنَانُ الْوَسَاوِسِ^(٢).

وَفَرْعُهَا: الْعَمَلُ.

وَسَمَاؤُهَا: ظُهُورُ الْعَمَلِ.

وَأَعْتِلَاؤُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١).

وَأَكْلُهَا: حَلَاوَةُ الطَّاعَةِ، وَالْحِينُ بِالْحِينِ^(٢).

(١) ب: لسبعة بسبعة.

(٢) ب: الوسواس.

(1) الآية: 10 من «فاطر».

(2) انظر ابن قيم الجوزية في «أمثال القرآن»: 37 - 41.

وَبَقِيَ مِمَّا لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ فِي الْمَثَلِ^(١)، أَوْرَاقِ الشَّجَرَةِ، وَمِثَالُهَا الْأَخْلَاقُ
الْجَمِيلَةُ لِلْعَبْدِ، فَإِنَّ الْوَرَقَ كَمَا يَسْتُرُ الشَّمَارَ وَيَحْجُبُهَا عَنِ الْأَفَاتِ حَتَّى تَتِمَّكَنَ مِنَ
الطَّيْبِ عَلَى قَدَرٍ، كَذَلِكَ الْأَخْلَاقُ الْجَمِيلَةُ^(٢) تَحْجُبُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ عَنْ أَسْبَابِ
الْمَعَاصِي.

وَقِيلَ: أَكَلُهَا ثَمَرَاتُ الْجَنَّةِ، وَهِيَ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ وَلَا ذَاتُ آفَةٍ.

ثُمَّ تَرْكَبُ عَلَيْهِ أَيْضًا وَتَقُولُ: وَالشَّجَرَةُ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ مَاءٍ يَسْقِيهَا لِتَدُومَ^(٣)
نَصَارَتُهَا، وَتَزِيدُ أَجْزَاؤُهَا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِهَا، فَتَطْلُبُ لَهُ نَظِيرًا مِنَ الدِّينِ.

ثُمَّ تَقُولُ: وَلِلشَّجَرَةِ آفَاتٌ، فَتُعَدُّ آفَاتِ الشَّجَرَةِ فِي أَصْلِهَا وَأَغْصَانِهَا
وَأَوْرَاقِهَا وَثَمَارِهَا، وَتَرْكَبُ عَلَيْهَا نَظِيرًا مِنَ الْمَعَاصِي بِحَسَبِ قُوَّتِكَ فِي الْعِلْمِ
وَوَعْيِكَ^(٤)، لِلْمَحْفُوظِ، فَإِنْ اتَّفَقَ عَالِمٌ يَجْتَمِعُ لَهُ الْحِفْظُ وَالْفَهْمُ، رَكَّبَ الدِّينَ كُلَّهُ
عَلَى هَذَا الْمَثَلِ عِلْمًا وَعَمَلًا.

وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ الْمَثَلَ بِهَذِهِ الشَّجَرَةِ^(١) فَقَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ
شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، مِثْلُهَا مِثْلُ الْمُؤْمِنِ^(٥)، خَبِّرُونِي مَا هِيَ^(٢)؟!».

(١) في المثل: ساقطة من أ.

(٢) ب: بعد كلمة «الجميلة» ثلاث كلمات عَلَّمَ عَلَيْهَا بِعَلَامَةِ الْخَطِّ.

(٣) ب: تدوم.

(٤) ب: ورعك.

(٥) أ: المسلم.

(١) وهي النخلة.

(٢) هذا جزء من حديث رواه - بالفاظ مختلفة - البخاري في العلم: 22/1، ومسلم في صفات المنافقين
رقم: 2811، والترمذي في الأدب رقم 2471، والإمام أحمد في المسند: 31/2، 61، 157.

وَذَكَرَ مِنَ التَّمَثِيلِ خِصَالاً، فَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ لِلْعَالِمِ الْحِفْظَ^(١)، رَكَّبَ أَحْوَالَ
الْمُؤْمِنِ عَلَى أَحْوَالِ الشَّجَرَةِ، وَرَاعَى^(٢) مُتَعَلِّقَاتِهَا فَجَاءَ بِجَمِيعِهَا، فَتَفَطَّنُوا لِضَمِّ
هَذَا النَّشْرِ فَإِنَّهُ يَسْتَعْرِقُ الْأَعْمَارَ لَا أَقُولُ الْعُمُرَ.

(١) أ: الحافظ.

(٢) أ: وراعاها.

مَثَلُ قَوْلِهِ تَعَالَى
﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ﴾
(الزمر : 28)

اختلفَ النَّاسُ فِي تَأْوِيلِهِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ (1) :
الْأَوَّلُ : أَنَّهُ مَثَلُ الْمُشْتَرِكِ فِيهِ ؛ الْكَافِرُ مَعَ الشَّيَاطِينِ (2) ، وَلِلْمُؤْمِنِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى .

الثَّانِي : أَنَّهُ مَثَلٌ لِلْكَافِرِ مَعَ الْأَصْنَامِ .
الثَّالِثُ : أَنَّهُ مَثَلٌ لِلصَّنَمِ تَدْعِيهِ جَمَاعَةٌ ، يَقُولُ هَذَا : أَنَا صَنَعْتُهُ ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : أَنَا جَلَبْتُهُ (3) .

الرَّابِعُ : أَنَّهُ مَثَلٌ لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَالشُّرَكَاءُ فِي الْبَاطِلِ هُوَ الْأَوْثَانُ ، وَالْمُؤْمِنُ اللَّهُ وَحْدَهُ فِي قَوْلٍ (4) .

(1) انظر كلام المؤلف حول هذا الموضوع في العواصم : 266 - 268 ففيه فوائد جلييلة ، كما ينبغي الإطلاع على أمثال القرآن : 53 لابن قيم الجوزية .

(2) هذا القول أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة رضي الله عنه . السيوطي : الدر المنثور : 224/7 (ط : دار الفكر 1983) .

(3) قارن بالقشيري في لطائف الإشارات : 279/3 ، فلا شك أن ابن العربي قد استفاد من إشارات الصوفية كثيراً .

(4) م ، ن : 280/5 .

زَادَت الصُّوفِيَّة فِيهِ (١) خَامِسًا وَهُوَ:

أَنَّ الْأَوَّلَ مَثَلٌ لِلْمُقْبِلِ عَلَى الدُّنْيَا الْمُشْتَغِلِ بِزُخْرُفِهَا وَطَلِبِهَا، وَالْعِيَالِ
وَمُؤْنَتِهِمْ، وَالْأَهْلِ وَلَدَّتِهِمْ، وَالْمُؤْمِنِ أَخْلَصَ لِلَّهِ خَفِيفُ الْحَاذِ، ذُو حَظٍّ مِنْ صَلَاةٍ
وَصِيَامٍ (١).

وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ قَرِيبَةٌ مِنْ رَسْمِ التَّفْسِيرِ.

وَفِي هَذَا الْمَثَلِ بَدِيعَةٌ مِنَ التَّوْحِيدِ وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - قَالَ: ﴿وَرَجُلًا
سَلَمًا﴾ (الزمر: 28) يَعْنِي بِهِ الْمُؤْمِنَ.

وَقَالَ «لِلرَّجُلِ» كِنَايَةً عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهُوَ الْعَظِيمُ الْمُبِينُ (٢)، كَيْفَ أَنْعَمَ
عَلَيْنَا، وَقَرَّبَ الْبَيَانَ لَنَا، حَتَّى كُنِيَ بِرَجُلٍ مُحَدِّثٍ مَخْلُوقٍ نَاقِصٍ، عَنْ قَدِيمٍ خَالِقٍ
عَظِيمٍ كَامِلٍ عَلَى سَبِيلِ الْبُلُوغِ إِلَى غَايَةِ الْبَيَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي
يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (البقرة: 243). وَلَا يَسْتَقْرِضُ إِلَّا مُحْتَاجٌ، وَهُوَ الْغَنِيُّ لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ (٢)، وَلِذَلِكَ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ مَعْنَاهُ «مَنْ ذَا الَّذِي
يُقْرِضُ عَبْدَ اللَّهِ الْفَقِيرَ» (٣).

وَلَيْسَ يُفْتَقَرُ إِلَى هَذَا التَّأْوِيلِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ رَدَّدَ هَذَا الْمَعْنَى فِي أُمَثِلَةٍ
كَثِيرَةٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ: عَبْدِي مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي، وَجَعْتُ فَلَمْ

(١) فِيهِ: سَاقِطَةٌ مِنْ أ.

(٢) ب: الْمَتِين.

(١) م، ن: 280/5، وَالِدَرِ الْمَثُور: 224/7 (ط: دَارُ الْفِكْرِ: 83)، وَمَعْنَى خَفِيفُ الْحَاذِ أَي: قَلِيلُ الْمَالِ
وَالْعِيَالِ.

(٢) الْآيَةُ: 68 مِنْ «يُونُس».

(٣) انْظُر: ابْنُ عَطِيَّة: الْمَحْرُورُ الْوَجِيز: 160/2 (ط: الْقَاهِرَةُ، 79)، الْقُرْطُبِيُّ: الْجَامِع: 237/3 - 243.

تُطْعِمْنِي، وَعَطَشْتُ فَلَمْ تَسْقِنِي، فَيَقُولُ: وَكَيْفَ تَجُوعُ وَتَمْرُضُ، وَتَعْطَشُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: مَرَضَ عَبْدِي فَلَانَ، وَجَاعَ عَبْدِي فَلَانَ، وَعَطَشَ عَبْدِي فَلَانَ، فَلَوْ عُدَّتْهُ وَسَقَيْتَهُ وَأَطْعَمْتَهُ، لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ»⁽¹⁾.

وَقَالَ: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أُحِبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ»⁽²⁾.

فَكَنَى بِنَفْسِهِ عَنِ الْجَارِحَتَيْنِ الْمُصُونَتَيْنِ عَنِ الْمَعَاصِي، وَكَنَى بِلُطْفِهِ بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ الْجَائِعِ الْعَاطِشِ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ الْمُقَدَّسُ عَنِ الْآفَاتِ، الْمُتَعَالِي عَنِ النَّقَائِصِ⁽³⁾، وَرَكَّبَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي كَفِّ السَّائِلِ»⁽⁴⁾.

(1) نحوه في مسلم: كتاب البر والصلة رقم: 2569، وفي مسند أحمد: 404/2.

يقول ابن تيمية في تعليقه على هذا الحديث: «... فإنه لا يجوز لعاقِل أن يقول: إن دلالة هذا الحديث مخالفة لعقل ولا سمع، إلا من يظن أنه قد دل على جواز المرض والجوع على الخالق سبحانه وتعالى، ومن قال هذا فقد كذب على الحديث، ومن قال إن هذا ظاهر الحديث أو مدلوله أو مفهومه فقد كذب، فإن الحديث قد فُسِّرَ المتكلم به، وبين مراده بياناً زالت به كل شبهة، وَبَيَّنَّ فِيهِ أَنَّ الْعَبْدَ هُوَ الَّذِي جَاعَ وَأَكَلَ وَمَرَضَ وَعَادَهُ الْعَوَادُ، وَأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ لَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يُعَدَّ». درء تعارض العقل والنقل: 150/1.

(2) هو جزء من حديث طويل رواه البخاري في الرقائق: 190/7 (من فتح الباري)، وانظر بحث ابن تيمية

الموسع في معاني «القرب» بمجموع الفتاوى: 5/6 وما بعدها، وشرح حديث النزول: 103، 124.

(3) قال المؤلف في المتوسط: 18 ما نصه: «ولا يجوز وصفه تعالى باللون والطعم والرائحة، ولا شيء من اللذات والآفات، ولا نوع من أنواع المحدثات ومن الحركات والسكنات، أو الاجتماع أو الافتراق، ولا بالنقص والحاجات، بل هو القدوس الغني عن الأرض والسموات».

(4) لم أقف على نص الحديث كما أورده المؤلف، وهناك عدة أحاديث في معناه أخرجهما مسلم في الزكاة رقم: 1014، والترمذي في الزكاة رقم: 661، 662، والنسائي في الزكاة: 57/5، والدارقطني في كتابه «الصفات»: 67 رقم: 55، 56.

وقد علق ابن العربي في السراج: 92/ب على هذا الحديث فقال: «المعنى عبارة عن القبول، فَإِنَّ السَّائِلَ إِذَا قَبِلَ مَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَ الصَّدَقَةَ وَجَمَعَ عَلَيْهَا كَفَّهُ، فَكَانَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى قَبُولِهَا، وَحُوزَهُ مَلِكٌ لَهَا، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَبُولِهِ وَادْخَارِهِ لَهَا عِنْدَهُ لِصَاحِبِهَا بِحَالِ الْقَبْضِ لَهَا، وَالِاحْتِيَازِ فِي الْكَفِّ =

وَقَوْلُهُ: ﴿يَدُ اللَّهِ﴾⁽¹⁾.

وَقَوْلُهُ: «حَتَّى يَضَعَ الْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ أَوْ رِجْلَهُ»⁽²⁾.

وَقَوْلُهُ: «قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»⁽³⁾.

= هو هيئة التملك والقبول، والإخبار بلسان الحال عن المقال، والمقال عن الحال أصل الفصاحة، وهو كثير متقرر في العربية.

قلت: هذه التأويلات بعيدة كل البعد عن فهم السلف الصالح، فالواجب قصر اللفظ على موارده من دون تكيف ولا تعطيل.

(1) جاء ذكر يد الله عز وجل في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: 10) كما جاء ذكرها في كثير من الأحاديث الصحيحة، منها ما رواه البخاري في التفسير: 213/5، والترمذي في الفتن رقم: 2167. ويذهب أهل السنة والجماعة إلى حمل اليد على الصفة، إذ إن قولهم في آيات وأحاديث الصفات هو: «أَمْرُوهَا كَمَا جَاءَتْ» بمعنى أنها تجري على ظاهرها من غير تأويل وهذا هو اعتقاد الإمام مالك وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وغيرهم من أئمة الإسلام، يقول ابن عبد البر القرطبي في كتابه «التمهيد»: 145/7: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يجدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكروها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مُشَبَّه، وهم عند من أثبتوا نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة». وقال الإمام الخطابي فيما نقله عنه ابن حجر في فتح الباري: 417/13 «وليس اليد عندنا الجارحة، إنما هي صفة جاء بها التوقيف، فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكفيها، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة». قلت: وللتوسع في معرفة رأي السلف في هذه الصفة انظر: ابن قيم الجوزية في مختصر الصواعق المرسلة: 42/1، 171/2 والتفسير القيم: 421، وابن خزيمة في كتاب التوحيد: 37 وابن تيمية: مجموع الفتاوى: 362/6.

(2) هذا الأثر النبوي هو جزء من حديث صحيح رواه الثقة بالفاظ مختلفة، منهم البخاري في التفسير: 47/6، ومسلم في الجنة رقم: 2187، والدارقطني في كتابه «الصفات» صفحة: 26 الأحاديث من رقم 1 - إلى - 12، وابن خزيمة في كتابه «التوحيد»: 62، واستدلال ابن العربي بهذه الأحاديث المشككة - في نظره - على التأويل أمر فيه نظر، فالحق الذي عليه أهل السنة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ومن تبعهم بإحسان، الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، فيقولون: «إِنَّ اللَّهَ يَدَيْنِ وَقَدَمَيْنِ وَأَصَابِعَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تَشَبْهُ صِفَاتِ الْخَلْقِ»، وهو الذي نعتقه وَنَدِينُ اللَّهُ بِهِ حَتَّى نَلْقَاهُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(3) قلت: حديث «قَلْبُ الْمُؤْمِنِ...» أخرجه - مع اختلاف في الألفاظ - الإمام مسلم في القدر رقم: 365، والترمذي في القدر رقم: 2141 وقال عنه: حديث حسن صحيح، والدارقطني في كتابه =

وَتُخَلَّصُ مِنْ عِلْمِ التَّوْحِيدِ الذَّاتِ عَنِ الْآفَاتِ، وَتُقَدَّسُ بِالذَّلِيلِ الْبَارِي
- تَعَالَى - عَنِ الْجَوَارِحِ، وَتُبَيَّنُ مِنْ عِلْمِ التَّذْكِيرِ عَلَى طَرِيقِ التَّوِيلِ فِي التَّوْحِيدِ
وَجَهَ الْإِسْتِنْبَاطِ^(١) الَّذِي اقْتَضَاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ (الشورى: 17)
وَسَبِيلَ الْإِسْتِزَالِ مِنَ الْكِنَايَةِ بِالْمَرَضِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ الْمُسْتَحِيلَةِ عَلَيْهِ، كَمَا
قَالَ^(٢): «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(٣).

وَاسْرُدِ الْأَقْوَالَ فِي ذَلِكَ بِقَدْرِ حِفْظِكَ، وَأَبْطِلِ الْمُسْتَحِيلَ عَقْلًا بِأَدْلَةِ الْعَقْلِ،
وَالْمُمْتَنِعَ لَعَةً بِأَدْلَةِ اللَّعَةِ، وَالْمُمْتَنِعَ شَرْعًا بِأَدْلَةِ الشَّرْعِ، وَأَبْقِ الْجَائِزَ مِنْ ذَلِكَ كُلَّهُ
بِأَدْلَتِهِ الْمَذْكُورَةِ، وَرَجِّحْ بَيْنَ الْجَائِزَاتِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ^(٤) إِنْ لَمْ يُمْكِنْ اجْتِمَاعُهَا فِي

(١) ب: الاستلطاف.

(٢) في النسختين: قال تعالى.

(٣) كله: ساقطة من: أ.

= الصفات صفحة: 45 رقم الحديث: 29، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال: 233/1 وعزاه إلى
ابن جرير والذَّيْلَمِي، وللوقوف على رأي السلف، انظر تعليقاتنا السابقة.
(1) قال المؤلف في القبس: 62 (مخطوط الخزانة العامة: 25 ج). «وهذا الحديث أم من أمهات
الأحاديث المتشابهة، وقد ذهب كثير من العلماء وخاصة من السلف إلى أنه يؤمن بها ولا يخاض في
تاويلها، فأما مالك فقد بدع السائل عن أمثاله، وصرف عن إشكاله. ووقف عند الإيمان به، وهو لنا
أفضل قدوة».

قلت: حديث النزول حديث صحيح رُوِيَ بِالْفَافِظِ مُخْتَلَفَةً عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي التَّهْجِدِ: 47/2،
ومسلم في صلاة المسافرين رقم: 758، ومالك في الموطأ، كتاب القرآن: 214/1، والترمذي في
الدعوات رقم: 80، وأبي داود في الصلاة رقم: 1315، والدارمي في الصلاة: 346/1، 347، وابن
خزيمة في كتاب «التوحيد»: 127.

ولمعرفة رأي السلف (أهل السنة والجماعة) في هذا الموضوع، يحسن بالمسلم الحريص على
عقيدته، المحتاط لدينه، أن يطلع على: تبين تلبس الجهمية لابن تيمية: 22/1، وكتاب «النزول»
للدارقطني: 83 - 175، وكتاب «رد الإمام الدارمي على عثمان المريسي: 377 (ضمن عقائد
السلف)، والرد على الجهمية للدارمي: 384 (ضمن عقائد السلف)، وعقيدة السلف وأصحاب
الحديث للصابوني: 111/1 (ضمن الرسائل المنيرية)، اللالكائي: وشرح أصول اعتقاد أهل السنة
والجماعة: 434/3، والجويني (والد إمام الحرمين) في رسالة في الاستواء والفوقية والحرف
والصوت: 174/1 (ضمن الرسائل المنيرية)، وابن قيم في مختصر الصواعق: 232/2.

التَّوِيلِ ، وَلَا تَخْرُجْ فِي ذَلِكَ عَنْ مِنْهَاجِ الْعُلَمَاءِ ، فَقَدْ اهْتَدَيْتَ مِنْ أَقْتَدَى ، وَلَنْ يَأْتِيَ أَحَدٌ بِأَحْسَنَ مِمَّا أَتَى بِهِ مَنْ سَبَقَ أَبَدًا .

وَحَلَّصَ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ مَعْرِفَةَ الْكَفِّ ، وَالْقَدَمِ ، وَالرَّجْلِ ، وَالْقَلْبِ ، وَانْظُرْ فِي وَجْهِ الاستِعَارَةِ لِذَلِكَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ عِنْدَ اسْتَوَائِهِمَا فِي رُوحِ الْمَعْنَى الْمُعْبَّرِ بِهِ عَنْهُمَا (١) .

وَاعْلَمْ أَنَّ رُوحَ الْكَفِّ الْقَبْضُ وَالتَّحْصِيلُ ، وَأَنَّ رُوحَ الْقَدَمِ السَّعْيُ عَلَيْهَا تَارَةً وَالرَّفْسُ (٢) بِهَا أُخْرَى عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَأَنَّ رُوحَ الْأَصْبَعِ الطَّفِيفُ لَا يُلَايِمُ الْيَدَ وَالْكَفَّ ، وَأَنَّ رُوحَ النُّزُولِ إِحْيَاءُ الْبَقْعَةِ بِالتَّحْسِينِ وَالتَّحْصِينِ بِتَفْقُدِ الْأَحْوَالِ وَإِصْلَاحِ الْإِحْتِلَالِ ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي تَنْزَلُ وَيَنْزِلُ وَهُوَ خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ (١) .

وَالْكُلُّ فِعْلُهُ ، لَا وَصْفٌ يَقُومُ بِذَاتِهِ ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ الْأَوْزَاعِيُّ (٢)(٣) - حَبْرُ الشَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ : «يَنْزِلُ رَبُّنَا» قَالَ : «يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» (٣) .

(١) أ : عنها .

(٢) أ ، ب : رفض وهو خطأ .

(٣) أ : الأوزاعي رضي الله عنه .

(1) انظر الاسم التاسع والستون «خير المنزلين» من الأمد الأقصى : 129/ب .

(2) هو الإمام أبو عمرو عبد الرحمن الأوزاعي ، ولد ببلبك سنة : 88 وتوفي ببيروت سنة : 157 ، عُرضَ

عليه القضاء فامتنع ، انظر ترجمته في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ق 2 / ج 1 / ص 266 ،

وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ق 1 / ج 1 / ص 298 ، وتذكرة الحفاظ للذهبي 178/1 .

(3) أورد هذا القول ونسبه إلى الأوزاعي ابن تيمية في شرح حديث النزول : 41 - 42 ، والاستقامة :

76/1 . وقول الإمام الأوزاعي في نزول الرب سبحانه وتعالى : «يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» قول حق ،

فالنزول صفة فعل لله تعالى ، ينزل كيف يشاء ومتى شاء ، لا يشبه نزول الرب نزول المخلوقين ، ليس

كمثله شيء وهو السميع البصير ، وما قاله الإمام الأوزاعي هو رأي السلف في صفات الفعل

الاختيارية لله تعالى . لكن قول ابن العربي في الكف والقدم والرجل والنزول : «والكل فعله لا وصف =

وَرَتَّبَ عَلَى هَذَا لَطَائِفَ الْبَارِي - تَعَالَى - بِعَبْدِهِ بِحَسَبِ مَا تَنْتَهِي قُوَّتُكَ فِي الْحِفْظِ وَالتَّرْكِيبِ.

وَإِنْ عَجَزْتَ، أَوْ خِفْتَ وَغَرَّ الطَّرِيقَ وَخَطَرَ الْمَشْيَ، وَمَا يَحْدُثُ فِي الْمَفَازَاتِ مِنَ الْأَفَاتِ، وَزَادَكَ فِي الْحِفْظِ طَفِيفٌ، وَمَطِئَتِكَ الَّتِي هِيَ فِكْرَتُكَ نَضُوءٌ، فَقِفْ عِنْدَ الْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ بِمَا وَرَدَ لَهُ، وَاعْتَقِدِ التَّقْدِيرَ لِمَنْ قَالَ وَصَّمَّ عَلَى أَنَّهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: 9) ⁽¹⁾ فَإِنَّهَا ⁽¹⁾ مَهِيْعُ نَجَاةٍ، إِلَيْهَا لَجَأُ السَّلَفِ لَوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: تَقِيَّةٌ ⁽²⁾ التَّغْرِيبُ بِالْعَامَّةِ.

وَالثَّانِي: خَطَرُ الطَّرِيقِ، وَمُعَايِنَتُهُمْ لِمَا جَرَى فِيهَا مِنَ الْإِبْدَاعِ لِمَنْ سَلَكَهَا نَضُوءاً بِغَيْرِ زَادٍ، فَأَفْضُوا إِلَى الْبِدْعَةِ.

وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْلُكَ فِي قَانُونِ التَّأْوِيلِ طَرِيقَةً أُخْرَى، فَالطَّرُقُ إِلَى اللَّهِ كَثِيرَةٌ، فَانْظُرْ فِي مَوْرِدِ الْقَوْلِ قُرْآنًا وَسُنَّةً، فَإِنْ كَانَ قُرْآنًا فَقَدْ ⁽³⁾ سَقَطَ عَنْكَ النَّظَرُ فِي طَرِيقِهِ، وَتَجَرَّدَ النَّظَرُ فِي الْمَوْرِدِ.

وَإِنْ كَانَ سُنَّةً تَعَيَّنَ عَلَيْكَ النَّظَرُ فِي طَرِيقِهِ أَوَّلًا كَمَا ثَبَتَ فِي كُتُبِ

(١) ب: إنها.

(٢) ب: لقية، واستدرك الخطأ في الهامش.

(٣) ب: فقط.

= يقوم بذاته واستشهاده بقول الأوزاعي استشهاد في غير محله، لأن الإمام الأوزاعي إنما قال ذلك في صفة النزول خاصة وهي صفة فعل اختيارية، ولا يخفى على الباحث الفرق الشاسع بين صفات الذات وصفات الفعل.

(1) تعرض المؤلف رحمه الله في المتوسط: 11 - 12 لتفسير هذه الآية الكريمة باستفاضة، مع إيراد الاعتراضات التي يمكن للمخالف أن يعترض بها، والجواب عليها، ولكن يتعذر قراءة بعض الألفاظ لتآكل المخطوط.

«الأصول»، ثُمَّ تَقْرُنُ^(١) - كَمَا بَيَّنَّاهُ^(٢) فِي سُلُوكِ طَرِيقِ الْعِلْمِ إِلَى الْعِلْمِ وَالظَّنِّ إِلَى الظَّنِّ^(٣) - وَتَنْظُرُ^(٤) فِي دَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى، ثُمَّ تَنْظُرُ هَلْ هُوَ اعْتِقَادِيٌّ أَوْ عَمَلِيٌّ؟ فِي رَبِّ أَوْ مَرْبُوبٍ؟ وَتَأْخُذُ لِكُلِّ وَاحِدٍ^(٥) قَانُونَهُ مِنْ مَوَاضِعِهِ الَّتِي بَيَّنَّاهَا فِي «الْمَتَوَسِّطِ»^(٦) وَغَيْرِهِ، وَإِنْ تَعَذَّرَ عَلَيْكَ شَيْءٌ فِي طَرِيقِ النَّظَرِ فَالْمَعْيَارُ^(٦) الْأَكْبَرُ كِتَابُ «الْمُشْكَلَيْنِ».

(١) أ: تفرق.

(٢) ب: بينا.

(٣) الظن: ساقطة من: ب، ويوجد بياض قدّر رسمها.

(٤) ب: تنظر.

(٥) أ: أحد.

(٦) أ: والمعيار.

(I) لوحة: 15 وما بعدها، وانظر المحصول في علم الأصول: 50/أ - ب.

مَثَلُ قَوْلِهِ تَعَالَى
﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا... ﴾
إِلَى قَوْلِهِ... كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿
(الرعد: 19)

قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ (١) أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
هَذَا هُنَا خَمْسَةٌ مَعَانٍ (٢) (١):

الْأَوَّلُ: ضَرْبُ الْمَثَلِ بِالْمَاءِ كِنَايَةً عَنِ الْحَقِّ، وَضَرْبُ الْمَثَلِ بِالْمَعَادِنِ
الْجَوْهَرِيَّةِ فِي حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ كِنَايَةً عَنِ الْحَقِّ.
الثَّانِي: ضَرْبُ الْمَثَلِ بِالزَّبَدِ كِنَايَةً عَنِ الْبَاطِلِ.
الثَّلَاثُ: ذِكْرُ تَقْسِيمِ الْمَاءِ، وَذِكْرُ تَقْسِيمِ الْجَوَاهِرِ.
الرَّابِعُ: تَخْصِيصُ الْمَاءِ وَحِكْمَتُهُ.
الخَامِسُ: تَخْصِيصُ النَّارِ وَذِكْرُهَا.

(١) الحافظ: ساقطة من: أ.

(٢) ب: معاني.

(1) انظر في تفسير هذه الآيات: لطائف الإشارات: 223/2.

مُقَدِّمَةٌ:

لَوْ ذَكَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا . . . إِلَى قَوْلِهِ . . . فِي الْأَرْضِ ﴾ وَلَا يَقُولُ «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ» لَجَرَى الْكَلَامُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَلَمْ نَتَعَرَّضْ لِتَأْوِيلِهِ، وَلَا قَرَرْنَاهُ دَلَالَةً عَلَى التَّوْحِيدِ، لِأَنَّهُ تَنْزِيلٌ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى تَأْوِيلٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مُجَرَّدُ إِنْعَامٍ وَخَبَرٍ عَنِ امْتِنَانٍ بِمَا ذَكَرَ مِنْ تَعْدِيدِ النِّعَمِ فِي الْمَاءِ وَالْمَعَادِنِ، فَلَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ عَلِمْنَا أَنَّهُ فِي مُقْتَضَاهُ^(١) ضَرْبٌ مَثَلٍ لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَفَهَّمْنَا مَا فَهَّمْنَا رَبَّنَا.

وَشَيْخُ الصُّوفِيَّةِ تَسْلُكُ هَذَا فِي كُلِّ آيَةٍ، فَرَبَّمَا أَوْفَعَهُمْ ذَلِكَ فِي عَوَايِهِ، لِأَنَّهُ تَكَلَّفَ لَيْسَ لَهُ نِهَآيَةٌ.

مُقَدِّمَةٌ ثَانِيَةٌ:

فَإِذَا عَرَفْتُمْ^(٢) هَذَا، فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ أَوَّلًا، وَقَدْ بَيَّنَّاهُمَا فِي كُتُبِ «الْأُصُولِ» وَأَحْسَنُ بَيَانٍ فِي كِتَابِ «الْأَمَدِ الْأَقْصَى»^(١) لِإِخْتِصَارِهِ لَفْظًا وَاسْتِيفَائِهِ مَعْنَى، فَالْحَقُّ مَا فِيهِ فَائِدَةٌ مَقْصُودَةٌ، وَالْبَاطِلُ ضِدُّهُ^(٢)، وَفِي ذَلِكَ تَقَابُلَاتٌ بَيْنَ الْمَثَلِ وَالْمُمَثِّلِ بِهِ.

(١) أ: عَلِمْنَا بِأَنَّهُ مُقْتَضَاهُ.

(٢) أ: عَرَفَهُمْ، وَاسْتَدْرَكَ الْخَطَأُ بِالْهَامِشِ.

(١) من لوحة: 22/أ - إلى 24/أ.

(٢) توسع المؤلف - رحمه الله - في بيان معاني هذه الألفاظ في كتابه الأمد: 23/أ فقال:

«اعلموا وفقكم الله أنا إذا استقرينا معاني الحق من جميع وجوهه، ومعاني الباطل من كل جهاته، ألفينا أن الحق هو ما له فائدة مقصودة، والباطل ما لا فائدة فيه، سواء كان معدوماً أو موجوداً، فقد تتعلق بالمعدوم فائدة كما تتعلق بالموجود، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الحجر: 85) أي لفائدة مقصودة وهي الثواب والعقاب، يؤكد قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ (آل عمران: 191) أي ما خلقتكما لأنفسهما دون فائدة تتعلق بهما. =

فَضَرَبَ اللَّهُ لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ الْمَاءَ مَثَلًا، فَإِنَّهُ خَلَقَهُ حَيَاةً لِلْأَبْدَانِ، كَمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنَ حَيَاةً لِلْقُلُوبِ، وَهُوَ التَّقَابُلُ الْأَوَّلُ.

كَمَا ضَرَبَ امْتِلَاءَ الْأُودِيَةِ بِالْمَاءِ امْتِلَاءَ (١) الْقُلُوبِ (٢) بِالْعِلْمِ، وَهُوَ التَّقَابُلُ الثَّانِي.
وَضَرَبَ الْأُودِيَةَ الْجَامِعَةَ لِلْمَاءِ مَثَلًا لِلْقُلُوبِ الْجَامِعَةِ لِلْعِلْمِ، وَهُوَ التَّقَابُلُ الثَّالِثُ.

وَضَرَبَ قَدْرَ الْأُودِيَةِ فِي احْتِمَالِ الْمَاءِ لِسَعَتِهَا وَضِيقِهَا وَصِغَرِهَا وَكِبَرِهَا مَثَلًا لِقَدْرِ الْقُلُوبِ فِي سَعَتِهَا بِإِنْشِرَاحِهَا، وَضِيقِهَا بِالْحَرَجِ فِيهَا، وَهُوَ التَّقَابُلُ الرَّابِعُ (١).

وَضَرَبَ مَثَلًا لِلْسَّيْلِ وَاحْتِمَالِهِ وَدَفْعِهِ مَا يَلْقَى فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْحَصِيدِ وَالْهَشِيمِ، وَمَا يَجْرِي بِهِ مِنَ الْجَمِيلِ، لِمَا يَدْفَعُهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْجَهَالَةِ وَالزَّيْغِ وَوَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ وَالشُّكُوكِ، وَهُوَ التَّقَابُلُ الْخَامِسُ (٣).

وَضَرَبَ مَثَلًا رَمَى (٤) الزَّبَدِ وَذَهَابَهُ جُفَاءً عَالِيًا، لِمَا يَدْفَعُهُ (٥) الْقُرْآنُ مِنْ ذَلِكَ

(١) ب: لأوديتها لما مثلاً للقلوب.

(٢) ب: للقلوب.

(٣) أ: التقابل الثاني الخامس: وَعُلِّمَ عَلَى كَلِمَةٍ: الثاني بعلامة الخطأ.

(٤) ب: وهي.

(٥) ب: يدق.

= وهي الحشر والثواب والعقاب، بحقيقته قوله:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ (المؤمنون: 115) فقد تتعلق بالعدم فائدة، كما تتعلق بالوجود، فيكون العدم حقاً بهذا المعنى، وقد تتعلق بالمعنى فائدة من وجه فيكون حقاً، وَيَعْرِى عَنْ الْفَائِدَةِ فيكون باطلاً.

قلت: وللتوسع في معرفة مصطلح الحق؛ انظر الكافية للمجويني: 43 المبين عن معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين للأمدى: 74، التعريفات: 48، كشف الاصطلاحات: 80 - 82 (ط: تراثنا) ولمعرفة مصطلح الباطل؛ انظر: الكافية: 44، المبين: 75، التعريفات: 24.
(1) قارن بالقشيري في لطائف الإشارات: 224/2.

الْفَاسِدِ كُلُّهُ إِذَا جَرَى عَلَيْهِ، وَيَقْذُفُهُ^(١) عَنِ الْعِلْمِ الْيَقِينِ الثَّابِتِ فِيهِ، لِأَنَّهَا فِي جَرَيَانٍ مُسْتَمِرٍّ، وَالْعِلْمُ لَهُ فِي قَذْفٍ دَائِمٍ، وَهُوَ التَّقَابُلُ السَّادِسُ.

وَضَرَبَ مَثَلًا لِمُكْثِ الْعِلْمِ وَاسْتِقْرَارِهِ فِي الْقُلُوبِ لِلِانْتِفَاعِ وَالْحَمَلِ وَالْإِبْلَاحِ، اسْتِقْرَارَ الْمَاءِ وَمُكْنَهُ لِنْتِفَاعِ النَّاسِ بِهِ فِي السَّقْيِ وَالْأَزْدِرَاعِ، وَهُوَ التَّقَابُلُ السَّابِعُ.

وَأَمَّا الْمَثَلُ فَفِيهِ أَيْضًا مُقَابَلَاتٌ بَيْنَ الْمَثَلِ وَالْمُمَثِّلِ :

ضَرَبَ اللَّهُ الْمَثَلَ بِمَا تُوقَدُ عَلَيْهِ النَّارُ فِي ابْتِغَاءِ الْحِلْيَةِ وَالْمَتَاعِ، لِمَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ فَائِدَةِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، فَالْحِمْيَةُ الْمُتَّخَذَةُ مِنْ مَعْدِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَثَلٌ لِلْعِلْمِ الْوَاجِبِ اعْتِقَادُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ التَّقَابُلُ الْأَوَّلُ.

وَالْمَتَاعُ مَثَلٌ ضَرَبَ لِمَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْعَمَلِ الْمُتَنَفِّعِ بِهِ كَالِانْتِفَاعِ بِالْمَتَاعِ فِي جَمِيعِ تَصَرُّفَاتِ أَنْوَاعِ الْعَالَمِ، وَهُوَ التَّقَابُلُ الثَّانِي.

وَكَمَا أَنَّ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ مَوْضُوعَةٌ فِي الْعَالَمِ لِمَعْرِفَةِ مَقَادِيرِ الْأَشْيَاءِ، فَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ مُنْزَلٌ لِمَعْرِفَةِ الْعُلُومِ فِي الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ، وَهُوَ التَّقَابُلُ الثَّالِثُ.

وَكَمَا أَنَّ الْمَعَادِنَ مِنَ الْحَدِيدِ وَالرِّصَاصِ وَالنَّحَاسِ مَوْضُوعَةٌ لِلِانْتِفَاعِ، وَكَذَلِكَ الْأَعْمَالُ مُوَظَّفَةٌ عَلَى الْعِبَادِ لِلِانْتِفَاعِ، وَهُوَ التَّقَابُلُ الرَّابِعُ.

وَكَمَا أَنَّ هَذِهِ الْمَعَادِنَ لَهَا زَبَدٌ وَخَبِيثٌ، فَكَذَلِكَ الْأَعْمَالُ، وَهُوَ التَّقَابُلُ الْخَامِسُ.

وَكَمَا أَنَّ النَّارَ تُمَيِّزُ - إِذَا عُرِضَتْ هَذِهِ الْمَعَادِنُ - الطَّيِّبَ مِنَ الْخَبِيثِ^(٢)،

(١) ب: أو يقذفه.

(٢) ب: الخبيث من الطيب.

فَكَذَلِكَ نُورُ الْإِسْلَامِ - وَهُوَ الْقُرْآنُ - إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْعُلُومُ مَيَّزَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ فِيهَا، أَوِ الْأَعْمَالُ مَيَّزَ النَّافِعَ مِنَ الضَّارِّ مِنْهَا، وَهُوَ التَّقَابُلُ السَّادِسُ.
فَكُلُّ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي الْعَقَائِدِ فَهِيَ وَزَانُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَكُلُّ آيَةٍ فِي الْأَعْمَالِ فَهِيَ وَزَانُ الْمَعَادِنِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ: الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ مِثَالُ^(١) الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَهُوَ التَّقَابُلُ السَّابِعُ.

وَيَبْقَى وَرَاءَ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ اللَّذَيْنِ أَشْرْنَا إِلَيْهِمَا وَبَيْنَا التَّقَابُلَ عَلَيْهِمَا جَوَاهِرُ مِنَ الْيَاقُوتِ وَالْدَّرِّ وَالزَّبَرْجَدِ وَالْمَرْجَانِ.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَطْلَقَ الْقَوْلَ، وَجَعَلَ الْكُلَّ بَابًا وَاحِدًا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ابْتَغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهَا﴾ (الرعد: 19).

وَهَذِهِ كُلُّهَا حُلْيٌ، وَدَخَلَتْ^(٢) فِيهِ لِأَنَّهُ يَتَحَلَّى بِهَا مَعَهُ، فَجَعَلَ ذِكْرَهُ أَحَدَهُمَا، رَالتَّبِيهَ عَلَى وَجْهِ ذِكْرِهِ يُوجِبُ دُخُولَ هَذِهِ مَعَهُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا أَمْثَالًا لِعُلُومٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَمَعَانِي لِحِكَمٍ مُتَفَرِّدَةٍ فَقَالَ: «إِنَّ الْيَاقُوتَ الْأَحْمَرَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَا يَلِيهِ مِنْهَا مَعْرِفَةُ صِفَاتِهِ، وَمَا يَتْلُوهُمَا فِي النَّفَاسَةِ مَعْرِفَةُ أَفْعَالِهِ، وَمَا يَلْحَقُ بِذَلِكَ مَعْرِفَةُ رُسُلِهِ، وَمَا يَتَّبِعُ الْكُلَّ مَعْرِفَةُ الْأَعْمَالِ، وَمَا يَرْتَدِفُ عَلَيْهَا مَعْرِفَةُ الْمَعَادِ».

وَإِذَا عَرَفْتُمْ هَذِهِ الْأَنْمُودَجَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَا لَكُمْ لَمْ يَخْفَ^(٣) عَلَيْكُمْ قَانُونُ التَّأْوِيلِ فِي التَّنْزِيلِ لِجَمِيعِ^(٤) عُلُومِهِ.

(١) ب: مثل.

(٢) أ: وقد دخلت.

(٣) ب: يجب.

(٤) أ: بجميع.

مَثَلُ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ
﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . . . الْآيَةُ ﴾
(يونس : 24)

هَذَا (1) مَثَلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ فِي ذَاتِهِ وَتَصَرُّفِهِ (2)، وَزِينَتِهِ وَطَمَعِهِ وَجَمْعِهِ، ثُمَّ كِبَرِ (3) سِنِهِ وَتَعْجِيزِ أَحْوَالِهِ، وَهَجَمَةِ الْمَنِيَّةِ عَلَيْهِ وَتَبَدُّدِ أَشْلَائِهِ (4)، وَذَهَابِ أَحْوَالِهِ، كَالْمَاءِ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فَتَنْبُتُ بِهِ الْأَرْضُ، وَيَخْضَرُّ الصَّعِيدُ، وَتَظْهَرُ الثَّمَارُ، فَتَسْكُنُ إِلَيْهَا نَفُوسُ أَرْبَابِهَا، فَإِذَا بِالْجَائِحَةِ قَدْ أَتَتْ عَلَيْهَا، فَلَمْ تُبْقِ لَهَا أَثَرًا، وَجَعَلَتْهَا غَبْرًا، وَتَرَكْتُهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُعَايَنَةً خَبْرًا.

وَقَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ الشُّيُوخِ يَسُوقُ الْكَلَامَ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ سَوَاقًا يَصِفُ بِهِ حَالِ
الْإِنْسَانِ مِنْ ابْتِدَائِهِ إِلَى انْتِهَائِهِ (5) ثُمَّ يُنْشِدُ:

(1) أ: وَصَرَفَاتِهِ.

(2) أ: كِبَرِهِ.

(3) ب: آلَائِهِ.

(4) ب: النِّهَايَةِ.

.....

(1) العبارات التالية تلخيص لما في لطائف الإشارات للقشيري: 88/2 - 89 لم ينقل فيها ابن العربي كلام القشيري بنصه وفصه، وإنما تصرّف بعض الشيء فقدم وأخر، وأضاف في مواضع واختصر في أخرى، وللتوسع في شرح هذه الآية انظر: ابن ناقي: الجمان في تشبيهات القرآن: 117 - 127، الحكيم الترمذي: الأمثال في الكتاب والسنة: 18.

فَقَدَّنَاهُ لَمَّا تَمَّ وَاعْتَزَّ^(١) بِالْعُلَا كَذَلِكَ فَقَدْ الْبَدْرُ عِنْدَ تَمَامِهِ^(١)
وَالْبَدْرُ مِثْلُ^(٢) الْإِنْسَانِ فِي أَحْوَالِهِ، بِهِ^(٣) شَبَهٌ^(٤) الْمُتَطَبِّبُونَ وَالْمُحَسِّنُونَ
لَوَجْهِهِ، الْمُجْمَلُونَ وَالْمُرْفَعُونَ^(٥) لِمَكَانِهِ وَالْمُعْظَمُونَ^(٦)، وَبِهِ شَبَهٌ الْمُعْبَرُ فِي وَزَارَتِهِ
لِغَيْرِهِ، وَتَأْخُذُ^(٧) الْمَعَانِي هَكَذَا إِلَى آخِرِهَا عَلَى قَدْرِ الْحِفْظِ وَسَعَةِ الْبَاعِ فِي التَّذْكِيرِ
حَصَلَ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ نَقُولُ:

إِنَّ قَدَّرْتَ أَنَّ الْمَاءَ الَّذِي بِهِ كَانَ^(٨) فِي الدُّنْيَا مَا كَانَ، لَا يُسْتَنْزَلُ بِالْحِيلَةِ،
كَذَلِكَ الدُّنْيَا لَا تُسْتَنْزَلُ إِلَّا بِالْقِسْمَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الزخرف: 31)⁽²⁾.

وَأَبْدَعُ مِنْ ذَلِكَ:

إِنَّ الْمَطَرَ وَإِنْ كَانَ لَا يَتَأْتِي إِلَّا بِالتَّقْدِيرِ، فَقَدْ يُسْتَسْقَى عَلَى الرِّزْقِ وَإِنْ كَانَ
بِالْقِسْمَةِ، فَإِنَّهُ يَتَعَرَّضُ فِيهِ لِلْكَسْبِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ
لَرَزَقْتُمْ كَمَا تَرْزُقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ^(٩) بِطَانًا»⁽³⁾.

(١) أ: اَعْتَمَّ.

(٢) أ: مثال.

(٣) به: ساقطة من: أ.

(٤) ب: شبهه.

(٥) أ: المعروفون.

(٦) أ: المطعمون.

(٧) أ: ولاخذ.

(٨) ب: الذي كان به.

(٩) أ: تعود.

(1) هذا البيت أورده القشيري في لطائف الإشارات 89/2 بالألفاظ التالية:

فَقَدَّنَاهُ لَمَّا تَمَّ وَاخْتَمَّ بِالْعُلَى كَذَلِكَ كُشُوفُ الْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ

(2) الاستدلال بالآية من إضافة ابن العربي على نصوص القشيري في لطائف الإشارات: 89/2.

(3) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه في الزهد رقم: 4216 (ط: الأعظمي) وكذلك الترمذي مع اختلاف =

فَيَعْرِضُ^(١) لَكَ هَا هُنَا مَقَامُ التَّوَكُّلِ فَتَقْتَصِرُ فِيهِ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِكَ، وَمَقَامُ التَّفْوِضِ فَادْكُرْ مِنْهُ مَا يَحْسُنُ، وَرَكِّبْ عَلَيْهِ الاسْتِسْقَاءَ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ^(١)، وَالْاِكْتِسَابَ لِلْمَعِيشَةِ الَّتِي بِهَا قِيَامُ الْحَوْبَاءِ^(٢).

وَتَزِيدُ عَلَيْهِ إِنْ اسْتَطَعْتَ فَتَقُولُ: إِنَّ الْمَاءَ فِيهِ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهُوَ أَنَّهُ سَبَبُ الْحَيَاةِ فِي حِينٍ، فَإِذَا طَغَى كَانَ سَبَبَ الْهَلَاكِ فِي الْحِينِ، وَكَذَلِكَ الْمَالُ فِي الْمَعْنَى، إِذَا مَلَكَهُ الْعَبْدُ عَلَى قَدْرِ قَامَ بِهِ مَعَاشُهُ، وَيَتَفَرَّغُ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ، وَإِذَا طَغَى عَلَيْهِ أَهْلَكَ دِينَهُ.

وَتَتَسَّعُ فَتَضْرِبُ الْأَمْثَالَ وَتَسُوقُ الْأَخْبَارَ، وَتَبْدَأُ بِمَا عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَعَ نَعْلَبَةٍ إِلَى آخِرِ زَمَانِكَ.

وَتَذْكُرُ عَلَيْهِ كُلَّ حَدِيثٍ يُنْظَرُ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ: «إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ»^(٣).

وَكَذَلِكَ: «إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ»^(٤).

(١) ب: فيتعرض.

= في الألفاظ - في الزهد رقم: 2345، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ومعنى خماساً أي جيباً جمع خميص، وبطاناً أي ممتلئة الأجواف جمع بطين.

(1) المَجَادِيحُ جمع مَجْدَح، وهو نجم من النجوم، قال ابن الأثير: «وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر» قلت: وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه قال:

«اسْتَسْقَيْتُ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ»، وقال ابن الأثير: «فجعل (أي عمر) الاستغفار مُشَبَّهًا بِالْأَنْوَاءِ، مخاطبة لهم بما يعرفونه، لا قولاً بِالْأَنْوَاءِ، وجاء بلفظ الجمع لأنه أراد الأنواء جميعها التي يزعمون أن من شأنها المطر» النهاية: 243/1، وانظر الزمخشري في الفائق: 1/195 ي.

(2) الحوباء: النفس.

(3) هذا جزء من حديث طويل رواه بهذا اللفظ ابن ماجه في أبواب الفتن رقم: 4048، والبحاري في تاريخه: 190/1/1، والحافظ أبو بكر الشيباني في كتاب الزهد: 71 رقم الحديث 154.

(4) هذا جزء من حديث طويل تخريجه في صفحة: 287.

وَإِنَّ الْمَالَ قَدْ يَكُونُ شَرًّا، وَتَجْمَعُ^(١) فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْأَثَرِ وَالنَّظَرِ، وَتُنْشَدُ إِنْ كُنْتَ صُوفِيًّا:

نِعْمَ اللَّهُ لَا تُعَابُ وَلَكِنْ رُبَّمَا اسْتُقْبِحَتْ عَلَى الْأَصْحَابِ^(٢)
وَتُبَيَّنُ أَنَّ الْعَيْبَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْعَبْدِ لَا فِي الْمَالِ، فَإِنَّ الْمَالَ آلَةٌ كَالسَّيْفِ يُقْتَلُ
بِهِ الْكَافِرُ جِهَادًا، وَيُقْتَلُ بِهِ الْمُؤْمِنُ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ وَعِنَادًا.

وَأَعْرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمَاءَ إِذَا كَانَ جَارِيًا طَابَ، وَإِذَا لَبِثَ أَجَنَ، وَكَذَلِكَ
الدُّنْيَا وَالْمَالُ، إِنْ جُدَّتْ بِالْعَطَاءِ طَابَ^(٣) وَلَمْ يَنْقُطَعْ، وَإِنْ حَبَسَتْ بِالْبُخْلِ أَتَنَّتْ.

وَأَعْرَبُ مِنْهَا أَنَّ الْمَاءَ إِذَا كَانَ طَاهِرًا حَلًّا لِلشُّرْبِ وَالطَّهَارَةِ، وَإِذَا كَانَ نَجَسًا
فِبِالْعَكْسِ^(٤) مِنْهُ، فَكَذَلِكَ الْمَالُ إِذَا كَانَ مِنْ حِلِّهِ طَابَتْ نَفَقَتُهُ، وَقَبِلَتْ صَدَقَتُهُ،
وَإِذَا كَانَ حَرَامًا فَإِنَّمَا يَأْكُلُ فِي بَطْنِهِ نَارًا^(٥)، وَكَانَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

كَمْطُعِمَةِ الرُّمَانِ مِنْ كَسْبِ فَرْجِهَا فَيَا لَيْتَ لَمْ تَزْنِي^(٥) وَلَمْ تَتَصَدَّقِي^(٢)
وَإِذَا زِدْتَ فِي التَّمْثِيلِ وَاسْتَوْغَلْتَ مَعَ أَرْبَابِ الْإِشَارَةِ، وَأَخَذْتَ مِنْ أَقْوَالِهِمْ
مَا يَقْرُبُ قُلْتَ:

(١) أ: وتجمع.

(٢) أ: أصحاب.

(٣) أ: طابت.

(٤) ب: وبالعكس.

(٥) ب: تزني... تصدق.

(١) قارن بلطائف الإشارات: 89/3.

(٢) مع شهرة هذا البيت فإنني لم أتمكن من معرفة قائله، أو موضعه في مصادر الأدب.

إِنَّ الرَّبِيعَ إِذَا تَمَّ نَوْرَتْ أَشْجَارُهُ، وَظَهَرَتْ أَرْهَارُهُ، وَتَهَدَّلَتْ ثِمَارُهُ، وَاخْضَرَّتْ رِبَاعُهُ، وَتَزَيَّنَتْ بِالنَّبَاتِ وَهَادُهُ^(١) وَتِلَاعُهُ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَنْزَلَ بِذَلِكَ كُلُّهُ آفَةٌ مِنْ غَيْرِ ارْتِقَابٍ، وَيَأْتِي عَلَيْهَا مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابٍ، كَذَلِكَ الدُّنْيَا، بَيْنَمَا الْمَرءُ يَكُونُ فِيهَا مُقْبِلًا فِي شَبَابِهِ بَيْنَ أَثَرِيهِ، إِذَا بِهِ قَدْ اسْتُلِبَ مِنْ أَثْوَابِهِ، فَإِذَا رَأَاهُ الْمُعْتَبِرُ أَنْشَدَ:

عَيْنُ أَصَابَتِكَ إِنَّ الْعَيْنَ صَائِبَةٌ وَالْعَيْنُ تُسْرِعُ أَحْيَانًا إِلَى الْحَسَنِ^(١)

وَبَيْنَمَا تَكُونُ لِلْعَبْدِ أَحْوَالُهُ الصَّافِيَّةَ، وَأَعْمَالُهُ الرَّائِكِيَّةَ، أَدْرَكَهُ سُوءُ الْخَاتِمَةِ، فَتَكَدَّرَتْ مَشَارِبُهُ، وَخَبِثَتْ مَذَاهِبُهُ، فَإِذَا رَأَاهُ الْعَالِمُ قَرَأَ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا...﴾ الآية (الأعراف: 175).

وَتَأْخُذُ فِي بَيَانِ حِكْمَةِ^(٢) اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي إِنْفَازِ إِرَادَتِهِ، وَوُجُوبِ تَقْدِيرِهِ، وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ، وَعَدْلِهِ فِي قَضَائِهِ، وَأَنَّهُ الظَّاهِرُ^(٣) بِمَا تَرَى مِنَ الاسْتِدْرَاجِ لِأَعْدَائِهِ، الْبَاطِنُ^(٣) بِمَا يَظْهَرُ مِنْ غَيْبِ قَضَائِهِ، كَمَا أَنَّهُ^(٣) الظَّاهِرُ لِأَوْلِيَائِهِ بِمَا يَظْهَرُ مِنْ بِلَائِهِ، الْبَاطِنُ بِمَا يُعْطِي مِنْ ثَوَابِهِ^(٤).

وَتَسُوقُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مَا يَحْضُرُكَ مِنْ أَمْثَالِهِ، وَتَخْتِمُ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ، ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾^(٤)، وَهَذَا قَانُونٌ بَدِيعٌ مُسْتَوْفَى.

(١) ب: وهذه.

(٢) ب: انقاذ حكمة.

(٣) ب: لكّة.

(٤) ب: ثواب.

(1) هذا البيت أورده صاحب لطائف الإشارات: 89/2 ولم ينسبه، مع اختلاف في قافية البيت حيث وردت عند القشيري... والعَيْنُ تُسْرِعُ أَحْيَانًا إِلَى الْحَسَدِ.

(2) انظر القول في اسم الجلالة «الظاهر» لوحة: 55/أ - 57/أ - من الأمد.

(3) انظر القول في اسم الجلالة «الباطن» لوحة: 57/أ - 58/ب - من الأمد.

(4) الآية: 97 من «الإسراء».

تَمْثِيلٌ:

وَنَحْوُهُ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، وَاللَّهِ مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا زَهْرَةُ الدُّنْيَا؟ قَالَ: بَرَكَاتُ الْأَرْضِ، فَقَالُوا أَوْ قَالَ رَجُلٌ: أَيُّتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْنَا: مَا شَأْنُكَ تُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ وَلَا يُكَلِّمُكَ؟ قَالَ: وَرَأَيْنَا أَنَّهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ، فَأَفَاقَ يَمْسُحُ عَنْهُ الرُّحَصَاءُ، وَقَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ وَكَانَهُ حِمْدُهُ فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ ثَلَاثًا، وَإِنْ مِمَّا يُنْبِتُ^(١) الرَّبِيعُ يَقْتُلُ^(٢) حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرِ، فَإِنَّهَا أَكَلَتْ، حَتَّى إِذَا^(٣) امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ رَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلُوٌّ، وَنِعَمَ^(٤) صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ لِمَنْ أُعْطِيَ مِنْهُ الْمِسْكِينُ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ، وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بَغَيْرِ فَهُوَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ^(٥)»^(١).

فَضْرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَثَلًا لِسِتَّةٍ:

الرَّبِيعُ، الْبَهِيمَةُ الْهَالِكَةُ بِالْأَكْلِ^(٥)، آكِلَةُ الْخَضِرِ^(٦)، الشَّمْسُ، تَلَطَّتْ وَبَالَتْ، عَادَتْ فَآكَلَتْ.

(١) ب: يَنْبُتُهُ.

(٢) ب: مَا يَقْتُلُ.

(٣) إذا: ساقطة من: أ.

(٤) الواو: ساقطة من: أ.

(٥) أ: بالأصل.

(٦) أ: الخضراء.

(١) هذا الحديث أخرجه - بالفاظ مختلفة - البخاري في الزكاة: 87/4، ومسلم في الزكاة رقم: 1052، والنسائي في الزكاة: 90/5، وابن ماجه في أبواب الفتن رقم: 4043 (ط: الأعظمي). ومعنى «زَهْرَةُ الدُّنْيَا»: حسننها وبهجتها، و«الرُّحَصَاءُ» العرق الكثير، و«الْحَبَطُ» مَنْ حَبَطَ بطنه إذا انتفخ وهلك، «أَوْ يُلِمُّ» أَلَمَ بِهِ يُلِمُّ: إِذَا قَارَبَهُ وَدَنَا مِنْهُ، يعني: أُوَقِرَبَ مِنَ الْهَلَاكِ، «فَتَلَطَّتْ» تَلَطَّ الْبَعِيرُ يَتَلَطُّ: إِذَا أَلْفَى رَجِيعَهُ سَهْلًا رَقِيقًا. انظر ابن الأثير: النهاية غريب الحديث: 40/2 وجامع الأصول: 502/4.

لسته: لِصَاحِبِ^(١) الْمَالِ، الْهَالِكِ بِجَمْعِهِ وَإِبْعَابِهِ، الْمُجْتَزِئُ مِنْهُ بِالْيَسِيرِ الْكَافِي، نُورُ الْإِسْلَامِ، إِذَا الْحَقُّ عَادَ فَاكْتَسَبَ.

فَانْظُرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - كَيْفَ يَتَحَصَّلُ هَذَا الْمَثَلُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مَعَ سُلوْكِ سَبِيلِ^(٢) الْمُهْتَدِينَ، لَكِنْ بِالْإِجَازِ مَعَ هَذَا الْاسْتِيفَاءِ.

وَذَلِكَ أَنَّ الْمَالَ فِي لِسَانِ الشَّرِيعَةِ خَيْرٌ مَحْمُودٌ، وَمَعْنَى مَمْدُوحٌ، كَمَا قَالَ: «نَعَمْ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ» بَعْدَ ذَلِكَ، وَمَعَ أَنَّهُ خَيْرٌ فِي الْقُرْآنِ، وَنَعَمْ الصَّاحِبُ فِي الْحَدِيثِ، فَإِنَّهُ مَخُوفُ الْعَاقِبَةِ، لِاحْتِمَالِهِ النَّفْعَ وَالضَّرَّ، وَوَجُودُ ذَلِكَ مُشَاهِدٌ فِيهِ، وَالسَّائِلُ فِي الْحَدِيثِ: أَيْكُونُ الْخَيْرُ الْمَرْجُوعُ يَأْتِي بِالشَّرِّ الْمَخُوفِ؟ سَأَلَ ذَاهِلًا عَنْ انْقِسَامِ حَالِ الْمَالِ، وَعَنْ غَلَبَةِ الشَّهْوَةِ فِي اكْتِسَابِهِ، وَتَصَرُّفِ النَّفْسِ فِيهِ بِأَنْوَاعٍ لَذَاتِهَا.

فَبَيَّنَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ»، بِالْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ، وَأكَّدَ ذَلِكَ لِيُقَوِّي ثُبُوتَهُ فِي قَلْبِ السَّائِلِ، وَيَتَحَقَّقَ أَنَّ مَا صَدَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ عَنْ عِلْمٍ أَسْمَعَهُ بَيَانَهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

فَوَقَعَ التَّمَثِيلُ فِي الْبَيَانِ بَيْنَ الْمَالِ وَالْمُكْتَسَبِ لَهُ، وَبَيَّنَ^(٣) الْبَهِيمَةَ وَرَتْعَهَا فِي زَهْرَةِ الرَّبِيعِ، وَهُوَ التَّقَابُلُ الْأَوَّلُ.

وَبَيَّنَ الْقَتْلَ حَبَطًا أَوْ الْإِشْرَافَ عَلَى الْمَوْتِ حِسًّا، وَبَيَّنَ الْهَلَاكَ فِي الدِّينِ، أَوْ مُقَارَبَتَهُ حُكْمًا إِنْ لَمْ تَتَدَارَكْهُ، وَهُوَ التَّقَابُلُ الثَّانِي.

(١) لصاحب: ساقطة من كل الأصول وأثبتها من السراج.

(٢) سبيل: ساقطة من: ب.

(٣) وبين: ساقطة من: أ.

وَبَيَّنَ الْمُقْتَصِرُ عَلَى كَسْبِ الْمَالِ بِقَدْرِ الْكِفَايَةِ، وَبَيَّنَ الْبَهِيمَةُ الْمُجْتَرِئَةُ بِالْخَضِرِ، وَهُوَ التَّقَابُلُ الثَّلَاثُ.

وَبَيَّنَ الْاهْتِدَاءُ بِنُورِ الشَّرِيعَةِ فِي الْمَالِ، وَبَيَّنَ اسْتِقْبَالَ الْمَاشِيَةِ الشَّمْسِ عَلَى طَرِيقِ الاسْتِمْرَاءِ وَالْاِسْتِرَاحَةِ مَعَ الرَّتْعِ، وَهُوَ التَّقَابُلُ الرَّابِعُ.

وَبَيَّنَ الثَّلْطُ وَالْبَوْلُ اللَّذَيْنِ كَانَ يَعُودَانِ - لَوْ بَقِيَا - عَلَى الْمَاشِيَةِ بِالْهَلَكَةِ، وَبَيَّنَ أَدَاءَ الْحَقِّ، وَهُوَ التَّقَابُلُ الْخَامِسُ.

وَبَيَّنَ الْعُودَ إِلَى الْأَكْلِ بَعْدَ الْاِسْتِرَاحَةِ، وَإِخْرَاجَ الْفَضْلِ، وَبَيَّنَ الْعُودَ إِلَى كَسْبِ الْمَالِ بَعْدَ أَدَاءِ الْحَقِّ^(١) وَهُوَ التَّقَابُلُ السَّادِسُ^(٢).

وَهَذَا التَّقْسِيمُ وَاجِبٌ فِي الْحَدِيثِ، ظَاهِرٌ فِي التَّأْوِيلِ، صَحِيحٌ فِي التَّمَثِيلِ، لَا غُبَارَ^(٣) عَلَيْهِ، إِلَّا قَوْلُنَا: إِنَّ الثَّلْطَ وَالْبَوْلَ مَثَلَيْنِ لِمُمَثِّلٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَا مَثَلَيْنِ لِمُمَثِّلَيْنِ، وَهُوَ أَظْهَرُ، وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ قَالَ فِي الصَّدَقَةِ:

«إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ»^(٢). وَلِذَلِكَ لَمْ تَحُلْ لِمُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ^(٣).

(١) أ: الحديث.

(٢) التقابل السادس كُرِّرَ مرتين في: أ.

(٣) أ: لا اعتبار.

(١) إلى هنا ينتهي نص سراج الميردين: 116/ب.

(٢) هذه العبارة جزء من حديث طويل رواه مسلم في الزكاة رقم: 1072، ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير أموالهم وأنفسهم كما قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (التوبة: 104)، فهي كخسالة الأوساخ.

(٣) انظر في هذه المسألة: ابن عبد البر: التمهيد: 88/3، الخطاب: مواهب الجليل في شرح مختصر =

وَمَثَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ مَرَّةً أُخْرَى بِرَحَاضَةٍ رَجُلٍ بَادِنٍ فِي يَوْمٍ حَارٍّ^(١)، وَتِلْكَ قَدَارَةُ عَظِيمَةٍ.

وَلَعَلَّهُ أَرَادَ بِهِ تَمَثِيلَ مَثَلَيْنِ وَهُمَا الزَّكَاةُ وَالنَّفَقَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الزَّكَاةُ وَالْحُقُوقُ الَّتِي تُعْرَفُ عَلَى قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ فِي الْمَالِ حَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ وَالْحُقُوقِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنَافِعِ الْبَدَنِيَّةِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَنْفَعَةِ الْإِنْسَانِ.

وَمِمَّا^(١) قَيَّدَنَاهُ فِي الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «إِلَّا آكَلَةُ الْخَضِرِ» فَإِنَّهَا تُقَيَّدُ بِفَتْحِ الْخَاءِ وَكَسْرِ الضَّادِ، وَتُقَيَّدُ أَيْضًا بِرَفْعِ الْخَاءِ وَفَتْحِ الضَّادِ.

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَفْسِيرِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ «الْخَضِرَ» - بِفَتْحِ الْخَاءِ وَكَسْرِ الضَّادِ بَعْضَ «الْخَضِرِ» بِضَمِّ الْخَاءِ وَفَتْحِ الضَّادِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ وَاحِدٌ كِنَايَةً عَنِ الشَّيْءِ الْمُعْجَبِ، وَضُرِبَ مَثَلٌ لَهُ، وَالَّذِي قَيَّدَهُ^(٢) بِفَتْحِ الْخَاءِ وَكَسْرِ الضَّادِ ذَكَرَ أَنَّهُ نَبَاتٌ صَيْفِيٌّ تَجْتَرِيءُ بِهِ الْمَاشِيَةُ^(٢).

(١) أ: وما.

(٢) أ: قيد.

= خليل: 344/2، النووي: المجموع: 244/6، ابن حجر: فتح الباري 227/3، الشوكاني: نيل الأوطار: 227/3.

(1) يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام مالك في الموطأ: 1001/1 موقوفاً في كتاب الصدقة عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال لي عبدالله بن الأرقم: اذللني على بعير من المطايا أستعمل عليه أمير المؤمنين، فقلت: نعم جمل من إبل الصدقة، فقال عبدالله بن الأرقم: اتجب لو أن رجلاً بادياً في يوم حار غسَلَ لك ما تجت إزاره ورُفغِيه، ثم أعطاكهُ فشربته؟ قال: فغضبتُ، وقلت: يَغْفِرُ اللهُ لك، لِمَ تقول مثل هذا لي؟ قال: فَإِنَّمَا الصَّدَقَةُ أَوْسَاخُ النَّاسِ يَغْسِلُونَهَا عَنْهُمْ.

(2) قال الزمخشري في «الفاوق في غريب الحديث»: 140/2: «الْخَضِرُ نوع من الْجَنَةِ عامة الشجرينزل في الصيف، واحدته خَصْرَة، وليس من أحرار البقول، ولا من بقول الربيع، وإنما هو من كلاء الصيف في القيط».

وانظر ابن الأثير: النهاية: 40/2.

وَالصَّحِيحُ فِي التَّمَثِيلِ أَنَّهُ نَبَاتٌ مُعْجَبٌ يَحُلُو لِلْمَاشِيَةِ، فَمِنْهَا مَا يُرْتَعُ حَتَّى يَحْبَطَ، وَمِنْهَا مَا يُرْتَعُ حَتَّى إِذَا امْتَلَأَ اسْتَرَاحَ إِلَى الثَّلْطِ فِي عَيْنِ الشَّمْسِ... الْحَدِيثَ إِلَى آخِرِهِ... فَهَذَا نُكِّتَهُ، وَاسْتَفَاؤُهُ عَلَى الْعُمُومِ مَذْكُورٌ فِي «شَرْحِ الصَّحِيحِينَ».

وَقَدْ كُنْتُ فِي (١) وَقْتُ قِرَاءَتِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ النَّجِيبِ بْنِ (٢) الْأَسْعَدِ ابْنِ الْمُبَارِزِ الزَّاهِدِ (١) بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، أَخْبَرَنِي عَنِ الْأَزْهَرِيِّ (٢) أَنَّهُ قَالَ: «فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَثَلَانِ ضَرَبَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ، أَحَدُهُمَا لِلْمُقْتَصِدِ فِي جَمْعِ الدُّنْيَا، وَالثَّانِي لِلْمُفْرِطِ فِيهَا».

ثُمَّ تَأَمَّلْتُهُ فَجَمَعْتُهُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ الْمُسْتَوْفِي لِلْغَرَضِ (٣) الْمَقْصُودِ. فَإِنْ قِيلَ: لَقَدْ جَلَبْتَ أَمْثَالًا لَا نَعْلَمُ لَهَا مَثَلًا، وَسَرَدْتَ أَقْوَالَ أَجَدَتْ فِيهَا مَقَالًا، وَرَبَّتْ فُصُولًا نَظَمْتُهَا تَثْقِيفًا وَتَحْصِيلًا، فَهَلْ نَسَرِي بِهَا فِي لَيْلِ الْإِشْكَالِ، وَنَضْرِبُهَا فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ؟

فَالْجَوَابُ أَنَا نَقُولُ:
الْأَصْلُ الْأَنْضَرُ لِلْبَارِي - تَعَالَى - مَثَلًا، لِأَنَّهُ لَا مَثَلَ لَهُ لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، وَقَدْ قَالَ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: 74).

(١) في: ساقطة من: ب.

(٢) بن: ساقطة من: أ.

(٣) ب: المستوفي في الغرض.

(1) ذكره المؤلف في الأحكام: 1449، والعارضة: 21/9.

(2) لعله المحدث أحمد بن الحسن الأزهرى، أبو حامد الشروطى المتوفى سنة 463. انظر ترجمته عند

الذهبي: سير أعلام النبلاء: 254/18، والعبر: 252/3.

وَتَمَّ الْمَعْنَى فِي آيَةٍ أُخْرَى فَقَالَ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾
(الأنبياء: 23).

وَمَنْ أَخَذَ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ مِنَ الْخَلْقِ بِالْمَعْنَى ^(١) الْمُطْلَقِ فَقَدْ أَلْهَدَ وَأَخْفَقَ.
وَالْقَائِنُونَ فِي ذَلِكَ يَدُورُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْطَابٍ:

الْقُطْبُ الْأَوَّلُ:

إِنَّ كُلَّ مَعْنَى دَارَ بَيْنَ الْمَخْلُوقِينَ، فَدُونَكُمْ وَإِيَّاهُ، وَاضْرِبُوا ^(٢) لَهُ الْأَمْثَالَ،
وَكَثَرُوا فِيهِ بِالْمِثَالِ، وَنَوَّعُوا فِيهِ بِالْأَقْوَالِ ^(٣)، وَاسْتَرْسَلُوا عَلَى ^(٤) نِظَامِ الْمَعْنَى ^(٥)
فِي الْمَقَالِ، وَأَمَّا الْمَعْنَى الْمُتَعَلِّقُ بِالْبَارِي - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ^(٦)
الْأَمْثَالَ ابْتِدَاءً، إِلَّا مَا ضَرَبَ لِنَفْسِهِ، وَغَايَتُكُمْ فَهَمُ الْمَقْصُودِ مِنْهُ.

وَمِنْ هَاهُنَا زَاغَتْ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ، فَاسْتَرْسَلَتْ فِي ضَرْبِ الْأَمْثَالَ،
وَاسْتِعَارَةِ الْأَلْفَاظِ وَنَقْلِهَا مِنَ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ، وَذَلِكَ ابْتِدَاعٌ.

الْقُطْبُ الثَّانِي:

الاسْتِدْلَالُ عَلَى ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ بِوُجُوهِ الْأَدِلَّةِ الَّتِي رَتَّبَهَا الْعُلَمَاءُ
وَحَصَرُوهَا فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:

(١) ب: بمعنى.

(٢) ب: فاضربوا.

(٣) أ: الأقوال.

(٤) ب: عن.

(٥) أ: المعاني.

(٦) أ: له.

«الْعِلَّةُ وَالْمَعْلُولُ، وَالْحَقِيقَةُ وَالْمُحَقَّقُ، وَالشَّرْطُ وَالْمَشْرُوطُ، وَالذَّلِيلُ
وَالْمَذْلُولُ»⁽¹⁾.

وَنَحْنُ لَا نَرَاهَا، فَإِنَّهَا بِحَارٍ لَا سَاحِلَ لَهَا، وَإِنْ كَانَ رَكْبُهَا عُلَمَاؤُنَا فِي سَفَائِنِ
نَجَاةٍ، فَمَا أَرَاهُمْ عَنِ الْوَهْمِ فِيهَا بِنَجَاةٍ، وَالْأَوَّلَى بِكُمْ الْعُدُولُ عَنْهَا إِلَى وُجُوهِ الْأَدِلَّةِ
الَّتِي رَتَّبْنَاهَا فِي «الْمَتَوَسِّطِ»⁽²⁾ وَ «الْمُقَسِّطِ» وَ «الْمُشْكِلِينَ» وَسَائِرِ الْعَقَائِدِ
وَالْتَأْيِيفَاتِ، إِلَّا أَنْ يَجِدَ الْمَرْءُ لُبَانَةً⁽³⁾ فِي ذَهْنِهِ، وَفَرَاغًا مِنْ وَقْتِهِ، وَهَمَّةً تَنْتَهِي بِهِ⁽¹⁾
إِلَى الْمَقْصُودِ، فَلَا بَأْسَ بِهِ لَهُ، لَيَرَى فَضْلَ سَائِرِ الطُّرُقِ عَلَيْهَا، وَيُشْرِفَ عَلَى
الْمَقْصُودِ مِنْهَا.

الْقُطْبُ الثَّالِثُ:

وَهُوَ الرَّدُّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ فِي كُلِّ مَا شَبَّهُوا بِهِ رَبَّهُمْ وَمَثَلُوهُ بِخَلْقِهِ، فَتَسَامَحَ
الْعُلَمَاءُ إِذَا رَأَوْا لَهَا مِثَالًا أَنْ يُنْشِئُوا لَهُمْ تَمَثُّلًا يَنْقُضُ مِثَالَهُمْ، لِيَضْرِبُوا⁽²⁾ بَيْنَ
أَقْوَالِهِمْ حَتَّى يَظْهَرَ غَلْطُهُمْ، وَيَتَضَحَّ سَقَطُهُمْ، وَذَلِكَ بَيْنَ فِي أَمَثَلَةِ الصَّلَاحِ

(1) به: ساقطة من: أ.

(2) أ: ... مثلاً لا ينقض مثالهم ليضربوا.

(1) توسع المؤلف - بعض الشيء - في المتوسط: 28 - 29 فقال: «... الكلام في إثبات الصفات بطريقتين:

أحدهما القول بالأحوال وتحقيق اعتبار الغائب بالشاهد في الطرق الأربعة وهي:
العلة والمعلول كالعلم وكون العالم عالماً. والشرط والمشروط كالحياة والعلم، والدليل والمدلول
كدلالة الحدث على المحدث، والحقيقة والمحقق كعلمنا بأن حقيقة العالم من قام به العلم، وهي
سبيل لا تنال بالهويني، ولا تدرك بالمني، وما وقعت عيني على من يتحققها في الأقطار التي تولجتها
إلا رجلين من الأشياخ من أهل السنة، وذلك لتشعب أصولها وتناهي مبادئها من فصولها.
والطريقة الثانية وهي الأليق...».

قلت: لم أتمكن من نقل بقية الكلام لتآكل المخطوط ورداءة خطه.

(2) صفحة: 28 وما بعدها.

(3) اللُّبَانَةُ: الحاجة من غير فاقة ولكن من همّة، انظر مادة «لبن» من لسان العرب.

وَالْأَصْلَحُ^(١)، وَالتَّعْدِيلِ وَالتَّجْوِيرِ^(٢)، وَهُوَ جَائِزٌ بِاتِّفَاقٍ مِنَ الْأُمَّةِ.

وَنَضْرِبُ لَكُمْ مِنْهَا مِثَالَيْنِ:

المِثَالُ الْأَوَّلُ:

قَالَ الْقَدْرِيُّ^(٣): «الْبَارِي لَا يَفْعَلُ الْقَبِيحَ لِعِلْمِهِ بِقُبْحِهِ وَغِنَاهُ عَنْهُ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ فِعْلُ الْحَسَنِ النَّافِعِ الْمُصْلِحِ لِلْخَلْقِ».

وَضَرَبُوا لِذَلِكَ مِثَالًا^(١):

«إِنَّ حَكِيمًا لَوْ مَرَّ بِأَرْضٍ مَضِيعَةٍ فِيهَا غَرِيبٌ مَهِينٌ، فَالْحِكْمَةُ تَسْتَحِثُّهُ عَلَى إِنْقَادِهِ، وَالْبَارِي - تَعَالَى - أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ».

قَالَ لَهُمُ الْعُلَمَاءُ^(٤): الْحَكِيمُ مِنَّا^(٢) إِذَا عَلِمَ مِنْ عَبْدِهِ أَنَّهُ إِذَا أَمَدَّهُ^(٣) بِالْعَدَدِ

(١) مثلاً: ساقطة من: أ.

(٢) ب: هنا.

(٣) ب: أخذه.

(١) قال المؤلف في المتوسط: 79 «الصلاح عندنا وجوب المراد، والفساد فوات المقصود، وقالت القدرية: الصلاح ما قصد به المنفعة، والفساد ما قصد به المضرة، وقالوا: إنه يجب على الله فعل الأصلح لعباده، فليت شعري أي صلاح أو أصلح في تخليد الكفار في النار وتركهم تحت أطباق الجحيم، وليس لهم قول ينفع، وقد ألزمهم الأئمة صورة لا يمكن دفعها لثلاثة أطفال... إلخ...». قلت: وللوقوف على مذهب المعتزلة في مسألة الصلاح والأصلح، انظر القاضي عبد الجبار في المغني: 3/13 - 2256، 33/14 - 180، وانظر هذه المسألة عند الأشاعرة لدى الغزالي في الاقتصاد: 181، أما نقد هذه الفكرة عند ابن حزم ففي الفصل: 164/3 - 188.

(2) انظر المتوسط في الاعتقاد: 77 - 78.

(3) للوقوف على مقالة القدرية (المعتزلة) انظر: القاضي عبد الجبار في «المختصر في أصول الدين»: 205 (ضمن رسائل العدل والتوحيد التي جمعها وحققها د. محمد عمارة)، وشرح الأصول الخمسة: 301 - 323، والمغني: 22/14 - 885.

ولمعرفة آراء الأشاعرة في التحسين والتقبيح، انظر: الجويني: الإرشاد 258، البغدادي: أصول الدين: 131، الشهرستاني: نهاية الأقدام: 370، الأمدى: غاية المرام: 224.

(4) أي علماء الأشاعرة.

وَالْعُدَّةَ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالنَّعْمَةِ، عَصَاهُ وَصَرَفَهُ فِي مُخَالَفَتِهِ، لَمْ يُؤْتِهِ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ آتَاهُ إِيَّاهُ سَلَبَهُ إِذَا رَأَاهُ عَصَاهُ، وَالْبَارِي - تَعَالَى - يَرَى الْمَرَدَّةَ وَمَا يَفْعَلُونَ فِي نِعَمِهِ عِنْدَهُمْ، وَقَدْ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْهُمْ قَبْلَ فِعْلِهِمْ، وَعَلِمَهُ^(١) بَعْدَ فِعْلِهِمْ وَتَرَكَهُمْ، وَهَذَا لِأَنَّ^(٢) الْأَفْعَالَ فِي حَقِّهِ لَا تَتَفَاوَتُ.

وَالْحَكِيمُ الَّذِي يَلْقَى الْإِنْسَانَ بِالْمُضِيعَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى اسْتِنْقَاذِهِ رِقَّةَ الْجَنَسِيَّةِ وَطَلَبَ الْمُحَمَّدَةَ، وَالرَّبُّ يَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ.

المثال الثاني^(١):

قَالَ الْمُتَبَدِّعُ: يَجِبُ عَلَى اللَّهِ رِعَايَةُ الْأَصْلَحِ.

قَالَ لَهُمْ عُلَمَاؤُنَا: فَمَا قَوْلُكُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَطْفَالٍ، مَاتَ أَحَدُهُمْ صَغِيرًا، وَعَمَّرَ الْآخَرُ مُسْلِمًا مُطِيعًا، وَآخَرُ الثَّلَاثِ كَافِرًا؟

فَالْعَدْلُ^(٣) عِنْدَكُمْ أَنْ يُخَلَّدَ الْكَافِرُ فِي النَّارِ، وَأَنْ تَكُونَ رُتْبَةُ^(٤) الْمُسْلِمِ الْبَالِغِ فِي الْجَنَّةِ أَعْظَمُ^(٥) مِنْ رُتْبَةِ الصَّبِيِّ.

(١) ب: وعلم.

(٢) ب: فتركهم وهو الآن.

(٣) ب: فالقول.

(٤) رتبة: ساقطة من: أ، ب والمثبت من هامش: أ.

(٥) ب: في أعظم.

(١) هذا المثال هو محور المناقشة التي جرت بين الأشعري والجُبَّائِي (المعتزلي) وبموجبها انفصل الأشعري عن الجُبَّائِي، ويتردد هذا المثال في كتب الأشاعرة بصورة تختلف عن بعضها بعضاً بعض الشيء، انظر على سبيل المثال لا الحصر: الشهرستاني نهاية الأقدام: 409، السكوني: عيون المناظرات: 226، الغزالي: الاقتصاد: 181 - 182، غير أن ابن الوزير اليماني ناقش هذا المثال وبين وجه الخطأ فيه، إيثار الحق: 232 - 242. كما أن الباحث حمود غرابة شكك في كتابه «أبو الحسن الأشعري» في صحة هذه القصة، وللتوسع أكثر انظر مقال الراهب المسيحي المستشرق آلار ALLARD في مجلة TRAVAUX ET JOURS لشهر أبريل - جوان 1964.

فَإِذَا قَالَ الصَّبِيُّ: يَا رَبِّ لِمَ ^(١) حَطَّطْتَ رُتْبَتِي عَنْ هَذَا؟
قَالَ: لِأَنَّهُ أَطَاعَنِي.

فَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَ قَطَعْتَ بِي، لَوْ عَمَّرْتَنِي عُمُرَهُ لَأَطَعْتُكَ طَاعَتَهُ، فَلَا جَوَابَ
عِنْدَهُمْ لَهُ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ: عَلِمْتُ أَنِّي إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ كَفَرْتُ، فَيَنَادِيهِ الْكَافِرُ مِنْ
أُطْبَاقِ الْجَحِيمِ: فَإِذَا عَلِمْتَ بِكُفْرِي لِمَ عَمَّرْتَنِي؟

فَلَا جَوَابَ لِلَّهِ عِنْدَهُمْ عَنْهُ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِ الظَّالِمِينَ عُلوًّا كَبِيرًا -
وَعِنْدَنَا أَنَّ الْبَارِيَّ - تَعَالَى - يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ مِنْ غَيْرِ وُجُوبٍ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ
سُبْحَانَهُ.

(١) لم: ساقطة من: ب.

ذَكَرُ أَمْثَلَةٍ مِنَ الْقَانُونِ عِنْدَ الْإِنْتِهَاءِ
إِلَى هَذَا الْمَقَامِ مِنْ بَيَانِ مُقَدِّمَاتِهِ

وَهِيَ (١) ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ فِي الْعُلُومِ ، الثَّلَاثَةُ تَنْبِيْهُكَ عَلَى (٢) الْغَرَضِ .

النَّوْعُ الْأَوَّلُ : فِي التَّوْحِيدِ

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَالْهَيْكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١)
(البقرة : 162).

(١) أ : وهذه .

(٢) ب : تنبيهك عن .

(1) علق المؤلف - رحمه الله - في معرفة قانون التأويل : 50/ب (نسخة الأسكريال) على هذه الآية
الكريمة بقوله :

«جمعت هذه الآية غرائب : ترهيبين وترغيبين :

فالترهيب الأول : قوله : ﴿وَالْهَيْكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ وهو تحذير من التمثيل بالجواهر والأجناس ،
وتشبيه صفاته بشيء من صفات الناس ، والترهيب الثاني وهو التحذير من الرياء في عبادته والشرك
به ، لانفراده بالإلهية والربوبية والملك ، ولما كان واحداً لا شريك له يوازيه أو يدانيه لم يقبل من عمل
العبادة له إلا ما لا حظ لمخلوق فيه . والترغيبين قوله : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ لأن إعلان وفعلان من
أبنية المبالغة ، فذكر تعالى صفتين موجبتين للترهيب ثم أتبعهما بصفتين موجبتين للترغيب لتعديل
الترهيب والترغيب ، فالترهيب ليجتهد العابدون في خدمتهم ، والترغيب لئلا يقنط المذنبون من
رحمته .

وفي قوله : ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ فوصف نفسه بالإلهية ما يقتضي استحقاق العبودية فدل أن صلاح
التوحيد مرتبط بصلاح العبودية ، وأن فسادها مرتبط بفسادها .

هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلُ فِي التَّوْحِيدِ فَقَصَدْنَا إِلَيْهِ لِبَيَانِ الْمَطْلُوبِ ، وَذَكَرْنَا فِيهِ^(١) اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ سُؤَالَ :

الْأَوَّلُ : عَلَامَ عُطِفَ قَوْلُهُ : ﴿ وَإِلَهُكُمْ ﴾ ؟ .

الثَّانِي : مَا مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ إِلَهَ ﴾ ؟ .

الثَّالِثُ : لِمَ عَدَلَ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ اللَّهُ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَإِلَهُكُمْ ﴾ ؟ .

الرَّابِعُ : مَا وَجَّهَ هَذِهِ الْإِضَافَةَ ؟ .

الخَامِسُ : أَيُّ الْإِضَافَتَيْنِ أَشْرَفُ ، قَوْلُهُ : ﴿ وَإِلَهُكُمْ ﴾ أَوْ قَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ عِبَادِي ﴾ (الإِسْرَاءُ : 65) .

السَّادِسُ : مَا وَجَّهَ تَكَرُّارَ قَوْلِهِ : ﴿ إِلَهَ ﴾ وَكَانَ يَكْفِي أَنْ يَقُولَ : وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ؟ .

السَّابِعُ : مَا مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَاحِدٌ ﴾ ؟ .

الثَّامِنُ : مَا مَعْنَى النَّفْيِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٣) ؟ .

التَّاسِعُ : مَا الْمَنْفِيُّ بِالنَّفْيِ ؟ .

الْعَاشِرُ : مَا مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا ﴾^(٤) ؟ .

الْحَادِي عَشَرَ : مَا الْمُثْبِتُ ؟ .

الثَّانِي عَشَرَ : مَا الْمَنْفِيُّ^(٥) ؟ .

(١) أ : منه .

(٢) أ : إِلَهُكُمْ .

(٣) إِلَّا هُوَ : ساقطة من : أ .

(٤) أ : إله .

(٥) ب : النفي .

الثالث عشر: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿هُوَ﴾؟.

الرابع عشر: مَا وَجْهُ تَكَرَّرِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَاحِدٌ﴾ يَقْتَضِيهِ؟.

الخامس عشر: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ﴾؟.

السادس عشر: مَا مَعْنَى ﴿الرَّحِيمُ﴾؟.

السابع عشر: مَا مُتَعَلِّقُهُمَا^(١)؟.

الثامن عشر: مَا دَلِيلُ التَّوْحِيدِ؟.

التاسع عشر: مَا دَلِيلُ وَجُوبِهِ؟.

الموفي عشرين: مَا وَجْهُ تَكَرَّرِ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾؟.

الحادي والعشرون: مَا وَجْهُ الْحَجْرِ بِتَسْمِيَةِ «اللَّهِ» وَالْإِذْنَ فِي سِوَاهُ؟.

الثاني والعشرون: مَا وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي أَنَّهُ خَتَمَ الْآيَةَ بِ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ؟.

وَفِيهَا^(٢) أَسْئَلَةٌ كَثِيرَةٌ هَذِهِ أُمّهَاتُهَا، وَمَا يَجْرِي فِي إِثْبَاتِهَا يَدُلُّ عَلَيْهَا.

فَأَمَّا الْجَوَابُ فَتَنْفَرِجُ أَبْوَابُهُ، وَتَمْتَدُّ أَطْنَابُهُ، وَلَيْسَ فِيهَا سُؤَالٌ إِلَّا^(٣) يَحْتَمِلُ مَجَالِسَ وَأَقْلَهَا مَجْلِسٌ وَاحِدٌ، وَلَكِنَّا نُلِيحُ لِنُكْتِ^(٤) مِنْ أَغْرَاضِ الْعُلَمَاءِ يَسِيرَةَ تُشِيرُ إِلَى مَا وَرَاءَهَا مِنَ الْبَيَانِ فَنَقُولُ:

(١) أ: متعلقها.

(٢) ب: وفيه.

(٣) أ: لا.

(٤) ب: بنكت.

أَمَّا ^(١) السُّؤَالُ الْأَوَّلُ:

فَإِنَّمَا عَطَفَ ^(٢) قَوْلُهُ: ﴿وَالْهَيْكَلُ﴾ عَلَى مَا سَبَقَ مِنْ ذِكْرِهِ سُبْحَانَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ وَالْمُلْكِ وَالْخَلْقِ وَالْعِبَادَةِ وَالْهِدَايَةِ وَالْإِخْتِرَاعِ ^(٣) وَالتَّصْرِيفِ وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّكْلِيفِ، ثُمَّ قَالَ: وَالْهَيْكَلُ الَّذِي لَهُ ذَلِكَ كُلُّهُ وَمِنْهُ؛ وَاحِدٌ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَلَا نَظِيرٌ وَلَا وَزِيرٌ وَلَا مُشِيرٌ.

وَأَمَّا السُّؤَالُ الثَّانِي:

فَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى «الْإِلَهِ وَالْإِلَهِيَّةِ» فِي كِتَابِي «الْأَمَدِ الْأَقْصَى» ^(١) وَ«شَرْحِ الْمُشْكِلِينَ» فَلْيَنْظُرْ فِيهِ.

وَنُكِّنَتْهُ: أَنَّ الْإِلَهِ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَهِيَ الْفَائِدَةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَ الْخَلْقَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56).

وَاحِدٌ مَعَانِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الحجر: 85).

وَهُوَ الثَّابِتُ وَجُودُهُ وَوُجُوبُهُ ^(٤)، الزَّاهِقُ ضِدُّهُ، وَهُوَ الْبَاطِلُ الْمُبِينُ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ (آل عمران: 191).

مَعَ فَائِدَتِهِ الثَّانِيَةِ وَهِيَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ.

(١) ب: إن.

(٢) ب: خطب.

(٣) والاختراع: ساقطة من: ب.

(٤) أ: وجوبه ووجوده.

(1) لوحة: 14/أ - إلى - 16/ب.

وَأَمَّا السُّؤَالُ الثَّلَاثُ :

فَإِنَّ قَوْلَنَا : «اللَّهُ» أَكْمَلُ وَأَفْضَلُ مِنْ قَوْلِنَا : «إِلَهٌ» وَلَكِنَّهُ لَمَّا أَرَادَ فِي ذَلِكَ
الإِضَافَةَ ، عَدَلَ إِلَى الْإِسْمِ الَّذِي تَنْتَظِمُ مَعَهُ الإِضَافَةُ هَا هُنَا ، هَذَا أَقْوَى مَا فِيهِ ، وَقَدْ
أَمَلَيْنَا غَيْرَهُ فِي «أَنْوَارِ الْفَجْرِ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ» .

وَأَمَّا السُّؤَالُ الرَّابِعُ :

فَفِيهِ أَجْوَبَةٌ أَقْوَاهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يُضَيِّفُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَى اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَالْكَعْبَةِ
وغيرِهَا ، فَأَضَافَهُمْ إِلَى نَفْسِهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَمَعْبُودُكُمْ وَرَازِقُكُمْ وَكَافِيكُمْ وَمُبْتَلِيكُمْ
وَمُكَلِّفُكُمْ وَمُصْرَفُكُمْ وَهَادِيكُمْ وَمُضِلُّكُمْ وَاحِدٌ ، لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ، وَهُوَ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ .

وَأَمَّا السُّؤَالُ الْخَامِسُ :

فَإِنَّ إِضَافَةَ الْإِلَهِيَّةِ أَشْرَفَ مِنْ إِضَافَةِ الْعُبُودِيَّةِ ، لِأَنَّ الْعُبُودِيَّةَ وَصْفُكَ ، وَالْإِلَهِيَّةَ
وَصْفُهُ ، وَلِأَنَّ الْعُبُودِيَّةَ وَصْفٌ خَاصٌّ ، وَالْإِلَهِيَّةَ وَصْفٌ عَامٌّ يَتَضَمَّنُ الْعِبَادَةَ وَسِوَاهَا .

وَأَمَّا السُّؤَالُ السَّادِسُ :

فَفِيهِ جَوَابٌ أَوَّلُ فِي النَّظَرِ وَهُوَ : التَّأْكِيدُ ، وَذَلِكَ مَقْصُودٌ فِي الْفَصَاحَةِ ، كَثِيرٌ
فِي الْوُرُودِ .

وَفِيهِ جَوَابٌ ثَانٍ بَعْدَ التَّأْمُلِ ، وَهُوَ أَنَّهُ لَمَّا أَضَافَهُ إِلَيْهِمْ لِيَعْرِفَهُمْ بِهِ ، حَدَّدَهُ
لِيُفْرِدَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ حَتَّى تُبَيَّنَ الإِضَافَةُ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فُتُونِ الْمَعْنَى وَهِيَ طَوِيلَةٌ
جَدًّا .

وَأَمَّا السُّؤَالُ السَّابِعُ :

فَإِنَّ كَلَامَهُ صَعْبٌ عَرِيشٌ، هُوَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مُخْتَصَرٌ أَرِيشٌ⁽¹⁾، تَقُولُ: هُوَ وَاحِدٌ لَا يَتَجَزَّأُ، وَاحِدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ، وَاحِدٌ لَا يُثْنَى، وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ، وَاحِدٌ فِي مَخْلُوقَاتِهِ⁽²⁾، وَابْسُطْهُ فَإِنَّهُ يَمْلَأُ الْأَرْضَ.

.....
(1) أَي زَكِيٌّ.

(2) توسع المؤلف في بسط هذه الفكرة في الأمد الأقصى: 25/ب فقال: «... فاعلموا أن الباري واحدٌ في ذاته بالوجهين الحقيقة والمجاز، أما الحقيقة، فإنه لا يَنْقَسِمُ وبذلك صار واحداً، ولكن ما لا يَتَجَزَّأُ على قسمين: أحدهما يُثْنَى كالجواهر والنقطة، والثاني لا يُثْنَى وهو الله سبحانه فإنه لا يُثْنَى، أي ليس بِمُقْتَنَحٍ للعدد، ولا يُشَبَّهُ أحد، وأما المجاز، فلا نظير له لاستحالة الاتصال بالأشكال، ووجوب كونه متوحداً بصفاته ولا شريك له أيضاً، فصار واحداً في ذاته بعدم التجزيء، واحداً في أفعاله ومخلوقاته، وكل واحد من هذه الأوجه الثلاثة واجب في وصفه، فلا قسيم له في الذات، ولا شبهة له في الصفات، ولا شريك له في تدبير المصنوعات...».

قلت: الكلام السابق هو قول أغلب الأشاعرة ومن ارتضى مذهبهم في تفسير «الواحد»، وقد تعقب ابن تيمية هذا التفسير بقوله: «... إن التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو المذكور في الكتاب والسنة وهو المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، ليس هو هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها هؤلاء المتكلمون، وإن كان ما فيها ما هو داخل في التوحيد الذي جاء به الرسول، فهم مع زعمهم أنهم «الموحدون» ليس توحيدهم التوحيد الذي ذكر الله ورسوله، بل التوحيد الذي يدعون الاختصاص به باطل في الشرع والعقل واللغة... أما في اللغة فإن أهل اللغة مطبقون على أن «الواحد» ليس هو الذي لا يتميز جانب منه عن جانب، ولا يرى منه شيء دون شيء، إذ القرآن ونحوه من الكلام العربي متطابق على ما هو معلوم بالاضطرار في لغة العرب وسائر اللغات أنهم يصفون كثيراً من المخلوقات بأنه واحد ويكون ذلك جسماً، إذ المخلوقات إما أجسام أو أعراض... وإذا كان أهل اللغة متفقين على تسمية الجسم الواحد واحداً، امتنع أن يكون في معنى اللغة معنى الواحد الذي لا ينقسم إذا أريد بذلك أنه ليس بجسم، وأنه لا يشار إلى شيء منه دون شيء. وأما العقل، فهذا الواحد الذي وصفوه، يقول لهم فيه أكثر العقلاء وأهل الفطر السليمة: إنه أمر لا يعقل، ولا له وجود في الخارج، وإنما هو أمر مُقَدَّرٌ في الذهن، ليس في الخارج شيء موجود لا يكون له صفات ولا قدر، ولا يتميز منه شيء عن شيء، بحيث يمكن أن لا يرى ولا يدرك ولا يحاط به وإن سماه المسمي جسماً.

وأما الشرع، فنقول: مقصود المسلمين أن الأسماء المذكورة في القرآن والسنة، وكلام المؤمنين المتفق عليه بمدح، أو ذم، تعرف مسميات تلك الأسماء، حتى يعطونها حقها، ومن المعلوم بالاضطرار أن اسم «الواحد» في كلام الله لم يقصد به سلب الصفات، وسلب إدراكه بالحواس، ولا نفي الحد والقدر ونحو ذلك من المعاني التي ابتدع فيها الجهمية وأتباعهم، ولا يوجد نفيها في =

وَأَمَّا السُّؤَالُ الثَّامِنُ:

فَإِنَّ النَّفْيَ هُوَ عَدَمُ الْمَوْجُودِ، أَوْ رَدُّ الْمَقُولِ عَنِ الصَّحَّةِ وَالْقَبُولِ.

وَأَمَّا السُّؤَالُ التَّاسِعُ:

فَإِنَّ الْمَنْفِيَّ بِـ «لَا» هُوَ الثَّانِي أَبَدًا فِي الْجُمْلَةِ، وَذَلِكَ لِئَنَّهُ بَدِيعَةٌ وَهِيَ أَنَّ النَّفْيَ مَتَى تَعَلَّقَ بِالْمَفْعُولِ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالوَاحِدِ وَالثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ أَبَدًا، وَمَتَى تَعَلَّقَ بِالْقَوْلِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِي الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ.

وَأَمَّا السُّؤَالُ الْعَاشِرُ:

فَإِنَّ كَلِمَةَ «إِلَّا» مَوْضُوعَةٌ لِلِاسْتِدْرَاكِ فِيمَا فَاتَ بَيَانُهُ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ، فَتُخْرِجُهُ^(١) عَنْ ذَلِكَ إِلَى ضِدِّهِ، وَفِيهَا تَطْوِيلٌ بَيَانُهُ فِي كُتُبِ «أُصُولِ الْفِقْهِ»^(٢).

وَأَمَّا السُّؤَالُ الْحَادِي عَشَرَ:

فَإِنَّ الْمُثَبَّتَ بِهَا^(٣) هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي قُصِدَ بِالنَّفْيِ بَعْدَهُ نَفْيُ الْإِشْتِرَاكِ مَعَهُ، وَلَمْ يُمْكِنْ^(٣) النَّفْيَ إِلَّا بِأَنْ يَأْتِيَ بَعْدَهُ إِبْتِاثٌ لِلْحِكْمَةِ الَّتِي بَيَّنَّاهَا.

وَأَمَّا السُّؤَالُ الثَّانِي عَشَرَ:

فَإِنَّ الْمُثَبَّتَ هُوَ الْمَنْفِيُّ، لَكِنْ بِإِخْصَاصٍ مِنْ لَفْظِ النَّفْيِ مَعَ كَمَالِ الْمَعْنَى.

(١) ب: فتحركه.

(٢) ب: بهما.

(٣) أ: يكن.

= كتاب ولا سنة ولا عن صاحب ولا أئمة المسلمين... بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: 478/1 - 479، 481 - 484.

(1) قال المؤلف في «المحصول في علم الأصول»: 15/أ: «... إلا وهي أم حروف الاستثناء، وهي عندنا لبيان مراد المخبر فيما سبق قبلها من الخبر، وذلك نوع من العموم والخصوص، وله أبواب يكثر تعدادها».

وانظر مبحث «القول في الاستثناء» لوحة: 32/ب - 34/ب من المحصول.

وَأَمَّا السُّؤَالُ الثَّالِثُ عَشَرَ:

فَإِنَّ كَلِمَةَ «هُوَ» ضَمِيرٌ فِي اللُّغَةِ صَارَ بِعُرْفِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْإِنْفِرَادِ بِالْمُلْكِ ظَاهِرًا فِي اللَّهِ، وَقَدْ قَدَّمْنَا قَوْلَ أَهْلِ الزُّهْدِ فِيهِ (1).

وَأَمَّا السُّؤَالُ الرَّابِعُ عَشَرَ:

فَالْجَوَابُ مَاخُودٌ فِيهِ مِنْ فَنِّ الْكَلَامِ مَعَ الْكُفَّارِ بِمَا نَصَبَ اللَّهُ مِنَ الْأَدِلَّةِ فِي كِتَابِهِ عَلَيْهِ، وَأَعْظَمُ مَا فِيهِ مَا قَدَّمْنَاهُ مِمَّا نَبَّهَ عَلَيْهِ فِي (1) قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (المؤمنون: 92).

فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَلَا أَبْلَغَ مِنْهُ، وَادْكُرْ سِوَاهُ، وَابْسُطْ تَمَامَهُ، وَاسْتَوْفِي الْمَقْصُودَ. وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ وَأَمَّا السُّؤَالُ الْخَامِسَ عَشَرَ وَالسَّادِسَ عَشَرَ وَالسَّابِعَ عَشَرَ:

فَقَدْ بَيَّنَّاهُ فِي كِتَابِ «الْأَمَدِ الْأَقْصَى» (2) مُخْتَصَرًا، وَفِي كِتَابِ «الْمُشْكِلَيْنِ» مُسْتَوْفَى.

وَأَمَّا السُّؤَالُ الثَّامِنَ عَشَرَ:

وَهُوَ وَجُوبُ دَلِيلِ التَّوْحِيدِ، فَإِنَّهَا دَقِيقَةٌ لَمْ يَتَفَتَّنْ لَهَا الْعُلَمَاءُ، وَقَدْ مَهَّدْنَاهَا فِي مَوْضِعِهَا، لِبَابِهِ (3).

إِنَّ ظَاهِرَ هَذَا الدَّلِيلِ (3) يُعْطِيكَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَهَانِ

(1) أ: من.

(2) أ: لبابها. (3) أ: التأويل.

(1) صفحة: 235، ولا شك أن أقوال أهل الزهد في الضمير «هو» فيها غرابة.

(2) من لوحة: 75/أ - إلى 79/ب.

لَفَسَدَتَا، وَتَمَامُهُ أَنْ يُقَالَ: فَهَبْكُمْ فَسَدَتَا، فَمَاذَا يَلْزَمُ عَلَيْهِ؟ وَمَاذَا يُؤُولُ إِلَيْهِ؟ وَمَاذَا يُبَالِي عَنْ فَسَادِ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا إِذَا لَمْ يَتَعَرَّضْ ذَلِكَ إِلَى الْخَالِقِ، وَلَا عَادَ إِلَيْهِ؟. وَهَذَا سُؤَالٌ حَادٌّ وَجْهَتُهُ الْمُعْتَزِلَةُ، إِذْ كَرِهَتْ هَذِهِ الدَّلَالَةُ لِأَنَّهَا قُرْآنِيَّةٌ وَعَدَلَتْ إِلَى دَلَالَةِ الْفَلَاسِيفَةِ، وَهِيَ اسْتِحَالَةُ الْكَثْرَةِ فِي الْعِلَّةِ^(١).

وَالْجَوَابُ عَنْهُ ظَاهِرٌ مِنْ طَرِيقٍ، أَعْرَبُهَا مَا قَصَدَ إِلَيْهِ لِسَانُ الْأَمَّةِ^(٢) مِنْ أَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى تَنَاهِي الْمَقْدُورَاتِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَقُولُهُمْ: «إِنَّ الْعَبْدَ خَالِقٌ» تَتَنَاهَى مَقْدُورَاتُ اللَّهِ، فَأَرَادَ أَنْ يَنْكَأَهُمْ فِي قَرَحَتِهِمْ.

وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ بِقَوْلٍ غَيْرِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى سَلْبِ الْقُدْرَةِ، وَإِبْطَالِ الْإِلَهِيَّةِ، وَذَهَابِ الْوُجُودِيَّةِ، وَقَدْ مَهَّدْنَاهُ فِي مَوْضِعِهِ.

وَأَمَّا السُّؤَالُ التَّاسِعُ عَشَرَ:

فَفَائِدَتُهُ أَنَّهُ كَمَا كَرَّرَ «إِلَه»^(١) فِي الْإِتْبَاتِ لِمَزِيدِ الْبَيَانِ.....

(١) أ: إلهاء.

(١) وتقرير هذا الدليل عند الفلاسفة هو كالتالي: «لو سلمنا جدلاً بوجود عدة آلهة للعالم، لوجب أن تشترك هذه الآلهة في صفة واحدة، وهي أنها تستطيع الخلق جميعها، ولوجب أن يحتوي كل منها على صفة أو صفات خاصة تميزه عن غيره من الآلهة، ومتى قلنا بأن كل إله يحتوي على نوعين من الصفات، كان ذلك تسليمياً بوجود الكثرة فيه، لأنه مركب من شيء عام مشترك معه غيره، وفي شيء خاص ينفرد به وحده، وعندئذ يجب أن نقف على العلة في وجود هذا التركيب في كل إله من هذه الآلهة المتعددة، فإذا وجدنا علة على سبيل الفرض، وجب البحث عن علة لهذه العلة وهكذا دواليك، لكن لا يمكن الانتقال في سلسلة العلل إلى ما لا نهاية، فوجب الوقوف عند حد، أي يلزمنا القول بوجود إله بريء من كل كثرة أو تركيب».

انظر: رسائل الكندي الفلسفية: 153 (تحقيق د. أبو ريدة، ط: 1950)، ابن سينا: النجاة: 223 - 228 (ط: الكردي 1938)، الفارابي: فصوص الحكم: 132 (ضمن مجموع ط: السعادة 1907)، وانظر نقد هذا المسلك في مقدمة الدكتور محمد السيد الجليلند لكتاب التوحيد لابن تيمية: 54 - 26.

(2) أي الإمام الباقلاني.

كَرَّرَ النَّفْيَ بِزِيَادَةٍ^(١) الْبَيَانِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ: «وَاحِدٌ» إِبْثَاتٌ وَنَفْيٌ، فَأَكَّدَ بِقَوْلِهِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مَعْنَى النَّفْيِ الَّذِي اقْتَضَاهُ قَوْلُهُ^(٢) ﴿وَاحِدٌ﴾.

وَأَمَّا السُّؤَالُ الْمَوْفِي عَشْرُونَ:

فَقَدْ بَلَّغْنَا مِنَ الْبَيَانِ فِيهِ الْأَمَدَ فِي كِتَابِ «الْأَمَدِ»^(١) وَالرَّحْمَةُ بَابٌ وَاسِعٌ فِي الْمَقَالِ وَالْفَعَالِ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ - يُوجِبُ لَنَا مِنْهُ أَفْضَلَ الْمَنَالِ، وَفِيهِ بَيَانُ «الرَّحِيمِ» وَالْمُتَعَلِّقِ بِهِمَا وَتَكَرَّرِهِمَا.

وَأَمَّا السُّؤَالُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ:

فِي الْحَجَرِ وَالْإِذْنِ، فَهُوَ غَرِيبٌ، وَلِلْعُلَمَاءِ فِيهِ مَنَازِعٌ، أَقْوَاهَا الْآنَ عِنْدِي أَنَّ الْبَارِيَّ - سُبْحَانَهُ - قَبَضَ الْعِبَادَ عَنْ بَعْضِ الْأَفْعَالِ، وَأَرْسَلَهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْأَقْوَالِ، فَجَعَلَ مِنْ أَعْظَمِ دَلَالَتِهِ عَلَيْهِ^(٣) قَبْضَ أَقْوَالِهِمْ عَنِ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ^(٤).

وَقَالَ أَهْلُ الزُّهْدِ: بَدَأَ الْآيَةَ بِاسْمِ الْإِلَهِيَّةِ، فَلَوْ خَتَمَهَا بِهَا لَهَلَكُوا، وَلَكِنَّهُ تَذَارَكَهُمْ بِوَصْفِ الرَّحْمَةِ فَبَقُوا^(٥).

وَأَمَّا السُّؤَالُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ:

فَقَدْ أُنْذِرَجَ أَحَدُ الْجَوَابَيْنِ فِيهِ الْآنَ فِي السُّؤَالِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ، وَفِيهِ جَوَابٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنَّهُ خَتَمَهُ بِأَعَمِّ الْأَوْصَافِ فِي تَنَاوُلِ الْأَفْعَالِ، وَقَدْ قِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ...

(١) أ: لزيادة.

(٢) أ: قولك.

(٣) ب: عليهم.

(٤) ب: أَسْمَائِهِمْ، وَاسْتُذِرِكَ الْخَطَأُ فِي الْهَامِشِ.

(٥) ب: فصفوا.

(1) لوحة: 75/أ - إلى - 79/أ.

وَفِي هَذَا كِفَايَةُ أَنْمُودَجِ الْقَانُونِ، وَدُسْتُورُ فِي التَّأْوِيلِ .

وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي عَاصِمٍ النَّبِيلِ ^(١) أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَقَوْلُهُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (آل عمران: 1 - 2)، هُوَ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ ^(٢)، وَذَلِكَ لِمَا تَضَمَّنَتْ مِنْ أَسْمَاءِ الْجَمَالِ، وَصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمُتَعَلِّقَاتِ الْأَفْعَالِ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ - .

وَقَدْ حَضَرَ عِنْدِي بَعْضُ الْمُفْتِينَ فِي الْوَقْتِ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ فِي مَجْلِسِ الذِّكْرِ ثُمَّ كَمَلْتُ، وَاتَّبَعْتُهُ الْقَوْلَ فِي زَكَاةِ الْفَائِدَةِ وَتَفْرِيقِهَا فِي اجْتِمَاعِهَا مَعَ زَكَاةِ الدِّينِ وَأَنْفِرَادِهَا ^(١)، فَلَمَّا اكْمَلْتُ ^(٢) قَالَ لِي: مَا ظَنَنْتُ أَنَّ فِي الدُّنْيَا مَنْ يَعْلَمُ هَذَا، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ لَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ.

وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ^(٣) مُعْتَرِفًا بِالتَّقْصِيرِ، مُسْلِمًا فِي الْعِلْمِ .

(١) ب: انفرادهما.

(٢) أ: كملت.

(٣) اليوم: ساقطة من: أ.

.....

(1) هو الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ الشَّيْبَانِيُّ، الإمام الحافظ الثقة، روى عن الأوزاعي والإمام مالك وخلق كثير، توفي سنة 212. انظر عنه: ابن سعد: الطبقات: 295/7، خليفة بن خيظ: التاريخ: 474، الذهبي: تذكرة الحفاظ: 366/1، وسير أعلام النبلاء: 480/9.

(2) رواه أبو داود في الصلاة رقم 1496، والترمذي في الدعوات رقم: 3472 وقال: هذا حديث حسن، والدارمي في فضائل القرآن: 450/2.

النوع الثاني: في الأحكام

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ (الأحزاب: 50)⁽¹⁾.
فِيهَا سَبْعَ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً:

المسألة الأولى:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ أَزْوَاجَكَ
اللَّاتِي (١) نَكَحْتَ، وَهُنَّ (٢) أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ (٢) بَيَّانُهَا فِي «شَرْحِ الصَّحِيحِ» (٣)،
وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ مَنْ تَنِكَحُ.

المسألة الثانية:

قَوْلُهُ: ﴿اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ فَسَمِيَ الصَّدَاقُ أَجْرًا وَجَعَلَهُ عِوَضًا
كَالْبَيْعِ، وَتَحْقِيقُ ذَلِكَ قَدْ مَضَى فِي سُورَتِي «النِّسَاءِ» (٤) وَ«الْقَصَصِ» (٥) مِنْ كِتَابِنَا
أَعْنِي كِتَابَ «أَحْكَامِ الْقُرْآنِ».

(١) أ: التي.

(٢) ب: وهي.

(1) انظر: ابن العربي أحكام القرآن: 1552، الماوردي: النكت والعيون: 332/3، أبو حيان: البحر

المحيط: 241/7، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: 206/14.

(2) انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء: 253/2.

(3) أي شرح البخاري كما صرح المؤلف بذلك في الأحكام: 1554.

(4) صفحة: 317، 389 من أحكام القرآن.

(5) صفحة: 1466 من أحكام القرآن.

المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ:

قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَرْوَاحَكَ ﴾ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا عَمَّا مَضَى، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ إِذْنًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَإِذَا كَانَ خَبَرًا عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ، فَقَائِدَتُهُ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَبَاحَ لَهُ نِكَاحَ مَنْ آتَاهُ أَجْرُهُ مِنَ النِّسَاءِ، أَوْ وَهَبَ لَهُ نَفْسَهُ، وَإِنْ كَانَ خَبَرًا وَعَمَّا مَضَى، فَتَكُونُ قَائِدَتُهُ الْاِمْتِنَانُ عَلَيْهِ.

المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ:

قَوْلُهُ: ﴿ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ أَبَاحَ اللَّهُ لَهُ مَا شَاءَ مِنَ الْإِمَاءِ مِنْ غَيْرِ حَجَرٍ وَلَا تَحْدِيدٍ، فَكَانَ لَهُ مِنْهُنَّ: مَارِيَةُ الْقُبَيْطِيَُّّةُ⁽¹⁾، وَرَيْحَانَةُ الْيَهُودِيَّةُ⁽²⁾، وَصَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ⁽³⁾، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بَعْدُ فَانْتَقَلَتْ إِلَى الْأَزْوَاجِ.

المَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ:

قَوْلُهُ: ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ⁽¹⁾، وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ﴾، النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ⁽²⁾ كُلُّ الْخَلْقِ مِنَ الْمُسْتَأْذِنِ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَهُ، وَإِنَّمَا خَصَّ الْقَرَابَةَ لِوَجْهَيْنِ:

(1) وبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ: غير مثبتة في: أ.

(2) النبي عليه الصلاة والسلام: غير مثبتة في: أ.

(1) هي مولاة رسول الله ﷺ، وأم ولده إبراهيم، أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية، توفيت رضي الله عنها سنة: 16، وصُلِّيَ عليها عمر بن الخطاب. ابن سعد: الطبقات: 153/8، النووي: تهذيب الأسماء واللغات: 355/2، ابن الأثير: أسد الغابة: 260/7.

(2) هي ريحانة بنت شمعون، وقيل بنت عمرو، من بني قريظة، سرية رسول الله ﷺ، توفيت رضي الله عنها في حياته ﷺ بعد رجوعه من حجة الوداع. ابن سعد: الطبقات: 92/8، ابن الأثير: أسد الغابة: 120/7.

(3) هي صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير، من ولد هارون بن عمران أخي موسى عليه السلام، سببت في غزوة خيبر، فأعتقها النبي ﷺ وجعل عتقها صداقها، توفيت رضي الله عنها سنة: 50، ابن سعد: الطبقات: 115/8، ابن خياط: التاريخ: 82، ابن الأثير: أسد الغابة: 169/7، الذهبي: سير أعلام النبلاء 231/2.

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا بِهِ ^(١) أُمُّسُ وَإِلَيْهِ أَحَبُّ.

الثَّانِي: أَنَّ الْمُفَسِّرِينَ قَالُوا: إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَى سَبَبٍ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ أُمَّ هَانِئٍ ^(١) بِنْتَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَعْتَدَتْ إِلَيْهِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ ^(٢) . . . الْآيَةَ إِلَى قَوْلِهِ: اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴿وَكَانَتْ أُمُّ هَانِئٍ مِنَ الطُّلَقَاءِ فَلَمْ يُحِلَّ اللَّهُ لَهُ نِكَاحَهَا﴾ ^(٢).

المَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ:

قَوْلُهُ: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ هَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ وَفِي سَبَبِ نَزُولِ ذَلِكَ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

الأَوَّلُ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ مَيِّمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ ^(٣) خَطَبَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ جَعْفَرُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ^(٤)

(١) به: ساقطة من: أ.

(٢) ب: عماتك.

(1) أخت علي وجعفر، أسلمت يوم الفتح. انظر ترجمتها عند: ابن سعد: الطبقات: 47/8، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: 467/9، ابن الأثير: أسد الغابة: 404/7، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 311/2.
(2) أخرج هذه الرواية ابن سعد في الطبقات: 153/8، وابن جرير في تفسيره: 20/22، والترمذي في جامعه: 90/12 (عارضه الأحوذني) وقال: هذا حديث حسن صحيح لا أعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي.

وقد تعقبه ابن العربي في الأحكام: 1553 بقوله: وهو ضعيف جداً ولم يأت هذا الحديث من طريق صحيح يحتج في مواضعه بها.

قلت: للوقوف على روايات هذا الحديث انظر: ابن كثير: التفسير: 499/3، السيوطي: الدر المنثور: 628/6 (ط: دار الفكر: 1983).

(3) هي زوج النبي ﷺ، بنى بها في وقت فراغه من عمرة القضاء سنة سبع في ذي القعدة، توفيت رضي الله عنها سنة: 51، وقيل غير كذلك. انظر: ابن سعد: الطبقات: 132/8، ابن خياط: الطبقات: 338، ابن الأثير: أسد الغابة: 272/7، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 238/2.

(4) انظر ترجمته عند: ابن خياط: الطبقات: 4، والتاريخ له: 86، أبي نعيم: الحلية: 114/1، ابن الأثير: أسد الغابة: 341/1 الذهبي: سير أعلام النبلاء: 206/1، ابن حجر: التهذيب: 98/2.

فَجَعَلَتْ أَمْرَهَا إِلَى الْعَبَّاسِ (1) عَمَّهُ (2)، وَقِيلَ: وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ، قَالَهُ الزُّهْرِيُّ (3)،
وَعِكْرَمَةُ (4)، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ (5)، وَقَتَادَةُ (6).

الثَّانِي: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أُمِّ شَرِيكِ (7) الْأَزْدِيَّةِ، وَقِيلَ: الْعَامِرِيَّةُ (8) وَأَسْمُهَا
غَزِيَّةُ (1).

(1) أ: غزنة.

(1) انظر ترجمته عند: ابن خياط: التاريخ: 168، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: 210/6، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 78/2، ابن حجر: التهذيب: 214/5.

(2) أخرج هذه الرواية ابن سعد في الطبقات: 133/8.

(3) هو الإمام العلم محمد بن مسلم، أبو بكر القرشي المدني، نزيل الشام، روى عن ابن عمر وغيره، توفي رحمه الله سنة: 124، انظر ابن خياط: الطبقات: 261، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: 71/8، الذهبي: ميزان الاعتدال: 40/4.

(4) هو الإمام الحافظ أبو عبد الله القرشي، مولا هم، المدني، البربري الأصل، حدث عن ابن عباس وعائشة وغيرهما، توفي رضي الله عنه سنة: 105.

انظر ترجمته عند: الفسوي: المعرفة والتاريخ: 5/2، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: 7/7، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 12/5، ابن حجر: التهذيب: 263/7.

أما رواية عكرمة عن الواهة نفسها للنبي ﷺ فقد أخرجها ابن سعد في الطبقات: 138/8، وانظر السيوطي في الدر المنثور: 631/6 (ط: دار الفكر: 1983).

(5) هو الإمام العلامة أبو حمزة القرطبي المدني، من حلفاء الأوس، روى عن أبي هريرة وجماعة. توفي سنة: 120 وقيل غير ذلك، انظر: ابن خليفة: التاريخ: 264، الفسوي: المعرفة والتاريخ: 563/1، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: 67/8، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 65/5.

(6) هو الإمام الحافظ أبو الخطاب ابن دعامة السدوسي البصري الضرير روى عن أنس وغيره، توفي سنة: 117، انظر ابن سعد: الطبقات: 229/7، ابن خياط: الطبقات: 213، الفسوي: المعرفة والتاريخ: 277/2، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: 133/7، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 269/5. ورواية قتادة عن الواهة نفسها أخرجها الطبري في تفسيره: 21/22، وانظر السيوطي في الدر المنثور: 631/6 (ط: دار الفكر: 1983).

(7) انظر ترجمتها عند: ابن سعد: الطبقات: 154/8، ابن خياط: الطبقات: 335، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: 464/9، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 255/2.

(8) قال ابن حجر في الإصابة: 249/8 (ط: القاهرة: 1907) «...» والذي يظهر في الجمع أن أم شريك واحدة، واختلف في نسبها أنصارية؟ أو عامرية من قريش؟ أو أزدية من دوس؟ واجتماع هذه النسب الثلاثة ممكن، كأن يقول قرشية تزوجت في دوس فنسبت إليهم، ثم تزوجت في الأنصار فنسبت إليهم، أولم تزوج بل هي أنصارية بالمعنى الأعم». وانظر: ابن حجر: التهذيب: 472/4.

وَهُوَ الصَّوَابُ⁽¹⁾، قَالَهُ: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ⁽²⁾، وَعُرْوَةُ⁽³⁾، وَالشَّعْبِيُّ⁽⁴⁾.

الثَّالِثُ: أَنَّهَا زَيْنَبُ بِنْتُ خُرَيْمَةَ أُمِّ الْمَسَاكِينِ⁽⁵⁾.

الرَّابِعُ: أَنَّهَا أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ⁽⁶⁾.

الخَامِسُ: أَنَّهَا خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ السَّلْمِيَّةِ⁽⁷⁾.

(1) انظر: ابن الأثير: أسد الغابة: 211/7.

(2) هذه الرواية أخرجها ابن سعد في الطبقات: 155/8، وابن جرير في تفسيره: 23/22، وانظر السيوطي: الدر المنثور: 630/6 (ط: دار الفكر: 1983).

أما علي بن الحسين فانظر ترجمته عند الفسوي: المعرفة والتاريخ: 360/1، 544، أبي نعيم: حلية الأولياء: 133/3، الذهبي: تذكرة الحفاظ: 70/1.

(3) هذه الرواية ذكرها ابن حجر في فتح الباري: 404/8 وعزاها إلى النسائي، ولم أجدها في المجتبى من سنن النسائي، فلعلها في السنن الكبرى، وقد أخرجها كذلك ابن جرير الطبري في تفسيره: 23/22.

وعروة هو ابن حواري رسول الله ﷺ الزبير بن العوام، الإمام الحافظ، أبو عبدالله القرشي الأسدي المدني، أحد الفقهاء السبعة توفي رضي الله عنه سنة: 94 وقيل غير ذلك. الفسوي: المعرفة والتاريخ: 364/1، 550، أبو نعيم: حلية الأولياء: 176/2، الذهبي: تذكرة الحفاظ: 58/1.

(4) هذه الرواية أخرجها ابن سعد في الطبقات: 155/1 بإسناد رجاله ثقات (كما قال الزرقاني في شرح المواهب اللدنية: 260/30)، والبيهقي في السنن: 55/7.

والشعبي هو عامر بن شراحيل، أبو عمر الهمداني ثم الشعبي، الإمام الحافظ، توفي رضي الله عنه سنة: 104 وقيل غير ذلك. انظر: ابن سعد: الطبقات: 246/6، الفسوي: المعرفة والتاريخ: 592/2، أبو نعيم: حلية الأولياء: 310/4، الذهبي: العبر: 127/1.

(5) هذه الرواية أخرجها ابن سعد في الطبقات: 115/8.

وزينب من أمهات المؤمنين، دعيت أم المساكين لكثرة معروفها، قتل زوجها عبدالله بن جحش يوم أحد، فتزوجها رسول الله ﷺ، ولكن لم تمكث عنده إلا شهرين وتوفيت رضي الله عنها. انظر: ابن قتيبة: المعارف: 135، 87، ابن الأثير: أسد الغابة: 129/7، الذهبي: العبر: 5/1، وسير أعلام النبلاء: 218/2.

(6) هي أخت سيدنا عثمان لأمه، أسلمت قديماً وبايعت، ولم تنهياً لها الهجرة إلا سنة سبع، تزوجها زيد بن حارثة فقتل عنها، ثم الزبير بن العوام، ثم طلقها، فتزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده، ولم أعثر على الروايات التي تفيد أنها وهبت نفسها للنبي ﷺ. انظر: ابن سعد: الطبقات: 230/8، ابن الأثير: أسد الغابة: 386/7، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 276/2، ابن حجر: التهذيب: 477/12.

(7) هذه الرواية أخرجها جمع من الحفاظ منهم: ابن سعد: الطبقات: 158/8، ابن جرير: التفسير: =

تَحْقِيقُ :

أَمَّا نُزُولُ الْآيَةِ فَلَمْ يَرِدْ مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ ، وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ لَيْسَ لَهَا خُطْمٌ وَلَا أَرْمَةٌ .

وَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ ⁽¹⁾ أَنَّهُمَا قَالَا : لَمْ تَكُنْ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ امْرَأَةً مَوْهُوبَةً ⁽²⁾ .

وَرَوَى مَالِكٌ وَالْإِمَامَةُ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ . فَقَامَتْ قِيَامًا طَوِيلًا ، فَقَامَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زَوِّجْنِيهَا ، إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ تُصَدِّقُهَا إِيَّاهُ؟ .

فَقَالَ : مَا عِنْدِي إِلَّا إِزَارِي هَذَا! .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنْ أُعْطِيَتْهَا إِيَّاهُ بَقِيتَ لَا إِزَارَ لَكَ ، فَالْتَمَسَ شَيْئًا .

قَالَ : مَا أَجِدُ شَيْئًا! .

.....
= 23/22 ، وانظر السيوطي : الدر المنثور : 629/6 .

وكان النبي ﷺ تزوجها فأرجأها فيمن أرجأ من نسائه . انظر : ابن الأثير : أسد الغابة : 93/7 ، الهيثمي : مجمع الزوائد : 259/9 ، ابن حجر : التهذيب : 415/12 .

(1) هو الإمام الحافظ ، شيخ القراء والمفسرين ، أبو الحجاج بن جبر المكي ، روى عن أبي هريرة وعائشة وغيرهما ، توفي سنة : 104 ، وقيل غير ذلك . انظر : ابن سعد : الطبقات : 466/5 ، الفسوي : المعرفة والتاريخ : 711/1 ، أبو نعيم : حلية الأولياء : 279/3 ، الذهبي : سير أعلام النبلاء : 449/4 .
(2) رواية ابن عباس أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره : 23/22 ، والبيهقي في السنن : 55/7 ، انظر السيوطي : الدر المنثور : 630/6 (ط : دار الفكر : 1983) .

أما رواية مجاهد ، فقد أثر عنه أنه فسر الآية الكريمة : ﴿ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ فَعَلَتْ وَلَمْ يَفْعَلْ . انظر : الطبري التفسير : 23/22 السيوطي : الدر المنثور : 631/6 (ط : دار الفكر : 1983) .

قَالَ: فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ.

فَالْتَمَسَ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا.

فَقَالَ لَهُ (١) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟

قَالَ: نَعَمْ، سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا، سَمَاهُمَا (٢).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ أَنْكَحْتُكُمَا (٣) بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ (١).

وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى الْحَدِيثِ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ (٢) وَالْقَصَصِ (٣) بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْقُرْآنِ مِنْهُ، وَاسْتَوْفَيْنَاهُ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ، وَهَذَا هُوَ الْمِقْدَارُ مِنْهُ فِي ذِكْرِ الْمُوهُوبَةِ الَّذِي صَحَّ نَقْلُهُ وَثَبَّتَ سَنَدُهُ.

وَالْغَرَضُ الْأَعْظَمُ مِنْهُ هَا هُنَا هُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «قَدْ وَهَبْتُ لَكَ نَفْسِي» سَكَتَ (٤)، فَلَوْ كَانَ هَذَا مِمَّا لَا يَجُوزُ، لَمَّا سَكَتَ عَلَيْهِ، لِأَنَّ سُكُوتَهُ عَلَى الْحَرَامِ مُحَالٌ كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي «أُصُولِ الْفِقْهِ» (٤).

(١) له: ساقطة من: ب.

(٢) أ: سماها.

(٣) أ: أنكحتهما.

(٤) ب: سكت النبي ﷺ.

.....

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب النكاح: 526/2، والبخاري في النكاح: 134/6، وفي مواضع أخرى، ومسلم في النكاح: 1040/2 رقم: 1425، وأبوداود في النكاح: رقم: 2111، والترمذي في النكاح: رقم: 1114، والنسائي في النكاح: 113/6، كلهم عن سهل بن سعد الساعدي. وانظر الدارمي في سننه: 65/2، وابن الجارود في المتقى: 716، والطحاوي في مشكل الآثار: 9/2.

(٢) صفحة: 387 من أحكام القرآن.

(٣) صفحة: 1467 من أحكام القرآن.

(٤) قال المؤلف في المحصول في علم الأصول: 47/ب.

فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ سَكَتَ لِأَنَّ الْآيَةَ قَدْ كَانَتْ نَزَلَتْ بِالْإِحْلَالِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ
سُكُوتُهُ مُتَنْظَرًا بَيَانًا ، فَتَزَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ وَالْبَيَانُ بِالْإِحْلَالِ وَالتَّخْيِيرِ ، فَاخْتَارَ تَرْكَهَا^(١) ،
وَرَزَّجَهَا مِنْ غَيْرِهِ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ^(١) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّائِي وَهَبَنَ أَنْفُسَهُنَّ
لِرَسُولِ اللَّهِ ، قَالَتْ : أَمَّا تَسْتَحْيِ امْرَأَةً^(٢) أَنْ تَهَبَ نَفْسَهَا؟ .

حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ (الأحزاب : 51) .

فَقَالَتْ : مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ^(٣) فِي هَوَاكَ .

فَاقْتَضَى هَذَا اللَّفْظُ أَنَّ اللَّيَّ وَهَبَتْ نَفْسَهَا عَدَدُ مِنَ النِّسَاءِ ، لَكِنَّا لَا نَدْرِي هَلْ
نَكَحَ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً أَمْ لَا مِنْ طَرِيقِ صَحِيحٍ؟ .

المَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ :

قَوْلُهُ : ﴿ وَامْرَأَةً ﴾ مَعْنَاهُ : وَأَحْلَلْنَا لَكَ^(٤) امْرَأَةً تَهَبُ نَفْسَهَا مِنْ غَيْرِ صَدَاقٍ ،
فَإِنَّهُ أَحَلَّ لَهُ فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا أَزْوَاجَهُ اللَّائِيَّاتِ أَتَى أَجُورَهُنَّ ، وَهَذَا مَعْنَى يُشَارِكُهُ فِيهِ

(١) تركها ساقطة من : ب .

(٢) ب : المرأة .

(٣) أ : يسرع .

(٤) لك : ساقطة من : أ .

= «إِذَا سَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ سَمْعِهِ ، أَوْ فَعَلَ عَايِنَهُ ، كَانَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ حَقٌّ ، وَلَا خِلَافَ فِيهِ
بَيْنَ الْعُلَمَاءِ» .

(1) f في صحيحه ، كتاب الرضاع ، باب القسم بين الزوجات ، وبيان أن السنة أن تكون لكل واحدة ليلة
مع يومها ، 1085/2 ، رقم : 1464 .

ومسلم أشهر من أن يعرف ، انظر في ترجمته : ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل : 182/8 ،
الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد : 100/13 ، الذهبي : سير أعلام النبلاء : 557/12 ، ابن حجر :
التهذيب : 126/10 .

غَيْرُهُ، فَزَادَهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى أُمَّتِهِ فَضْلًا بِهَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ أَحَلَ لَهُ الْمُؤَهَّوْبَةَ، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ غَيْرُهُ، وَهَذَا إِجْمَاعٌ مِنَ الْأُمَّةِ.

المَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ:

قَوْلُهُ: ﴿مُؤَمَّنَةً﴾ بَيَانٌ، لِأَنَّ الْكَافِرَةَ لَا تَحِلُّ لَهُ، لِأَنَّ تَخْصِيصَهَا بِالذَّكْرِ تَعْلِيلٌ لِلْحُكْمِ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ^(١).

وَقَدْ قَالَ الْجَوْنِيُّ: «اِخْتَلَفَ فِي تَحْرِيمِ الْحُرَّةِ الْكَافِرَةِ عَلَيْهِ».

وَالصَّحِيحُ عِنْدِي تَحْرِيمُهَا، وَبِهَذَا تَمَيَّزَ عَلَيْنَا، فَإِنَّهُ مَا كَانَ مِنْ جَانِبِ الْفَضَائِلِ فَحُظُّهُ فِيهِ أَكْبَرُ، وَمَا كَانَ مِنْ جَانِبِ النَّقَائِصِ فَجَانِبُهُ عَنْهُ مُطَهَّرٌ، يَجُوزُ لَنَا^(٢) نِكَاحُ الْحَرَائِرِ الْكَوَافِرِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَحَلَ لَهُ الْمُؤَمَّنَةُ خَاصَّةً، وَالَّذِي يُحَقِّقُ ذَلِكَ أَمْرَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ نِكَاحَ الْكَافِرَةِ وَمُعَاشَرَتَهَا لَا يَلِيقُ بِمَنْصِبِهِ الْكَرِيمِ.

الثَّانِي: أَنَّا قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ مَنْ آمَنَ وَلَمْ يُهَاجِرْ لَمْ تَحِلَّ لَهُ لِنُقْصَانِ مَرْتَبَتِهَا، فَكَيْفَ تَحِلُّ لَهُ مَنْ لَمْ تُؤْمِنْ؟ وَهِيَ^(٣) أَذْنَى مَرْتَبَةً.

المَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ:

قَوْلُهُ: ﴿إِنْ﴾ قِرَاءَةُ الْجَمَاعَةِ^(٣) بِالْكَسْرِ عَلَى مَعْنَى الشَّرْطِ، تَقْدِيرُهُ: «وَأَحْلَلْنَا لَكَ امْرَأَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لَكَ» لَا يَجُوزُ تَقْدِيرُهُ^(٤) سِوَى ذَلِكَ.

(١) ب: له.

(٢) ب: وهذا.

(٣) أ: قراءة جماعة.

(٤) أ: تقديره.

(1) صفحة: 392 من أحكام القرآن.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَوَابُ ﴿إِنْ وَهَبْتُ﴾ مَحْذُوفًا^(١)،
وَتَقْدِيرُهُ: «إِنْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ حَلَّتْ لَهُ».

وَهَذَا فَاسِدٌ مِنْ طَرِيقِ الْعَرَبِيَّةِ، وَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي «الرَّسَالَةِ الْمُلْجَنَةِ».
وَيُعْزَى إِلَى^(٢) الْحَسَنِ^(١) أَنَّهُ قَرَأَ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ^(٢)، وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ
امْرَأَةً وَاحِدَةً حَلَّتْ لَهُ لِأَجْلِ أَنْ وَهَبَتْ لَهُ^(٣).

وَهَذَا فَاسِدٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَا يَقْتَضِي هَذَا الْإِعْرَابَ الْمَعْنَى، وَقَدْ بَيَّنَّا فِي «الْمُلْجَنَةِ».

الثَّانِي: أَنَّهَا عَلَى خِلَافِ قِرَاءَةِ الْجَمَاعَةِ، وَالشَّاذُّ مِنَ الْقِرَاءَةِ لَا يَجُوزُ تِلَاوَةً،
وَلَا يُوجِبُ حُكْمًا.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ إِحْلَالُهَا لِأَجْلِ^(٤) هَيْبَتِهَا لِنَفْسِهَا، وَهَذَا بَاطِلٌ،
فَإِنَّهَا حَلَالٌ لَهُ قَبْلَ الْهَيْبَةِ بِالصَّدَاقِ.

(١) أ: محذوف.

(٢) ب: عن.

(٣) في أحكام القرآن: 1559: وهبت نفسها.

(٤) أ: أجل.

.....

(1) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، الإمام الحجة، توفي سنة 110، انظر: ابن سعد: الطبقات: 156/7، الفسوي: المعرفة والتاريخ: 32/2، 338/3، أبو نعيم: حلية الأولياء: 131/2، ابن حجر: التهذيب: 263/2.

(2) عز ابن خالويه هذه القراءة إلى الحسن وعيسى وسلام: مختصر شواذ القرآن: 120 (ط: القاهرة: 1934) وزاد الكرماني على هؤلاء أبيي والثقفى: شواذ القرآن واختلاف المصاحف: لوحة: 195 (ط: مكيروفيلم بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم: 202) وانظر النحاس: إعراب القرآن: 642/2.

وَقَدْ نُسِبَ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ ^(١) أَنَّهُ أَسْقَطَ فِي قِرَاءَتِهِ ﴿إِنْ﴾ ^(٢) فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَإِنَّمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنَّ الإِحْلَالَ لَا يَقِفُ فِي الْمُؤَهَّوَةِ عَلَى الْهَبَةِ، بَلْ هُوَ ثَابِتٌ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَسَقُوطُ ^(٣) الصَّدَاقِ مَفْهُومٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿خَالِصَةٌ لَكَ﴾ لَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْطِ ^(٤)، وَقَدْ بَيَّنَّا أَمْثَالَهُ فِي سُورَةِ «النُّور».

المَسْأَلَةُ الْعَاشِرَةُ:

قَوْلُهُ: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ مَعْنَاهُ: أَنَّ الْخِيَارَ بَعْدَ هِبَتِهَا نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ، وَهَذَا مَعْلُومٌ، وَلَكِنَّهُ خَصَّهُ بِالْبَيَانِ، لِأَنَّ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بَيْنَنَا قَبُولَ الْهَبَةِ فِي الْأَمْوَالِ الْمُتَبَدِّلَةِ، فَكَيْفَ فِيمَنْ ^(٥) بَدَّلَ نَفْسَهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ الْخِيَارَ لِيَرْفَعَ عَنْهُ هَذِهِ الْكُلْفَةُ ^(٦)، وَيَنْزِهُهُ ^(٧)، عَنْ هَذِهِ الْعَادَةِ، وَيُهَوِّنَ عَلَى الْوَاهِبَةِ الرَّدَّ.

المَسْأَلَةُ الْحَادِيَةَ عَشَرَ ^(٣):

قَوْلُهُ: ﴿يَسْتَنْكِحَهَا﴾ وَلَمْ يَقُلْ يَنْكِحَهَا ^(٨)، وَكَأَنَّ الْأَسْتِفْعَالَ تَكْلُفُ الْفِعْلِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ - كَمَا قُلْنَا - فِي هَذِهِ الْكُلْفَةِ الْخِيَارَ.

(١) ب: وسقط.

(٢) أ: الشروط.

(٣) أ: وكيف من.

(٤) ب: الكلمة.

(٥) أ: ونزله.

(٦) ولم يقل ينكحها ساقطة من: أ.

.....

(١) انظر ترجمته عند: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: 149/5، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار:

الترجمة: 21، أبي نعيم: حلية الأولياء: 124/1، ابن الأثير: أسد الغابة: 384/3.

(2) انظر: ابن خالويه: مختصر شواذ القرآن: 120.

(3) كذا بالنسخ.

المَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ عَشَرُ:

قَوْلُهُ: ﴿خَالِصَةٌ لَكَ﴾^(١)، اختلف العلماء فيه على ثلاثة أقوال^(١):

أَحَدُهَا: أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ مَهْرٍ وَلَا وَلِيٍّ، قَالَهُ قَتَادَةُ^(٢).

الثَّانِي: بِغَيْرِ صَدَاقٍ، قَالَهُ ابْنُ الْمُسَيَّبِ^(٣).

الثَّالِثُ: بِعَقْدٍ نِكَاحِيهَا بِلَفْظِ الْهَبَةِ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ^(٤).

قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ^(٢) أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣):

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي رَاجِعَانِ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، إِلَّا أَنَّ الثَّانِي أَصَحُّ لِأَنَّ ذِكْرَ الصَّدَاقِ وَرَدَ مَذْكُورًا فِي الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَجْرِ لِلْوَلِيِّ ذِكْرٌ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا سَكَتَ عَنِ الْوَلِيِّ، وَجَرَى ذِكْرُ الْحُكْمِ بَيْنَ الْمُؤَهَّبَةِ وَالنَّبِيِّ، مَعَ الْمَعْنَى الَّتِي قَدْ بَيَّنَّا فِي

(١) لك: ساقطة من: أ.

(٢) الحافظ: ساقطة من: أ.

(٣) أ: رحمه الله.

(1) انظر: هذه الأقوال في أحكام القرآن للمؤلف: 1560.

(2) هذا القول أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره: 21/22، وانظر السيوطي: الدر المنثور: 631/6 (ط: دار الفكر: 1983).

وقال ابن العربي في الأحكام: 1560 «وقد أنفذ الله لرسوله نكاح زينب بنت جحش في السماء بغير ولي من الخلق، ولا بذل صداق من النبي ﷺ، وذلك بحكم أنه أحكم الحاكمين ومالك العالمين».

(3) هو سعيد بن المسيب، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين، روى عن عائشة وابن عمر وغيرهما، توفي سنة: 93 وقيل غير ذلك. انظر: ابن سعد: الطبقات: 119/5، الفسوي: المعرفة والتاريخ: 468/1، أبو نعيم: حلية الأولياء: 161/2، ابن حجر: التهذيب: 84/4. وقد أورد هذا القول الماوردي في النكت والعيون: 333/3 ونسبه إلى أنس بن مالك وابن المسيب.

(4) أورد ابن العربي هذا القول في الأحكام: 1561 ونسبه إلى الشعبي، ونسبه الماوردي في النكت والعيون: 333/3 إلى الشافعي.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ^(١) مِنْ أَنَّ الرُّوْلِيَّ مَشْرُوطٌ لِفَائِدَةٍ وَلَسَبَبٍ^(٢) هُوَ مَعْدُومٌ فِي النَّبِيِّ^(٣)، أَشْبَهَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهَا هَذِهِ الْقَرِئَةُ.

وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ فِي أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ بِثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ^(٤) :
الْفَرَضُ، التَّحْرِيمُ، التَّحْلِيلُ، وَمِنْهَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَمِنْهَا مُخْتَلَفٌ فِيهِ.
الإِشَارَةُ إِلَيْهِ :

أَمَّا قِسْمُ الْفَرِيضَةِ فَثَمَانِيَةٌ^(٥) :

الْأَوَّلُ : التَّهَجُّدُ بِاللَّيْلِ .

الثَّانِي : الضُّحَى .

الثَّالِثُ : الْأَضْحَى .

الرَّابِعُ : الْوِثْرُ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي قِسْمِ التَّهَجُّدِ .

الْخَامِسُ : السَّوَاكُ .

السَّادِسُ : قَضَاءُ دَيْنٍ مَنْ مَاتَ مُعْسِرًا .

السَّابِعُ : مُشَاوَرَةُ ذَوِي الْأَحْلَامِ^(٦) .

(١) أ : بسبب .

(٢) ب : بهذه .

(٣) ب : الأرحام ، واستدرك الناسخ الخطأ في الهامش .

(٤) صفحة : 219 من أحكام القرآن .

(٥) حول حكمة زواجه ﷺ بدون مهر قال المؤلف في الأحكام : 1561 : « وإنما شرع لقللة الثقة بالمرأة في اختيار أعيان الأزواج ، وخوف غلبة الشهوة في نكاح غير الكفاء ، وإلحاق العار بالأولياء ، وهذا معدوم في حق النبي ﷺ » .

(٦) ذكر المؤلف في الأحكام : 1561 أن هذه الخصائص النبوية قد أفادته بها دانشمند الأكبر (وهو أبو القاسم إسماعيل بن عبد الملك الحاكمي الطوسي ت : 529) عن إمام الحرمين الجويني .

(٧) انظر في هذه الأقسام : ابن الملقن : خصائص أفضل المخلوقين : 120 (رسالة ماجستير بالجامعة =

الثَّامِنُ: تَخْيِيرُهُ النِّسَاءَ.

وَأَمَّا قِسْمُ التَّحْرِيمِ فَجُمِلَتْهُ عَشْرَةٌ:

الْأَوَّلُ: الزَّكَاةُ^(١).

الثَّانِي: صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ.

الثَّالِثُ: خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ، وَهُوَ أَنَّ يُظْهَرَ خِلَافَ مَا يُضْمَرُ، وَيَخْدَعُ عَمَّا

يُحِبُّ^(٢).

الرَّابِعُ: إِذَا لَيْسَ لِأَمَتِهِ حَرَمٌ عَلَيْهِ نَزْعُهَا حَتَّى يُبَاشِرَ الْحَرْبَ وَيُكَافِحَ^(٣) الْعَدُوَّ.

الخَامِسُ: الْأَكْلُ مُتَكِنًا.

السَّادِسُ: أَكْلُ الْأَطْعِمَةِ الْكَرِيهَةِ الرَّائِحَةِ.

السَّابِعُ: التَّبَدُّلُ بِأَزْوَاجِهِ.

الثَّامِنُ: نِكَاحُ امْرَأَةٍ تَكَرَّهُ صُحْبَتَهُ.

التَّاسِعُ: نِكَاحُ الْحُرَّةِ الْكِتَابِيَّةِ.

الْعَاشِرُ: نِكَاحُ الْأَمَةِ.

وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ تَفْصِيلٌ وَاخْتِلَافٌ، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ.

وَأَمَّا قِسْمُ التَّحْلِيلِ فَخَمْسَةٌ عَشْرٌ:

الْأَوَّلُ: صَفِي الْمَغْنَمِ.

= الإسلامية بالمدينة المنورة).

(١) في الأحكام: أو ينخدع عما يحب، وقد ذم بعض الكفار عند إذنه، ثم ألان له عند دخوله.

(٢) ب: يكال.

(١) في أحكام القرآن: 1562 (تحريم الزكاة عليه وعلى آله).

الثاني: الاستبداد بخمس الخمس.

الثالث: الوصال.

الرابع: الزيادة على أربع نسوة.

الخامس: النكاح بلفظ الهبة.

السادس: النكاح بغير ولي، وقد تقدم⁽¹⁾.

السابع: نكاحه بغير شهود⁽¹⁾، وفيه خلاف.

الثامن: نكاحه في حال الإحرام، وقد تقدم⁽²⁾.

التاسع: سقوط القسم عنه، ويأتي إن شاء الله.

العاشر: إذا وقع بصره على امرأة وجب على زوجها طلاقها، وحل له نكاحها⁽³⁾، وهذا أمر بيناه في قصة زيد.

(1) ب: شروط.

(1) صفحة: 617.

(2) يشير رحمه الله، إلى زواج النبي ﷺ بأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث وهو محرم، وقد تقدم هذا صفحة: 319 بدون الإشارة إلى إحرامه ﷺ.

(3) أورد ابن العربي هذا القول في أحكام القرآن: 1563، وقال في عقبه: «هكذا قال إمام الحرمين». وقد استنكر شيخنا العلامة المحقق السيد أحمد صقر - رحمه الله تعالى - هذا القول، وأفادني بالتعليق التالي: هذا هراء من القول، ولغو من الكلام، ينبغي ألا يقال مثله عن رسول الله ﷺ، وهي من كبوات إمام الحرمين غفر الله لنا وله. انتهى.

قلت: معتمد قول إمام الحرمين هو بعض الروايات التي نسجت حول قصة الصحابي الجليل زيد بن حارثة، الذي قال الله تعالى فيه مخاطباً نبيه الكريم: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ، فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب: 37).

وقد ذهب المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ مذهب شتى، معتمدين على بعض الروايات المنكرة التي لا تثبت أمام النقد والتمحيص، ومثال هذه الروايات الساقطة ما رواه ابن سعد في الطبقات: 101/8، والحاكم في المستدرک: 230/4 كلاهما من طريق =

= الواقدي عن عبدالله بن عامر الأسلمي . أن ما أخفاه النبي ﷺ وأبداه الله تعالى هو وقوع زينب في قلبه ومحبتة لها وهي تحت زيد . وأنها سمعته يقول : « سبحان مقلب القلوب » .

وقد تصدى ابن العربي لحادثة زيد بن حارثة فكشف عن منبع الحق فيها ، بأسلوب العارف الجهيد البصير . ومما قاله في كتابه أحكام القرآن : 1542 « قد بينا في السالف من كتابنا هذا (أي أحكام القرآن) وفي غير موضع عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم من الذنوب ، وحققنا القول فيما نسب إليهم من ذلك ، وعهدنا إليكم عهداً لن تجدوا له رداً ؛ أن أحداً لا ينبغي أن يذكر نبياً إلا بما ذكره الله ، ولا يزيد عليه ، فإن أخبارهم مروية ، وأحاديثهم منقولة بزيادات تولاهما أحد رجلين : إما غيبي عن مقدارهم ، وإما بدعي لا رأي له في برهم ووقارهم ، فيدس تحت المقال المطلق الدواهي ، ولا يراعي الأدلة ولا النواهي ، وكذلك قال الله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ (يوسف : 3) .

أي أصدقه على أحد التأويلات ، وهي كثيرة بينها في «أمالي أنوار الفجر» ، فهذا محمد ﷺ ما عصى قط ربه ، لا في حال الجاهلية ولا بعدها ، تكرمة من الله وتفضلاً وجلالاً ، أحله به المحل الرفيع . . . وما زالت الأسباب الكريمة والوسائل السليمة تحيط به من جميع جوانبه . . . والقرناء الأفراد يحيون له ، والأصحاب الأمجاد ينتقون من كل طاهر الجيب سالم عن العيب بريء من الريب ، يأخذونه عن العزلة وينقلونه عن الوحدة ، فلا يتنقل إلا من كرامة إلى كرامة ، ولا يتنزل إلا منازل السلامة . . . فلم يقع قط في ذنب صغير - حاشا لله - ولا كبير ولا وقع في أمر يتعلق به لأجله نقص ولا تغيير . . . وهذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد ، إنما الصحيح منها ما روي عن عائشة أنها قالت : لو كان رسول الله ﷺ كاتباً من الوحي شيئاً لكم هذه الآية ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ . . . إِلَى قَوْلِهِ : وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ . وإن رسول الله لما تزوجها قالوا : تزوج حليمة ابنة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ . . . قال ابن العربي : وما وراء هذه الرواية غير معتبر ، فأما قولهم : «إن النبي ﷺ رآها فوقعت في قلبه فباطل ، فإنه كان معها في كل وقت وموضع ، ولم يكن حينئذ حجاب ، فكيف تنشأ معه وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة ، ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج ، وقد وهبتة نفسها وكرهت غيره ، فلم تخطر بباله ، فكيف يتجدد له هوى لم يكن ، حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة . . . وقد علم النبي ﷺ أن الله تعالى إذا أوحى إليه أنها زوجته لا بد من وجود هذا الخبر وظهوره ، لأن الذي يخبر الله عنه أنه كائن لا بد أن يكون لوجوب صدقه في خبره ، وهذا يدل على براءته من كل ما ذكره متسور من المفسرين ، مقصور على علوم الدين .

فإن قيل فلائي معنى قال له النبي ﷺ : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ وقد أخبره الله أنها زوجته لا زوجة زيد ؟ .

قلنا : هذا لا يلزم ، ولكن لطيب نفوسكم نفسر ما خطر من الإشكال فيه ، إنه أراد أن يختبر منه ما لم يعلمه الله به من رغبته فيها أو رغبته عنها ، فأبدى له زيد من النفرة عنها والكرهية منها ما لم يكن علمه منه في أمرها .

= فإن قيل : فكيف يأمره بالتمسك بها ، وقد علم أن الفراق لا بد منه ، وهذا تناقض ؟ .

الْحَادِي عَشَرَ: أَنَّهُ أَعْتَقَ صَفِيَّةَ وَلَزِمَهَا نِكَاحُهَا، وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقُهَا، وَفِيهِ خِلَافٌ.

الثَّانِي عَشَرَ: دُخُولُ مَكَّةَ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ، وَفِيهِ خِلَافٌ.

الثَّالِثُ عَشَرَ: أَنَّهُ لَا يُورَثُ، وَقَدْ جَعَلْنَاهُ فِي قِسْمِ الْيَتَحْلِيلِ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ أَوْ قَارَبَ الْمَوْتَ بِالْمَرَضِ زَالَ عَنْهُ مُلْكُهُ أَوْ أَكْثَرُهُ، وَبَقِيَ مُلْكُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَرَّرْنَاهُ فِي آيَةِ الْمَوَارِيثِ ⁽¹⁾.

الرَّابِعُ عَشَرَ: بَقَاءُ عِصْمَتِهِ ⁽¹⁾ بَعْدَ الْمَوْتِ.

الخَامِسُ عَشَرَ: إِذَا طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ⁽²⁾، هَلْ تُنْكَحُ؟ أَمْ حُرْمَتُهُ بَاقِيَةٌ فِيهَا؟ وَيَأْتِي ذَلِكَ مُبَيَّنًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ عَشَرَ:

إِعْرَابُ قَوْلِهِ: ﴿ خَالِصَةٌ لَّكَ ﴾ وَقَدْ بَيَّنَّاهُ فِي «الرَّسَالَةِ الْمُلْجِئَةِ» وَنُكِّنَتْهُ: أَنَّهُ حَالٌ مِنْ ضَمِيرٍ مُتَّصِلٍ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ دَلَّ عَلَيْهِ الْمَطْهَرُ، تَقْدِيرُهُ: أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ، وَأَحْلَلْنَا لَكَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً، وَأَحْلَلْنَاهَا خَالِصَةً بِلَفْظِ الْهَبَةِ أَوْ بِغَيْرِ صَدَاقٍ، وَعَلَيْهِ أَنْبَأَ مَعْنَى الْخُلُوصِ هَا هُنَا ⁽²⁾.

(١) أ، ب: زوجيته، والمثبت من استدراك ناسخ (ب) . .

(٢) ب: امرأة.

= قلنا: بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة لإقامة الحجة ومعرفة العاقبة، ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان، وقد علم أنه لا يؤمن، فليس في مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الأمر به عقلاً وحكماً، وهذا من نفيس العلم فتقنوه وتقبلوه. انتهى.

(1) صفحة: 330 من أحكام القرآن.

(2) انظر: الزجاج: إعراب القرآن: 642/2، القيسي: مشكل إعراب القرآن: 579/2، أبو حيان: البحر المحيط: 242/7.

فَإِنْ قِيلَ: أَرَادَ بِهِ خُلُوصَ النِّكَاحِ بِلَفْظِ دُونَ غَيْرِهِ.

فَالْجَوَابُ عَنْهُ بِأَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَا نَقُولُ: إِنَّ نِكَاحَ النَّبِيِّ ﷺ لَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْوَلِيِّ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ قَوْلُهُ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ⁽¹⁾ رَبِّيبِهِ حِينَ تَزَوَّجَ أُمَّهُ أَمَّ سَلَمَةَ ⁽²⁾: قُمْ يَا غُلَامُ فَزَوِّجْ أُمَّكَ ⁽³⁾. فَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْآيَةِ هَذَا، لِأَنَّ قَوْلَ الْمُؤَهَّبَةِ: «وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ» لَا يَنْعَقِدُ بِهِ نِكَاحٌ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ عَقْدِهِ مَعَ الْوَلِيِّ، فَهَلْ يَنْعَقِدُ بِلَفْظِهِ وَصِفَتِهِ أَمْ لَا؟ مَسْأَلَةٌ أُخْرَى لَا ذِكْرَ فِي الْآيَةِ لَهَا.

الثَّانِي: إِنَّ الْمَقْصُودَ بِالْآيَةِ خُلُوءَ النِّكَاحِ عَنِ الصَّدَاقِ، وَلَهُ ⁽¹⁾ حَالَتَانِ كَمَا قَدَّمْنَا، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْخُلُوصُ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ فَذَكَرَهُ فِي جَنْبِهِ ⁽²⁾ بِلَفْظِ النِّكَاحِ الْمَخْصُوصِ لِهَذَا الْعَقْدِ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ وَهَبَتْ نَفْسَهَا بِغَيْرِ صَدَاقٍ، فَإِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَتَزَوَّجَ تَزَوَّجَ، فَيَكُونُ النِّكَاحُ حُكْمًا مُسْتَأْنَفًا لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِلَفْظِ الْهَبَةِ إِلَّا فِي الْمَقْصُودِ مِنَ الْهَبَةِ، وَهُوَ سَقُوطُ الْعَوَضِ وَهُوَ الصَّدَاقُ.

(1) فِي الْأَصْلِينَ: فَلَهُ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أُثْبِتُ.

(2) فِي الْأَصْلِينَ: جِلْبَتُهُ، وَالْمُثَبَّتُ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَالْجَنْبَةُ وَالْجَانِبُ: شَيْءُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ.

(1) هُوَ أَبُو حَفْصٍ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ الْمَدَنِيُّ، الْحَبَشِيُّ الْمَوْلَدُ. وَلَدَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسِتَيْنِ، تَوَفَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: 83، انْظُرْ: ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: الْجَرَحُ وَالتَّعْدِيلُ 117/6، ابْنُ الْأَثِيرِ: أَسَدُ الْغَابَةِ: 183/4، الذَّهَبِيُّ: سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: 406/3، ابْنُ حَجَرٍ: التَّهْذِيبُ: 455/7.

(2) هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأَوَائِلِ، دَخَلَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، عَاشَتْ نَحْوًا مِنْ تِسْعِينَ سَنَةً، انْظُرْ: ابْنُ سَعْدٍ: الطَّبَقَاتُ: 86/8، ابْنُ الْأَثِيرِ: أَسَدُ الْغَابَةِ: 340/7، الذَّهَبِيُّ: سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: 201/2، ابْنُ حَجَرٍ: التَّهْذِيبُ: 45/12.

(3) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي النِّكَاحِ، بَابُ إِنْكَاحِ الْإِبْنِ أُمُّهُ: 81/6 وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ: 459/4.

الرَّابِعُ: أَنَّا لَا نَقُولُ إِنَّ النِّكَاحَ يَلْفِظُ الْهَبَةَ فِي (١) حَقِّهِ ﷺ جَائِزٌ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ، فَإِنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ: أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ، وَأَحَلَّلْنَا لَكَ الْمَرْأَةَ الْوَاهِبَةَ نَفْسَهَا خَالِصَةً، فَلَوْ جَعَلْنَا قَوْلَهُ: ﴿ خَالِصَةً ﴾ خَالِصَةً مِنَ الصِّفَةِ الَّتِي هِيَ ذِكْرُ الْهَبَةِ دُونَ الْمُوصُوفِ الَّذِي هُوَ الْمَرْأَةُ وَسُقُوطُ الصَّدَاقِ: لَكَانَ اخْتِلَالًا مِنَ الْقَوْلِ، وَعُدُولًا عَنِ الْمَقْصُودِ، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ عَرَبِيَّةً وَلَا مَعْنَى.

أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: أَحَدْتُكَ بِالْحَدِيثِ الرَّبَاعِيِّ خَالِصًا لَكَ دُونَ أَصْحَابِكَ، لَمَّا كَانَ رُجُوعُ الْحَالِ إِلَّا إِلَى الْمَقْصُودِ الْمُوصُوفِ، وَهُوَ الْحَدِيثُ هَذَا، وَهُوَ عَلَى نِظَامِ التَّقْدِيرِ.

فَلَوْ (٢) قُلْتَ عَلَى لَفْظِهِ: أَحَدْتُكَ بِحَدِيثٍ إِنْ وَجَدَ بِأَرْبَعِ رُؤَاةٍ (١) خَالِصًا لَكَ دُونَ أَصْحَابِكَ، لَرَجَعْتَ الْحَالُ إِلَى الْمَقْصُودِ الْمُوصُوفِ أَيْضًا دُونَ الصِّفَةِ، وَهَذَا لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا الْمُتَحَقِّقُونَ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَمَا أَرَى مَنْ عَزَى إِلَى الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «قَوْلُهُ: ﴿ خَالِصَةً ﴾ يَرْجِعُ إِلَى النِّكَاحِ يَلْفِظُ الْهَبَةَ» (٢)، إِلَّا قَدْ وَهَمَ، لِأَجْلِ مَكَانَتِهِ (٣) مِنَ الْعَرَبِيَّةِ.

وَالنِّكَاحُ يَلْفِظُ الْهَبَةَ جَائِزٌ عِنْدَ عُلَمَائِنَا، مَاخُذٌ مِنْ دَلِيلِهِ فِي مَوْضِعِهِ حَسَبَ مَا بَيَّنَّاهُ فِي «مَسَائِلِ الْخِلَافِ» وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) ب: وفي.

(٢) ب: ولو.

(٣) أ: مكانة.

(١) في أحكام القرآن: 1565 بأربع روايات.

(٢) الذي في الأم: وقال عز وجل: ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي . . ﴾ الآية قال الشافعي: خالصة بهبة ولا مهر، فاعلم أنها للنبي ﷺ دون المؤمنين، اخم: 59/5 (ط: بإشراف محمد زهدي النجار - دار المعرفة، بيروت: 1973).

المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ عَشَرَ:

قَوْلُهُ: ﴿ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَقَدْ عَلِمَ كُلُّ سَامِعٍ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ خَالِصَةً لَكَ ﴾ تَقْتَضِي اسْتِبْدَادَهُ بِذَلِكَ، وَإِنْفِرَادَهُ دُونَ سِوَاهُ، وَلَكِنَّهُ أَكَّدَ ذَلِكَ تَبَيَّانًا أَنَّهُ مُخْتَصٌّ بِهِ ^(١) دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُشْرِكُونَهُ فِي النِّكَاحِ وَشُرُوطِهِ، وَكَانَ يَكْفِي أَنْ يَقُولَ: دُونَ غَيْرِكَ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّهُ لِحَرَمَةِ اشْتِرَاكِهِمْ مَعَهُ وَصِفَ بِوَصْفِ الْمَدْحِ الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ.

المَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ عَشَرَ:

قَوْلُهُ: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاحِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ قَدْ بَيَّنَّا عِلْمَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - وَحَقِيقَتَهُ وَمُتَعَلِّقَتَهُ مِنْ مَاضٍ وَمُسْتَقْبَلٍ وَحَالٍ فِي مَوْضِعِهِ ^(١)، وَشَرْحَنَا وَجْهَ التَّعْلُقِ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنْهُ ^(٢).

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ هَذَا: أَنَّ اللَّهَ بَيَّنَ لِرَسُولِهِ حُكْمَهُ فِي النِّكَاحِ، وَقَرَّرَهُ ^(*) عَلَيْهِ، وَبَيَّنَ لِلْمُؤْمِنِينَ حُكْمَهُمْ فِي النِّكَاحِ وَقَرَّرَهُ ^(٣) ^(*) لَهُمْ، وَمَيَّزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي حُكْمِهِ وَفَرْضِهِ وَشَرْطِهِ وَوَصْفِهِ وَعَدَدِهِ وَحَالِهِ.

﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ الْمَعْنَى: أَنَا وَسَعْنَا عَلَيْكَ فِي النِّكَاحِ لِاحْتِمَالِكَ ^(٤) الْمَشَقَّةَ فِيهِ، وَقُدِّرَتْكَ عَلَى الْقِيَامِ بِشُرُوطِهِ ^(٥)، وَوَفَائِكَ بِمَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْكَ فِيهِ، وَمَعَ هَذِهِ الْحَالِ لَوْ سَوَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَا يُطِيقُ طَاقَتَهُ وَلَا يَكْتَفِي

(١) ب: بذلك.

(٢) منه: ساقطة من: ب.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من: أ.

(٤) ب: لاحتيماله.

(٥) أ: بشرطه.

(١) أحال في أحكام القرآن: 1565 إلى كتاب المشكلين، وكتب الأصول، وللتوسع في صفة العلم انظر للمؤلف: الأمد الأقصى: 64/أ، سراج المريدين: 44/أ.

بِالْوَفَاءِ بِشُرُوطِ النِّكَاحِ وَوَفَائِهِ^(١)، لَمْ يَكُنْ عَدْلًا، وَلَا كَانَتْ تَسْوِيَةً، وَلَكَانَ حَرَجًا،
وَاللَّهُ - تَعَالَى - قَدْ رَفَعَ الْحَرَجَ عَنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ، وَالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْهُمْ،
وَأَعْظَمَهُمْ^(٢) حُرْمَةً وَمَنْزِلَةً، كَمَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَصَرَ الْأُمَّةَ عَمَّا أَبَاحَ لِرَسُولِهِ فِي ذَلِكَ
وَجَعَلَهُمْ دُونَ مَنْزِلَتِهِ فِيهِ، وَأَحْطَ مِنْ مَرْتَبَتِهِ لِأَنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَ طَاقَتَهُ كَمَا تَقَدَّمَ، وَلَا
يَكْتَفُونَ اكْتِفَاءَهُ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿ ذَلِكَ أَذْنَى الْأَلَّا تَعُولُوا ﴾
(النساء: 3).

وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ مَرْتَبَةَ النِّكَاحِ سَوَاءً فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَيْفَ فِي حَقِّ
الرَّسُولِ مَعَهُمْ؟ أَلَا تَرَى^(٣) كَيْفَ فَاضَلَ بَيْنَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ فِي النِّكَاحِ، فَجَعَلَ مَرْتَبَةَ
الْحُرِّ فَوْقَ مَرْتَبَةِ الْعَبْدِ عَلَى تَفْضِيلٍ مُخْتَلَفٍ فِيهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ مِنْهُمْ
قَدْ أُجْمِعَ عَلَى أَنَّ^(٤) الْحُرَّ أَوْسَعَ فِي بَابِ التَّحْلِيلِ، فَإِنَّهُ تُطَلَّقُ عَلَيْهِ بِالْحُرِّيَّةِ ثَلَاثًا،
وَتُطَلَّقُ عَلَى الْعَبْدِ بِالْعُبُودِيَّةِ طَلْقَتَيْنِ، فَإِذَا تَفَاوَتْ فِي ذَلِكَ^(٥) مَرْتَبَةُ الْأُمَّةِ بَيْنَ الرِّقِّ
وَالْحُرِّيَّةِ، فَأَوَّلَى وَأَحْرَى أَنْ تَفْضَلَ فِي ذَلِكَ مَرْتَبَةُ النُّبُوَّةِ لَهُمْ، وَتَكُونَ أَوْفَى مِنْ مَنْزِلَتِهِمْ.

الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ عَشَرَ:

قَوْلُهُ: ﴿ مَا فَرَضْنَا ﴾ وَقَدْ قَدَّمْنَا بَيَانَ قَوْلِهِ: ﴿ فَرَضْنَا ﴾ فِي مَوَارِدِ اللَّغَةِ
وَالشَّرِيعَةِ بِأَبْلَغِ بَيَانٍ، وَمِنْهَا أَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ فَرَضْنَا ﴾: أَوْجَبْنَا وَالزَّمْنَا، وَمِنْهُ
قَدَرْنَا، وَلَيْسَ يَتَجَهُّ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى هَا هُنَا^(٦): ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا

(١) أ: وفاء.

(٢) أ: وأعظم.

(٣) ب: ألا تراه.

(٤) أن: ساقطة من: أ.

(٥) في ذلك: ساقطة من: أ.

(٦) ها هنا: ساقطة من: ب.

عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاجِهِمْ ﴿ بِمَعْنَى أَوْجَبْنَا وَالزَّمْنَا، لِأَنَّ مِنْهُ مَا هُوَ وَجُوبٌ وَالزَّامُ، وَمِنْهُ مَا هُوَ تَحْرِيمٌ وَحَظْرٌ، وَقَدْ جَرَى ذَلِكَ، فَلَوْ قُلْنَا إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ فَرَضْنَا ﴾ أَوْجَبْنَا وَالزَّمْنَا، لَرَجَعَ ذَلِكَ إِلَى بَعْضِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَاقْتَضَى بَيَانَ بَعْضِ مَا وَقَعَ التَّكْلِيفُ بِهِ فِي الْمَعْنَى، فَوَجَبَ أَنْ يَرْجَعَ التَّفْسِيرُ إِلَى مَعْنَى يُنْظَمُ الْكُلُّ وَيَتَنَاوَلُ الْجَمِيعُ وَهُوَ قَوْلُهُ: (قَدَرْنَا) فَإِنَّ الَّذِي كَتَبَ تَعَالَى وَأَوْجَبَ وَالزَّمَ مُقَدَّرٌ، وَالَّذِي حَرَّمَ وَحَظَرَ وَمَنَعَ مُقَدَّرٌ، وَالتَّقْدِيرُ يَأْتِي عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ (١)، فَيَجِبُ أَنْ يُقَالَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاجِهِمْ ﴾ أَيُّ: قَدَرْنَا مِنْ فَرَضٍ وَمَحْظُورٍ وَشَرْطٍ وَمَشْرُوطٍ.

المسألة السابعة عشر:

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿ غَفُورٌ ﴾ وَتَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿ رَحِيمٌ ﴾، وَوَجْهُ الْإِخْبَارِ عَنْهُ بِكَانَ فِي كِتَابِ «الْأَمَدِ الْأَقْصَى» (١) وَ«الْمُشْكَلَيْنِ» فَلَا مَعْنَى لِتَكَرُّارِهِ.

وَالَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الْبَيَانِ هَا هُنَا وَجْهٌ انْتِظَامِهِ مَعَ مَا سَبَقَ مِنْ بَيَانِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ وَهُوَ ظَاهِرٌ عِنْدَ التَّأْوِيلِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُؤَاخِذِ النَّاسَ بِذُنُوبِهِمْ، بَلْ غَفَرَ لَهُمْ وَرَحِمَهُمْ، وَشَرَّفَ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ فَجَعَلَهُ فَوْقَهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْخَلْقَ عَلَى مِقْدَارِ مَا يَسْتَحِقُّونَ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُجْرِمُونَ، بَلْ عَادَ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِمَّا (٢) يَجْمَعُونَ، وَعَمَّهُمْ بِرَفْقِهِ وَلُطْفِهِ فَأَعْطَى الْكُلَّ، وَوَسَّعَ عَلَى الْجَمِيعِ، وَقَدَّمَ مَنَازِلَ الْأَنْبِيَاءِ، وَتَلَتْهُمْ الْخَلِيقَةُ عَلَى مَقَادِيرِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) كله: ساقطة من: ب.

(٢) أ: فما.

(1) حول تفسير قوله: ﴿ غَفُورٌ ﴾ انظر: الأمد الأقصى: 116/ب.

وحول تفسير قوله: ﴿ رَحِيمٌ ﴾ انظر: الأمد الأقصى: 75/أ، المتوسط في الاعتقاد: لوحة: 53.

النوع الثالث: علم التذكير

وَهُوَ مُعْظَمُ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ يَنْبِي عَلَى مَعْرِفَةِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالْقُرْبِ، وَالذُّنُوبِ وَمَا يَرْتَبِطُ بِهَا وَيَدْعُو إِلَيْهَا وَيَكُونُ عَنْهَا، وَذَلِكَ مَعْنَى تَسْعِ أَبْوَابِهِ، وَتَمْتَدُّ (١) أَطْنَابُهُ.

وَحُكْمُهُ: أَنْ يُؤْخَذَ كُلُّ بَابٍ مِنْهُ مُفْرَدًا، ثُمَّ يُضَافُ فِي الْبَيَانِ إِلَى نَظِيرِهِ، وَلَا يُمْكِنُ شَرْحُهُ إِلَّا بِالْمُشَافَهَةِ أَوْ بَسْطِ الْبَيَانِ بِالْقَلَمِ (٢)، إِلَّا أَنَا نَذْكُرُ مِنْهَا هَا هُنَا أَنْمُودَجًا فِي سُورَةِ ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فَإِنَّا قَدْ كُنَّا تَكَلَّمْنَا عَلَيْهَا وَعَلَى مَعَانِيهَا فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ (٣)، وَذَلِكَ النَّشْرُ يَنْتَظِمُ لَكُمْ مُجْمَلًا فِي ثَمَانٍ (٤) عَشْرَةِ مَسْأَلَةٍ.

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَوْلُهُ: ﴿الْهَآكُمُ﴾ (٤):

اللَّهُو (٢): الْإِشْتَغَالُ بِالشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ بِالْقَصْدِ إِلَيْهِ، وَالْإِشْتَغَالُ: هُوَ

(١) ب: تبتد، واستدرك الخطأ في الهامش.

(٢) ب: بالعلم.

(٣) أ: ثمانية.

(٤) أ: الهاكم التكاثر.

.....

(1) ذكر المؤلف رحمه الله في الأحكام: 1974 أنه عقد في شرح معاني هذه الآية مئة وثمانين مجلساً.

(2) انظر تعريف «اللهو» في معجم الراغب الأصفهاني: 475 - 476.

الِاشْتِغَالُ الْمُطْلَقُ بِتَرْكِ عَمَلٍ (١) بِقَصْدٍ وَبِغَيْرِ قَصْدٍ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُهُ ﷺ (١):
 «اذْهَبُوا بِهَذِهِ الْخَمِيصَةِ (٢) إِلَى أَبِي جَهْمٍ (٣)، وَاتُّونِي بِتُرْكِيَّةٍ (٤) فَإِنَّهَا أَهْتَنِي
 أَنْفًا عَنْ صَلَاتِي» وَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بِقَصْدٍ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ جَرَى كَذَلِكَ فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ اللَّفْظَ
 الْخَاصَّ، كَقَوْلِهِ:

«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ» (٥) وَإِنَّمَا هُوَ الْغِبْطَةُ الْإِسْمُ الْخَاصُّ.

المَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿التَّكَاثُرُ﴾:

وَهُوَ التَّفَاعُلُ مِنَ الْكَثْرَةِ، يَطْلُبُ كُلُّ وَاحِدٍ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ صَاحِبِهِ فِي
 الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَحْبَابِ (٦).

قَالَ أَهْلُ الْإِشَارَةِ: اشْتَغَلُوا بِالْأَمْوَالِ عَنِ الْأَعْمَالِ، وَبِالْأَوْلَادِ عَنْ أَهْلِ (٣)
 الْوُدَادِ، وَبِالْأَحْبَابِ (٤) عَنْ دَارِ الثَّوَابِ، وَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا كَانَ فَارِعًا أَمْتَلًا مِنَ اللَّهِ

(١) ب: عمل بترك.

(٢) أ: الأحساب.

(٣) أهل: ساقطة من: أ.

(٤) أ: وبالأحساب.

(١) تمام الحديث كما جاء في مسلم رقم: 556 كتاب المساجد ومواضع الصلاة عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ
 عَائِشَةَ قَالَتْ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَمِيصَةٍ ذَاتِ أَعْلَامٍ، فَنَظَرَ إِلَى عِلْمِهَا، فَلَمَّا
 قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ: ... الحديث. انظر البخاري في الصلاة: 98/1.

(٢) الخميصة: ملاءة من صوف، الزمخشري: الفائق: 176/2، 125/3، ابن الأثير: النهاية: 80/2.

(٣) هو الصحابي ابن حذيفة القرشي العدوي، قيل اسمه: عبيد، وهو من مسلمة الفتح، انظر في
 ترجمته ابن سعد: الطبقات: 451/5، ابن عبد البر: الاستيعاب: 1623/4، ابن الأثير: أسد الغابة:
 57/6.

(٤) الذي ورد في كتب الحديث «خميصة أنيجانية».

(٥) جزء من حديث رواه البخاري في العلم: 26/1، ومسلم في صلاة المسافرين: رقم 816، والإمام
 أحمد في مسنده: 237/5، 78/6، 79 (ط: المعارف).

بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِذَا اشْتَغَلَ كُلُّهُ، خَرَجَ عَنْهُ حُبُّ اللَّهِ كُلُّهُ، وَإِذَا^(١) اشْتَغَلَ مِنْهُ جُزْءٌ فَبِذَلِكَ الْقَدْرِ يَذْهَبُ مِنْ حُبِّ اللَّهِ.

وَقَدْ كَانَتْ مَرْيَمُ إِذَا سَلِمَتْ مِنْ صَلَاتِهَا وَجَدَتْ فِطْرَهَا، فَلَمَّا وَلَدَتْ عِيسَى وَأَخَذَ جُزْءاً مِنْ قَلْبِهَا قِيلَ لَهَا: ﴿وَهْزِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ (مريم: 24).
وَيَتَّبِعُ الْكَلَامَ هَا هُنَا فِي التَّكَاثُرِ بِذِكْرِ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ^(٢) فِي ذِكْرِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَحْبَابِ^(٣).

المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ:

عَدَلَ عَنْ قَوْلِهِ: «شَغَلَكُمْ» إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلْهَأَكُمْ﴾ لِأَنَّهُ أَحْصَى بِهِ وَأَكْثَرَ ذَمًّا لَهُمْ.
المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ:

إِنْ قِيلَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ أَلْهَأَكُمْ؟
قُلْنَا: عَمَّا قَالَ أَهْلُ الْإِشَارَةِ.

المَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾:

يُقَالُ: زَارَ الرَّجُلُ إِذَا انْضَافَ إِلَيْهِ وَنَزَلَ بِهِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلضُّيُوفِ^(٤): زُورُوا.

وَمِنْ غَرِيبِ الْفَصَاحَةِ أَنَّ الزِّيَارَةَ تَكُونُ بِالْقَصْدِ، وَاسْتَعْمَلَهَا هَا هُنَا مَعَ عَدَمِ الْقَصْدِ، وَذَلِكَ لِمَا عَلِمَ مِنْ وَجُوبِ حُلُولِهَا، وَأَنَّ الْمَصِيرَ الْآخَرَ^(٥) إِلَيْهَا، وَأَنَّ فَائِدَةَ مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَمْرٍ إِنَّمَا هُوَ عِنْدَهَا.

(١) ب: وإن.

(٢) ب: والآثار والأخبار.

(٣) أ: والأحساب.

(٤) أ: للضيف.

(٥) ب: الأخرى.

المَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: ﴿الْمَقَابِرَ﴾:

وَهِيَ الدَّارُ الْآخِرَةُ، وَالدُّنْيَا هِيَ الدَّارُ الْأُولَى، وَهِيَ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ أَوْ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ^(١)، وَتُسَرَّدُ الْأَحَادِيثُ فِي هَذَا كُلِّهِ^(٢).

المَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ: فِي عَذَابِ الْقَبْرِ:

فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (التكاثر: ٣): مَعْنَاهُ: إِذَا زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، وَذَلِكَ تَهْدِيدٌ عَظِيمٌ بِمَا يُدْرِكُ إِذَا حُلَّ فِيهِ، وَتَذَكُّرُ عَذَابِ الْقَبْرِ كُلِّهِ، وَأَنْوَاعِ الْهَوْلِ فِيهِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا تَهْدِيدٌ.

المَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ: قَوْلُهُ: ﴿كَلَّا﴾:

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهَا النُّحَاةُ وَالْمُفَسِّرُونَ، وَتَذَكُّرُ أَقْوَالِهِمْ^(٢)، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ نَفْيٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: كُلُّ لَا، الْمَعْنَى: لَيْسَ كَمَا زَعَمْتُمْ أَوْ أَرَدْتُمْ، حَيْثُمَا وَقَعَ وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ، فَجُعِلَتِ الْكَلِمَتَانِ^(٣) كَلِمَةً وَاحِدَةً، وَنُصِبَتِ الْكَافُ لِتَدُلَّ الْإِضَافَةُ عَلَى التَّغْيِيرِ.

المَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ:

قَوْلُهُ: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿سَيَعْلَمُونَ عَذَابًا﴾

(١) أ: فيها كله.

(٢) أ: الكلمتين.

(1) يشير إلى الحديث الشريف الذي جاء فيه «... إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ» أخرجه الترمذي من حديث طويل في صفة القيامة: رقم 2462 وقال عنه: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، كما أخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر رقم: 50، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: 46/3، وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن أيوب بن سويد وهو ضعيف.

(2) انظر باب «معنى كلا وتفسير وجوها وأصلها وموضعها من الإعراب» من كتاب «شرح كلا وبلى ونعم» لأبي طالب القيسي: 22 - 70 (ط: أحمد فرحات 1978) وانظر الدراسة النقدية القيمة عن «كلا» التي قدم بها الدكتور حسين نصار للكتاب السابق الذي نشره في مجلة كلية الشريعة ببغداد:

1967.

(القمر: 26) بِالسَّيْنِ وَهُمَا عِنْدَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ وَاحِدٌ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْإِشَارَةِ أَنَّهُمَا بِمَعْنَيْنِ^(١)، وَكَأَنَّ سَوْفَ أَمَدٍ فِي الْمَهْلِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الحديد: ١٥).

وَتُورِدُ مَا يُنَاطِرُهُ وَيَتَعَلَّقُ بِهِ.

المسألة العاشرة: قَوْلُهُ: ﴿تَعْلَمُونَ﴾:

كَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي جَهَالَةٍ وَغَمْرَةٍ مِنَ الْبَطَالَةِ، فَانْتَقَلُوا إِلَى الْيَقَظَةِ^(٢)، «وَالنَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا»^(١)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (المؤمنون: 55).

وَتَذَكَّرُ الْاسْتِغْرَاقَ فِي الشَّهَوَاتِ، وَتَسْتَوْفِي آيَاتِهِ وَآثَارَهُ، وَتَذَكَّرُ تَلْيِيسَ إِبْلِيسَ ظَنَرِيْنَهُ - إِنْ قَدَرَ - أَوْ تَسْوِيفَهُ^(٣)، وَذَلِكَ مَعْنَى دَقِيقٍ طَوِيلٍ.

وَقَدْ قَالَ لِي شَيْخُنَا الطُّوسِيُّ^(٤): إِنْ أُمِهُلْتُ فَسَافِرْدُ كِتَابًا «لِتَلْيِيسِ إِبْلِيسَ»⁽²⁾.

المسألة الحادية عشر: فِي التَّكْرَارِ⁽³⁾:

قَدْ قَدَّمْنَا الْقَوْلَ فِيهِ فِيمَا سَبَقَ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعِهِ وَأَشْبَعْنَاهُ، فَلْيُنْقَلْ

(١) ب: معنيين.

(٢) أ: فانتقلوا إلى العلم وفي يوم فانتبهوا إلى اليقظة.

(٣) أ: وتسويفه.

(٤) أ: الصوفي.

(1) سبق تخريج هذا الأثر صفحة: تعليق رقم.

(2) لا أعلم كتاباً للإمام الغزالي طبع بهذا العنوان، وقد ذكره السبكي في طبقات الشافعية: 116/4

(ط: الحسينية)، وطاش كبرى زادة في مفتاح السعادة: 208/2، أما حاجي خليفة فقد ذكره في كشف

الظنون: 254/2 بعنوان «تدليس إبليس».

(3) انظر كتاب «أسرار التكرار في القرآن» للكرماني: 224 ففيه فوائد جلية، والسيوطي في معترك =

مِنْ هُنَالِكَ^(١)، وَمِنْ أَحْسَنِ مَا فِيهِ مَا أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ عَنْ أَبِي الْمُظَفَّرِ عَنْ
الْأَسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ^(٢) أَنَّهُ قَالَ: كَرَّرَ اللَّهُ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ،
ثُمَّ سَاقَ قِصَّةَ يُوسُفَ مَسَاقًا وَاحِدًا إِشَارَةً إِلَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ عَجَزَ بِهِ الْعَرَبَ، وَكَانَ
النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لَهُمْ: قَدْ سُقْتُ^(٣) قِصَّةَ يُوسُفَ مَسَاقًا وَاحِدًا، وَكَرَّرْتُ قِصَصَ
الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنْ كَانَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي مَقْدَرَةً عَلَى الْفَصَاحَةِ، وَدُرَبَةً فِي الْبَلَاغَةِ^(٤)،
فَأَفْعَلُوا فِي قِصَّةِ يُوسُفَ مَا فَعَلْتُ^(٥) فِي سَائِرِ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ أَعْظَمُ قَدْ أَوْرَدَنَاهُ
فِي «الْمُعْجَزَاتِ».

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ عَشَرَ: قَوْلُهُ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ (التكاثر: 5):
قَدْ قَدَّمْنَا^(٦) أَنَّ الْإِخْتِيَارَ فِي «كَلَّا» أَنَّ يَكُونَ نَفْيًا، فَكَيْفَ جَاءَ النَّفْيُ بَعْدَ قَوْلِهِ:
﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؟

قُلْنَا: عَادَ النَّفْيُ إِلَى الْأَوَّلِ تَأْكِيدًا لَهُ أَيْضًا، دَلَّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ وَهِيَ:

الْمَسْأَلَةُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ: قَوْلُهُ^(٧): ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾:
الْقَوْلُ فِي الْعِلْمِ مَعْلُومٌ^(٨)، وَأَقْسَامُهُ وَمَتَعَلَّقَاتُهُ مَعْرُوفَةٌ.

(١) أ: هناك.

(٢) أ: سمعت.

(٣) الكلمات السابقة مطموسة في أصل ب.

(٤) ب: مطموسة.

= الأقران: 341/1، والزرشمي في البرهان: 11/3.

(1) هو الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني وقد سبقت ترجمته صفحة: 125 التعليق رقم: 2.

(2) صفحة: 333.

(3) وهي المسألة الرابعة عشر.

(4) قال ابن العربي في سراج المريدين: 44/4... قد أرادت الملحدة أن تجعل العلم معنى مجهولاً
أو خفياً، فسألت عنه سؤال الباحث عن حقيقته ليغمض، حتى إذا شككوا الخلق في العلم لم يبق =

وَأَمَّا الْيَقِينُ:

فَقِيلَ هُوَ الْمُشَاهَدَةُ.

وَقِيلَ: الْعِلْمُ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ رَيْبٌ وَإِنْ كَانَ نَظَرِيًّا.

وَقَالَ أَهْلُ الْإِشَارَةِ: الْيَقِينُ هُوَ الْعِلْمُ الْحَاصِلُ عَنِ الْعَمَلِ ⁽¹⁾ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا بِهِ ⁽¹⁾ انْتِفَاءَ الرَّيْبِ فَأَسَاءُوا الْعِبَارَةَ وَالطَّرِيقَ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي عَثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ ⁽²⁾:

«أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ» ⁽³⁾ وَاللَّهُ مَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِهِ، فَكَشَفَ ﷺ عَنْ مَعْنَى الْيَقِينِ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ اللَّهَ فَسَّرَهُ فَقَالَ: ﴿عِلْمُ الْيَقِينِ، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (التكاثر: 6). وَإِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ⁽⁴⁾، فَهُوَ مِنْ يَقِينِهِ، وَهِيَ الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ عَشْرَةَ.

(1) ب: في.

= لهم بعده ما يتعلقون به، ولا ينظرون فيه، وسأوتهم على ذلك القدرة لموافقته لهم في قصد إضلال الخلق والتليس على العباد، فلا تلتفتوا إلى مقالته، ويكفيكم في بيان العلم علمكم بأنفسكم، ويكفيكم في شرفه أمران: أحدهما أنه صفة الرب التي ينشأ عنها كل فعل، والثاني: أنه مقدمة لكل معنى دنيوي وأخروي، ومن خلا عنه هلك في أمور دنياه ففاته وتشتت عليه، وهلك في آخرته فكفر ولم يعلم، وعصى ولم يشعر...».

(1) انظر في تعريف «اليقين» الكفوي: الكليات: 89/12، 116/5 - 118، الجرجاني: التعريفات: 136، التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون: 1547 - 1548 (ط: خياط).

(2) هو الصحابي الجليل عثمان بن حبيب بن مظعون الجمحي، أبو السائب، من سادة المهاجرين ومن أولياء الله المتقين، توفي في حياة النبي ﷺ، وهو أول من دفن في البقيع، انظر عنه: ابن سعد: الطبقات: 286/1/3، البخاري: التاريخ الصغير: 20/1، ابن عبد البر: الاستيعاب: 60/8، ابن حجر: الإصابة: 395/6.

(3) هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في الجنائز: 71/2.

(4) يشير المؤلف - رحمه الله - إلي ما أخرجه البخاري في الجنائز: 103/2 «عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ =

ثُمَّ قَالَ: ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (التكاثر: 7) وَهِيَ الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ عَشَرَ: يُرِيدُ عِنْدَ^(١) الْوُرُودِ، وَتَفْسِيرُهُ، وَتَوَرَّدَ، وَفِي الْقَوْلِ فِيهِ إِطْنَابٌ^(٢)، وَلَهُ أَطْنَابٌ^(٢).

الْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ عَشَرَ: قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر: 8).

وَهُوَ ظَرْفٌ، قَالَ بَعْضُهُمْ: لِعَيْنِ الْيَقِينِ.

وَقَالَ غَيْرُهُمْ: لَهُ وَلِلْيَقِينِ الْأَوَّلِ، وَالسُّؤَالُ يَوْمَئِذٍ إِنَّمَا يَكُونُ لِعَيْنِ الْيَقِينِ، فَأَمَّا الْيَقِينُ فَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا السُّؤَالُ عَنِ الْإِيمَانِ هَا هُنَا خَاصَّةً^(٣)، وَتَوَرَّدَ هَا هُنَا الْأَسْئَلَةُ كُلُّهَا وَتَفَاصِيلُهَا وَمَحَالُّهَا.

الْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ عَشَرَ: عَنِ النَّعِيمِ^(٣):

قِيلَ: هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَهُ أَهْلُ الْإِشَارَةِ^(٤).

وَقِيلَ: هُوَ تَخْفِيفُ التَّكْلِيفِ بِالشَّرَائِعِ^(٥).

(١) أ: من.

(٢) ب: اليمين خالصة.

.....

= الْجَنَّةُ فَمِنْ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَى الْقِيَامَةِ.

(1) الإِطْنَابُ: البلاغة في المنطق والوصف.

(2) الأِطْنَابُ: جمع طُنْب، وهو الجبل الطويل الذي يشد به البيت والسرادق. والمراد القول به ضوابط وحدود.

(3) قال المؤلف في السراج: 17/ب «النعيم هو عبارة في اللغة عن الزيادة، وعليه بيان (ن ع م) كيف ما تردد».

(4) ورد هذا القول في لطائف الإشارات 763/3.

(5) ن، م، ونسبه إلى الحسن بن علي وكذلك الماوردي في النكت: 509/4.

وَقِيلَ: الرُّخْصُ⁽¹⁾.

وَقِيلَ: هُوَ الْمَاءُ الْبَارِدُ فِي الصَّيْفِ، وَالْحَارُّ فِي الشِّتَاءِ⁽¹⁾.

وَقِيلَ: الصَّحَّةُ مِنَ الْبَدَنِ⁽²⁾.

وَقِيلَ: الْفَرَاغُ⁽²⁾.

وَقِيلَ: سَعَةُ الرِّزْقِ⁽²⁾.

وَقِيلَ: الْقَنَاعَةُ⁽³⁾.

وَقِيلَ: الرِّضَاءُ بِالْقَضَاءِ⁽³⁾.

وَحَقِيقَتُهُ:

كُلُّ مُوَافِقٍ لِلنَّفْسِ وَالْبَدَنِ دِينًا أَوْ دُنْيَا، وَإِذَا بَسِطَ هَذَا اتَّسَعَ مِقْدَارُهُ.

فَإِنْ قِيلَ: هَذِهِ طُرُقٌ طَوِيلَةٌ، وَبِحَارٌ مُتَّسِعَةٌ، فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى سُلُوكِهَا وَرُكُوبِهَا؟ وَأَنْتَ⁽¹⁾ بِالتَّبْلِيغِ نَحْوَهَا حَتَّى نَبْلُغَ إِلَيْهَا؟ وَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ وَجْهُ الْقَصْدِ إِلَى هَذَا الْقَانُونِ؟

(1) ب: والتي.

(1) لطائف الإشارات: 763/6.

(2) انظر في هذه الأقوال: الماوردي: النكت والعيون: 508/4، القرطبي: الجامع 168/20 - 178،

الرازي: مفاتيح الغيب: 75/32 - 83، السيوطي: الدر المنثور: 386/6 - 391.

(3) انظر في هذين القولين لطائف الإشارات: 763/3.

وزاد ابن العربي في الأحكام الصغرى لوحة: 510 ما يلي:

«... وقيل النعيم: الأمن والصحة، وقيل السلامة في الحواس، وقيل لذة المأكَل والمشرب...».

قلت: وقد رجَّح ابن العربي القول المختار وذلك في أحكام القرآن: 1974 - 1975 حيث قال: وأعظمها موافقة ما قال مالك في رواية كادح بن رحمة أنه صحة البدن وطيب النفس.

ذِكْرُ وَجْهِ التَّبْلِيغِ إِلَى الْمَرْتَبَةِ الْمُسْتَوَلِيَةِ
عَلَى عُلُومِ التَّنْزِيلِ بِالتَّجْمِيلِ
وَطَرِيقِ التَّوَصُّلِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ (١)

اعْلَمُوا - نَوَّرَ اللَّهُ بَصَائِرَكُمْ - أَنَّا قَدْ أَوْضَحْنَا أَنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ هُوَ
التَّعْلِيمُ، فَإِنَّ التَّزَمُّتَ بِشُرُوطِهِ، وَتَمَادُّتَ عَلَيْهِ، وَصَلَتْ إِلَيْهِ. وَشُرُوطُ ذَلِكَ وَوُظَائِفُهُ
تُنْفِذُ عَلَى الْمُسْتَشِينَ، لَكِنَّ الْأُمَمَاتِ الَّتِي تَرْجِعُ إِلَيْهَا الْبَنَاتُ سَبْعَةُ شُرُوطٍ (١):
الشَّرْطُ (٢) الْأَوَّلُ (٢):

إِخْلَاصُ النِّيَّةِ، فَهُوَ أَصْلُ الْأُصُولِ، وَشَرْطُ الشُّرُوطِ.

الشَّرْطُ الثَّانِي:

التَّوَاضُّعُ لِلْعِلْمِ، فَحَيْثُ عِلْمَ الْعِلْمِ قَصْدُهُ، وَمِمَّنْ سَمِعَهُ أَخَذَهُ،
«فَالْحِكْمَةُ (٣) ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ» (٣) وَلَا تَسْتَصْغِرُ كَلِمَةً، فَإِنَّهُ إِنْ تَكَبَّرَ عَلَى الْعِلْمِ ذَهَبَ
عَنْهُ، فَإِنَّ:

(١) العنوان مطموس في: ب.

(٢) الشرط: ساقطة من: أ.

(٣) أ: الحكمة.

(1) تأثر ابن العربي تأثراً بالغاً بالإمام الغزالي في إحيائه: 49/1 وميزانه: 341، وجلّ هذه الشروط هي من
وضع الغزالي.

(2) انظر الغزالي: ميزان العمل: 341 - 342، وإحياء علوم الدين: 51/1 - 52.

(3) روي هذا الأثر بألفاظ مختلفة فهو عند الترمذي في العلم رقم: 2688، وقال عنه: هذا حديث غريب =

الْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى الْمُتَعَالِي كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي (1)

الشَّرْطُ الثَّالِثُ:

التَّوَاضُّعُ لِلْمُعَلِّمِ ، حَتَّى لَوْ تَحَقَّقَ خَطْوُهُ فَلْيُعْظِمُهُ ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فَضْلُ
التَّقَدُّمِ وَالتَّجَرُّبَةِ ، أَلَا تَرَى إِلَى حَدِيثِ مُوسَى وَالْخَضِرِ (2) .

وَيَلْزِمُهُ أَنْ يَعْتَقِدَ لَهُ حَقَّ أَبِيهِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ
أَعَلَّمَكُمْ » (3) ، وَالْمُعَلِّمُ خَيْرٌ مِنَ الْأَبِ .

الشَّرْطُ الرَّابِعُ:

أَلَّا يُخَالِفَ مُعَلِّمَهُ فِيمَا يُشِيرُ بِهِ عَلَيْهِ إِنْ ظَهَرَ إِلَيْهِ غَيْرُهُ .
فَاَوْضَتْ يَوْمًا الطُّوسِيَّ فِي ذِكْرِ تَأْلِيْفِهِ ، فَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضِهَا ، ثُمَّ نَظَرْتُ فِي
كِتَابِ « الْمَعْيَارِ » (4) فَأَعْجَبَنِي (1) فَاسْتَحْسَنْتُهُ ، وَجِئْتُ إِلَيْهِ وَعَلَى كُمِّي كُرَاسَةٌ مِنْهُ ،
(1) ب: ثم نظرت فيه فأعجبني .

= لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، أما الشيخ عبد القادر الأرناؤوط فقد ضعفه في جامع الأصول : 9/8 ، وهو
عند ابن ماجه في الزهد رقم : 4221 وعلق عليه الشيخ د. محمد مصطفى الأعظمي فقال : إسناده
ضعيف ، انظر : السخاوي : المقاصد الحسنة : 191 ، الزرقاني مختصر المقاصد : 99 ، العجلوني
كشف الخفا : 363/1 ، الشوكاني : الأسرار المرفوعة : 284 .

(1) هذا البيت أورده الغزالي ولم ينسبه في ميزان العمل : 344 ، والإحياء : 50/1 .

(2) انظر قصة موسى والخضر عليهما السلام في البخاري كتاب العلم : 26/1 ، ومسلم في الفضائل
رقم : 2380 ، والترمذي في التفسير رقم : 3148 ، وابن جرير الطبري في تفسيره : 2278/15 - 279 ،
والبغوي في تفسيره : 139/4 (بهامش الخازن) والبيهقي في الأسماء والصفات : 116 - 117 .

(3) أخرجه بهذا اللفظ من حديث طويل ابن ماجه في أبواب الطهارة رقم : 317 (ط : الأعظمي) وانظر
مسند أحمد 250/2 ، وأبا داود في الطهارة : 2/1 (ط : أحمد سعد علي) .

(4) طبع هذا الكتاب بتحقيق شيخنا فضيلة الأستاذ الدكتور سليمان دنيا - رحمه الله - (سلسلة ذخائر
العرب رقم : 32 دار المعارف - مصر) قال عنه ابن العربي في العواصم : 106 «وأخذ في معيار العلم
عليهم (أي على الفلاسفة) طريق المنطق فرتبه بالأمثلة الفقهية والكلامية ، حتى محى فيه رسم
الفلاسفة ، ولم يترك لهم مثلاً ولا ممثلاً ، وأخرجه خالصاً عن دسائسهم ، بيد أنه أدخل فيه أغراضاً
صوفية ، فيها غلو وإفراط» .

فَقَالَ لِي : مَا مَعَكَ ؟ فَاسْتَحْيَيْتُ^(١) وَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ فَقَرَأَهُ مَلِيًّا ، وَأَنَا أُسَارِقُهُ النَّظَرَ وَأَرْفُضُ عَرَقًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ^(٢) إِلَيَّ وَقَالَ لِي : كِتَابٌ حَسَنٌ ، وَلَكِنْ لَا تَغْتَرَّ بِمُخَالَفَتِنَا فِيهِ .

الشَّرْطُ الْخَامِسُ :

أَنْ^(٣) لَا يَخُوضَ فِي الْعُلُومِ دُفْعَةً ، بَلْ يَقْبَلُ عَلَى الْأَهَمِّ ، فَإِذَا اكْمَلَهُ انْتَقَلَ إِلَى غَيْرِهِ ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ (البقرة : ١٢٠) .

قِيلَ فِيهِ : لَا يَنْتَقِلُونَ عَنْ فَنٍّ حَتَّى يُحْكِمُوهُ عِلْمًا وَعَمَلًا^(١) . كَمَا رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ^(٢) أَنَّهُ أَقَامَ عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثَمَانِي^(٤) سِنِينَ حَتَّى أَحْكَمَهَا^(٣) .
وَقِيلَ : يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ بِحُضُورِ قَلْبٍ .

الشَّرْطُ السَّادِسُ :

أَنْ يَتَذَكَّرَ مَا حَفِظَ وَعَلِمَ^(٥) ، وَلَا يَنْبِذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ .

الشَّرْطُ السَّابِعُ :

أَنْ يَعْمَلَ بِمَا عَلِمَ فَذَلِكَ أَثْبَتُ لَهُ حِفْظًا وَنَجَاةً .

(١) ب : واستحييت .

(٢) رأسه ساقطة من : أ .

(٣) أن : ساقطة من : ب .

(٤) أ : ثمان .

(٥) أ : ويعلم .

(١) هذا التفسير هو للإمام الغزالي ، الميزان : 349 .

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، ولد سنة ثلاث من البعث النبوي ، وأسلم مع أبيه ، له فضائل جمّة ، أفنى الناس ستين سنة ، وغزى إفريقية مرتين ، توفي سنة : 73 . انظر : ابن سعد : الطبقات : 143/3 ، ابن عبد البر : الاستيعاب : 341/2 ، ابن حجر : الإصابة : 347/2 .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ، باب ما جاء في القرآن : 205/1 .

فَهَذِهِ أَمَهَاتُهَا^(١)، وَهِيَ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى الدُّوْبِ عَلَيْهَا دُونَ فُتُورٍ، فَإِنْ عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ مَنَّةً وَاتَّسَاعَ بَاعٍ، وَقَبُولًا لِلْبُلُوغِ إِلَى النِّهَائَةِ، فَلْيَأْخُذْ فِي مَعْرِفَةِ^(٢) الْبَارِي مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، فَإِنَّهَا تُحِيطُهُ^(٣) بِالْكُلِّ، وَبِهَا يَعْرِفُ الْعَالَمَ، فَلِكُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ جُزْءٌ^(٤) مَقْسُومٌ مِنْهُ، وَقَدْ قَيَّدْنَاهُ فِي «الْأَمَدِ الْأَقْصَى» وَهُوَ الْغَايَةُ، وَبِهِ يَعْرِفُ التَّرَقِّيَ مِنْ دَرَجَةٍ إِلَى دَرَجَةٍ.

وَحَذَارٍ مَنْ أَنْ يَطْمَعَ عَبْدٌ فِي اسْتِقْلَالِهِ بِنَفْسِهِ فِي الْعُلُومِ، حَتَّى يَحْتَكَّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُعَلِّمِ، فَمَا ضَلَّ مَنْ ضَلَّ إِلَّا مِنَ الصُّحُفِ، بَلْ إِذَا وَصَلَ إِلَى دَرَجَةِ النَّظَرِ، فَلَهُ أَنْ يَسْتَبِدَّ بِنَفْسِهِ^(٥)، بَلْ هُوَ فَرَضُهُ، وَذَلِكَ مَوْقُوفٌ عَلَى شَرْحِ الصُّدُورِ، فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلتَّعْلِيمِ وَهُمَا صَدْرَانِ:

(١) ب: علوم.

(٢) أ: محيطة.

(٣) ب: من.

(٤) ب: لنفسه.

.....

(1) كثيراً ما يتطرق المؤلف - رحمه الله - لموضوع «العالم والمتعلم» في مختلف كتبه، ومما قاله في «قانون القاهرة»: 95/ب ما يلي: «... للعالم على المتعلم عشرة خصال، منها أربعة هي أمهاتها: أحدها أن يصغي إلى قوله ولا يقف في وجهه، ويأخذ ما يتيسر له منه، ولا يكلفه إلا ما أعطاه. الثانية: أن لا ينظر في المشكلات، وأن ينظر في المبينات، فإذا أحكمها وتخلصت له، نظر بعد ذلك في المشكلات فيكون أرجى لفهمها. الثالثة: أن لا يسأله سؤال معنف كما فعلت اليهود حين سألت النبي ﷺ بجفاء وعنف. الرابعة: أن يسلم له، وأن يُطَهِّرَ نفسه ويزكيها من المعاصي والذنوب فلا شيء أنفع في التعليم من التقوى.

وللمتعلم على العالم عشر حقوق منها: أن يرفق به ويعلمه برأفة ورحمة ولذلك قال عليه السلام: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أَعْلَمُكُمْ دِينَكُمْ»، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُونُوا رِبَايَيْنِ﴾ (آل عمران: 78) والعالم الرباني هو الذي يربي المتعلم بصغار العلم في المسائل قبل كبارها، فهو مأخوذ من التربية، وإليه الإشارة لبعض العلماء وقد سئل فقيه له: من أحب إليك أبوك أم معلمك؟ فقال معلمي لأنه سبب حياتي الباقية، وأبي سبب حياتي الفانية... قلت: وللتوسع في هذا الموضوع، انظر: السراج: 191/أ - ب.

ذِكْرُ شَرْحِ الصُّدُورِ (٢)

صَدْرُ نَبِيِّ وَصَدْرُ صَدِيقٍ .

فَأَمَّا النَّبِيُّ فَشَرَحَ صَدْرَهُ بِأَنْ يُرْفَعَ (٢) عَنْهُ الْجَهْلُ بِالْعِلْمِ ، وَالْعَقْلَةُ بِالذِّكْرِ ،
وَالْمَعْصِيَةُ بِالطَّاعَةِ ، وَالْوَسْوَاسُ بِالْعِصْمَةِ .

فَإِنْ قِيلَ : وَكَيْفَ هَذَا وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ
نَزْغٌ... ﴾ الآية (فصلت : 35) ؟ .

قُلْنَا : ذَلِكَ فِي التَّعْرِيزِ لَا فِي التَّمْرِيزِ .

فَإِنْ قِيلَ : فَقَدْ قَالَ ﷺ : « إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي... » الْحَدِيثُ (١) ؟ .

قُلْنَا : لَيْسَتْ غَفْلَتُهُ عَنْ طَاعَةِ بِمُبَاحٍ ، إِنَّمَا كَانَ فِي ذِكْرِ دَائِمٍ ، وَعِلْمٍ قَائِمٍ ،
فَإِذَا عَافَسَ الْأَهْلَ ثُمَّ فَرَعَ ، رَأَى أَنَّهُ فِي نُقْصَانٍ ، حَيْثُ أَقْبَلَ عَلَى غَيْرِهِ (٣) ، وَلَكِنْ
ضُرُورَةُ الْبَشَرِيَّةِ ، فَيَعُودُ إِلَى الْإِسْتِغْفَارِ حَتَّى يَكُونَ عَمَلُهُ (٣) الْبَشَرِيُّ فِي حُكْمِ
الْعَمَلِ التَّكْلِيفِيِّ .

وَأَمَّا الصَّدِيقُ فَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الْكَمَالِ ، وَمَعْنَاهُ : الَّذِي صَدَّقَ عِلْمَهُ
بِعَمَلِهِ (٢) (٤) ، وَأَعْظَمَ ذَلِكَ فِي أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ (٥) - رَضِيَ اللَّهُ... .

(١) أ : الصدر .

(٢) ب : يترفع .

(٣) ب : ما غيره .

(٤) أ : علمه .

(٥) الصديق : ساقطة من : أ .

(١) تقدم تخريج هذا الحديث صفحة 565 تعليق رقم : (1) .

(2) قال الشريف الجرجاني في التعريفات : 70 «الصديق هو الذي لم يدع شيئاً مما أظهره باللسان إلا
حققه بقلبه وعمله» .

عَنْهُ (1) -، أَلَا تَرَى إِلَى (1) قَوْلِهِ جَوَابَ مَنْ أَخْبَرَهُ (2) بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي لَيْلَةٍ فَقَالَ: «إِنْ كَانَ قَالَهَا صَدَقَ، وَأَنَا أَصَدُّهُ فِيمَا هُوَ أَعْظَمُ» (2).
وَأَنْظُرْ إِلَى إِقْبَالِهِ إِلَيْهِ بِجَمِيعِ مَالِهِ، وَقَوْلُهُ: «أَبْقَيْتُ لِنَفْسِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ» (3).
وَلَمَّا احْتَجَّ إِلَى عِلْمِهِ وَيَقِينِهِ وَجَدَهُ، وَوَجَدَ الْمُسْلِمُونَ بَرَكَتَهُ.
فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ أَدْعَانَا لَكَ فَرْدٌ بَيَانًا.

قُلْنَا: «حَدَّثَ حَدِيثَيْنِ (3) امْرَأَةً، فَإِنْ أَبَتْ فَأَرْبَعٌ» أَوْ «فَأَرْبَعَةٌ» (4) عَلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَةِ فِي هَذَا الْمَثَلِ، عَدُّوَهَا أَرْبَعَةً عَلَى تَأْوِيلِ الْعَامَّةِ فِي الْمَثَلِ.
اعْلَمُوا - بَصَرَكُمْ اللَّهُ اللَّحْفِيَّ وَتَبَّتْ لَكُمْ الْجَلِيَّ - أَنْ (4) مَسَاقَ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْقَانُونِ هُوَ طَرِيقُ التَّعْلِيمِ، وَقَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكُمْ فِي شَرْطِهِ (5) أَلَّا تَذْهَبُوا عَمَّا

(1) إلى: ساقطة من: أ.

(2) جواب من أخبره ساقطة من: أ.

(3) حديثين: ساقطة من: أ.

(4) أن: ساقط من: أ.

(5) أ: شرطي.

(1) انظر سبب تسميته بالصدِّيق في الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري: 48/1 - 50.
(2) نحوه في مستدرک الحاکم: 62/3 كتاب معرفة الصحابة، من حديث عائشة، وقال الحاکم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(3) هذا جزء من حديث أخرجه الترمذي في المناقب رقم: 3676 بلفظ «عن عمر بن الخطاب قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَتَصَدَّقَ، وَوَأَفَّقَ مِنِّي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ - إِنْ سَبَقْتُهُ - قَالَ: فَجِئْتُ بِنُصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا».

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: وأخرجه كذلك أبو داود في الزكاة رقم: 1678، والدارمي في باب الرجل يتصدق بجميع ما عنده: 392/1.

(4) يضرب هذا المثل في سوء السمع والإجابة، ويروى أن عامراً الشعبي هو الذي تمثل به، ونسبه ابن

تَعْلَمُوا حَتَّى تُرْكَبُوا عَلَيْهِ مَا تَفْهَمُوا تَفْقَهُوا^(١)، وَلَكِنَّكُمْ تَجِدُونِي^(٢) - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - سَمَحًا لَّيِّنًا، مُتَخَوِّنًا^(٣) لَيْسَ خَائِنًا، اسْلُكُوا سَبِيلِي، وَتَوَضَّعُوا دَلِيلِي، فَإِنَّكُمْ تَهْتَدُونَ إِلَى سَبِيلِ السَّلَامِ، وَتَسْتَنِيرُونَ^(٤) فِي غِيَاهِبِ الظَّلَامِ.

وَلَقَدْ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِي وَقَدْ فَاوَضَنِي فِي هَذِهِ الْأَغْرَاضِ:

ذكر معاني الفاتحة

إِذَا أَرَدْتَ تَحْصِيلَ التَّفْسِيرِ بِالقَانُونِ: فَاعْمِدْ إِلَى سُورَةِ «الْفَاتِحَةِ» بِنِيبَةِ خَالِصَةٍ، ثُمَّ سَطِّرِ الْحَمْدَ وَمَعْنَاهُ، وَالشُّكْرَ وَمَغْزَاهُ، وَانْفِصَالَهُمَا فِي مُتَعَلِّقِهِمَا، وَالرَّبَّ وَشَرْحَهُ، وَالْعَالَمِينَ وَمَا يَتَنَاوَلُ مِنَ الْمَوْجُودِينَ، وَكَيْفَ صَرَّفَ الْعَالَمِينَ وَرَبِّي مُتَوَلِّدَاتِ الْمَوْجُودِينَ، وَالرَّحْمَنَ وَمُتَعَلِّقَهُ، وَالرَّحِيمَ وَفَائِدَتَهُ، وَالْجَمْعَ وَتَرْكِيبَهُ وَاسْتِفْتَاخَ كِتَابِهِ بِذَلِكَ، وَنِعْمَتَهُ، وَالْمُلْكَ وَخَصِيصَتَهُ، وَالذِّينَ وَحَقِيقَتَهُ وَمَاذَا تَنَاوَلَ، وَعَظِيمَ مَا اجْتَمَعَ فِيهِ، وَالْعِبَادَةَ وَصِفَتَهَا، وَالْاِسْتِعَانَةَ وَفَائِدَتَهَا، وَالصِّرَاطَ وَرَحْمَتَهُ^(٤)، وَالنَّعْمَةَ وَعُمُومَهَا، وَالْمَعْصِيَةَ وَخُصُوصَهَا، وَالْغَضَبَ وَمَعْنَاهُ، وَالضَّلَالَ وَهُوَ ضِدُّ الْهِدَايَةِ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ تَفْسِيرَ الْفَاتِحَةِ، نَعَمْ وَالْقُرْآنَ، بِحَسَبِ مَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ قُدْرَتُكَ، فَاجْتَهِدْ، وَوَاصِلِ السَّيْرِ بِالْجَدِّ، فَإِنَّ السَّبِيلَ بَادٍ.

فَلَقَدْ رَحَلْتُ طَالِبَ عِلْمٍ وَحَجٍّ، فَمَا عَدِمْتُ قَاطِعًا يُلَوِّنِي، وَشَيْطَانًا يُغْوِينِي، وَلَا فَقَدْتُ نَاصِحًا يُقْدِمُنِي، وَعَالِمًا يُرْشِدُنِي، حَتَّى خَلَصْتُ إِلَى الْمَطْلُوبِ.

(١) أ: ما تعلموا تفقهوا، ب: ما تفهموا فتعلموا.

(٢) ب: ولكن ستجدني.

(٣) ب: وما خيرون.

(٤) أ: وجهته.

= الأثير في النهاية 187/2 إلى شريح ومعنى فأربع أي كف. انظر: المفضل بن سلمة: الفاخر: 76،

ابن سلام: الأمثال: 54، العسكري: جمهرة الأمثال: 378/1، الميداني: في مجمع الأمثال: 92/1.

(1) النخون هو التعهد.

ذَكْرُ تَرْتِيبِ الطَّلَبِ

وَلَكِنْ رُبَّمَا فَاتَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ كَيْفِيَّةَ الطَّلَبِ⁽¹⁾:

وَأَوَّلُهَا الْمَقْصِدُ إِلَى تَعَلُّمِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَشْعَارِ، فَإِنَّهُمَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الَّتِي دَفَعَتْ إِلَيْهَا ضَرُورَةُ فَسَادِ اللُّغَاتِ.

(1) توسع المؤلف - رحمه الله - في بسط نظريته في التعليم وطرق تحصيله فقال في سراج المريدين: 59/ب ما نصه:

«... وقد كان علمُ الألفاظ والمقاطع ومدلولاتها عند الصدر الأول، لأنهم كانوا عرباً عرباً، يعرفون معاني الألفاظ ومقاطع الكلام، ثم اختلط الخلق حتى فسدت الألسن، وضلَّت القلوب عن الحقائق حتى فسدت المعاني.

فتعين علينا والحالة هذه أن نبدأ بعلم الألفاظ على وَجْهِ دلالتهَا على مدلولها، وأن نعلم مقاطع التعبير عنها، وهي الفصاحة التي تميَّز بها لسان العرب الذي ورد القرآن به، وهو الذي نحاول معرفته. فينبغي أن ينشأ الطفل على تعلم العربية ومقاطع الكلام، ويحفظ أشعار العرب وأمثالها، وَيُلْقَى إِلَيْهِ مِنَ الْحِسَابِ مَا يقيم به دينه ويكون دستوراً لعلم الفرائض واستخراج المعلوم من المجهول، ففيه منفعة في الدين وتمييز للأفهام.

ويدرس القرآن المفصل عند استقلاله ببعض هذه المقاصد، حتى إذا روى من هذا الغرض، مشى إلى العالم فأقرأه بتفسيره ودرسه إياه بمعناه، ويأخذه به من أوله، فلا يخطيء في وجهين: أحدهما: أن يعلمه القرآن منكوساً، ولا يقرأه كذلك إلا منكوس القلب.

الثاني: أن يحفظ الصبي كتاب الله وهو لا يَعْقِلُ منه حرفاً، فيتكلف استظهار ما لا طاقة له به، وإنما يمرُّ عليه كالعربي يحفظ التوراة بالعبرانية، وإن عقل الصبي منه بما يتصل به، ولا فهم ما تقتضيه فيما انتظمت معه...».

قلت: وكان رأيه هذا مثار جدل بين العلماء، فمنهم من استحسنه ومنهم من استبعد إمكانية تطبيقه، يقول ابن خلدون:

ثُمَّ تَنْقِلُ إِلَى الْحِسَابِ، فَتَمَرُّ^(١) فِيهِ حَتَّى تَرَى الْقَوَانِينَ، فَإِنَّهُ عِلْمٌ عَظِيمٌ، لَهُ خُلِقَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - بِهِ عَلَى حِكْمَةِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ مِنَ الْمَعَامَلَاتِ إِلَى مُنْتَهَى الْحَرَكَاتِ.

ثُمَّ انْتَقِلْ إِلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يَتَسَرُّ لَكَ بِهَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ، وَيَا^(٢) غَفْلَةَ بِلَادِنَا فِي أَنْ تَأْخُذَ الطِّفْلَ بِكِتَابِ اللَّهِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ، فَيَقْرَأُ مَا لَا يَفْهَمُ، وَيُنْصَبُ فِي أَمْرِ غَيْرِهِ حِينَئِذٍ عِنْدَهُ^(٣) أَهْمٌ، وَلَا يَتَبَسَّطُ^(٤) لِهَذَا الْمَطْلُوبِ الْعَظِيمِ^(٥) بِسَاطَةِ وَيُعِدُّ لَهُ نَشَاطَهُ.

ثُمَّ تَنْظُرُ فِي أُصُولِ الدِّينِ، وَلَا أَقَلَّ مِمَّا تَضَمَّنَهُ كِتَابُ «الْمُتَوَسِّطِ»، وَتَطَّلِعُ^(٦) عَلَى شَيْءٍ مِنْ أُصُولِ الْفِقْهِ كـ «الْمَحْصُولِ» أَوْ «نُكْتِهِ» إِنْ اسْتَطَاعَهُ.

ثُمَّ تَنْظُرُ فِي عِلْمِ الْجَدَلِ وَهُوَ فِي «الْمَحْصُولِ» وَلَا تُضَيِّعُهُ فَإِنَّهُ الْعِلْمُ الَّذِي بَدَأَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ الْعَرَبِ عَشْرَةَ أَعوَامٍ.

(١) ب: فتتبرز.

(٢) ب: وكل.

(٣) ب: عنده حينئذ.

(٤) ب: ويتبسط.

(٥) ب: العظم.

(٦) أ: وبلغ.

= «... وهو لعمري مذهب حسن، إلا أن العوائد لا تساعد عليه وهي أملك بالأحوال، ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرآن إثارة للتبرك والثواب، وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن، لأنه ما دام في الحجر منقاد للحكم، فإذا تجاوز البلوغ وانحل من ربة القهر، فرما عصفت به رياح الشبية فألقته بساحل البطالة، فيغتنمون في زمان الحجر تحصيل القرآن لئلا يذهب خلواً منه، ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبوله التعليم، لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى مما أخذه به أهل المغرب والمشرق، ولكن الله يحكم بما شاء، لا معقب لحكمه سبحانه» المقدمة: 1362/4 - 1363.

ثُمَّ تَرَوِي حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا تَشْتَغِلْ بِغَيْرِ الصَّحِيحِ فَيَذْهَبَ عُمْرُكَ
وَدِينُكَ ضَيَاعًا، إِلَّا أَنْ تُحْكِمَ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَلَا بُدَّ لَكَ ^(١) مِنْ ^(٢) الْإِطْلَاعِ عَلَى
مُهَمَّاتِ عُلُومِ ^(٣) الْحَدِيثِ وَمِنْهَا: مَعْرِفَةُ السَّقِيمِ مِنَ الصَّحِيحِ ^(٤).

ثُمَّ تَتَعَلَّمُ تَرْكِيبَ الْجَمِيعِ عَلَى آيِ الْقُرْآنِ، كَمَا رَبَّنَاهُ لَكَ فِي «الْمُشْكِلَيْنِ»
و«الْأَحْكَامِ» تَفْصِيلًا، وَكَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ هَاهُنَا ^(٥) مُجْمَلًا، وَإِنْ كَانَ مِنْ جَوْدَةِ الذَّهْنِ
وَالْجِدَّةِ وَفَرَاغِ الْوَقْتِ لِلنَّظَرِ فِي عِلْمَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ فِي حَالَةٍ حَتَّى يَقْرُبَ عَلَيْهِ
مَدَى التَّحْصِيلِ فَلْيَفْعَلْ. فَقَدْ عَرَفْنَاكُمْ الْقَوَانِينَ، وَبَسَطْنَا لَكُمْ فِي التَّمَكِّنِ، فَإِذَا لَمْ
تَسْمَعُوا، أَوْ سَمِعْتُمْ فَلَمْ تَفْهَمُوا، فَلَا رَجَاءَ فِي عِلْمٍ مَا تَعَلَّمُوا.

وَمَثَلُ مَنْ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً فِي التَّبَسُّطِ عَلَى هَذِهِ الْعُلُومِ وَيَقْصُرُ عَنْهَا،
كَمَثَلِ مَنْ يَقِفُ عَلَى النَّهْرِ الْأَعْظَمِ فَيَتْرُكُ الْإِعْتِرَافَ مِنْهُ ^(٥)، وَيَعْتَرِفُ مِنَ الْجَدَاوِلِ

(١) أ: منه.

(٢) من: ساقطة من: ب.

(٣) علوم: ساقطة من: ب.

(٤) أ: إليها هاهنا.

(٥) منه: ساقطة من: أ.

(1) يقول المؤلف - رحمه الله - في سراج المريدين: 239/أ «... والله كرم هذه الأمة بالإسناد لم يعطه
غيرها، فاحذروا أن تسلكوا مسلك اليهود والنصارى، فَتَحَدُّثُوا بِغَيْرِ إِسْنَادٍ، فَتَكُونُوا سَالِبِينَ لِنِعْمَةِ اللَّهِ
عَنْ أَنْفُسِكُمْ، مَطْرُقِينَ لِلتَّهْمَةِ إِلَيْكُمْ، وَحَافِظِينَ لِمَنْزِلَتِكُمْ وَمَشْرُوكِينَ مَعَ قَوْمٍ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِمْ، وَرَاكِبِينَ لِسِتْنِهِمْ...».

ويقول في موضع آخر من الكتاب المذكور لائحة: 59/أ، ب: «... فَإِنْ قَدَّرَ اللَّهُ وَنَظَرْتُمْ فِي
شَيْءٍ مِنَ التَّفْسِيرِ فَأَحْذَرُكُمْ أَنْ تَكْتُبَ التَّفْسِيرَ مَشْحُونَةً بِالْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ وَالْمَقَاصِدِ الْفَاسِدَةِ، فَلَا
تَقْرَؤُنَ مِنْهَا إِلَّا الْمُسْنَدَاتِ كَتَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزَاقِ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَالطَّبْرِيِّ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَجَرَّأَ، وَأَمَّا هَذِهِ
الْمَجْمُوعَاتُ مِنْ غَيْرِ أَسَانِيدٍ فَإِنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَغْوَاةٍ لَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مَعَهَا نَجَاةٌ، مِنْهَا مَا وَقَعَ فِيهَا
مُؤَلَّفُوهَا غَفْلَةً، وَمِنْهَا مَا اعْتَمَدُوهُ جَهَالَةً، وَأَسْلَمَ مَا فِي هَذِهِ الْمَخْتَصِرَاتِ كَتَبَ أَبِي الْحَسَنِ الْجَوْفِيُّ
الَّذِي تَرَجَمَهَا لِبَعْضِ مَلُوكِ الْأَنْدَلُسِ، وَابْنِ عِمَارِ الْمَهْدِيِّ... قَدْ قَرَأْتُهَا بِالْثَغْرِ الْمَحْرُوسِ وَالْفُسْطَاطِ
لَمْ أَرِ فِيهَا مَنْكَرًا، وَإِيَّاكُمْ وَكُتُبَ الْقَصَصِ فَإِنَّكُمْ بِقِلَّةِ تَمَرُّنِكُمْ بِالْعُلُومِ تَتَجَرَّعُونَ مِنْهَا الْغَضَصَ...».

وَالْخُلُجَانِ^(١)، وَالْمَذَانِبِ^(٢) وَالْمَادْيَانَاتِ وَالْحِيَاضِ وَالْقِلَاتِ^(٣)، وَالنَّهْرُ الْأَعْظَمُ هُوَ الَّذِي لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ، وَلَا يَغِيضُهُ الْإِسْتِقَاءُ. وَهَذِهِ عُرْضَةٌ لِلنَّصَبِ^(٤) وَالْمَغِيظِ^(٥)، بَعِيدَةٌ مِنَ الْمَادَّةِ وَالْمَفِيزِ^(٦).

وَمَنْ تَعَذَّرَتْ عَلَيْهِ^(٧) مِنْكُمْ الرِّحْلَةُ بِيَدَنِهِ، فَلْيَرْحَلْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ، وَلَا يَظُنَّ أَحَدٌ أَنَّ الرِّحْلَةَ تُفِيدُ بِصُورَتِهَا، كَمَا رَاحِلٌ قَرَأَ وَمَا قَرَأَ، وَرَوَى وَمَا دَرَى، وَلَمْ يَتَحَصَّلْ لَهُ كَيْفَ وَلَا أَيْنَ؟ فَعَادَ عَلَى ظَهْرِهِ بِحُنَيْنٍ، دَعَا خُفْيَةَ الْإِثْنَيْنِ^(٨).

فَارْحَلْ مِنْ عَالَمِ الشَّهَوَاتِ إِلَى عَالَمِ الْقُرْبَاتِ، وَسَافِرْ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ إِلَى الْمَعْقُولَاتِ، وَانْظُرْ فِي الزَّادِ فَلَا بُدَّ مِنْهُ، وَالذَّلِيلُ وَهُوَ الْعِلْمُ، فَلَا غِنَى عَنْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مُعَلِّمًا فَهُوَ النَّعِيمُ يَهْدِي إِلَى السَّبِيلِ، وَيَنْظِمُ الدَّلِيلَ، وَيَحْمِي عَنِ الْبِدْعَةِ^(٩).

(١) أ: الخلدخال.

(٢) ب: غير واضحة في الأصل.

(٣) أ: ... والغياط ... والفياض.

(٤) عليه: ساقطة من: أ.

(٥) عن: ساقطة من: أ.

(١) المَذْنِبُ هو المسيل بين تَلْعَتَيْنِ.

(٢) الْقِلَاتُ جمع قَلْت، وهو الحفرة التي يحفرها الماء الذي يقطر من سَقَفِ كهفٍ على حجر لَينٍ، فيستقع فيها.

(٣) أي لا تنقصه.

(٤) يقول المؤلف - رحمه الله - في «شواهد الجلة»: 27/ب مؤكداً هذه التوجيهات القيمة: «أما بعد، فإن الداخل في طلب العلم كثير، والسعيد قليل، وعدم الإنصاف خطب جليل، وكم من حاضر بعرفة من غير معرفة، ونازل بمنى وما نال منى، وكم قارىء في بغداد خرج وما ظفر بزيادة... جميعهم يأمر الغاية وما حصل عليها، ويقصد النهاية وما انتهى إليها، فقد خلع ثياب الوطن، واستظهر على الغربة، واستوطن يجتهد بزعمه وهو لا يعلم كيف؟ ولا أين؟ يرجع بعد طول المغيب بِخُفْيِ حُنَيْنٍ».

قلت: والمثل: «رَجَعَ فُلَانٌ مِنْ حَاجَتِهِ بِخُفْيِ حُنَيْنٍ» أورده القاسم بن سلام في «كتب الأمثال»: 245، والعسكري في «جمهرة الأمثال» 433/1، والبكري في فصل المقال: 354.

وَالْتَعْطِيلِ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوهُ ، فَقَدْ أَبَدَيْنَا لَكُمْ سَبِيلَ السُّلُوكِ فَتَنَوْرُوهَا ، وَلَكِنَّكُمْ آمِنُونَ
مَا كُنْتُمْ فِي الظَّوَاهِرِ تَجُولُونَ ، حَتَّى إِذَا سَلَكْتُمْ بِحُبُوحَةِ التَّوْحِيدِ وَدَلَائِلِهِ وَمَتَعَلَّقَاتِهِ ،
فَيَعْرِضُ لَكُمْ مَهَاوِي مُظْلِمَةٌ ، وَمُغْوِيَاتٌ مُلْبِسَةٌ^(١) .

(١) أ: ملبسة .

ذَكَرُ وَجْهِ^(١) الشُّبْهِ الْقَادِحَةِ فِي التَّأْوِيلِ وَطَرِيقِ الْخَلَاصِ مِنْهُ بِهِدَايَةِ^(٢) الدَّلِيلِ

قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الْعُقُولَ لَا تَسْتَقِيلُ بِدَرْكِ الْعُلُومِ حَتَّى يَصْطَفِيَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ
يُلْقِي إِلَيْهِ مَا يَقْصُرُ الْعَقْلُ عَنْ دَرْكِهِ، لَكِنَّهُ إِذَا عَرَضَهُ عَلَيْهِ، كَالرَّجُلِ يَنْسَى الْآيَةَ أَوْ
الْمَسْأَلَةَ أَوْ الشَّخْصَ فَإِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِ أَوْ ذُكِرَتْ لَهُ أَوْ رَأَاهُ عَرَفَهُ.

وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَأْتِيَ فِي الشَّرْعِ مَا يُضَادُّ الْعَقْلَ، فَإِنَّهُ الَّذِي يَشْهَدُ بِصِحَّةِ
الشَّرْعِ وَيُزَكِّيهِ مِنْ وَجْهِ دَلَالَةِ الْمُعْجَزَةِ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ، فَكَيْفَ يَأْتِي الشَّاهِدُ
بِتَكْذِيبِ الْمُزَكِّي^(١)؟ هَذَا مُحَالٌ عَقْلًا، وَعَلَى هَذَا الْأَصْلِ اثْبَتَتْ مَسَائِلُ الدَّوْرِ^(٢)،
أَمَّا إِنَّهُ قَدْ تَأْتِي آيَاتٌ مُتَشَابِهَاتٌ، وَأَحَادِيثٌ مُشْكِلَاتٌ يُعَارِضُ بَعْضُهَا بَعْضًا،
وَيُنَاقِضُ بَعْضُهَا دَلِيلَ الشَّرْعِ، وَهَذَا هُنَا عِلْمٌ عَقْلِيٌّ يَسْتَضِيءُ بِهِ فِي هَذِهِ السُّرِّيَةِ^(٣)،
وَدَلِيلٌ شَرْعِيٌّ يُرْشِدُ فِي هَذِهِ الْمُضِلَّةِ.

(١) وجه: ساقطة من: أ.

(٢) ب: بمثابة.

(1) للتوسع في معرفة آراء المؤلف في هذا الموضوع الخطير، انظر: المتوسط 11، سراج المريدين: 45/أ، المسالك في شرح موطأ مالك: 2، ونبغي التنبيه على أن الجويني قد سبق ابن العربي في تأصيل هذه القواعد العقدية وذلك في كتابه الإرشاد: 358 - 360، وكذلك الغزالي في رسالة «قانون التأويل» (ط: الكوثري) وللتوسع انظر كتابنا «أبو بكر بن العربي: حياته وراثته الفكرية».

(2) قال الشريف الجرجاني: الدور هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه التعريفات: 56، وانظر تفصيل الكلام على الدور وأنواعه في منهاج السنة لابن تيمية: 308/1 - 309، والرد على المنطقيين: 257، ودرء تعارض العقل والنقل: 143/3 - 144، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوسي: 256/2 - 259 (ط: تراثنا).

(3) قال الجوهري: سَرِيْتُ سَرًى وَمَسَرًى وَأَسَرَيْتُ بِمَعْنَى إِذَا سِرْتُ لَيْلًا - الصحاح: 2376/6.

أَمَّا الْعِلْمُ الْعَقْلِيُّ فَهُوَ أَنَّ الْعَقْلَ وَالشَّرْعَ إِذَا تَعَارَضَا، فَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي الظَّاهِرِ
بِتَقْصِيرِ النَّاطِرِ، وَقَدْ يَظْهَرُ لِلنَّاطِرِ الْمُقْصَرِ أَنْ يَجْعَلَ الشَّرْعَ أَصْلًا فَيَرُدُّ إِلَيْهِ الْعَقْلَ.

وَقَدْ يَرَى غَيْرُهُ أَنْ يَجْعَلَ الْعَقْلَ أَصْلًا فَيَرُدُّ الشَّرْعَ إِلَيْهِ^(١).

وَقَدْ يَتَوَسَّطُ آخَرُ فَيَجْعَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْلًا بِنَفْسِهِ.

فَالنَّاطِرُ الَّذِي قَدَّمَ الْمَعْقُولَ سَيِّئَاتِهِ مِنْ ظَاهِرِ الشَّرْعِ مَا يَقْلِبُ حَقِيقَةَ الشَّرْعِ،
وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ.

وَالَّذِي يَجْعَلُ الْعَقْلَ أَصْلًا، وَالشَّرْعَ تَبَعًا، إِنْ أَخَذَهُ كَذَلِكَ مُطْلَقًا وَرَدَّ مَا يُنْكِرُهُ
الْقَلْبُ بِبَادِيِ الرَّأْيِ فِي مَوْرِدِ الشَّرْعِ مِمَّا يَسْتَحِيلُ فِي الْعَقْلِ، فَإِنْ وَقَفَ فِي وَجْهِ
الشَّرْعِ فَهُوَ مُكَذَّبٌ^(٢)، وَإِنْ قَالَ بِمَا فِي الشَّرْعِ فَهُوَ مُتَنَاقِضٌ^(٣)، وَإِنْ تَوَسَّطَ فَهُوَ
النَّاطِرُ الْعَدْلُ، يَجْعَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْلًا، عَقْلًا وَنَقْلًا، وَيَنْظُمُ سِلْكَ الْمَعْرِفَةِ مِنْ
دَرَرِهِمَا، وَيُرْوِي غَلِيلَ الْجَهَالَةِ مِنْ دَرَرِهِمَا.

وَلَا يَعْتَقِدَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ يَأْتِي مَوْضِعُ يَعْسُرُ فِيهِ التَّأْوِيلُ، أَمَّا أَنَّهُ قَدْ تَأْتِي فِي
الشَّرِيعَةِ أَلْفَاطٌ لَا يُبَيِّنُ الشَّرْعَ مَعْنَاهَا، وَلَا يَهْتَدِي الْعَقْلُ إِلَى مَعْرِفَتِهَا، فَيَلْزَمُ إِثْبَاتُهَا
عَقْدًا، وَأَمَّا الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ^(٤)، فَإِنَّ الْآيَةَ وَالْخَبَرَ إِذَا تَعَارَضَا فَالْآيَةُ مُقَدِّمَةٌ لِأَنَّهَا
مَقْطُوعٌ بِصِحَّتِهَا، وَالْخَبَرُ لَا يُقْطَعُ بِهِ^(١).

(١) أ: إليه الشرع.

(٢) ب: لكذب.

(٣) أ: مناقض.

(٤) «وأما العلم الشرعي» كررت في: أ.

(١) انظر في نقد هذه القواعد ما كتبه ابن تيمية في كتابه القيم: «درء تعارض العقل والنقل» وقد لخص
تلميذه الإمام ابن قيم الجوزية أهم ما جاء في «درء التعارض» وأثبتته في كتابه «مختصر الصواعق
المرسلة»: 133/1 فانظره ففيه فوائد جلية.

ذِكْرُ الْمَعْنَى الَّذِي أُوجِبَ الْعُثُورُ فِي النَّظَرِ

أَمَّا أَنَّهُ نَبَعَتْ طَائِفَةٌ أَرَادُوا أَنْ يُلْفَقُوا بَيْنَ مَوَارِدِ الشَّرْعِ وَأَغْرَاضِ الْفَلَاسِفَةِ،
وَادَّعَوْا أَنَّهَا مُتَلَاثِمَةٌ، وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ مَعَ كَلَامِ الْفِيلَسُوفِ يَخْرُجُ عَنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ،
وَمِنْ هَا هُنَا دَخَلَتِ الْمَطَاعِنُ فِي التَّنْزِيلِ، وَدَرَسَتْ عَلَى السَّالِكِينَ السَّبِيلُ، وَحَارَ
النَّاظِرُونَ فِي الدَّلِيلِ.

وَهَذَا بَاطِلٌ، فَإِنَّ الْقَوْمَ تَكَلَّمُوا بِعُقُولٍ قَاصِرَةٍ، فِي مَعَانٍ ^(١) خَفِيَّةٍ، وَذَلِكَ بَيْنَ
مَنْ كَتَبَ اللَّهُ بِالْكَلامِ ^(٢) فِي إِيرَادِ مُجَادَلَةِ الْكُفَّارِ لِلْأَنْبِيَاءِ، فَمَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَالرَّدُّ
عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ.

وَلَقَدْ فَاوَضْتُ فِي ذَلِكَ ^(١) بَعْضَ الْعُلَمَاءِ ^(٢) فِي مَسَائِلٍ أُورِدُ عَلَيْكُمْ مِنْهَا مَا
تَجَعَّلُونَهُ أَصْلًا لِغَيْرِهَا.

(١) ب: معاني.

(٢) ب: من كتب الكلام.

(١) دُونْتُ بَعْضَ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَأُورِدُهَا الْوَنَشْرِيسِي فِي «الْمِيعَارِ الْمُعَرَّبِ وَالْجَامِعِ الْمُعَرَّبِ عَنْ فَنَاوِي
عِلْمَاءِ إِفْرِيقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ»: 18/11 - 27، كَمَا نَشَرَ بَعْضُهَا الشَّيْخُ الْكُوْثُرِيُّ بِاسْمِ «قَانُونِ
التَّأْوِيلِ» (ط: الْحُسَيْنِي 1940).

(٢) يَقْصِدُ الْإِمَامَ الْغَزَالِي.

المسألة الأولى:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ... إِلَى قَوْلِهِ.. الْمَسَّ﴾
(البقرة: 274)، هَذَا (١) مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - لِلْكَفَّارِ الَّذِينَ يَسْتَرْسِلُونَ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ بِرَأْيِهِمْ، وَلَا يَقِفُونَ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ.

فَقَالَ لِي: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ (٢) اللَّهُ لِلْكَفَّارِ الَّذِينَ يَتَصَرَّفُونَ فِي وُجُوهِ الاسْتِدْلَالِ بِعُقُولِهِمْ دُونَ الْقَانُونِ.

فَقُلْتُ لَهُ: لَا أَمْنَعُكَ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ، وَلَا أَبْعُدُهُ فِي طَرِيقِ الدَّلِيلِ، وَطَالَ الْقَوْلُ إِلَى أَنْ كَانَتْ زُبْدَتُهُ:

إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ الشَّيَاطِينِ (١) أَوَّلًا وَجُودًا، وَإِثْبَاتِ أَنَّهُمْ أَجْسَامٌ مُتَغَذِّيةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - مَلَكُهُمْ تَسِيرَ التَّصْوِيرِ كَمَا مَلَكْنَا تَسِيرَ الْحَرَكَاتِ، وَأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَخْلُقُ عِنْدَ كَلَامِهِمْ خَوَاطِرَ فِي قُلُوبِنَا، وَأَفْعَالًا فِي أَبْدَانِنَا، فَيَقَعُ لِلْمَرْءِ بِذَلِكَ خَبْطٌ، كَمَا يَلْحَقُ عِنْدَ كَلَامِ الْعَائِنِ فِي الْبَدَنِ، مَا يَلْفِظُ (٣) بِهِ الْمَرْءُ، وَتَنْهَدُمُ بِهِ الدَّارُ، وَيَتَبَدَّدُ (٤) بِهِ الْمَالُ، وَعَنْ هَذَا عُبرَ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ».

وَكَمَا يَتَصَرَّفُ الدَّمُ فِينَا بِالسَّرْيَانِ، كَذَلِكَ تَتَصَرَّفُ ثَمَرَةٌ وَسُوسَتُهُ فِينَا

(١) أ: وهذا.

(٢) ب: ضرب.

(٣) أ: كلمة غير مفهومة.

(٤) ب: وتبدد.

(1) انظر كلام ابن العربي حول إثبات وجود الشياطين في كتابه «القبس في شرح موطأ مالك بن أنس»: 9 (25 ج).

بِالْجَرَيَانِ، فَيَجْرِي الدَّمُ فِينَا بِحُكْمِ التَّغْذِيَةِ، وَيَجْرِي الْحُكْمُ الْمُثْمِرُ لِلْوَسْوَاسِ عَلَيْنَا بِحُكْمَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - فِي الْمَعْصِيَةِ.

وَلَمَّا جَهِلَتْ الْفَلَاسِفَةُ هَذَا قَالَتْ: «إِنَّ الصَّرْعَ أَخْلَاطٌ تَدُورُ فَيُثَوِّرُ فِي الْبَدَنِ مِنْهَا مَا يَثُورُ»، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ جَائِزًا غَيْرَ مُنْكَرٍ عِنْدَنَا، فَكَذَلِكَ قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ خَلْقًا حَالَهُمْ مَا وَصَفْنَا، يَكُونُ لَهُمْ فِعْلٌ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ حُكْمٌ، وَذَلِكَ جَائِزٌ عَقْلًا، وَلَهُ مِثَالٌ مِنْ إِصَابَةِ الْعَيْنِ حِسًّا. وَفِيهِ بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ^(١) دَلِيلًا ^(٢)، فَلَا يَقْدِرُ ذُو لُبٍّ عَلَى إِنْكَارِهِ. فَبُهِتَ حِينَ سَمِعَ هَذَا، وَانْقَادَ بِحِزَامَةِ الدَّلِيلِ فِي أَنْفِ الْأَنَفَةِ إِلَى الْقَبُولِ.

وَفِي لِقَاءِ جَبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْقَائِمِ الْوَحْيِ إِلَيْهِ شُبْهَةٌ بَيْنَ الْوَحْيِ وَالْوَسْوَاسِ، حَتَّى قَالَ الْجَاهِلُونَ: «هَذَا مَجْنُونٌ»، وَلَكِنْ لَمَّا عَرَضَتْ هَذِهِ ^(٣) الشُّبْهَةُ رَفَعَهَا اللَّهُ بِأَنَّ كَانَ جَبْرِيلُ يُفَارِقُ ^(٤) النَّبِيَّ ﷺ فَيَقْفِي بَعْدَهُ قَوِيًّا نَشِيطًا ضَاحِكًا نِيرَ الْوَجْهِ كَالْبَدْرِ ^(٥)، صَحِيحَ الْقَوْلِ، لَا خَلَلَ فِي كَلَامِهِ، وَلَا كَسَلَ فِي قِيَامِهِ، وَلَا أَلَمَ فِي بَدَنِهِ، وَالْمَجْنُونُ كَاسِفُ اللَّوْنِ، مُخْتَلُّ الْقَوْلِ، كَسَلَانُ النَّفْسِ، مَرِيضُ الْبَدَنِ. مَثَلٌ آخَرٌ فِي مَسْأَلَةٍ:

جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ بَعْضِ الْأَشْيَاخِ ^(١) كَلَامٌ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي حَدِيثِ الْكُصُوفِ حِينَ قَالَ ^(٢) فِي عُنُقُودِ الْعِنَبِ: «فَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا»

(١) أ: ومن رسوله.

(٢) ب: دليل.

(٣) هذه: ساقطة من: أ.

(٤) أ: يقارن.

(٥) كالبدر: ساقطة من: ب.

.....

(١) هو الإمام الغزالي.

(٢) نرى من المستحسن في مثل هذا المقام أن نثبت جواب الإمام الغزالي في هذه المسألة بقلبه كما =

= جاء في «المعيار المعرب» للونشريسي : 24/11 - 27، وينبغي التنبيه على أن هذه القضية قد أثارَت استنكار العلماء فيما بعد، فزى الحافظ ابن حجر العسقلاني ينقل هذه الفقرة من القانون وذلك في فتح الباري : 451/2 - 542، وكذلك بدر الدين العيني في عمدة القاريء : 83/7 وعبد الباقي الزرقاني في شرح الموطأ : 377/1. وجواب الغزالي هو كالتالي :

«وأما الحديث الثاني وهو العنقود المأخوذ من الجنة ويقاؤه ما بقيت الدنيا لو أخذه، فليس ينبغي أن يمثل ذلك بالبركة كطعام أم سليم ولا بأنه ينمو كما ينمو، ويجتني منه ما يقوت، فكل ذلك مقايسة لطعام الجنة بطعام الدنيا، ولا مناسبة بين فواكه الجنة وفواكه الدنيا في هذه المعاني، بل ينبغي أن يعلم أن فواكه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة، وأن قطفها دانية، وليس المعنى بقطعها أن تقطع بعينها، وتوصل إلى المعدة بالثقل، بل تلك الفواكه تبقى ولا تنقص، ولا يتعرض لذواتها، وإنما ذواتها أسباب لحدوث أمثالها في ذات الإنسان، فيكون غذاء الأرواح في الجنة بما يحدث فيها من أمثال تلك الفواكه، ولا يفهم هذا إلا بمثال، فلنمثل هذا في المعرفة فإنها غذاء القلب، ومعلوم أن وجودها في قلب المعلم سبب لوجودها في قلب المتعلم، وليس ذلك سبباً لانتقالها أو نقصانها بل يحدث عن تلك المعرفة في قلب المتعلم آلاف ولا ينقص منها شيء، ومثاله أيضاً الصورة التي تحدث في المرأة من الصورة المقابلة لها، فلو قابلت الصورة الواحدة ألف مرآة لحدث فيها ألف صورة من غير أن تنتقل الصورة وتتنقص، ولو تصور أن يكون للمرأة لذة بما يحدث فيها من أثر الفواكه، لقليل أنها تغذت وتنعمت وتفكهت، بل لو جعل غير المعرفة غذاء للقلب، ولذاً عنده لذة دائمة، من أسباب يستعار لها اسم الفواكه، وهي غير مقطوعة ولا ممنوعة، فقد ظن ظانون أن المعرفة هي عين الفواكه في الجنة، وأن الفواكه كناية عن المعارف التي تقوم مقام الفواكه في اللذة ولكن تلك اللذة تدرك بعد الموت، وأن اتساع صدره بالمعارف هو اتساع جنته وأن جنة كل إنسان بقدر سعة معرفته بالله تعالى وجل بجلاله وحكمته وأفضاله، ولذلك لا يضيق البعض من أهل الجنة عن البعض.

وأما أهل الحق فإنهم جعلوا هذه المعارف سبباً لاستحقاق الجنة، لا عين الجنة، وعلى كل مذهب؛ ففواكه الجنة لا تعين بالطريق التي ذكرتها، وهذا التحقيق إذا كان لا تحتمله عقول الخلق وأفهامهم القاصرة، فينبغي ألا يتعرض له، فإنهم لما ألفوا في الدنيا أن الشيء لا يحصل في نفوسهم إلا بالانتقال، لم يفهموا أمور الجنة إلا كذلك، لا أن الشيء عندهم هو الأجسام، وذهلوا عن مثال المعرفة والمرأة كما ذكرت، وأما امتناع رسول الله ﷺ من أخذه، وامتناع فواكه الجنة في الدنيا، فكامتناع صورة المرأة في الجهة بدلاً عن العين وذلك غير ممكن، لأن الصفة التي تنهيا بها الحديقة لقبول صور المراثيات لا توجد في الجهة، فكذلك الصفة التي بها يحصل إدراك عالم الآخرة غير حاصلة في النفس قبل الموت، وإن كانت حاصلة فهي محجوبة بالأجفان المغمضة بعضها ببعض، فإنه لا يتصور أن تقبل صور المراثيات ما لم يرتفع الحجاب وهذه الشهوات، وأما النفس في هذا العالم فهي حجاب عن إدراك عالم الآخرة وما فيها، وقد ينشع هذا الحجاب على الدور بهبوب رياح العطف لمن تعرض لنفحات الرحمة بتصفية باطنه وقطع همم عن الدنيا، وإقباله على الله تعالى =

فَأَشَارَ إِلَى أَنْ ثَمَارَ الْجَنَّةِ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ، وَأَنْ مَعْنَى أَكْلِهَا: أَنْ يَخْلُقَ لِلْعَبْدِ فِي نَفْسِهِ مِثْلَهَا، لَا أَنْ تَنْتَقِلَ مِنَ الْغُصْنِ إِلَى الْبَطْنِ، كَمَا يَنْتَقِلُ مِثَالُ الْعِلْمِ (١) مِنَ النَّفْسِ إِلَى النَّفْسِ بِوَسَاطَةِ التَّعْبِيرِ (٢)، وَهَذَا تَقْصِيرٌ عَظِيمٌ، فَإِنَّهُ تَمَثِيلُ أَجْسَادٍ بِأَعْرَاضٍ.

وَأَعْجَبُوا لِهَذَا الْكَلَامِ، فَإِنَّهُ قَلْبٌ لِلتَّأْوِيلِ، وَقَدْ قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى (٣) أَنْ مَا فِي الْجَنَّةِ أَجْسَادٌ مَخْلُوقَةٌ، بَيَّنَّا أَنَّهَا مَعْصُومَةٌ عَنِ الِاسْتِحَالَةِ وَالتَّعْفُنِ بِدَوَامِ الْبَقَاءِ، وَقَدْ كَانَ (٤) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ طَعَامُ الدُّنْيَا كَذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ بِاسْتِحَالَتِهِ، وَلِهَذَا (٥) خُلِقَ وَتِلْكَ خُلِقَتْ لِلْسَّلَامَةِ عَنِ الْآفَاتِ، وَلِذَلِكَ صَارَتْ دَارُ السَّلَامِ. فَإِذَا قُطِعَتْ ثِمَارُ دَارِ (٦) الدُّنْيَا أَخْلَقَتْ بَعْدَ حَوْلٍ، وَإِذَا قُطِعَتْ ثِمَارُ الْجَنَّةِ أَخْلَقَتْ فِي الْحَالِ، وَبِهَذَا كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا، فَلَا مُفَارَقَةَ بَيْنَ الطَّعَامَيْنِ إِلَّا فِي وُجُوبِ الدَّوَامِ، وَعَدَمِ الِاسْتِحَالَةِ، وَهَذَا أَوْلَى مِنْ قَلْبِهَا مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ إِلَى حُكْمِ الْمَعَانِي، فَقَلْبُ الْحَقَائِقِ لَا مَعْنَى لَهُ، وَهُوَ رَأْيٌ فَلَسَفِيٌّ * مَبْنَاهُ عَلَى أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَا حَقَائِقَ لَهَا، وَإِنَّمَا هِيَ أَمْثَالٌ* (٧)، وَقَدْ بَيَّنَّا فَسَادَ ذَلِكَ فِي كُتُبِ «الْأُصُولِ».

(١) أ: الطعام.

(٢) ب: التعبير، واستدرك الخطأ في الهامش.

(٣) على: ساقطة من: أ.

(٤) ب: ومنه لأنه.

(٥) ب: لهذا.

(٦) دار: ساقطة من: ب.

(٧) ما بين النجمتين ساقط من: أ.

= بكنه همتة، فيكون ذلك الانقشاع في لحظة كالبرق الخاطف، ثم يعود ولكن يظهر في تلك اللحظة ما ظهر لرسول الله ﷺ في عرض الحائط، ومن انقشع عن هذا الحجاب فهو الذي سمي نبياً أو ولياً وقوله عليه السلام: «لَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمُ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا» معناه أنه في نفسه ممّا لا يفنى، وليس الأكل منه بطريق نقلة وإفناء، بل بطريق أنه فياض بأمثاله على الأرواح فيضاً لا ينقطع، فلو انتقل إلى الدنيا لبقى على حاله، ولكن انتقاله غير ممكن». المعيار: 27/11 - 27.

المسألة الثالثة:

في مثال قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ (الأعراف: 7) إلى آخر الآيتين، لما قرع هذا الكلام سمع العلماء قالوا: كلام الله صدق، ولا بُدَّ من وزن الأعمال، ثم اعترضتهم أنها أعراض، فكيف توزن؟

فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: لَا وَزْنَ، وَيَخْلُقُ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي كُلِّ كِفَّةٍ مِنَ الْإِعْتِمَادِ بِحَسَبِ مَا عَلِمَ فِيهَا مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالسَّادِدِ^(١).

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ، لَا كِفَّةَ وَلَا شَاهِينَ، وَلَكِنْ يُعَرِّفُ اللَّهُ الْعِبَادَ بِمَقَادِيرِ أَعْمَالِهِمْ بِمَا يَخْلُقُ لَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ، فَتَقُومُ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بِمَا عَمِلُوا فِيَمَا عِلْمُوا^(٢)، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَعَجَبُ لَهُ.

لَكِنْ لَيْسَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ تَبْدِيعٌ وَلَا تَكْفِيرٌ، وَإِنَّمَا هِيَ جَهْلٌ بِوَجْهِ الدَّلِيلِ، إِذْ قَدْ اتَّفَقَ الْكُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْإِسْتِعَارَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ تَجَاوَزُوا فِي الْأَعْمَالِ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، وَإِقَامَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ، وَالْمُعْتَزِلَةُ وَضَعُوا الْمَجَازَ فِي الْوَزْنِ، وَقَالُوا: يُعَبَّرُ بِهِ عَنِ الْعِلْمِ، إِذْ فَائِدَةُ الْوَزْنِ الْعِلْمُ، وَالْعَرَبُ تُعَبَّرُ عَنِ الشَّيْءِ بِفَائِدَتِهِ فِي سَبِيلِ الْمَجَازِ، كَمَا تُعَبَّرُ عَنْهُ بِمُقَدِّمَتِهِ.

قَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا: فَإِنْ حَكَمْنَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ^(٣) بِتَغْلِييبِ أَحَدِ الْوَجْهَيْنِ،

(١) ب: بما علموا فيما عملوا.

(٢) أ: في هذه المواضع.

(٣) قال المؤلف في قانون القاهرة: 142/أ: «ونفت الجهمية والمعتزلة والأباضية وبعض الملحدة والإسماعيلية الميزان وقالوا: لا ميزان إلا العدل والقسط، وقيل: إنما يوزن ثوابها». قلت: وللتوسع في هذا الموضوع انظر: سراج المريدين: 40/أ.

كُنَّا حَاكِمِينَ فِي مَوْضِعِ الْمَطْلُوبِ فِيهِ الْقَطْعُ بِالظَّنِّ⁽¹⁾.

وَهَذَا الْعَالِمُ عَلَى عُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ فِي التَّأْوِيلِ غَلَبَتْ عَلَيْهِ هَا هُنَا دَقِيقَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - لَمَّا قَالَ: ﴿وَالْوِزْنَ يُؤْمِنُ الْحَقُّ﴾ آمَنَّا بِهِ وَعَرَفْنَاهُ، فَتَشَوَّفَتْ نَفُوسُنَا إِلَى الْمَوْزُونِ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّهَا الْأَعْمَالُ الْمَكْتُوبَةُ فِي الصَّحَائِفِ، فَقُلْنَا فِي نَظَرِنَا، وَكَيْفَ تُوزَنُ الْأَعْمَالُ وَهِيَ أَعْرَاضٌ؟.

فَقِيلَ لَنَا⁽²⁾: تُوزَنُ صُحُفُهَا وَعَبَّرَ بِهَا عَنْهَا لِأَنَّهَا مَحَلُّهَا، عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ وَإِقَامَةِ الْمُضَافِ⁽¹⁾ إِلَيْهِ مَقَامَهُ، وَذَلِكَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَكْثَرُ مِنْ رَمَلِ يَبْرِينَ⁽³⁾ وَمَهْيِ فِلَسْطِينَ.

(1) وإقامة المضاف: ساقطة من أ، وقد استدركت في الهامش.

(1) جواب الإمام الغزالي لابن العربي هو كالتالي:

«الوصية الثالثة»: أن يكف عن تعيين التأويل عند تعارض الاحتمالات، فإن الحكم على مراد الله سبحانه ومراد رسوله ﷺ بالظن والتخمين خطر، فإنما تعلم مراد المتكلم بإظهار مراده، فإذا لم يظهر، فمن أين تعلم مراده؟ إلا أن تنحصر وجوه الاحتمالات ويبطل الجميع إلا واحداً، فيتعين الواحد بالبرهان. ولكن وجوه الاحتمالات في كلام العرب وطرق التوسع فيها كثير، فمتى ينحصر ذلك؟ فالتوقف في التأويل أسلم. مثاله: إذا بان لك أن الأعمال لا توزن، وورد الحديث بوزن الأعمال، ومعك لفظ الوزن ولفظ العمل، وأمكن أن المجاز لفظ العمل، وقد كنى به عن صحيفة العمل التي هي محلها حتى توزن صحائف الأعمال، واحتمل أن يكون المجاز هو لفظ الوزن، وقد كنى به عن ثمرته وهو تعريف مقدار العمل، إذ هو فائدة الوزن، والوزن والكيل أحد طرق التعريف، فحكمك الآن بأن المؤول لفظ العمل دون الوزن، أو الوزن دون العمل من غير استرواح فيه إلى عقل أو نقل حكم على الله وعلى مراده بالتخمين». قانون التأويل للإمام الغزالي: 240 - 241.

(2) نقل المؤلف جواب أهل السنة والجماعة لمثل هذا الاعتراض في قانون التأويل: 41/أ فقال: «... لعلمائنا جوابان: الأول: أن الصحائف هي التي يقع بها الوزن. والثاني: أن الله تعالى يخلق أجساماً على صورة الأعمال يقع بها الوزن، ويخلق الله فيها الثقل والخفة على حسب مقادير علمه فيها، ويكون ذلك علامة على النجاة أو الهلكة...».

(3) يبرين - بفتح الباء وإسكان الباء وكسر الراء - قرية من قرى بني مرة بمنطقة الأحساء في المنطقة الشرقية بالعربية السعودية، وهناك الرمل الموصوف بالكثرة: انظر: معجم ما استعجم: 1386/3. ومعجم البلدان: 71/1، 427/5، ومراصد الإطلاع: 1541، fwêe's، والمعجم الجغرافي للعلامة حمد الجاسر: 1/ القسم الأول: 105، 3/ القسم الثاني: 1362.

قِيلَ لَنَا: وَكَيْفَ تُعَرِّفُ مَقَادِيرُ الْأَعْمَالِ مِنَ الصُّحُفِ؟
 قُلْنَا: يَخْلُقُ اللَّهُ فِي صَحِيفَةٍ مِنَ الثَّقَلِ بِقَدْرِ مَا عَلِمَ مِنَ الْعَمَلِ، فَكَوْنُ قَدْ
 حَمَلْنَا قَوْلَهُ: «وَالْوِزْنَ» وَوَقَوْلَهُ «ثَقُلْتُ» وَقَوْلَهُ «خَفْتُ» وَقَوْلَهُ «مَوَازِينُهُ» وَهِيَ أَرْبَعَةُ
 الْأَفَاطِ عَلَى الْحَقَائِقِ، وَكَوْنُ الْمَجَازِ فِي وَاحِدٍ، وَلَا يُحْمَلُ جَمِيعُهَا عَلَى الْمَجَازِ
 بِسَبَبِ لَفْظِ وَاحِدٍ، أَيُّنَا فِي ذَلِكَ أَهْدَى سَبِيلًا، وَأَقْوَمُ قِيْلًا؟

فَنَاشَدْتُكُمْ اللَّهَ، إِلَّا مَا تَأَمَّلْتُمْ (١) هَذَا الْكَلَامَ بِسِيَاقِهِ، وَحَكَمْتُمْ فِيهِ بَيْنِي وَبَيْنَ
 مُعَلِّمِي، فَإِنِّي اسْتَجَرْتُ عَلَيْهِ بِمَا تَعَلَّمْتُ مِنْهُ، وَ«الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ» (١) وَقَدْ
 قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ (آل عمران: 30)
 فَكَيْفَ يَجِدُ عَمَلَهُ وَقَدْ فَنِيَ عَمَلُهُ قَبْلَ أَنْ يَفْنَى، وَلَكِنَّهُ مُؤَوَّلٌ قِطْعًا، فَإِذَا أَنْ يَكُونَ
 مَعْنَاهُ: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مَكْتُوبًا، أَوْ مَوْزُونًا، أَوْ ثَوَابًا، أَوْ عَطَاءً، وَكُلُّهُ
 مَجَازٌ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ، فَاحْمِلْهُ عَلَيْهِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَهَلَا جَمَعْتَ فِي الْقُرْآنِ كِتَابًا عَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرْتَهُ لَنَا هَذَا مِثَالًا (٢)،
 فَيَكُونُ لَكَ أَجْرًا جَارِيًّا بَعْدَكَ، وَمَنْفَعَةً لِلنَّاسِ فِي اسْتِبْصَارِهِمْ بِكَ، فَأَمَّا هَذَا الْقَانُونُ
 فَإِنَّمَا هُوَ مِنْهَا جُزْءٌ لِلْعَالَمِ الْمُسْتَبْصِرِ، وَوَصِيَّةٌ لِلذَّكِيِّ اللَّوْذِعِيِّ، وَالنَّاسِ رَجُلَانِ: عَاجِزٌ
 بِسُوسِهِ (٣)، أَوْ بِسَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا، أَوْ مُقْصَرٌ، وَكِلَاهُمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا الْكِتَابَ
 مَلْجَأً وَمَلَاذًا وَسَلْمًا لِلْمَعْرِفَتَيْنِ:

(١) ب: تعلمتم.

(1) هذا المثل أورده العسكري في جمهرة الأمثال 345/1، وابن سلام في الأمثال: 96، والميداني في
 مجمع الأمثال 11/1، والبكري في فصل المقال: 134، وانظر مادة «فلح» في لسان العرب، ومعنى
 الْفُلْحُ هو الشَّقُّ ومنه فلاحه الأرض.

(2) انظر نحو هذا القول في «القبس» شرح الموطأ مالك بن أنس: 317 - 318 (مخطوط الخزانة
 العامة رقم: 1916/ك).

(3) أي يَطْبَعُهُ.

أحدهما: التَّوَصُّلُ إِلَى الْغَايَةِ.

والثانية: إِطْلَاعُ الْمُقْصِّرِ عَلَى طَرِيقِ، إِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى سُلُوكِهَا أَمِنْ بِهَا.

فَالْجَوَابُ:

أَنَا كُنَّا^(١) أَمَلِينَا فِي الْقُرْآنِ كَمَا قَدَّمْنَا كِتَابًا مُوَعِبًا «أَنْوَارَ الْفَجْرِ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ» قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفَ وَرَقَةٍ^(٢)، فِي نَحْوِ عِشْرِينَ عَامًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْضَبِطْ لِلخَلْقِ، وَإِنَّمَا حَصَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جُزْءًا دُونَ جُزْءٍ، وَفِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ، بِحَسَبِ الْفِشْلِ وَالنَّشَاطِ، وَعَلَى قَدْرِ عَدَمِ الْعَوَائِقِ.

أَمَّا أَنَّهُ تَحَصَّلَ مِنْهُ «أَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى» فِي أَرْبَعِمِئَةِ وَرَقَةٍ^(*)، وَتَحَصَّلَ مِنْهُ «كِتَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَسْمَائِهِ وَمُعْجَزَاتِهِ وَجَمَلٍ مِنْ أَخْبَارِهِ» فِي نَحْوِ أَلْفِي وَرَقَةٍ^{(٢)(*)}، وَ«كِتَابُ الْمُشْكَلِينَ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ» أَلْفَ وَرَقَةٍ وَخَمْسِمِئَةِ وَرَقَةٍ، رُؤُوسُ مَسَائِلِهِ فِي كِتَابِ «الْأَفْعَالِ» مِنَ «الْأَمَدِ»، وَتَحَصَّلَ مِنْهُ «مُخْتَصَرُ الْأَحْكَامِ» فِي أَلْفِ وَرَقَةٍ، فَإِذَا وَقَفْتُمْ عَلَى هَذِهِ الْمَجْمُوعَاتِ، كُنْتُمْ قَدْ حَصَلْتُمْ كَثِيرًا، وَتَوَصَّلْتُمْ بِهَا إِلَى بَاقِيهَا، وَقَدْ كَانَ يُمَكِّنُ مَا ذَكَرْتُ، وَلَكِنْ وَقَفْتُ عِنْدَ مَقَامٍ تَرَدَّدْتُ

(١) أ: قد كنا.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من: ب.

(1) الذي نقله ابن فرحون في الديباج: 283 (ط: القديمة) عن المؤلف في كتابه «القبس» أن كتاب «أنوار الفجر» يقع في ثمانين ألف ورقة، وهذا يناقض ما معنا في «قانون التأويل»، فهل أخطأ ابن فرحون في النقل؟ هذا ما تبادر إلى ذهني أول وهلة، ولكن بعد رجوعي إلى «القبس»: 318 (المخطوط السابق) وجدت أن ابن العربي قال فيه: «وقد كنا أملينا فيه (أي في التفسير) في كتاب «أنوار الفجر» في عشرين عاماً ثمانين ألف ورقة، وتفرقت بين أيدي الناس، وحصل عند كل طائفة منها فن، وندبتهم إلى أن يجمعوا منها ولو عشرين ألفاً، وهي أصولها التي ينبنى عليها سواها، وينظمها على علوم القرآن الثلاثة: التوحيد، الأحكام، التذكير...» قلت: وبعد الاطلاع على هذا الكلام اتضح المبهم وزال الإشكال.

فِيهِ، وَهُوَ أَنَّهُ هَلْ يُصَنَّفُ عَلَى السُّورِ؟ أَوْ عَلَى الْأَبْوَابِ كَمَا رُتِّبَ الْحَدِيثُ عَلَى الْمُسْنَدِ؟ أَوْ عَلَى التَّصْنِيفِ فَيُجْعَلُ عَلَى أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ مُسْنَدًا؟ أَوْ عَلَى الْعِبَادَاتِ وَالْبُيُوعِ وَالنِّكَاحِ مُبَوَّبًا؟ فَإِذَا رُتِّبَ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَبْوَابِ كَانَ لِلْعُلَمَاءِ، وَإِذَا رُتِّبَ عَلَى السُّورِ كَانَ لِكَافَّةِ^(١) النَّاسِ، لَكِنَّهُ يَعْرِضُ فِيهِ التَّكَرُّارُ، وَيَعْسُرُ ضَبْطُهُ عَلَى الْمُؤَلِّفِ، وَفَهْمُهُ عَلَى الْقَارِئِ، فَإِنَّ الْمَعْنَى يَكُونُ فِي^(٢) سُورَةٍ كَامِلًا، وَيَكُونُ فِي^(٣) أُخْرَى مُفْتَرَقًا أَجْزَاؤُهُ عَلَى السُّورِ، فَيَفْتَقِرُ إِلَى مَزِيدٍ بَيَانٍ^(٤) وَضَبْطٍ، وَيَتَّسِعُ فِيهِ الْحَرْقُ، لِأَنَّكَ إِذَا شَرَحْتَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَهُوَ الْحَقُّ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا كَرَّرَهُ مُطْلَقًا كَرَّرَهُ أَيْضًا أَنْتَ مُطْلَقًا، وَإِذَا كَرَّرَهُ مُقَيَّدًا، كَرَّرَهُ أَيْضًا أَنْتَ مُقَيَّدًا، يَأْتِيكَ مِنْهُ نَشْرٌ يَمْلَأُ الْأَفَقَ، وَإِنْ اخْتَصَرْتَ وَأَشْرْتَ، لَمْ تَبْلُغْ رِضًا مَنْ سَأَلَكَ، وَلَا مَهَّدْتَ السَّبِيلَ لِمَنْ سَلَكَ.

هَذَا مَعَ إِكْبَابِ الْخَلْقِ عَلَى الدُّنْيَا، وَقُصُورِهِمْ عَنِ التَّعْلِيمِ، وَكَسَلِهِمْ عَنِ السَّعْيِ فِي التَّرْقِيِ إِلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ، وَاقْتِنَاعِهِمْ بِمَا يَتَأَلَّفُ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَيَسْتَعْجِلُونَ بِهِ مِنْفَعَتَهُمْ، فَالْنَقْدُ الْقَلِيلُ عِنْدَهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْكَالِيِّ الْكَثِيرِ، مَعَ مَا يَعَانُونَ مِنْ دَرَكِ الْمَرَاتِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِمَسْأَلَةِ تَقْيِيدٍ، أَوْ عَقْدٍ يُعَقَّدُ، أَوْ رِوَايَةٍ يَجْتَرِئُ بِهَا لِقْصِدِ النَّاسِ إِلَيْهِ فِيهَا، وَتَصَدُّرِهِ بَيْنَهُمْ لِأَجْلِهَا، وَهَذَا كُلُّهُ نَظَرٌ لِلدُّنْيَا، وَإِعْرَاضٌ عَنِ الدَّارِ الْآخَرَى.

وَمَا شَغَلَنِي عَنْ ذَلِكَ مَعَاشُ أَرِيْشُهُ، وَلَا وِلَايَةُ أُسْتَجِدُّهَا، وَإِنَّمَا أَقْعَدَنِي ضَعْفُ الطَّالِبِ لَهَا، وَكَثْرَةُ الْمُطَالِبِ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ الَّذِي أَدْخَلَنِي فِي مَعْرِفَةِ

(١) أ: لسائر، وعلم عليها بعلامة الخطأ، ثم استدرك الخطأ في الهامش.

(٢) و (٣) في: ساقطة من: أ.

(٤) وبيان: ساقطة من: ب.

السُّلْطَانِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ أَوْ الْفَقِيرَ لَا يَمْتَقِرُ إِلَيْهِ، وَالْغَنِيِّ قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ فِي غِنَى عَنْهُ.
وَأَمَّا وَقَدْ امْتَدَّتِ الْأَطْمَاعُ إِلَى الْأَمْوَالِ، وَضَاقَتْ عَنْ آمَالِ الرِّجَالِ، فَتَدْعُو
الضَّرُورَةُ إِلَى السُّلْطَانِ لِأَكْثَرِ الْأَغْنِيَاءِ، وَلَا سِيَّمَا أَصْحَابِ الضِّيَاعِ، لِأَنَّ الْمَمْلَكَةَ
فِي كُلِّ أُمَّةٍ قَدْ سَحَبَتْ ذَيْلَهَا عَلَى الضِّيَاعِ، وَقَوِيَتْ عَلَى الْأَمْوَالِ الْأَطْمَاعُ،
فَصَاحِبُ الضَّيْعَةِ مَدْفُوعٌ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَمِيرِ ضَرُورَةً لِيُدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ مَعَرَّةً،
وَلِيَتَحَقَّقَ^(١) وَعُدُّ الصَّادِقِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلَ دَارَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَأَى
فِيهِ آلَةَ الْحَرْثِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَقَالَ: «مَا دَخَلَتْ قَطُّ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا وَأَدْخَلَتْ الذُّلَّ»^(٢)، وَقَدْ
تَذَرِكُ الْآفَةُ لِلْمُعْتَزِلِ لِلْعِبَادَةِ مِنْ وُجُوهِ ذَكَرْنَاهَا فِي «مَسَائِلِ الصُّحْبَةِ وَالْعُرْلَةِ».

وَأَمَّا الْعِلْمُ الْمُفْتَقِرُ إِلَى السُّلْطَانِ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فَقِيرًا أَوْ غَنِيًّا وَسَكَتَ عَنِ الْعِلْمِ
حَصَلَ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِالْعِلْمِ وَأَظْهَرَ حَسْبَهُ الْمُقْصِرُونَ عَنْ
دَرَجَتِهِ، إِذْ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا يُنْصِفُونَهُ بِهِ، فَيَقْرُونَ لَهُ بِالشُّفُوفِ^(٢) عَلَيْهِمْ فِي
مَرْتَبَتِهِ، إِذْ يَتَوَقَّعُونَ عَلَى دُنْيَاهُمْ أَنَّ يَحُوزَهَا دُونَهُمْ أَوْ يَنْقُصَهُمْ، فَيَنْسِبُونَهُ إِمَّا إِلَى
الْبِدْعَةِ، وَإِمَّا إِلَى التَّخْلِيطِ وَهِيَ سَلَامَةٌ، فَذَاكَ الَّذِي دَعَانِي إِلَى مُدَاخَلَةِ السُّلْطَانِ،
وَلَنَا فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ أُسْوَةٍ، فَقَدْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ فِيمَا سَلَفَ عَلَى قِسْمَيْنِ:

مِنْهُمْ مَنْ يَعْضُدُهُ اللَّهُ بِالْقُوَّةِ وَالْجُنْدِ، وَيَأْذَنُ لَهُ فِي الْقِتَالِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ مُخْلِئًا مَعَ الْخَلْقِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا

(١): أ: لتحقيق.

(1) نحو هذا الحديث رواه البخاري في الحرث والمزارعة: 66/3، وقال ابن الأثير في شرح غريب
هذا الحديث إن أهل الحرث تناولهم المذلة بما يطالبون به من الخراج والعشر ونحوهما. جامع

الأصول: 766/11.

(2) الشفوف جمع شَفَّ وهو الفضل.

يُعْضِدُهُ عَلَى تَبْلِيغِ أَمْرِ رَبِّهِ، وَيَحْمِيهِ وَإِنْ كَانَ لَا يَعْتَقِدُ مَا يَقُولُهُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُعْضِدُهُ بِجُنْدٍ وَلَا قُوَّةٍ، وَلَا يُكَيِّفُ لَهُ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا، فَيَجْتَرِئُ عَلَيْهِ الْمَلَأُ بِالْإِهَانَةِ وَالْقَتْلِ، فَإِنْ شَاءَ حَمَاهُ كَمَا فَعَلَ بَنُوحٌ، وَإِنْ شَاءَ ابْتَلَاهُ كَمَا فَعَلَ بِيَحْيَى.

وَهَذِهِ كُلُّهَا سُنَنُ اللَّهِ - تَعَالَى - فِي عِبَادِهِ، وَأَسْوَتُهُ فِي خَلْقِهِ، فَإِنَّهُ خَالَفَ أَحْوَالَ الْأَنْبِيَاءِ وَنَوَعَهَا فِي النِّعَمَةِ وَالْبَلَاءِ، لِتَكُونَ سُلُوكًا لِمَنْ أَتَى، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء: 71).

قِيلَ بِمَعْبُودِهِمْ.

وَقِيلَ: بِرُسُولِهِمْ⁽¹⁾.

وَقِيلَ: بِمَنْ قَلَّدُوا كَمَالِكَ وَالشَّافِعِيِّ.

وَقِيلَ فِي طَرَفٍ آخَرَ: بِإِبْلِيسَ فِي الْجَنِّ، وَبِآدَمَ فِي الْإِنْسِ.

وَقِيلَ فِي طَرِيقٍ⁽¹⁾ آخَرَ: بِإِبْرَاهِيمَ فِي الْمُوقِنِينَ⁽²⁾، وَبِيعْقُوبَ فِي الْمَحْزُونِينَ، وَبِيُوسُفَ فِي الْمَسْجُونِينَ، وَبِأَيُّوبَ فِي الصَّابِرِينَ، وَبِمُوسَى فِي الْمُخْلَصِينَ، وَبِإِسَى فِي الزَّاهِدِينَ، وَبِمُحَمَّدٍ إِمَامَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

(1) أ: طرف.

(2) أ: المؤمنين.

(1) أثر هذا القول عن أنس بن مالك ومجاهد، انظر: الماوردي «النكت والعيون»: 446/2 البقاعي: نظم الدرر: 477/11، السيوطي: الدر المنثور: 316/5 (ط: 1983).

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ نَهَجَتْ فِي التَّفْسِيرِ سُبُلًا، وَأَوْضَحَتْ^(١) لِلسَّالِكِ دُلَّالًا، فَكَيْفَ التَّخَلُّصُ لِلسَّائِرِ فِيهَا مَعَ الْوَعِيدِ الْوَارِدِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالرَّأْيِ^(١)، وَأَنَّى يَسُوعُ التَّسْوِيرَ مَعَ ذَلِكَ عَلَيْهَا بِالْأَقْوَالِ مِنْ غَيْرِ نَقْلِ.

(١) أ: وأوضحتها.

(١) أخرج الترمذي في التفسير رمق: 2953 عن جُند بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ». قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه أبو داود في العلم رقم: 3652، والنسائي في كتابه فضائل القرآن رقم: 111، والطبري في تفسيره رقم: 80 (ط: المعارف). قلت: ومدار هذا الحديث على سهيل بن مهران القطعي وهو ضعيف، قال أحمد: روى أحاديث منكورة، وقد نقل إسحق بن منصور عن ابن معين: صالح، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقد وثقه العجلي، انظر ابن حجر في تهذيب التهذيب: 261/4.

ذَكَرُ الْقَوْلِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالرَّأْيِ

قُلْنَا: لَيْسَ فِي الرَّعِيدِ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَلَكِنَّهُ مَعْنَى صَرِيحٌ فِي
الْجُمْلَةِ^(١)، حَقٌّ فِي الدِّينِ.

وَالرَّأْيُ مَصْدَرُ رَأَيْتُ بِقَلْبِي، كَمَا أَنَّ الرُّؤْيَا مَصْدَرُ رَأَيْتُ بِعَيْنِي^(١)، وَمِنْ رَأْيِ
الْقَلْبِ مَا يَكُونُ بَاطِلًا، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ حَقًّا.

فَأَمَّا الْحَقُّ فَكُلُّ رَأْيٍ يَكُونُ عَنْ دَلِيلٍ.
وَأَمَّا الْبَاطِلُ مَا كَانَ عَنْ هَوَى مُجَرَّدٍ.

وَتَحْقِيقُ الْعَرَضِ الْمَطْلُوبِ أَنَّ لِلنَّاظِرِ فِي الْقُرْآنِ مَآخِذَ كَثِيرَةً أُمَمَاتُهَا ثَلَاثٌ:
الْأُولَى: النَّقْلُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهَذَا هُوَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ، لَكِنْ حَذَارٌ أَنْ تُعَوَّلُوا
فِيهِ إِلَّا عَلَى مَا صَحَّ، وَدَعُّوا مَا سُودَّتْ فِيهِ الْأَوْرَاقُ، فَإِنَّهُ سَوَادٌ فِي الْقُلُوبِ
وَالْوُجُوهِ^(٢).

(١) أ: الجملة، واستدرك الخطأ في الهامش.

(1) انظر: الأزهرى: تهذيب اللغة: 316/15 - 326، ابن فارس: مقاييس اللغة: 472/2 - 473.

(2) هذه القواعد المنهجية في دراسة العلوم الشرعية كثيراً ما يرددها ابن العربي في كتبه، إذ يقول =

الثَّانِيَّةُ: الْأَخْذُ بِمُطْلَقِ اللُّغَةِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ^(١).

الثَّالِثَةُ: التَّفْسِيرُ بِالْمُقْتَضَى^(٢) مِنْ مَعْنَى الْكَلَامِ، وَالْمُقْتَضِبُ مِنْ قُوَّةِ

الْمَنْزَعِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ تَأْوِيلَ دُعَائِهِ^(٣) اللَّهُ فِي هَبَّتِهِ لِابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ:

«اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»^(٤) وَهِيَ أَحَدُ أَقْوَالِ^(٥) الْعُلَمَاءِ: الْحِكْمَةُ الَّتِي يُؤْتِيهَا اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: 268).

وَمِنْ هَا هُنَا اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ^(٦)؟ فَأَخَذَ كُلُّ أَحَدٍ فِي رِضَائِهِ عَلَى مُتَنَهَى نَظَرِهِ فِي الْمُقْتَضَى.

وَالضَّابِطُ لِهَذَا كُلِّهِ أَنْ يَكُونَ النَّاطِرُ فِي الْقُرْآنِ يَلْحَظُهُ بِعَيْنِ التَّقْوَى، وَلَا يَمِيلُ

(١) ب: فصيح مبين، وفوق كلمة فصيح علامة الخطأ.

(٢) أ: المقتضى.

(٣) أ: دعاء.

(٤) أ: إلّا أقوال.

.....

= في الأحكام: 583، «وقد ألقيت إليكم وصيتي في كل وقت ومجلس، ألا تستغلوا من الأحاديث بما لا يصحُّ سنده» ويقول في سراج المريدين: 127/ب «... فلا تلتفتوا إليها (أي إلى الأحاديث الضعيفة والموضوعة) فإن مثل من يطلب العلم بالحديث الضعيف والباطل، كمن يُصَلِّي بطهارة الماء المتغير والنجس، فلا يطلب الحق إلا بالحق، ولا يُعضد الصحيح إلا بالصحيح».

(1) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده: 127/4، 316 وقال: الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، والفسوي في كتابه «المعرفة والتاريخ»: 494/1 وابن سعد في الطبقات: 365/2، والحاكم في المستدرک 534/3 وصححه ووافقه الذهبي.

(2) انظر أقوال الصحابة رضي الله عنهم في الدر المنثور للسيوطي: 66/2 (ط: دار الفكر: 1983).

بِهِ إِلَى رَأْيِ أَحَدٍ لِلْهَوَى^(١)، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ ذَاتِهِ ابْتِغَاءَ عِلْمِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَهُوَ
الْأَوَّلُ.

الثَّانِي: أَنَّ يَكُونَ نَظْرُهُ بَعْدَ اسْتِقْلَالِهِ بِشُرُوطِ النَّظَرِ كَمَا قَدَّمْنَا، وَلَا يَسْتَرْسِلُ
عَلَى جَمِيعِهِ، وَهُوَ لَمْ يَسْتَوْفِ شُرُوطَ النَّاطِرِ فِيهِ، فَإِنَّ أَصْلَ التَّخْلِيطِ فِي تَفْسِيرِ مَنْ
تَسَوَّرَ - مِمَّنْ لَا يَسْتَكْمِلُ شُرُوطَ النَّظَرِ فِيهِ - عَلَيْهِ.

(١) للهوى: ساقطة من: أ.

خاتمة الكتاب

فَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ مِنَ الْيَقِينِ بِصِحَّةِ الْإِعْتِقَادِ، وَالنَّصِّ (١) بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِبْدَادِ، فَقَدْ (٢) خَرَجْتُمْ عَنْ عَهْدَةِ الْجَهْلِ الَّتِي لَزِمَتْكُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (النحل: 78)، وَتَعَيَّنَ عَلَيْكُمْ الْخُرُوجُ عَنْ عَهْدَةِ الْخِدْمَةِ بِشُكْرِ النِّعْمَةِ فِيمَا أَسَدَى إِلَيْكُمْ، وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ، حَسَبَ مَا تَوَجَّهَ مِنَ التَّكْلِيفِ إِلَيْكُمْ، وَخُذُوا خَبْرًا تَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ بَصَرًا:

دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى بَعْضِ أَشْيَاخِي (٣) (١) وَعَلَى كُمِّي أَوْرَاقٌ قَدْ قَيَّدَتْهَا، وَكَرَارِيسُ قَدْ اسْتَحْسَنْتُهَا (٤)، فَقَالَ لِي: أَرَأَيْكَ تَسْتَكْثِرُ مِنْهَا! وَأَعْلَمَ أَنَّكَ لَا تَقِيدُ حَرْفًا وَلَا تَضْبِطُ كَلِمَةً إِلَّا وَأَنْتَ مَطْلُوبٌ عَلَى (٥) الْعَمَلِ بِهَا، وَتَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُجَّةً عَلَيْكَ (٦)، وَأَنْتَى تُطِيقُ ذَلِكَ؟ فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ. وَحَمَلَنِي (٧) الْحِرْصُ - عَلَى الطَّلَبِ -

(١) أ: البصر.

(٢) أ: فإذا.

(٣) أ: الأشياخ.

(٤) ب: انتسختها.

(٥) أ: عن.

(٦) عليك: ساقطة من: أ.

(٧) أ: فحملني.

(1) وهو الإمام الغزالي إذ قد صرح باسمه في أثناء ذكره لهذه القصة في سراج المريدين: 237/أ.

عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ مِنَ التَّقْيِيدِ، وَوَقَعَتْ الْآنَ فِيمَا حَذَرَنِي مِنْهُ، فَإِنِّي ^(١) لَا أَقْدِرُ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا عَلِمْتُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَإِنْ قِيلَ: وَهَلْ ^(٢) يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا عَلِمَ؟

قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - لَمْ يُكَلِّفْ عِبَادَهُ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ ^(١)، وَقَدْ سَأَلُوهُ أَلَّا يُحْمِلَهُمْ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ فَقَالُوا:

﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ (البقرة: 285) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: نَعَمْ، وَقَدْ ^(٣) فَعَلْتُ ⁽²⁾.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» ⁽³⁾ وَلَكِنْ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْأَوَامِرِ، فَأَمَّا النَّوَاهِي فَالْعَبْدُ مَأْمُورٌ بِالْإِنْكَفَافِ ^(٤) عَنْهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، إِذْ لَيْسَ فِيهِ كُلْفَةٌ إِلَّا مِنْ جِهَةِ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَحَذْفِ الشَّهَوَاتِ، وَذَلِكَ مُمَكِّنٌ عَادَةً، فَأَمَّا الْقِيَامُ بِحَقِّ الْخِدْمَةِ فِي بَابِ الْأَوَامِرِ، فَذَلِكَ الْقَدْرُ هُوَ الَّذِي وَقَعَ عَنْهُ الْعَجْزُ، وَهُوَ الَّذِي كَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ تَعَاطِيهِ لِلْخَلْقِ فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» ⁽⁴⁾.

(١) أ: فأننا.

(٢) ب: فهل.

(٣) ب: أوقد.

(٤) أ: الأكفاف.

(1) انظر هذا المبحث في المتوسط: 74 - 77.

(2) أخرجه مسلم في الإيمان: رقم: 199، 200.

(3) أقرب رواية إلى رواية المؤلف هي ما أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة رسول

الله ﷺ، رقم: 2 (ط: الأعظمي) وانظر نحوه في مسلم كتاب الحج رقم: 1337، النسائي في

الحج: 110/5، وابن حبان في صحيحه: 156/1 (ط: شاكر).

(4) سبق تخريجه صفحة: 259 تعليق: 2.

وَكَمَا جَعَلَ الْعِلْمَ قِسْمَيْنِ: مِنْهُ مَا يُدْرِكُهُ الْخَلْقُ، وَمِنْهُ مَا لَا يُدْرِكُهُ الْخَلْقُ،
وَجَعَلَ الْكِتَابَ قِسْمَيْنِ: مِنْهُ مُحْكَمٌ هُوَ أُمُّ الْكِتَابِ، وَآخَرُ مُتَشَابِهٌ^(١)، كَذَلِكَ جَعَلَ
الْعَمَلَ^(٢) قِسْمَيْنِ: مِنْهُ مَا يَتَأْتَى تَكْلِيفُهُ، وَمِنْهُ مَا يَعْسُرُ عَلَى جِبِلَّةِ الْبَشَرِيَّةِ تَعَاطِيهِ.
فَإِنْ قِيلَ: وَعَلَى الذِّكْرِى فَمَا مَعْنَى كَوْنِهِ مُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا؟.

(١) ب: متشابهات.

(٢) أ: العلم.

ذِكْرُ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ

فَقُلْ: قَالَ تَعَالَى: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (آل عمران: 7).

قُلْنَا: قَدْ بَيَّنَّاهُ فِي كِتَابِ «الْمُسْكِلِينَ» عِنْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانًا مُسْتَوْفِيًا، لُبَّابُهُ:
 إِنَّ الْقُرْآنَ مُحْكَمٌ كُلُّهُ، كَمَا قَالَ: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ (هود: 1).
 وَهُوَ أَيْضًا مُتَشَابِهٌ كُلُّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ (الزمر: 22).

وَمِنْهُ مُحْكَمٌ، وَمِنْهُ مُتَشَابِهٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (آل عمران: 7)، وَالْمَعْنَى الَّذِي بِهِ صَارَ (١) الْقُرْآنُ كُلُّهُ مُحْكَمًا، بِذَلِكَ الْمَعْنَى صَارَ كُلُّهُ مُتَشَابِهًا، وَالْمَعْنَى الَّذِي بِهِ (٢) صَارَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ، بِذَلِكَ الْمَعْنَى صَارَ مِنْهُ آيَاتٌ مُتَشَابِهَاتٌ (١).

(١) أ: الذي قد صار.

(٢) به: ساقطة من: أ.

(١) قال المؤلف رحمه الله في المحصول في علم الأصول: 34/ب في بيان المحكم والمتشابه ما نصه: «اختلف الناس في ذلك على أقوال كثيرة... فمنهم من قال إنها (أي الآيات المتشابهات) آيات الوعيد، ومنهم من قال إنها آيات القيامة، ومنهم من قال إنها أوائل السور، =

فَأَمَّا كَوْنُهُ مُحْكَمًا كُلُّهُ فَبِمَعَانٍ (١) كَثِيرَةٍ مِنْهَا:

أَطْرَادُهُ فِي الْبَلَاغَةِ، وَانْتِظَامُهُ فِي سِلْكِ الْفَصَاحَةِ، وَاسْتِوَاءُ أَجْزَاءِ كَلِمَاتِهِ فِي
أَدَاءِ الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ حَشْوٍ يُسْتَعْنَى عَنْهُ، أَوْ نُقْصَانٍ يُخِلُّ بِهِ، وَاخْتِصَارُ الْقَوْلِ
الطَّوِيلِ الدَّالِّ عَلَى الْمَعْنَى الْكَثِيرِ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ (١): كُنْتُ فِي بَعْضِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَإِذَا بِجَارِيَةٍ صَغِيرَةٍ السِّنِّ
وَهِيَ تَقُولُ:

قَبَّلْتُ مَحْبُوبًا بِغَيْرِ حِلِّهِ
مِثْلَ الْغَزَالِ قَائِمًا فِي دَلِّهِ
فَانْتَصَفَ اللَّيْلُ وَلَمْ أَصِلْهُ

فَقُلْتُ لَهَا: مَا أَبْلَغَ كَلَامِكَ! وَأَفْصَحَ مَقَالِكَ!

قَالَتْ: أَبْلَغُ مِنْ (٢) ذَلِكَ مَنْ جَمَعَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ، وَخَبَرَيْنِ
وَبِشَارَتَيْنِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ - إِلَىٰ قَوْلِهِ - الْمُرْسَلِينَ﴾
(القصص: 6).

(١) ب: فبمعاني.

(٢) أ: في.

= ومنهم من قال إنها الآيات التي تمتنع ظواهرها على الله كآية الإتيان والمجيء وغيرها،
والصحيح أن المحكم ما استقل بنفسه والمتشابه ما افتقر إلى غيره» وللتوسع في معرفة رأي
المؤلف في هذا الموضوع، انظر: «القبس في شرح موطأ مالك بن أنس»: 320 (مخطوط
الخزانة العامة 25 ج) لوحة: 268 (مخطوط الخزانة العامة: 1916)، ولمعرفة القول الفصل انظر
«الإكليل في المتشابه والتأويل» لابن تيمية (ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ط: صبيح 1966).

(1) هو عبد الملك بن قُرَيْب، إمام من أئمة اللغة، روى عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره،
توفي: 216، انظر عنه: ابن قتيبة: المعارف: 543، أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين:
80 - 105، التنوخي: أخبار العلماء النحويين: 218 - 224.

(2) الدَّلُّ هُوَ الْغُنْجُ وَالشُّكْلُ.

فَقَوْلُهُ: ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ وَقَوْلُهُ ﴿فَإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ﴾ خَبَرَانِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾ وَ﴿الْقِيهِ﴾ أَمْرَانِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ نَهْيَانِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بَشَارَتَانِ.

وَقَدْ قَالَ أَهْلُ الْإِشَارَةِ: فِي (١) الْقُرْآنِ آيَةٌ أَوْ آيَتَانِ جَمَعَتَ بَيْنَ عَذْرَيْنِ وَنَسَخِينَ وَأَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ (٢) وَرُخَصَتَيْنِ وَكَرَاهَتَيْنِ:
فَأَمَّا الْعُذْرَانِ فَقَوْلُهُ:

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾
(البقرة: ١٨٢ - ١٨٣) كَأَنَّهُ قَالَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ (٣): لَمْ تَخْتَصُصُوا (٤) بِهَذَا، وَلَا ابْتَدِئْتُمْ بِهِ، بَلْ فَرَضَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ الدَّهْرَ كُلَّهُ، وَإِنَّمَا جَعَلَ أَيَّامًا قَلِيلًا.

وَأَمَّا النَّسْخَانِ فَنَسَخَ قَوْلُهُ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ (البقرة: ١٨٣)، وَنَسَخَ تَحْرِيمَ الْوَطْءِ بَعْدَ النَّوْمِ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ.

وَأَمَّا الْأَمْرَانِ فَالْتَكْبِيرُ، وَإِكْمَالُ الْعِدَّةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَاكُمْ﴾ (٥) (البقرة: ١٨٤).

(١) أ: إن في.

(٢) أ: ونسخين.

(٣) أ: يقول للأمة.

(٤) أ: تخلصوا.

(٥) قوله تعالى وتكملوا العدة: ساقطة من: أ.

وَأَمَّا النَّهْيَانِ: فَلَاكُلِّ وَالْجَمَاعُ وَهُوَ حَقِيقَةُ الصَّيَامِ .

وَأَمَّا الرُّخَصَتَانِ: فَالْفِدْيَةُ لِلشَّيْخِ ، وَالْفِطْرُ فِي السَّفَرِ .

وَأَمَّا الْكَرَامَتَانِ: فَإِنزَالُ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ .

فَتَرَى كَيْفَ قَصَرَ الْقَوْلُ وَطَالَ الْمَعْنَى ، وَفِيهِ أَيْضاً حُسْنُ التَّصْرِيفِ بِالْعِبَارَةِ فِي التَّصْرِيحِ وَالْإِشَارَةِ ، وَرَصَفُ الْأَلْفَاظِ الْمُطْرَدَةِ ، وَرَسُّ الْمَعَانِي ، وَرَبْطُ الْمَعَانِي عَلَى وَفْقِ الْمَقَاصِدِ ، وَحُسْنُ الْأَدَاءِ إِلَى الْأَسْمَاعِ .

وَأَمَّا كَوْنُهُ مُتَشَابِهًا: فَبِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهُوَ مَا وَصَفْنَاهُ مِنَ الْإِحْكَامِ بِهِ يَجْرِي فِي جَمِيعِ سُورِهِ بَلْ فِي آيَاتِهِ .

وَأَمَّا الَّذِي بِهِ كَانَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هِيَ الْأُمُّ ، وَمِنْهُ آيَاتٌ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَذَلِكَ فِي طَرِيقِ الْبَيَانِ وَالْعِلْمِ ، إِذْ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ^(١) يُعْلَمُ مَعْنَاهَا ، وَيُفْهَمُ الْمُرَادُ بِهَا ، وَمِنْهُ آيَاتٌ مُتَشَابِهَاتٌ ^(٢) لَا يُفْهَمُ مَعْنَاهَا لِإِشْتِبَاهِهَا بِمَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِلْمُحْكَمِ ، وَبِمَا لَا يُوَافِقُهُ ، أَوْ لِانْغِلَاقِ بَابِ الْمَعْرِفَةِ بِهَا ، فَهَذَا أَصْلُ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ ، فَابْنِ عَلَيْهِ ، وَلَهُ أَمْثَلَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا :

قَوْلُهُ: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (طه: 4) .

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيهَا فِي كِتَابِ ^(٣) «شَرْحِ الْمُشْكِلِينَ» خَمْسَةَ عَشَرَ قَوْلًا ^(١) .

(١) محكمات: ساقطة من: أ.

(٢) ومنه آيات متشابهات: ساقطة من الأصلين ، والمثبت من استدراك ناسخ: ب.

(٣) كتاب: ساقطة من: ب.

(1) انظر هذه الأقوال في قانون الأسكريال: 37/أ ب - 38/أ ، فقد توسع في إيراد الحجج والبراهين التي تثبت مذهب الأشعرية ، وانظر: السراج: 166/أ ، المحصول في علم الأصول: 35/أ (وقد تأثر فيه بشيخه الغزالي في المنحول من علم الأصول: 286 - 287) ، المتوسط: 20 .

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهَا عَلَى لَأَنَةِ أَقْوَالٍ :

فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : تَمَرُّ كَمَا جَاءَتْ وَلَا يُتَكَلَّمُ فِيهَا ⁽¹⁾ .

الثاني ⁽¹⁾ : وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : يُتَكَلَّمُ فِيهَا مَعَ مَنْ يَتَحَقَّقُ حُسْنَ عَقِيدَتِهِ وَيَقِينُ اسْتِرْشَادَهُ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ إِمَامِ الْأَئِمَّةِ مَالِكٍ : «الاستِواءُ معلومٌ والكيفيةُ مجهولةٌ ، والسؤالُ عنه بدعةٌ» ⁽²⁾ .

(١) الثاني : ساقطة من : ب .

(1) منهم سفيان بن عيينة ، روى الدارقطني بإسناد صحيح عن سفيان أنه قال : «هِيَ كَمَا جَاءَتْ ، نُقِرُ بِهَا ، وَتُحَدَّثُ بِهَا» كتاب الصفات : 71 رقم : 63 ، وأورد هذا القول الذهبي في العلو : 165 ، وينبغي أن نذكر أن مثل هذه العبارات الصادرة عن بعض علماء السلف لا تتنافى مع ما قرره من الإثبات ، لأن مرادهم بمثل هذه الأقوال إنما هو ترك الكلام في معنى كيفيتها ، لأن معرفة الكيفية لا سبيل إليه .

(2) رَوَى هذا القول جمع غفير من أئمة الحديث وحفاظه منهم : الدارمي في الرد على الجهمية : 280 (ضمن عقائد السلف) ، والبيهقي في الأسماء والصفات : 291 بسند جيد (كمال قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : 407/13) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء في ترجمة الإمام مالك : 326/6 ، والصابوني في عقيدة أهل الحديث : 110/1 (ضمن الرسائل المنيرية) .

قال الإمام الذهبي في العلو : 103 - 104 «إن كيفة الاستواء لا نعقلها بل نجهلها ، وإن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه ، وإنه كما يليق به ، لا نتمتع ولا نتحدلق ، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً ، بل نسكت ونقف كما وقف السلف» .

قلت : وعليه فإن قول الإمام مالك هذا إنما نفى فيه علم الكيفية ، ولم ينف حقيقة الصفة . يقول ابن تيمية : «ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف ، فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوماً بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم ، وأيضاً فإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى ، وإنما يحتاج إلى علم الكيفية إذا أثبت الصفات ، وأيضاً فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقاً لا يحتاج أن يقول بلا كيف ، فمن قال : «إن الله ليس على العرش» لا يحتاج أن يقول بلا كيف ، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر ، لما قالوا بلا كيف ، وأيضاً فقولهم : «أمروها كما جاءت» يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه ، فإنها جاءت ألفاظاً دالة على معاني ، فلو كانت دلالتها منفية لكان الواجب أن يقال أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد ، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة ، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ، ولا يقال حينئذ بلا كيف ، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول» مجموع الفتاوى : 41/5 - 42 .

الثالث: وَمِنْهُمْ مَنْ أَطْلَقَ الْقَوْلَ كَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ⁽¹⁾ قَالَ - وَقَدْ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: 4) -: هِيَ وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (فصلت: 10) سَوَاءً⁽²⁾.

وَأَشْبَهَ قَوْلَ فِيهِ ثَلَاثَةً: قَوْلَ سُفْيَانَ هَذَا، وَقَوْلَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ بِمَعْنَى اسْتَوَى⁽³⁾، وَقَوْلَ مَنْ قَالَ: فَعَلَ فِي الْعَرْشِ فِعْلًا سَمَاهُ اسْتَوَاءً⁽¹⁾⁽¹⁾.

وَقَدْ قَالَ لَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمُقَدِّسِيُّ⁽²⁾، قَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ شَاهُفُورُ

(١) ب، استوى.

(1) هو سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْهَلَالِيُّ الْكُوفِيُّ ثُمَّ الْمَكِّيُّ الْإِمَامُ الْكَبِيرُ، حَافِظُ الْعَصْرِ، رَوَى عَنْ ابْنِ شِهَابٍ الزَّهْرِيِّ وَغَيْرِهِ، قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: لَوْلَا مَالِكُ وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ لَذَهَبَ عِلْمُ الْحِجَازِ، تَوَفَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ 282. ابن سعد: الطبقات 497/5، البخاري: التاريخ الكبير: 94/4، الفسوي: المعرفة والتاريخ: 185/1 - 187، ابن حجر: تهذيب التهذيب: 117/4.

(2) لم أعثر على هذا القول في المصادر التي استطعت الوقوف عليها.

(3) قلت: وإلى هذا القول ذهب عامة المعتزلة، انظر القاضي عبد الجبار في متشابه القرآن: 73/1، 351، وفي تنزيه القرآن: 176، 53، وفي شرح الأصول الخمسة: 226، وإلى نفس هذا القول ذهب أغلب الأشاعرة، منهم الغزالي في الاقتصاد: 104، والأمدى في غاية المرام: 141، ورفضه البيهقي (وهو أشعري المذهب) في الأسماء والصفات: 412، وقد أبطل ابن تيمية تأويل الاستيواء بالاستيلاء من اثني عشر وجهاً. وبين أن حجج المتأولين في ذلك متهافة لا تنهض أن يعارض بها عقل صريح، فضلاً على أن تعارض المنقول الصحيح. مجموع الفتاوى: 153 - 136/5.

وقال الإمام الخطابي في كتابه «شعار الدين»: (فيما نقله عنه ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية: 438/2): «... ولو كان معنى الاستيواء هاهنا الاستيلاء لكان الكلام عديم الفائدة، لأن الله قد أحاط ملكه وقدرته بكل الأشياء، ويكل قطر وبقعة من السموات والأرض وتحت الثرى، فما معنى تخصيصه العرش بالذكر، ثم إن الاستيلاء إنما يتحقق معناه عند المنع عن الشيء، فإذا وقع الظفر قيل استولى عليه، فأى منع كان هناك حتى يوصف بالاستيلاء بعده»، وانظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم: 127/2.

(1) هذا القول هو لأبي الحسن الأشعري، وقد حكاه عنه البغدادى في أصول الدين: 113 وذكره القرطبي في الأسنى: 226/أ.

(2) هو محمد بن طاهر المقدسي، أبو سعيد الزنجاني، لم أعثر له على ترجمة، وقد سبق ذكره في =

الإِسْفَرَايِينِيُّ^(١) مَعْنَاهُ: مَنَعَ أَنْ يَكُونَ فَوْقَ الْعَرْشِ شَيْءٌ، وَهُوَ أَحَدُ مَعْنَى قَوْلِنَا: اسْتَوَى فَلَانَ عَلَى الْمَرْتَبَةِ^(٢)، وَهُوَ بَدِيعٌ عَظِيمٌ، قَدْ قَرَّرْنَاهُ عَنْهُ بِلَفْظِهِ فِي «شَرْحِ الْمُشْكِلَيْنِ» وَاخْتَصَرْنَاهُ هَا^(٣) هُنَا لِطَوْلِهِ، وَمَا ذَكَرْنَاهُ دَلَالَةً عَلَى^(٤) جَمِيعِهِ^(٥)، وَإِذَا أَرَدْتَ الْآيَاتِ فَهِيَ آيَاتُ الْوَعِيدِ وَالْقِيَامَةِ، وَكُلُّ آيَةٍ عَبَّرَ اللَّهُ فِيهَا عَنْ نَفْسِهِ بِفِعْلٍ يَسْتَحِيلُ ظَاهِرُهُ عَلَيْهِ، وَالْحُرُوفُ الْمُتَشَابِهَاتُ فِي أَوَائِلِ السُّورِ.

(١) ها: ساقطة من: أ.

(٢) على: ساقطة من: ب.

= الصفحة: 97، كما ذكر ابن خير في الفهرست: 258 - 259 أن ابن العربي سمع عليه كتاب «الإرشاد» والشامل للجويني.

(1) هو طاهر بن محمد الإسفراييني، من كبار أئمة الكلام على طريقة الأشعري، شافعي المذهب، له كتاب مشهور هو «التبصير في الدين» (مطبوع بتحقيق الكوثري) توفي رحمه الله عام: 471. السبكي: طبقات الشافعية: 175/3 (ط: الحسينية).

(2) هذا القول هو لأبي الحسن الأشعري، نُسِبَ إليه القرطبي في «الأسنى»: 226/أ (مخطوط عارف حكمت).

(3) قلت: كان الأولى لابن العربي وهو الإمام القدوة أن يقتدي بسلفه الصالح من أئمة الفقه المالكي العظماء، فقد أجمع المحققون منهم على نهج طريق السلف في الاعتقاد والسلوك، يقول الإمام أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي الأندلسي (ت: 429) في كتابه «الوصول إلى معرفة الأصول»:

«قال أهل السنة في قول الله «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» أن الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة لا على المجاز».

قلت: ذكر هذا النص ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل: 250/6 - 251، وفي بيان تلبيس الجهمية: 38/2 وفي القاعدة المراكشية: 73، كما ذكره ابن قيم الجوزية في اجتماع الجيوش الإسلامية: 48.

وقال الإمام أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمُرَادِي - الذي قدم الأندلس ودخل قرطبة سنة 487 - في رسالته التي سماها «الإيماء إلى مسألة الاستواء»: «... قول ابن أبي زيد القيرواني المالكي والقاضي عبد الوهاب المالكي وجماعة من شيوخ الحديث والفقه وهو ظاهر بعض كتب الباقلاني وأبي الحسن الأشعري وهو أنه سبحانه مستو على عرشه بذاته، وأطلقوا في بعض الأماكن فوق على عرشه، وهو الصحيح الذي أقول به من غير تحديد ولا تمكين في مكان، ولا كون فيه ولا مماسة»، قلت: ذكر هذا النص ابن تيمية في بيان تلبيس =

.....

= الجهمية : 35/2 - 36، وابن قيم الجوزية في اجتماع الجيوش الإسلامية : 48.
وقال أبو عبيد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: 671) صاحب كتاب «الجامع لأحكام القرآن»: «وأظهر الأقوال، ما تظاهرت عليه الآي والأخبار، والفضلاء الأخيار بأن الله على عرشه كما أخبر في كتابه، وعلى لسان نبيه، بلا كيف، بائن من جميع خلقه، هذا مذهب السلف الصالح فيما نقل عنهم الثقات». الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى : لوحة: 226/ب (مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة).

ذِكْرُ تَيْسِيرِ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ

وَبَعْدَ الْبُلُوغِ إِلَى هَذَا الْمُنْتَهَى مِنَ الْحَثِّ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا عِلْمٌ، وَكَشْفِ
الْغِطَاءِ عَنْ فَرَضِيَّةِ ذَلِكَ، وَتَعَلُّقِهِ بِالْعِلْمِ، وَتَأْثِيرِهِ فِيهِ، وَمَعُونَتِهِ عَلَيْهِ^(١)، وَالْخَلَاصِ
بِهِ مِنْهُ، فَالْعَمَلُ لَهُ مَحَلَّانِ:

أَحَدُهُمَا: الْقَلْبُ، وَالْآخَرُ: الْجَوَارِحُ.

وَعَلَى الْقَلْبِ أَمْرَانِ:

أَحَدُهُمَا: الْاِعْتِقَادُ، وَالْآخَرُ: الْاِخْلَاصُ.

فَأَمَّا الْاِعْتِقَادُ الصَّحِيحُ بِتَجْرِيدِهِ عَنِ الشُّبْهِ فَمُمْكِنٌ مُتَيْسِّرٌ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَمِنْهُ،
وَإِجْرَاءُ عَادَتِهِ فِيهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَقَدْ شَاهَدْنَا ذَلِكَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ لَا تُحْصَى.

وَأَمَّا إِخْلَاصُ^(١) الْقَلْبِ فِي الْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ فَهُوَ لَعَمْرُ اللَّهِ عَسِيرٌ، عِنْدَهُ وَقَفَتْ
الْخَلِيقَةُ حِينَ سَمِعَتْ قَوْلَهُ:

(١) عليه: ساقطة من: أ.

(١) انظر الاسم الحادي عشر «المخلص» من سراج المريدين: 64/أ وما بعدها.

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (البينة: 5) ⁽¹⁾ وَكَذَلِكَ أَيْضاً سَمِعُوا قَوْلَهُ:

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (الزمر: 3) وَالْخُلُوصُ هُوَ الصَّفَاءُ، يُقَالُ لَبَنٌ خَالِصٌ، إِذَا لَمْ يَشُبْ، وَذَلِكَ يَكُونُ لِصَفَائِهِ فِي الْإِبْتِدَاءِ، فَيَعْقِدُ عَقْداً سَلِيماً، وَيَعْمَلُ كَذَلِكَ ⁽²⁾.

وَقَدْ تَشَبَّهَ الذُّنُوبُ، فَتَخَلَّصَهُ أَيْضاً التَّوْبَةُ، وَيُصَفِّيهِ النَّدَمُ. وَالْإِخْلَاصُ دَرَجَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الدِّينِ، كَمَا أَنَّ الزُّنَا دَرَكَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْمَعَاصِي.

وَقَدْ سَطَّرَ عُلَمَاءُ الْقُلُوبِ فِي الْوَجْهَيْنِ جَمِيعاً بَدَائِعَ، وَأَنَا أَشِيرُ لَكُمْ فِيهَا ⁽¹⁾ إِلَى مَا يَسْهُلُ سَبِيلُهُ، وَيَقْرُبُ مُجَاهِدَةَ النَّفْسِ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ، وَالَّذِي يَجْلِبُهُ إِلَيْكَ؛ أَنْ تَقْطَعَ نَيْتَكَ عَنْ تَعْلِيلِ الْعَمَلِ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَلَا تَقْصِدَ ⁽²⁾ بِعَمَلِكَ إِلَّا الَّذِي أَمَرَكَ بِهِ.

مثل الَّذِي يَعْمَلُ لِغَيْرِ اللَّهِ كَمَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهَا وَأَمُرَّكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا: أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصٍ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ وَقَالَ لَهُ: هَذِهِ دَارِي،

(1) أ: فيه.

(2) ب: تقتصد.

(1) علق المؤلف في السراج 64/ب على هذه الآية فقال: قرن الله الإخلاص بالعبادة لأنه شرطها، والإخلاص: ألا يكون شيء من حركات العبد ولا من سكناته في جوارحه ومفاصله وكلامه وسكناته إلا لله، مصفى من الخلل (كذا بالأصل) حنيفاً إلى الحق من الباطل، غير خارج عن سنن الحق.

(2) قال المؤلف رحمه الله في السراج 65/أ: الإخلاص هو معنى يوجد بالقلب ويحصل في الباطن فتظهر آثاره.

وَهَذَا عَمَلِي، فَأَدِّ كُلَّ عَمَلٍ لِي، فَكَانَ (١) يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ؟ وَذَكَرَ الْخِصَالُ الْخَمْسَ إِلَى آخِرِهَا (١)...

وَتَحْقِيقُهُ: أَلَّا تَقْصِدَ بِعَمَلِكَ حَظَّ نَفْسِكَ الْمُخْتَصَّةِ بِكَ، فَكَيْفَ أَنْ تُعَلِّقَهُ بِغَيْرِكَ، فَإِنْ تَطَيَّبْتَ (٢) مَثَلًا، فَلَا تَقُلْ هَذَا الطِّيبُ لِعِطْرِي وَعِطْرُ أَهْلِي، وَلَكِنْ قُلْ: هُوَ لِمَلَائِكَةِ رَبِّي وَالْإِقْتِدَاءِ بِسُنَّةِ نَبِيِّ ﷺ، وَهَذَا الْأَكْلُ لِسِ لِلذَّيْتِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلْقُوَّةِ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّي.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ (٣) بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا (٤)» فَيَقُولُ لَهُ (٥): فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ اللَّهُ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ شَجَاعٌ، فَقَدْ قِيلَ، وَيُؤْمَرُ بِهِ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ قَارِئٌ وَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَذَكَرَ فِي الْجَوَادِ مِثْلَهُ (٢).

(١) أ: وكان.

(٢) أ: فانطِيت، واستدرك الناسخ بالهامش بكلمة فانطِيت.

(٣) أ: يأتي.

(٤) فعرَفَهَا: ساقطة من: ب.

(٥) أ: قال.

.....

(١) هذا جزء من حديث طويل أخرجه أحمد: 130/4، والترمذي في الأمثال رقم 6863، وقال: هذا

حديث حسن صحيح غريب، وصححه شيخنا ناصر الدين الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: 189/1.

(2) أخرجه - مع اختلاف في الألفاظ - مسلم في الإمارة رقم 1905، والترمذي في الزهد رقم: =

وَمِمَّا يُعِينُكَ ^(١) عَلَى صِحَّةِ الْإِحْلَاصِ وَتَجْرِيدِ النِّيَّةِ مِنَ الشَّوَائِبِ لِغَيْرِ اللَّهِ:
الْصِّدْقُ ^(١)؛ فَإِنَّكَ إِنْ قَرَّرْتَ السُّؤَالَ عَنْ عِلْمِكَ فِي دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ، وَافْتَقَرْتَ أَنْ
تُخْبِرَ عَنْ بَاطِنِ نِيَّتِكَ بِخِلَافِ مَا هِيَ عَلَيْهِ مُقَتَّ وَمَقَتَّ نَفْسَكَ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ
آنَفًا.

فَاحْفَظْ لِسَانَكَ عَنِ ^(٢) الْكَذِبِ ^(٢)، وَاعْلَمْ أَنَّهُ الْمُعَبَّرُ عَنْكَ، الْمُعَبَّرُ لَكَ عَنْ
طَرِيقِ الْعِلْمِ، وَرَأْسُ الْعَمَلِ، وَفِيهِ خَصْلَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الصِّدْقُ، وَفِيهِ نَحْوُ مِنْ
عِشْرِينَ آفَةً ^(٣) أُمَّهَاتُهَا أَرْبَعٌ وَهِيَ:

الْكَذِبُ، وَالْغِييَةُ، وَالْمِرَاءُ، وَالْمِزَاحُ، وَبِكُفِّكَ عَنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ يَهُونُ عَلَيْكَ
الْكُفُّ عَنْ بَاقِيهَا ^(٣).

أَمَّا الْكَذِبُ فَحَرَامٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ:

(١) أ: يبعثك، ب: سعيك، والمثبت من هامش: ب.

(٢) ب: من.

(٣) ب: باقيتها عليك.

= 2383، والنسائي في الجهاد: 23/6، والخطيب البغدادي في كتابه «اقتضاء العلم للعمل»: 107، وابن عبد البر في جامع بيان العلم: 2 - 3.

(1) قال المؤلف في السراج: 69/ب «حقيقة الصدق هو الثبوت في جميع الأعمال والأحوال على قدم الحق، والاستمرار في جميع الأحوال على حكم الشرع، وذلك في ثلاثة وجوه: صدق في القلب، وصدق في القول، وصدق في الفعل. فأما صدق القلب فهو بالنية الخالصة، وأما الصدق في اللسان فهو ألا يكون خبره بخلاف عمله في الماضي، وأما في المستقبل فيدخل في قسم الوفاء بالموعد... وأما الصدق في الأعمال فهو أن يكون وفق الاعتقاد والقول». وانظر التعريفات للجرجاني: 69.

(2) قال المؤلف في السراج: 226/أ: «الكذب هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به» وللتوسع انظر: الأمد الأقصى: 89/أ، والقبس: 365، (مخطوط الخزانة العامة: 25 ج) والتعريفات للجرجاني: 97.

(3) انظر هذه الآفات في إحياء علوم الدين للغزالي: 104/3.

الإصلاح بين الناس^(١)، والحرب، ووعد الرجل أهله.

لكن جواز الكذب في هذه المواطن الثلاثة إنما يكون بالمعاريض، لا بالتصريح^{(١)(*)}، إلا أن لا يفهم مفاوضك فيه التعريض^{(٢)(*)} فتصرح بالكذب باللسان دون الاعتقاد، وذلك فيما يخاف الضرر منه في النفس والمال عليك وعلى غيرك، بل قد يكون الكذب فرضاً، وذلك إذا طلب الظالم العادل، وسأل المسلم عنه فيجب عليه أن يعمي عليه^(٣) طريقه بالكذب الصراح، ويخفي عنه موضعه، لأن الكذب لم يحرم لعينه، وإنما حرم لما فيه من المصرة، فإذا كان الصدق مضره كان الكذب خيراً منه، وبهذا يتبين بطلان أصل القدرية في قولهم^(٤): «إن الحسن حسن لذاته، والقبيح قبيح لذاته» وقد قررنا الرد عليهم في كتب «الأصول» وحققنا أن العقل هو العلم^(٢)، وأنه لا يغير شيئاً فيما تعلق به عن صفته، وإنما يتعلق بالمعلوم على ما هو به، وأكدنا ذلك بأن القتل الواقع اعتداءً

(١) أ: الصريح.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من: أ.

(٣) عليه: ساقطة من: أ.

(٤) في قولهم: ساقطة من: أ.

(١) قال المؤلف في السراج: 178/ب: «... فأما الإصلاح بين الناس، فلما يرجى من إطفاء النائرة بين الرجلين، ولكن بالمعاريض، مثل أن يقول له: رأيته يدعو لك، إن جرى في كلمته دعاء له، وإن لم يسمعه، فإن صلى معه فقد دعا للمسلمين في صلاته، فيقول له: قد دعا لك، وينوي بقلبه ما كان من دعائه في صلاته للمسلمين الذي هو أحدهم، أو إذا سمعه يذكره بكلمة حسنة قالها، ويجتنب التصريح بالكذب، وإن لم يقصد بقلبه، وهي مسألة عظيمة من الفقه بينها في كتب الخلاف في طلاق المكروه، وصنف فيها علماء اللغة كتباً».

(٢) هذا هو رأي أبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الإسفراييني كما نقله عنهم القرطبي في جامع أحكام القرآن: 316/4، انظر رأي ابن تيمية في العقل في «الاستقامة»: 161/2 - 162، والرسالة السبعينية: 38 - 39 (ضمن مجموعة الفتاوى الكبرى ط: كردستان: 1329) الرد على المنطقيين: 276، وانظر الجويني في الإرشاد: 15 - 16.

يُجَالِسُ الْقَتْلَ الْمُسْتَوْفَى قِصَاصاً^(١) فِي الصُّورَةِ وَالصِّفَةِ، بِدَلِيلِ أَنَّ الْغَافِلَ عَنِ^(٢) الْمُسْتَنْدِ^(٣) فِيهِمَا لَا يُمَيِّزُ بَيْنَهُمَا، وَهَذَا قَاطِعٌ فِي فَتْنِهِ.

وَأَمَّا الْغِيْبَةُ فَمُحَرَّمَةٌ قُرْآنًا وَسُنَّةً وَبِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ.

وَحَقِيقَتُهَا^(١): أَنْ يَذْكُرَ عَنِ الْمَرْءِ مَا يَكْرَهُ أَنْ يَسْمَعَهُ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ فَهُوَ بُهْتَانٌ^(٢) وَفِيهِ الْكَذِبُ وَالْغِيْبَةُ فَتَأَكَّدَتْ حِرْمَتُهُ وَعَظُمَ إِثْمُهُ، وَهِيَ خَصْلَةٌ مُدْهِبَةٌ لِلْحَسَنَاتِ، ضَرَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهَا مَثَلًا أَكَلَ الْمَيْتَةَ فَقَالَ:

﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات: 12) وَكَذَلِكَ^(٤) فَارْكُوهَا غِيْبَتُهُ، وَإِنَّ الْأَعْتِيَابَ قَرْضٌ فِي الْعِرْضِ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ قَرْضِ اللَّحْمِ بِالْمِقْرَاضِ أَوْ مِثْلُهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ شَاعِرُ الْعَرَبِ:

«جُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ الْيَدِ»^(٣)

وَحَقَّقَ اللَّهُ^(٥) التَّشْبِيهَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ لِلْعَائِبِ بِالْمَيْتِ، لِأَنَّهُ غَابَ عَنْ ذِكْرِهِ كَمَا يَغِيْبُ الْمَيْتُ عَنْ ذِكْرِ كُلِّ أَحَدٍ، وَالْأَكْلُ

(١) ب: قصا، واستدرك الخطأ في الهامش.

(٢) عن: ساقطة من: ب.

(٣) ب: المستند.

(٤) ب: فكذلك.

(٥) اسم الجلالة غير مثبت في: ب.

(1) انظر الجرجاني: التعريفات: 87، وانظر الأحاديث الواردة في تحريم الغيبة صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة رقم: 2589.

(2) زاد المؤلف في السراج: 178/ب «... فهو بهتان، إلا أن يكون كافراً».

(3) هذا عجز بيت لامرئ القيس صدره: * ولو عن نثا غيِّره جاءني * وهو من قصيدة له مطلعها:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْأَثْمَدِ وَنَامَ الْحَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ

انظر ديوانه: 185 (ط: دار المعارف 1969 بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم).

إِذَايَّةٌ، وَبِهَا يَضْرِبُ مَمَكُ الرُّؤْيَا الْمَثَلَ لِلْمُغْتَابِ، أَمَا أَنَّهُ رَخَّصَ فِيهَا فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ:

مِنْهَا التَّظَلُّمُ عِنْدَ مَنْ تُرْجَى نُصْرَتُهُ، بِدَعْوَةٍ يَدْعُو لَكَ بِهَا، أَوْ بِقَضَاءٍ يَقْضِي لَكَ عَلَيْهِ، وَمِنْهَا عِنْدَ الْاسْتِفْتَاءِ كَقَوْلِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ ^(١) لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ ^(٢) رَجُلٌ مَسِيكٌ» ^(٣).

وَمِنْهَا تَحْذِيرُ الْمُغْتَرِّ بِهِ عَنْهُ ^(١) إِنْ أَرَادَ أَنْ يَصْحَبَهُ، أَوْ سَأَلَكَ عَنْهُ.

وَمِنْهَا اللَّقْبُ الْغَالِبُ عَلَيْهِ وَفِيهِ اخْتِلَافٌ.

وَأَمَّا الْمِرَاءُ ^(٤) فَهُوَ ^(٢) الْمُجَادَلَةُ فِيمَا تَعْلَمُ أَنَّهُ بَاطِلٌ، أَوْ عَلَى مَعْنَى الْبِدْعَةِ، فَإِنَّ الْمُبْتَدِعَ ^(٣) يُجَادِلُ فِي ^(٤) آيِ الْقُرْآنِ عَنْ اعْتِقَادٍ وَنِيَّةٍ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ

(١) في: ب: كلام غير واضح.

(٢) ب: فهي.

(٣) أ: المبتدعة.

(٤) أ: عن.

.....

(١) هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أسلمت عام الفتح بعد إسلام زوجها أبا سفيان بن حرب، توفيت رضي الله عنها في خلافة عمر بن الخطاب. ابن سعد: الطبقات: 170/8، ابن عبد البر: الاستيعاب: 424/4، ابن حجر: الإصابة: 425/4.

(٢) هو صخر بن حرب بن أمية رأس قريش وقائدهم يوم أحد ويوم الخندق، أسلم عام الفتح، وصلح إسلامه، وشهد حنيناً وقاتل الطائف، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة: 31. الفسوي: المعرفة والتاريخ: 167/3، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: 426/4، ابن عبد البر: الاستيعاب: 714/2.

(٣) هذا جزء من حديث صحيح رواه البخاري في المظالم والغصب: 101/3، ومسلم في الأقضية: 1339/4، وأبو داود في البيوع رقم: 3532، والنسائي في القضاء: 246/8.

(٤) عرفه الشريف الجرجاني بقوله: «المراء: طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير» التعريفات: 110، وقال المؤلف في سراج المريدين: 179/أ «المماراة: هي المنازعة في تصحيح الباطل وإبطال الحق».

بَاطِلٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِرَاءٌ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»⁽¹⁾ وَإِنَّمَا كَانَ كُفْرًا لِأَنَّهُ يَكْفِي أَنْ يَعْتَقِدَ هُوَ بِدَعْتِهِ فِي نَفْسِهِ، حَتَّى يَدَّعِي أَنَّ اللَّهَ أَرَادَهَا مَعَهُ، وَهَذِهِ جُرْأَةٌ عَلَى اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهَذَا مِمَّا لَا نَظِيرَ لَهُ، وَمَا وَجَدْنَاهُ لِغَيْرِنَا.

وَأَمَّا الْمِرَاحُ، فَهُوَ تَكَلُّمٌ بِمَا لَا يَعْنِي، وَتَرْكُهُ مِنْ⁽¹⁾ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»⁽²⁾.

وَقَدْ سَمِعْتُ الطَّرُطُوشِيَّ يَقُولُ: الْمَارِحُ جَاهِلٌ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُخْبِرًا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمُوسَى:

﴿ اتَّخَذْنَا هُزُوءًا؟ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (البقرة: 66).

قُلْتُ: وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي جَوَابِ الدِّينِ كَانَ جَهْلًا، وَإِذَا كَانَ فِي لَهُوِ الدُّنْيَا فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ حُكْمُهُ حُكْمُهُ، وَصِفَتُهُ صِفَتُهُ.

فَإِذَا طَهَّرْتَ قَلْبَكَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، وَلِسَانَكَ عَنْ هَذِهِ الْأَفَاتِ، فَقَدْ أُسِّسَتْ لِلْوِلَايَةِ رُكْنَيْنِ عَظِيمَيْنِ، وَبَقِيَتْ سَائِرُ الْأَعْمَالِ التَّكْلِيفِيَّةِ، فَحَافِظٌ مِنْهَا عَلَى رُكْنَيْنِ آخَرَيْنِ لِيَتَأَسَّسَ لَكَ بَيْتَ الْإِسْلَامِ:

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: دَعَائِمُ الدِّينِ الْخَمْسُ.

(1) أ: في.

(1) أخرجه أبو داود في السنة رقم: 4603، والحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر: 223/2 وصححه ووافقه الذهبي، وصححه شيخنا ناصر الدين الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: 61/1 كما أخرجه الإمام أحمد في المسند 286/2، والأجري في الشريعة: 67، والنسائي في فضائل القرآن: 120، وأبو نعيم في الحيلة: 98، 213، وفي أخبار أصبهان: 123/2، والخطيب في تاريخ بغداد: 136/11.

(2) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: 903/2 كتاب حسن الخلق، والترمذي في الزهد رقم: 3218.

الرُّكْنُ الثَّانِي: اجْتِنَابُ الْكَبَائِرِ.

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (النساء: 31)، وَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ عَلَى التَّحْقِيقِ إِلَّا اللَّهُ، خَبَأَهَا اللَّهُ بِلُطْفِهِ فِي الْمَنْهِيَّاتِ، كَمَا خَبَأَ سَاعَةَ الْجُمُعَةِ فِي السَّاعَاتِ، وَلَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي اللَّيَالِ.

وَقَدْ جَمَعَهَا بَعْضُ الْأَشْيَاخِ، وَنَظَمَهَا عَلَى الْجَوَارِحِ، وَبَلَّغَهَا سَبْعَ عَشْرَةَ⁽¹⁾⁽²⁾ كَبِيرَةً، فَيَا لَيْتَكُمْ تَرَكْتُمُوهَا، فَإِنَّكُمْ كُنتُمْ تَكُونُونَ لِعِزِّهَا أَتْرَكَ، وَكَانَتْ سَائِرُ الذُّنُوبِ تُكَفِّرُ عَنْكُمْ «بِالْصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتَنَبْتِ الْكَبَائِرُ»⁽²⁾، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الصَّلَوَاتِ تُكَفِّرُ مَا بَيْنَهُمَا مَا لَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً، فَإِنْ كَانَ مَعَهُ كَبِيرَةٌ فَهَلْ تُكَفِّرُ لَهُ الصَّغَائِرُ؟ أَمْ يَكُونُ وُجُودُ⁽³⁾ الْكَبَائِرِ قَاطِعاً بِهِ فِي تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ بِالصَّلَوَاتِ حَسَبَمَا يَقْتَضِيهِ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ، وَمَا فِيهِ مِنْ شَرْطِ الْيَقِينِ الْمُطْلَقِ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، هُوَ مَوْضِعٌ تَوْقُفٍ يَفْتَقِرُ إِلَى دَلِيلٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِهِ، فَوَجَدْنَا فِي ذَلِكَ آثَاراً كَثِيرَةً مِنْ غَيْرِ الْقُرْآنِ⁽³⁾ مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ»⁽³⁾... الْحَدِيثُ.

(١) أ: سبعة عشر.

(٢) ب: وجوب.

(٣) من غير القرآن: ساقطة من: ب.

(1) هو الشيخ «أبو طالب المكي» في كتابه «قوت القلوب»: 148/2 حيث قال: «... والذي عندي في جملة ذلك مجتمعاً من المتفرق سبع عشرة...».

(2) أخرجه - مع اختلاف في الألفاظ - مسلم في الطهارة رقم: 233 والترمذي في الصلاة رقم: 214.

(3) لم أعر على نص الحديث كما هو عند ابن العربي وإنما وقفت على عدة أحاديث تؤكد هذا المعنى منها ما رواه الإمام مسلم في الطهارة رقم: 244: «عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إذا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ (أو الْمُؤْمِنُ) فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء (أو مع =

وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: فَضَّلُ صَلَاةَ الْجَمْعِ عَلَى صَلَاةِ الْفَذِّ إِلَيَّ أَنْ قَالَ: ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَا يَخْطُو خَطْوَةً إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً وَمَحَا عَنْهُ سَيِّئَةً، وَرَفَعَ لَهُ دَرَجَةً»⁽¹⁾.

= آخر قَطَرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلِّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ (أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ) فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ (أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ) حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ قلت: انظر الهيثمي في مجمع الزوائد: 221/1 - 225، والمنذري في الترغيب والترهيب: 95/1.

(1) نحوه في البخاري: 158/1 - 159 في الأذان، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة رقم: 649.

تَعْدِيدُ الْكِبَائِرِ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَخْبَارِ وَقِسْمَتُهَا عَلَى الْجَوَارِحِ قَصْدُ الضَّبْطِ وَالْإِخْتِصَارِ (1)

أَرْبَعَةٌ فِي الْقَلْبِ:

الشُّرْكُ، الإِصْرَارُ، الْقُنُوطُ، الْأَمْنُ مِنَ الْمَكْرِ.

أَرْبَعَةٌ فِي اللِّسَانِ:

شَهَادَةُ الزُّورِ، الْقَذْفُ، الْيَمِينُ الْغَمُوسُ، السَّحَرُ (2)، وَعِنْدَ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ
أَنَّ السَّحَرَ كُفْرٌ (3)، فَيَدْخُلُ فِي قِسْمِ الشُّرْكِ، وَتَعَوُّضُ عَنْهُ النَّمِيمَةُ.

وَثَلَاثٌ فِي الْبَطْنِ:

شُرْبُ الْخَمْرِ، أَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، أَكْلُ الرِّبَا.

(1) انظر تعداد هذه الكبائر عند أبي طالب المكي في قوت القلوب: 148/2، وقد نقلها عنه ابن قيم الجوزية في الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: 148.

(2) يقول الشيخ أبو طالب المكي: «والسحر وهو ما كان من كلام أو فعل يقلب الأعيان أو يغير الإنسان، وينقل المعاني عن موضوعات خلقها، والسحرة هم النفثات في العقد الذين أمر الله - تعالى - بالاستعاذة منهم». قوت القلوب: 148/2، وقد عرف ابن العربي السحر فقال: «هو كلام مؤلف يعظم فيه غير الله - تعالى - وتنسب إليه فيه المقادير والكائنات» أحكام القرآن: 31/1. للتوسع انظر: أحكام القرآن للجصاص: 62/1، مفاتيح الغيب للرازي: 215/3، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 49/2، فتح الباري لابن حجر: 224/10، الخرشني على سيدي خليل: 63/8. وانظر كتاب السحر بين الحقيقة والخيال للدكتور أحمد بن ناصر (ط: مكتبة التراث بمكة: 1408).

(3) انظر الباجي: المتقى شرح الموطأ: 116/7.

وَإِثْنَانِ^(١) فِي الْفَرْجِ :
الرِّزَا وَاللُّوَاطِ .

وَإِثْنَانِ^(١) فِي الْيَدَيْنِ وَهُمَا :
الْقَتْلُ وَالسَّرْقَةُ .

وَاحِدَةٌ^(٢) فِي الرَّجْلَيْنِ وَهِيَ^(٣) :
الْفِرَارُ عِنْدَ الرَّخْفِ .

وَوَاحِدَةٌ فِي جَمِيعِ الْبَدَنِ وَهِيَ :
عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ^(٤) .

وَبَحْصَرِهَا مِنْ وَجْهِ آخَرَ أَنْ تَجْتَنِبَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعِبَادِ ، فَإِنَّهُ عَظِيمٌ لَا جَبْرَ لَهُ ، وَأَمَّا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَخَفُّ . وَأَكْثَرُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ بِتَدْبِيرٍ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قِتْلَاوَةً مُجَرَّدَةً ، فَإِنَّ مَثَلَ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ كَالَّذِي جَاءَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْحُكَمَاءِ ، وَهُوَ بَدِيعٌ فِي الْأَمْثَالِ ، قَالُوا :

لَوْ أَنَّ مَلِكًا أَرْسَلَ إِلَى عُمَالِهِ كِتَابًا يَأْمُرُهُمْ فِيهِ بِتَحْصِينِ الْبَيْضَةِ وَسَدِّ الثُّغُورِ ، وَالْعَدْلِ فِي الرِّعْيَةِ ، وَالْإِنْصَافِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَإِصْصَالِ الْحُقُوقِ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَسَائِرِ ذَلِكَ مِنْ وَظَائِفِ الْإِمَارَةِ^(٥) ، فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُهُ إِلَى عُمَالِهِ ، كَانَ مِنْهُمْ مَنْ تَلَقَّاهُ بِالْمَبَرَّةِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَقَرَأَهُ عَلَى غَايَةِ التَّفْهِيمِ ، وَجَعَلَ يَمَثِّلُ مَا أَمَرَهُ بِهِ ، وَيُقِيمُ حُدُودَ مَا

(١) ب : اثنان .

(٢) أ : وواحد .

(٣) أ : وهو .

(٤) هذه الجملة ساقطة من : أ .

(٥) أ : الإيمان .

وُظِفَ^(١) عَلَيْهِ، وَكَانَ مِنَ الْعُمَّالِ مَنْ تَلَقَّاهُ بِالْبِرِّ وَالتَّعْظِيمِ، وَجَعَلَهُ نُصَبَ عَيْنِيهِ فِي مَطَالَعَتِهِ وَالْوُقُوفِ عَلَيْهِ، وَأَعْرَضَ عَنْ امْتِثَالِ مَا فِيهِ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مَعَ الْمَلِكِ، فَتَخِيلَ حَالِ الرَّجُلَيْنِ، وَتَحَقَّقَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمُنَزِّلَتَيْنِ.

وَالزَّمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْأَلْفَاظِ الصَّحِيحَةِ ذِكْرَ اللَّهِ - تَعَالَى - وَالِدُعَاءِ إِلَيْهِ بِالْأَدْعِيَةِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَصَحَّ، وَإِلَى التَّضَرُّعِ إِلَيْهِ بِمَا لَمْ يَثْبُتْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَنْ صَرْفِ الْعَبْدِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ - تَعَالَى -، أَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يَشْغَلُهُ بِالْأَذْكَارِ وَالْأَدْعِيَةِ الَّتِي لَمْ^(٢) تَصِحَّ، فَيَرْبِجُ مَعَهُ الْعُدُولُ عَنْ صَحِيحِ الْحَدِيثِ إِلَى سَقِيمِهِ، فَرَبَّمَا اعْتَقَدَ فِي حَدِيثٍ أَنَّهُ صَحِيحٌ، وَفِي ذِكْرِ وَدُعَاءٍ أَنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ بَاطِلٌ^(١)، فَيَدْخُلُ تَحْتَ وَعِيدِ النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ قَالَ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ»^(٢).

فَإِذَا التَزَمْتَ هَذَا كُلَّهُ - وَهُوَ يَسِيرٌ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَتَيْسِيرِهِ - فَتَحَ اللَّهُ لَكَ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ، وَجَرَتْ عَلَى لِسَانِكَ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ، وَقَرَّبَ لَكَ امْتِثَالَ مَا بَقِيَ عَلَيْكَ مِنَ الْمَأْمُورَاتِ، وَبَسَّرَ عَلَيْكَ اجْتِنَابَ سَائِرِ^(٣) الْمَنْهِيَّاتِ، وَدُعِيتَ عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ - يَجْعَلُنَا مِمَّنْ طَلَبَ^(٤) الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، وَدَابَّ

(١) ب: أو يلف.

(٢) أ: لا.

(٣) «ويسر عليك اجتناب سائر» مطموسة في نسخة: ب.

(٤) ب: يحب.

(1) يكرر المؤلف هذه الوصية النفيسة في كتابه السراج فيقول: «فالزموا ألزمكم الله تحقيقه، ويسر لكم توفيقه، ما ألزمكم الشرع، وانهجوا السبيل التي شرع لكم، وخذوا من الذكر والدعاء الصحيح، وأعرضوا عما سواه، فالعمر أنفس من أن تفقوه سدى في غير ما صح من وحي وقرآن» 90/ب، وانظر باب الذكر في «القبس شرح موطأ مالك بن أنس»: 95، وباب الدعاء: 96 (مخطوط الخزانة العامة 25 ج).

(2) أخرجه مسلم في المقدمة: 9/1 باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين.

عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَاحْتَرَمَهُ، وَالْقَاهُ إِلَى سِوَاهُ وَأَفْهَمَهُ، فَ«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(١).

وَيُقَرَّبُنَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ رِضْوَانِهِ^(١) وَيُبَيِّتُنَا الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى مِنْ جَنَانِهِ، بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

كَمُلَ كِتَابُ «قَانُونِ التَّأْوِيلِ» لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢).

(١) أ: مرضاته.

(٢) من قول ناسخ: ب.

(*) هذا آخر ما جرى به القلم في دراسة وتحقيق «قانون التأويل» وتعليق ما رأيت تعليقه عليه من الحواشي والتعريفات، ولا أدعي أنني بلغت فيما قمت به نحو هذا الكتاب الممتع أقصى ما كنت أرجوه له من تحرير عباراته وتوضيح إشاراتهِ وإبانة أغراضه؛ فهذا مطلب بعيد المنال، غير أنني على كل حال قد بذلت غاية جهدي على الوجه الذي يسره الله وأعان عليه، والحمد لله رب العالمين.

قاله محقق الكتاب

الفقيه إلى الله تعالى

محمد بن الحسين السُّلَيْمَانِي الحُمُودِي

الإدريسي الحُسَيْنِي

غفر الله له ولوالديه.

.....
(1) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في فضائل القرآن: 108/6 عن عثمان بن عفان.

الفهارس الفنية^(١)

- 1 - فهرس الآيات القرآنية .
- 2 - فهرس الأحاديث والآثار .
- 3 - فهرس الأعلام .
- 4 - فهرس القبائل والفرق والطوائف والجماعات .
- 5 - فهرس الأماكن والبلدان .
- 6 - فهرس الكتب المذكورة في المتن .
- 7 - فهرس بعض المصطلحات الكلامية .
- 8 - فهرس المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق .
- 9 - فهرس المقدمة وأبواب الكتاب .

(١) رتب الفهارس ترتيب الألفبائية المغربية وهي : أ - ب - ت - ث - ج - ح - خ - د - ذ - ر - ز - ط - ظ - ك - ل - م - ن - ص - ض - ع - غ - ف - ق - س - ش - ه - و - ي .

1 - فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يوم الدين ﴾	3	232
﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾	4	232
﴿ اهدنا ﴾	5	232

سورة البقرة

﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً... الآية ﴾	16	263
﴿ يضل به كثيراً، ويهدي به كثيراً... الآية ﴾	25	226
﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾	29	197
﴿ اتخذنا هزواً... الآية ﴾	66	387
﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى ﴾	77	222
﴿ فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف ﴾	77	193
﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾	100	101
﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ﴾	120	341
﴿ وإلهكم إله واحد، لا إله إلا هو... الآية ﴾	162	297 ، 230 ، 299
		298 ، 299
		300
﴿ كما كتب على الذين من قبلكم... الآية ﴾	182 ، 183	374
﴿ ولتكمّلوا العدة، ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾	184	374

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة ﴾	229	221
﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾	243	270
﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾	253	235 ، 124
﴿ يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾	268	367 ، 152
﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾	281	256 ، 244
﴿ وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ﴾	282	257
﴿ ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾	285	370

سورة آل عمران

﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾	2 - 1	307
﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب، منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهاً ﴾	7	221 ، 232 ، 372
﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ﴾	30	360
﴿ ومن دخله كان آمناً ﴾	97	99
﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . . . الآية ﴾	144	154
﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلاً ﴾	191	300

سورة النساء

﴿ ذلك أدنى ألا تعولوا ﴾	3	
﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾	31	388
﴿ فلا وربك لا يؤمنون ﴾	64	164

سورة المائدة

﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ﴾	51	231
﴿ ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾	97	194
﴿ فجزاء مثل ﴾	97	194

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الأنعام		
﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ... ﴾ الآية ﴿ 18 ﴾	18	198 ، 199
﴿ لَسْرِعِ الْعِقَابِ ﴾	165	200 ، 203
سورة الأعراف		
﴿ أَلَمْصَ ﴾	1	205
﴿ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقِّ ﴾	7	213
﴿ لَسْرِعِ الْعِقَابِ ﴾	167	258 - 259
﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا... ﴾	175	205
سورة التوبة		
﴿ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾	5	286
﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾	28	101
سورة يونس		
﴿ إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	24	225
﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾	53	282
﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	64	164
﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ... ﴾ الآية ﴿ 107 ﴾	107	161
سورة هود		
﴿ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ ﴾	1	200 - 198
﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ ﴾	112	201 - 203
سورة الرعد		
﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا... ﴾ الآية ﴿ 19 ﴾	19	277 - 278
﴿ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ ﴾	19	281
سورة إبراهيم		
﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً... ﴾ الآية ﴿ 26 ﴾	26	269

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الحجر		
﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾	72	163
﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾	85	
سورة النمل		
﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ... الآية ﴾	74	291
﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ... الآية ﴾	78	121 - 122 369
سورة الإسراء		
﴿ إن عبادي ﴾	65	298
﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾	71	364
﴿ ويسألونك عن الروح ... الآية ﴾	75	172
سورة الكهف		
﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ... الآية ﴾	109	183
سورة مريم		
﴿ كهيعص ﴾	1	213 - 215
﴿ إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾	17	169
﴿ وهزي إليك بجذع النخلة ﴾	24	332
سورة طه		
﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾	4	375 ، 377
سورة الأنبياء		
﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ﴾	22	178
﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾	23	292
﴿ مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾	82	202

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الحج		
﴿وطهر بيتي للطائفين﴾	24	224 ، 226
سورة المؤمنون		
﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾	12	121 ، 122
﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾	14	122
﴿فذرهم في غمرتهم حتى حين﴾	55	344
﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾	91	178 ، 304
﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾	116	188 ، 231
سورة النور		
﴿الله نور السموات والأرض... الآية﴾	35	142 ، 146
﴿أو كظلمات في بحر لجي... الآية﴾	39	143
سورة الشعراء		
﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾	80	202
﴿فكذبوا فيها هم والغاوون... الآيات﴾	94 - 99	127
سورة القصص		
﴿وأوحينا إلى أم موسى... الآية﴾	6	373
سورة العنكبوت		
﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾	43	261
سورة لقمان		
﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده... الآية﴾	26	183
سورة الأحزاب		
﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك﴾	50	308 ، 309
﴿ترجيء من تشاء منهم﴾	51	315
سورة فاطر		
﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾	28	254

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الصافات		
﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾	96	128
﴿ إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴾	99	78
سورة ص		
﴿ ص والقرآن ذي الذكر ﴾	1	209
﴿ مسني الشيطان بنصب وعذاب ﴾	40	202
﴿ إني خالق بشراً من طين ﴾	70	171
﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾	71	172
سورة الزمر		
﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾	3	381
﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ﴾	22	372
﴿ ورجلاً مسلماً ﴾	28	270
﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ﴾	28	269
﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾	29	265
﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر . . . الآية ﴾	36	203
﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾	39	136
سورة غافر		
﴿ هو الحي ﴾	65	124
سورة فصلت		
﴿ حم تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾	1	209
﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾	10	377
﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾	35	161 - 160
		343
﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق . . . الآية ﴾	52	171

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الشورى		
﴿ حم، عسق ﴾	1	213، 215
﴿ ليس كمثله شيء ﴾	9	275 - 142
﴿ الله لطيف بعباده ﴾	17	273
سورة الزخرف		
﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾	31	283، 219
سورة الدخان		
﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾	36	231
سورة الفتح		
﴿ يد الله ﴾	10	272
سورة الحجرات		
﴿ أوجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴾	12	385
سورة ق		
﴿ ق والقرآن المجيد ﴾	1	215
سورة الذاريات		
﴿ وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾	20 - 21	171، 121
﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق ﴾	23	164
﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾	55	231
﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾	56	300، 231
سورة النجم		
﴿ وإن إلى ربك المنتهى ﴾	41	122
سورة القمر		
﴿ إن المجرمين في ضلال وسعر... الآيات ﴾	47 - 49	128

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الحديد		
﴿ فطال عليهم الأمد فقصت قلوبهم ﴾	10	334
سورة الحشر		
﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾	19	170
سورة التغابن		
﴿ قل بلى وربي لتبعثن ﴾	7	164
سورة الطلاق		
﴿ الله الذي خلق سبع سموات . . . الآية ﴾	12	231
سورة الملك		
﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾	1	123
﴿ ألا يعلم من خلق ﴾	14	125
﴿ أفرمن يمشي مكباً على وجهه أهدى، أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم ﴾	22	239
سورة القلم		
﴿ ن والقلم ﴾	1	215
﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾	44	255
سورة المعارج		
﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب ﴾	39	165 ، 164
سورة الجن		
﴿ وأن المساجد لله ﴾	18	225
سورة القيامة		
﴿ وأقسم بالنفس اللوامة ﴾	2	160 ، 156
سورة البروج		
﴿ فعال لما يريد ﴾	16	124

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البلد		
﴿ وهديناه النجدين ﴾	10	151
سورة الشمس		
﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾	7 - 8	150
سورة التين		
﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . . . الآيات ﴾	4 - 5	241
سورة البينة		
﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾	5	381
سورة التكاثر		
﴿ ألهاكم التكاثر ﴾	1	330
﴿ علم اليقين لترون الجحيم ﴾	6	336
﴿ لترونها عين اليقين ﴾	7	337
﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾	8	337
سورة الإخلاص		
﴿ قل هو الله أحد ﴾	1	231 ، 233

* * *

2 - فهرس الأحاديث والآثار

- أ -

الصفحة	الحديث
344	«أبقيت لنفسي الله ورسوله...»
136	«أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك...»
370	«إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم...»
166	«إذا أصبح ابن آدم كفرت أعضاؤه اللسان...»
388	«إذا توضأ العبد المؤمن خرجت خطاياہ...»
331	«اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهنم...»
336	«أما هو فقد جاءه اليقين...»
344	«إن كان قالها فقد صدق، وأنا أصدقه فيما هو أعظم...»
191 ، 70	«أنزل القرآن على سبعة أحرف...»
386	«إن أبا سفيان رجل مسيك...»
161	«إنا نجد في أنفسنا شيئاً لأن نخر من السماء...»
167	«إن الإنسان عيناه هاد، وأذناه قمع...»
252	«إن أقل أهل الجنة منزلة يؤتى مثل الدنيا وعشر أمثالها...»
284	«إن الدنيا خضرة حلوة...»
189	«إن لكل حرف من حروف القرآن حدّاً ومطلعاً...»
381	«إن الله أمرني بخمس كلمات...»
259	«إن الله لا يمل حتى تملوا...»
340	«إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم...»

- 289 «إنما هي أوساخ الناس...»
- 130 «إن المرأة خلقت من ضلع...»
- 267 «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها...»
- 271 «إن الصدقة لتقع في كف الرحمن قبل أن تقع في كف السائل...»
- 354 «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم...»
- 259 «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق...»
- «إن هذه الآية وقوله الله لا إله إلا هو الحي القيوم هو اسم الله الأعظم...»
- 307 «إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله...»
- 343، 258 «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قلبي: لا إله إلا الله...»
- 234 «أفلح وأبيه إن صدق، دخل الجنة إن صدق...»
- 164 «أقام بن عمر على سورة البقرة ثمانين سنين...»
- 341 «أو قد وجدتموه، قالوا: نعم، قال: ذلك صريح الإيمان...»
- 161 «أول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل استشهد...»
- 382 «آية الكرسي سيدة أي القرآن...»
- 240 «أي آية في كتاب الله أعظم...»
- 235 «أيها الناس، والله ما أخشى عليكم إلا ما يخرج الله من زهرة الدنيا...»
- 287، 284، 288

- ب -

- 154 «بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً...»
- 170 «بلغ من الخصومة بين الخلق يوم القيامة إلى الروح والجسد...»

- ت -

- 244 «تعرض على القلب كالحصير عوداً عوداً...»

- ث -

- 110 «الثيب يعرب عنها لسانها...»

- ح -

272 «حتى يضع الجبار فيها قدمه أو رجله...»

- خ -

393 «خيركم من تعلم القرآن وعلمه...»

- ر -

140 «رأيت أمتي...»

140 «رأيت أصحابي...»

140 «رأيت الدار الأخرى...»

140 «رأيت الدنيا...»

140 «رأيت ربي...»

140 «رأيت نفسي...»

- ك -

174 «كل ابن آدم يفنى تآكله الأرض إلا عجب الذنب...»

315 «كنت أغار على اللائي وهبن أنفسهن...»

104 «كنت لك كأبي زرع لأم زرع...»

- ل -

232 «لأعلمنك سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها...»

331 «لا حسد إلا في اثنتين...»

155 «لا نورث...»

145 «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين...»

145 «لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه...»

145 «لا يزني الزاني وهو مؤمن...»

239 «لجهم سبعة أبواب، باب منها لمن سلّ السيف على أمتي...»

224 «لكل حرف ظاهر وباطن وحدّ ومطلع...»

367 «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل...»

- 313 «لم تكن عند النبي ﷺ امرأة موهوبة...»
- 283 «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير...»
- 240 «ليس منا من لم يتغن بالقرآن...»
- م -
- 363 «ما دخلت قط دار قوم إلا وأدخلت الذل...»
- 155 «ما دفن قط نبي إلا حيث مات...»
- 387 «مرء في القرآن كفر...»
- 226 «من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه...»
- 392 «من حدث عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين...»
- 387 «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه...»
- 165 «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت...»
- 132 «من عرف نفسه عرف ربه... الأثر...»
- ن -
- 262 «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا...»
- 182 «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها...»
- ص -
- 388 «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن...»
- ع -
- 271 ، 270 «عبدني مرضت فلم تعدني...»
- 370 ، 259 «عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا...»
- ف -
- 237 «فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة...»
- 355 «فلو أخذته لأكلتم ما بقيت الدنيا...»
- 389 «فضل صلاة الجمع على صلاة الفذ...»
- ق -
- 252 «قاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها...»

- 272 «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن...»
 168 «القلب ملك وله جنود، فإذا أصلح الله الملك صلحت جنوده...»
 325 «قم يا غلام فزوج أمك...»
 233 «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي...»
 233 «قول النبي ﷺ في الذي سمعه يقرأ سورة الإخلاص: وجبت...»

- ش -

- 157 «شيتني هود...»

- ه -

- 160 «هذا جمدان، سيروا سبق المفردون...»
 218 «هذا كتاب من ربي فيه أسماء أهل الجنة...»
 313 «هل عندك شيء تصدقها إياه...»

- و -

- 233 «وجبت...»
 155 «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة...»
 155 «والله لو لعبت الكلاب بخلخل نساء أهل المدينة...»
 271 «وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...»

- ي -

- 163 «يا أبا عمير ما فعل النغير...»
 222 «يأتي على الناس زمان يحفظون فيه حروف القرآن ويضيعون حدوده...»
 82 «يا بابوس من أبوك...»
 273 «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا...»
 240 «يس قلب القرآن...»

3 - فهرس الأعلام

إبراهيم بن محمد الإسفراييني : 125 ، 127 ، 335 .	محمد رسول الله ﷺ : 70 ، 96 ، 104 ، 117 ، 118 ، 130 ، 140 ، 145 ، 153 ، 154 ، 155 ، 157 ، 160 ، 161 ، 163 ، 164 ، 165 ، 166 ، 170 ، 174 ، 180 ، 182 ، 188 ، 208 ، 209 ، 214 ، 218 ، 219 ، 224 ، 232 ، 233 ، 234 ، 235 ، 237 ، 239 ، 244 ، 252 ، 258 ، 259 ، 267 ، 270 ، 271 ، 272 ، 283 ، 284 ، 287 ، 288 ، 299 ، 290 ، 291 ، 308 ، 309 ، 310 ، 313 ، 314 ، 315 ، 316 ، 317 ، 318 ، 319 ، 320 ، 321 ، 324 ، 325 ، 326 ، 327 ، 328 ، 329 ، 331 ، 335 ، 336 ، 337 ، 340 ، 343 ، 344 ، 347 ، 348 ، 354 ، 355 ، 362 ، 364 ، 366 ، 367 ، 370 ، 382 ، 386 ، 387 ، 388 ، 392 ، 389 .
أبو بكر الباقلاني ، انظر : محمد بن الطيب .	
أبو بكر بن السراج ، انظر : محمد بن السري .	
أبو بكر بن العربي ، انظر : محمد بن عبدالله .	
أبو بكر بكر البغدادى ، انظر : أحمد بن علي .	
أبو بكر بن فورك ، انظر : محمد بن أبي القاسم .	
أبو بكر الليدي ، انظر : محمد بن أبي القاسم .	
أبو بكر النجيب بن الأسعد : 291 .	(أ)
أبو بكر النقاش ، انظر : محمد بن الحسن .	آدم (عليه السلام) : 130 ، 159 ، 171 ، 219 ، 354 ، 364 ، 336 .
أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) : 153 ، 154 ، 155 ، 343 .	إبراهيم الخليل (عليه السلام) : 97 ، 202 ، 224 ، 364 .
أبو بكر الفهري ، انظر : محمد بن الوليد .	

أبو بكر الشاسي، انظر: محمد بن أحمد.
أبو تمام الطائي، انظر: حبيب بن أوس.

أبو جعفر الطبري، انظر: محمد بن جرير.

أبو جعفر النحاس، انظر: أحمد بن محمد.
أبو جعفر السمناني، انظر: أحمد بن محمد.

أبو جهم، انظر: عبيد بن حذيفة.
أبو حامد الغزالي، انظر: محمد بن محمد.

أبو حامد الشروطي، انظر: أحمد بن الحسن.
أبو حنيفة، انظر: النعمان بن ثابت.

أبو الحسن الأسدي، انظر: المبارك بن سعيد.
أبو الحسن الأشعري، انظر: محمد بن إسماعيل.

أبو الحسن بن الحداد، انظر: علي بن محمد.
أبو الحسن البغدادي، انظر: المبارك بن سعيد.

أبو الحسن التهامي، انظر: علي بن محمد.
أبو الحسن الرماني، انظر: علي بن عيسى.

أبو الحسن اللخمي، انظر: يحيى بن المقرج.
أبو الحسن المازني، انظر: النضر بن شميل.

أبو عامر العبدي، انظر: محمد بن سعدون.
أبو عاصم النبيل، انظر: الضحاك بن مخلد.

أبو داود السجستاني، انظر: سليمان بن الأشعث.
أبو زرعة: 104.

أبو الطيب المتنبّي، انظر: أحمد بن الحسين.
أبو محمد بن العربي، انظر: عبد الله بن محمد.

أبو محمد البسكري، انظر: عبد العزيز البسكري.

أبو محمد التميمي، انظر: الحارث بن أبي أسامة.
أبو المطرف الشعبي، انظر: عبد الرحمن بن قاسم.

أبو المظفر الإسفراييني، انظر: طاهر بن محمد.
أبو المنذر، انظر: أبي بن كعب.

أبو منصور بن جهير، انظر: محمد بن محمد.
أبو منصور التركي، انظر: ساتكين بن أرسلان.

أبو المعالي الجويني، انظر: عبد الملك بن عبد الله.
أبو منصور البغدادي، انظر: المبارك بن سعيد.

أبو منصور التهامي، انظر: علي بن محمد.
أبو الحسن الرماني، انظر: علي بن عيسى.

أبو جعفر الطبري، انظر: محمد بن جرير.

أبو جعفر النحاس، انظر: أحمد بن محمد.

أبو جعفر السمناني، انظر: أحمد بن محمد.

أبو جهم، انظر: عبيد بن حذيفة.

أبو حامد الغزالي، انظر: محمد بن محمد.

أبو حامد الشروطي، انظر: أحمد بن الحسن.

أبو حنيفة، انظر: النعمان بن ثابت.

أبو الحسن الأسدي، انظر: المبارك بن سعيد.

أبو الحسن الأشعري، انظر: محمد بن إسماعيل.

أبو الحسن بن الحداد، انظر: علي بن محمد.

أبو الحسن البغدادي، انظر: المبارك بن سعيد.

أبو الحسن التهامي، انظر: علي بن محمد.

أبو الحسن الرماني، انظر: علي بن عيسى.

أبو الحسن اللخمي، انظر: يحيى بن المقرج.

أبو الحسن المازني، انظر: النضر بن شميل.

أبو عامر العبدي، انظر: محمد بن سعدون.

أبو عاصم النبيل، انظر: الضحاك بن مخلد.

أبو داود السجستاني، انظر: سليمان بن الأشعث.

أبو سعيد الزنجاني، انظر: محمد بن طاهر المقدسي.

أبو سفيان، انظر: صخر بن حرب.
أبو هريرة، انظر: عبد الرحمن بن صخر.
أبو الوليد الباجي، انظر: سليمان بن خلف.
ابن أبي الرجاء الأصفهاني، انظر: سعيد بن محمد.

أبي بن كعب: 232، 235.

أحمد بن الحسن الأزهري: 291.
أحمد بن الحسين «أبو الطيب المتنبى»: 72، 87.

أحمد بن محمد الثعالبي: 118.
أحمد بن محمد النحاس: 71.
أحمد بن محمد السمانى: 76.
أحمد بن المقتدي بأمر الله: 115، 116.
أحمد بن علي «الخطيب البغدادي»: 104، 106.

أحمد بن يحيى «ثعلب»: 73.
الأزدية، انظر أم شريك (رضي الله عنها).
الأزهري، انظر: أحمد بن الحسن.
إمام الحرمين، انظر: عبد الملك بن عبد الله.

أم زرع: 104، 105، 106.
أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (رضي الله عنها): 312.

أم المساكين، انظر: زينب بنت خزيمة.
أم سلمة، انظر: هند بنت أبي أمية.
أم شريك الأزدية، وقيل: العامرية (رضي الله عنها): 311.

أبو عبد الرحمن السلمي، انظر: محمد بن الحسين.

أبو عبد الله بن بكّار، انظر: الزبير بن بكّار.
أبو عبد الله الطبري، انظر: الحسين بن علي.
أبو عبد الله الكلاعي، انظر: محمد بن عمار.

أبو عبد الله بن أبي العلاء، انظر: محمد بن أبي العلاء.

أبو عبد الله العثماني، انظر: محمد بن قاسم.

أبو علي الروزني: 97، 98.

أبو علي المهدوي، انظر: حسان البربري.
أبو علي الصاغاني: 97، 98، 100، 102.
أبو علي الفارسي، انظر: الحسين بن أحمد.
أبو عمرو الأوزاعي، انظر: عبد الرحمن الأوزاعي.

أبو عمير: 163.

أبو الفتح بن جني: انظر: عثمان بن جني.
أبو الفتح المقدسي، انظر: نصر بن إبراهيم.
أبو الفضائل بن طوق، انظر: محمد بن أحمد.

أبو القاسم الطوسي، انظر: إسماعيل بن عبد الملك.

أبو القاسم القشيري، انظر: عبد الكريم بن هوازن.

أبو القاسم السيوري، انظر: عبد الخالق بن عبد الوارث.

أبو سعد الحُلوانى، انظر: يحيى بن علي.

الثعالبي أو الثعلبي ، انظر: أحمد بن محمد .
ثعلب ، انظر: أحمد بن يحيى .
ثعلبة بن حاطب : 284 .

(ج)

جبريل (عليه السلام) : 137 ، 218 ، 258 ، 355 .

جريح الراهب : 81 .

ابن جني ، انظر: عثمان بن يحيى .
جعفر بن أبي طالب : 310 .
الجُعفي ، انظر: أحمد بن الحسين .
ابن جهير ، انظر: محمد بن محمد .
الجويني ، انظر: عبد الملك بن عبد الله .

(ح)

الحارث بن أبي أسامة : 105 ، 106 .
الحاكمي ، انظر: إسماعيل بن عبد الملك .
ابن حبيب ، انظر: محمد بن حبيب .
حبيب بن أوس الطائي : 72 .
ابن الحداد ، انظر: علي بن محمد .
الحُلواني ، انظر: يحيى بن علي .
حسان البربري : 84 .

الحسن بن أبي الحسن البصري : 317 .
الحسن بن أحمد الفارسي : 71 ، 192 .
الحسين بن علي الطبري : 108 .
حواء (عليها السلام) : 130 .

(خ)

الخليل بن أحمد الفراهيدي : 72 ، 114 ، 195 .

أم هانئ بنت أبي طالب : 310 .
أمير قبيلة بني كعب : 85 ، 86 ، 87 ، 88 .
الأصمعي ، انظر: عبد الملك بن قريب .
أقليدس : 73 .

أسامة بن زيد : 155 .

الأسباط (عليه السلام) : 91 ، 93 .
إسماعيل بن عبد الملك الطوسي : 114 ، 185 .

الإسفراييني ، انظر: إبراهيم بن محمد .
الأشعري ، انظر: محمد بن إسماعيل .
الأوزاعي ، انظر: عبد الرحمن الأوزاعي .
أيوب (عليه السلام) : 364 .

(ب)

بابوس : 82 .
الباجي ، انظر: سليمان بن خلف .
الباقلاني ، انظر: محمد بن الطيب .
ابن بكار ، انظر: الزبير بن بكار .
البسكري ، انظر: عبد العزيز البسكري .

(ت)

الترمذي ، انظر: محمد بن عيسى .
التمار ، انظر: محمد بن بكر .
التنوخي ، انظر: علي بن عبد الرحمن .
التستري (الحبر اليهودي) لعنة الله عليه : 95 ، 96 .

التهامي ، انظر: علي بن محمد .

(ث)

الثُمالي ، انظر: محمد بن يزيد .

زينب بنت خزيمة (أم المساكين): 312.

(ط)

الطائي، انظر: حبيب بن أوس.
طاهر بن محمد الإسفراييني: 335، 377،
378.

الطبري، انظر: محمد بن جرير.
الطرطوشي، انظر: محمد بن الوليد.
الطوسي، انظر: إسماعيل بن عبد الملك.
ابن طوق، انظر: محمد بن أحمد.
ابن الطيوري، انظر: المبارك بن عبد
الجبار.

(ك)

الكلاعي، انظر: محمد بن عمار.
كعب بن ماتع الحميري: 167.

- ل -

الليدي، انظر: محمد بن أبي القاسم.
لسان الأمة، انظر: محمد الطيب.

(م)

مارية القبطية: 309.
مالك بن أنس: 313، 364، 376.
الماوردي، انظر: علي بن محمد.
ابن المبارك، انظر: عبدالله بن المبارك.
المبارك بن عبد الجبار الصيرفي: 105.
المبارك بن سعيد البغدادي: 115.
المبرد، انظر: محمد بن يزيد.
المتنبي، انظر: أحمد بن الحسين.

الخليل عليه السلام، انظر: إبراهيم.

الخليفة المستظهر بالله العباسي، انظر:
أحمد بن المقتدي بالله.

الخطيب البغدادي، انظر: أحمد بن علي.
الخضر (عليه السلام): 340.

ابن الخشاب، انظر: المبارك بن سعيد.
خولة بنت حكيم السلمية (رضي الله عنها):
312.

(د)

دانشمند، انظر: محمد بن محمد الغزالي.
ابن داسة، انظر: محمد بن بكر.
دحية بن خليفة الكلبي: 138.
الدريود، انظر: عبدالله بن سليمان.

(ر)

الرماني، انظر: علي بن عيسى.
ابن الرومي، انظر: علي بن العباس.
ريحانة بنت شمعون اليهودية: 309.
الريحاني (من علماء خراسان): 97، 100،
101.

(ز)

الزبير بن بكار: 105.
زكريا (عليه السلام): 93.
الزنجاني، انظر: محمد بن طاهر.
الزهري، انظر: محمد بن مسلم.
الزوزني، انظر: أبو علي الزوزني.
زيد بن ثابت: 214، 215.
زيد بن حارثة: 322.

مجاهد بن جبر المكي : 313، 358.
مُجَلِّي بن جُمَيْع المخزومي : 91، 97، 98،
108.

محمد بن أبي العلاء : 106.
محمد بن أبي القاسم الليدي : 84.
محمد بن أحمد بن طوق : 234، 241.
محمد بن أحمد الشاشي : 111.
محمد بن إدريس الشافعي : 326، 364.
محمد بن بكر التمار : 82.

محمد بن جرير الطبري : 119.
محمد بن حبيب : 83.
محمد بن الحسن بن فورك : 119، 206،
234.

محمد بن الحسن النقاش : 119.
محمد بن طاهر المقدسي : 97، 185، 335،
377.

محمد بن الطبيب الباقلائي : 173، 305.
محمد بن كعب : 311.

محمد بن محمد بن جهير : 116.
محمد بن محمد الغزالي : 111، 112،
113، 114، 120، 126، 137، 185،
236، 237، 252، 253، 334، 340،
353، 355، 359، 360، 369.

محمد بن مسلم الزهري : 311.
محمد بن عباد اللخمي : 115.
محمد بن عبدالله بن العربي : 65، 103،
126، 237، 277، 319، 393.

محمد بن عمار الميورقي : 80.
محمد بن عيسى الترمذي : 239.

محمد بن قاسم العثماني : 89.

محمد بن السري بن السراج : 71.

محمد بن سعدون العبدري : 105.

محمد بن الوليد الطرطوشي : 92، 95، 96،
118، 205، 387.

محمد بن يزيد «المبرد» : 72.

ابن مرجي، انظر : محمد بن سعدون.

مريم (عليها السلام) : 203، 204، 332،
373.

المعتمد بن عباد، انظر : محمد بن عباد
اللخمي.

المستظهري، انظر : محمد بن أحمد
الشاشي.

مسلم بن الحجاج القشيري : 315.
موسى (عليه السلام) : 96، 203، 204،
218، 340، 364.

ميمونة بنت الحارث : 310.
الميورقي، انظر : محمد بن عمار.

(ن)

النحاس، انظر : أحمد بن محمد.
نصر بن إبراهيم المقدسي : 91، 104، 106.
النضر بن شميل : 114.

النعمان بن ثابت «أبو حنيفة» : 102.
النقاش، انظر : محمد بن الحسن.
نوح (عليه السلام) : 364.

(ص)

صاحب الحقائق، انظر : محمد بن الحسن
السلمي.

عبد الملك بن عبدالله الجويني : 113 ،
 125 ، 126 ، 127 ، 174 ، 180 ، 184 ،
 316 .
 عبد الملك بن قريب الأصمعي : 373 .
 عبد العزيز بن عبد الملك بن شفيع : 80 .
 عبد العزيز البسكري : 97 .
 عبيد بن حذيفة القرشي «أبو جهم» : 331 .
 عثمان بن جني : 192 .
 عثمان بن مطعون : 336 .
 عثمان بن عفان (رضي الله عنه) : 153 ،
 215 .
 ابن العربي : انظر : محمد بن عبدالله .
 عروة بن الزبير بن العوام : 312 .
 عكرمة : 311 .
 عطاء المقدسي : 94 ، 95 .
 علي بن أبي طالب : 153 .
 علي بن إسماعيل الأشعري : 119 .
 علي بن الحسين : 312 .
 علي بن محمد التهامي : 103 .
 علي بن محمد بن الحداد : 84 .
 علي بن محمد الماوردي : 118 .
 علي بن العباس : 112 .
 علي بن عبد الرحمن التنوخي : 82 .
 علي بن عيسى الرماني : 119 ، 206 .
 ابن عمر : انظر عبدالله بن عمر .
 عمر بن أبي سلمة : 325 .
 عمر بن الخطاب : 153 .
 عميد الدولة ابن جهير ، انظر : محمد بن
 محمد .

الصاغانى ، انظر : أبو علي الصاغانى .
 صخر بن حرب «أبو سفيان» : 386 .
 صفية بنت حيي : 309 .

(ض)

الضحاك بن مخلد الشيباني : 307 .

(ع)

عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي الله
 عنهما) : 154 ، 315 .
 عامر بن شراحيل الشعبي : 312 .
 العامرية ، انظر : أم شريك .
 ابن عباس ، انظر : عبدالله بن عباس .
 العباس عم الرسول ﷺ : 311 .
 عبد الخالق بن عبد الوارث السيوري : 83 .
 عبد الجبار بن أحمد الهمداني : 119 .
 عبد الرحمن الأوزاعي : 274 .
 عبد الرحمن بن صخر الدوسي : 168 .
 عبد الرحمن بن قاسم الشعبي : 79 .
 عبد الرزاق بن همام الصنعاني : 167 .
 العبدري ، انظر : شعيب بن سعيد .
 عبد الكريم بن هوازن القشيري : 207 ،
 237 .
 عبدالله بن المبارك : 162 .
 عبدالله بن محمد بن العربي : 69 ، 76 ، 88 ،
 92 ، 93 ، 103 ، 108 ، 115 .
 عبدالله بن مسعود : 318 .
 عبدالله بن عباس : 170 ، 313 ، 367 .
 عبدالله بن عمر : 239 ، 341 .
 عبدالله بن سليمان «الدُرَيْد» : 71 .

عيسى (عليه السلام): 173، 332، 364.

(غ)

الغزالي، انظر: محمد بن محمد.

غزوة (أم المؤمنين): 311.

(ف)

الفارسي، انظر: الحسن بن أحمد.

ابن فورك، انظر: محمد الحسن.

(ق)

القاضي الباقلاني، انظر: محمد بن الطيب.

القاسم بن عبد الرحمن: 81.

قتادة بن دعامة السدوسي: 311، 319.

القشيري، انظر: عبد الكريم بن هوازن.

(س)

ساتكين بن أرسلان التركي: 97.

السالمي: 89.

ابن السراج، انظر: محمد بن السري.

سليمان بن الأشعث السجستاني: 82.

سليمان بن خلف الباجي: 76، 81.

السُّمَّاني، انظر: أحمد بن محمد.

سعد (الفقيه): 83.

سعد بن محمد بن أبي الرجاء الأصفهاني:

105.

سعيد بن المسيب: 319.

سعيد بن العاص: 214 - 215.

سفيان بن عيينة: 377.

سيبويه: 72، 114، 192، 195.

السيوري، انظر: عبد الخالق بن عبد الوارث.

(ش)

الشافعي، انظر: محمد بن إدريس.

الشاشي، انظر محمد بن أحمد.

الشعبي، انظر عبد الرحمن بن قاسم.

الشعبي، انظر عامر بن شراحيل.

شعيب بن سعيد العبدي: 89.

ابن شفيع، انظر: عبد العزيز بن عبد الملك.

الشهرستاني: 116.

(هـ)

هند بنت أبي أمية (أم سلمة): 325.

هند بن عتبة: 386.

(ي)

يحيى بن زكريا (عليه السلام): 381، 364.

يحيى بن المفرج اللخمي: 91، 147.

يحيى بن علي البزاز «الحلواني»: 109،

110.

يعقوب (عليه السلام): 203، 204، 364.

يوسف (عليه السلام): 203، 204، 335،

364.

4- فهرس القبائل والفرق والطوائف والجماعات

(ب)

- الباطنية : 226 .
بنو إسرائيل : 205 ، 381 .
بنو كعب : 85 .
بنو سليم بن منصور : 85 ، 88 .
البياذقة : 86 .

(ت)

- التجار : 83 .

(ث)

- الثنوية : 128 .

(ج)

- الجند : 363 ، 364 .
جيش أسامة بن زيد : 155 .

(ح)

- الحكماء : 391 .
الحلولية : 173 .
الحنفية : 94 ، 100 .

(أ)

- الأئمة : 313 ، 376 .
أئمة القدريّة : 127 .
الأوائل (الفلاسفة) : 249 ، 253 .
الأمراء : 79 .
الأنبياء - الرسل (عليهم السلام) : 161 ،
219 ، 220 ، 248 ، 258 ، 329 ، 335 ،
364 ، 363 ، 353 .
الأنصار : 156 ، 215 .
أصحاب نصر بن إبراهيم المقدسي : 104 .
أصحاب الفقيه ابن القديم : 84 .
أصحاب الشيخ السيوري : 83 .
أهل الإشارة - أرباب الإشارة : 285 ، 331 ،
332 ، 334 ، 336 ، 337 ، 374 • .
أهل البدعة ، المبتدعة : 120 ، 176 ، 199 ،
293 ، 295 * .
أهل الزهد : 304 ، 306 .
أهل الكتاب : 316 .
أهل العربية : 334 .
أهل السنة : 120 ، 358 .
الأولياء : 161 ، 259 ، 286 .

(ر)

الروم: 139.

(ط)

الطلاق: 310.

(ك)

الكفار: 100، 256، 353، 354.

(م)

المؤمنون: 327، 328.

المؤولة: 185.

المبتدعة، انظر: أهل البدعة.

المتكلمون: 89، 125.

المتصوفة، انظر: الصوفية.

المحدثون: 89.

المحققون: 42.

المرابطون: 74.

المريدون: 67.

الملائكة: 136، 219، 220، 248، 382.

الملحدون: 74، 177، 181.

المعتزلة: 95، 305، 358.

المعلمون: 74، 76.

المغاربة: 102.

المفسرون: 270، 310، 333.

المقرؤون: 222.

المسلمون: 128، 209.

المشايخ - المشيخة: 73، 90، 116، 162،

282.

المشركون: 225.

الموحدون: 127.

(ن)

النحاة: 333.

النصارى: 173، 251.

نساء أهل المدينة المنورة: 155.

(ص)

الصحابة (رضوان الله عليهم): 161، 214،

223، 267، 362، 367.

الصوفية: 120، 172، 196، 207، 235،

246، 247، 254، 262، 264، 265،

270، 278، 292.

(ع)

العامة: 284، 249، 255، 275، 344.

العرب: 72، 82، 155، 156، 195، 209،

213، 249، 261، 335، 346، 347،

358، 359، 373، 385.

العلماء: 79، 111، 125، 160، 169،

176، 177، 178، 181، 193، 213،

220، 225، 226، 231، 235، 237،

253، 274، 281، 292، 293، 294،

295، 304، 306، 319، 326، 328،

358، 362، 367، 376.

علماء خراسان: 97.

علماء القلوب: 381.

(ف)

الفلاسفة: 169، 172، 245، 251، 353، 355.

الفقهاء: 77، 84، 89، 256.

فقهاء القيروان: 83.

(ق)

القدرية: 90، 127، 294، 384.

قريش: 215.

(س)

السلف: 224، 275.

(ش)

الشافعية: 91، 94.

الشيعة: 90، 226.

شيوخ الزهد والتصوف: 197، 198، 203.

(و)

الوعاظ: 265.

5 - فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

- الأرض المقدسة (فلسطين): 104.
الأطواء: 107.
أصبهان: 105.
أغرناطة: 79.
الإسكندرية: 85.

(ب)

- باب أسباط [بالقدس]: 91، 93.
بجاية: 80.
بلاد الروم: 139.
بلاد المشرق: 264.
بغداد: 105، 108، 115، 162.
البقيع: 154.
بونة [عناية]: 83.

- بيت المقدس: 91، 100، 108، 155، 344.

- بيوت بني كعب [بلييا]: 85.

(ت)

- تركستان: 264.

- تلمسان: 138.

- تونس: 83.

(ج)

- جامع الخليفة [ببغداد]: 108، 162.

(ح)

- الحجاز: 84، 92.
الحرم: 98، 99، 100، 101، 102، 108، 194.
حوران: 104.

(خ)

- خان السلطان: 81.
خراسان: 97.

(د)

- الدار النظامية، انظر: المدرسة النظامية.
درب الجاكرية (ببغداد): 109.
دمشق: 104.
ديوان عميد الدولة ابن جهير (ببغداد): 116.

(ر)

رباط أبي سعد: 111.

(ط)

طبرية: 104.

طور زيتا: 94.

طور سيناء: 218.

(ك)

الكعبة (المشرفة): 224، 225، 301.

(م)

مالقة: 79.

محراب داود: 94.

محراب زكريا: 93.

محرس الكومين بثغر الإسكندرية: 205.

مدارس الحنفية: 94.

مدرسة أبي عقبة الحنفية: 100.

مدرسة الشافعية [بالقدس]: 91، 94.

المدرسة النظامية [ببغداد]: 108، 111.

المدينة المنورة: 154، 155.

مدينة السلام، انظر: بغداد.

المرية: 80.

مكة المكرمة: 154، 324.

المسجد الأقصى: 91، 93، 97، 98،

147.

مسجد الوزير ابن العربي: 115.

مصر: 89، 91.

المشرق (العربي): 76.

المهدية: 83.

(ص)

الصخرة المقدسة [بالقدس]: 118.

(ض)

ضمير [بالشام]: 107.

(ع)

العراق: 107.

عكا: 104.

عسقلان: 102.

(غ)

غرناطة، انظر: أغرناطة.

الغوير [بالقدس]: 94.

(ف)

فلسطين: 359.

(ق)

قبة السلسلة [بالقدس]: 93.

القيروان: 83، 84.

السكينة [بالقدس]: 93.

السماء: 107، 108.

السنح [بالمدينة المنورة]: 154.

السواد [ضباع العراق]: 107.

سوق الريحانيين [ببغداد]: 115.

سوسة: 83.

(ش)

الشام: 91، 264، 274.

(ي)

يبرين: 359.

6 - فهرس الكتب المذكورة في المتن

(أ)

- 348 ، 308 ، 194 «أحكام القرآن» لأبي بكر بن العربي
73 «الأمالي» لأبي علي القالي
«الأمم الأقصى في الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال
العدلى» لأبي بكر بن العربي
278 ، 242 ، 130
329 ، 306 ، 300
361 ، 342
206 ، 149 ، 65 «أنوار الفجر في مجالس الذكر» لأبي بكر بن العربي
304 ، 301 ، 219
361
73 «إصلاح المنطق» لابن السكيت
71 «الأصول» لابن السراج
72 «الأشعار الستة»
71 «الإيضاح» للفراسي

(ب)

- 184 «البرهان في أصول الفقه» لأبي المعالي الجويني

(ت)

- 340 تأليف الإمام الغزالي
68 ، 67 «ترتيب الرحلة للترغيب في الملة» لأبي بكر بن العربي

- 334 «تلبيس إبليس» لأبي حامد الغزالي
تفسير الثعالبي، انظر: الكشف والبيان .
«التفسير الكبير»، ويسمى: «الجامع في علوم القرآن» لأبي الحسن
119، 206 الرمانى
119 تفسير ابن فورك

(ج)

- جامع عبد الرزاق، انظر: المصنف .
«الجامع في علوم القرآن» للرمانى، انظر: «التفسير الكبير» .
191 «جزء فيه تفسير أنزل القرآن على سبعة أحرف» لأبي بكر بن العربي
71 «الجمال» للزجاجي

(ح)

- 197 «حقائق التفسير» لأبي عبد الرحمن السلمي

(خ)

- 335، 219 «خصائص محمد ﷺ ومعجزاته الألف» لأبي بكر بن العربي ...

(ر)

- «الرسالة الملحثة» أو: «ملحثة المتفقيين إلى معرفة غوامض
324، 317 النحويين» لأبي بكر بن العربي
«رسالة محاسن الإحسان في جوابات أهل تلمسان» لأبي بكر بن
138 العربي

(ل)

- 207 «اللطائف والإشارات» لأبي القاسم القشيري

(م)

- «المتوسط في الاعتقاد» لأبي بكر بن العربي
228، 242، 276،
293، 347
«المحصول في علم الأصول» لأبي بكر بن العربي
228، 347

119	«المحيط» للقاضي عبد الجبار المعتزلي
	«المختزن في تفسير القرآن والرد على من خالف البيان من أهل
119	الإفك والبهتان» للإمام أبي الحسن الأشعري
361	«مختصر الأحكام» لأبي بكر بن العربي
118	«مختصر الكشف والبيان» لأبي بكر الطرطوشي
166	«مختصر النيرين» لأبي بكر بن العربي
119 - 118	«مختصر الطبري» لابن صمادح التجيبي
97	«المدونة» للإمام مالك رضي الله عنه
	«ملحثة المتفقهين» انظر: الرسالة الملحثة.
167	«المصنف» لأبي بكر الصنعاني
	«المعجزات» انظر: خصائص محمد ﷺ ومعجزاته الألف».
340	«معيار العلم» لأبي حامد الغزالي
293 ، 134 ، 126	«المقسط» لأبي بكر بن العربي
326	«مسائل الخلاف» لأبي بكر بن العربي
363	«مسائل الصحبة والعزلة» لأبي بكر بن العربي
206	«مشكل القرآن» لأبي بكر بن فورك
	«المشكلين من القرآن والحديث» ويسميه تارة بـ «المشكلين» فقط،
	وتارة أخرى بـ «شرح المشكلين» وهو للقاضي أبي بكر بن
191 ، 183 ، 149	العربي
293 ، 276 ، 255	
329 ، 304 ، 300	
372 ، 361 ، 348	
378 ، 375	

(ن)

347	«نكت المحصول» لأبي بكر بن العربي
118	«النكت والعيون» للماوردي

(ص)

104	صحيح البخاري
-----	--------------------

(ع)

114 «عيان الأعيان» لأبي بكر بن العربي

(ف)

«الفصيح» لثعلب، انظر: كتاب ثعلب .

(س)

«سنن أبي داود» انظر: كتاب أبي داود .

(ش)

«شرح أبيات سيويه» انظر: كتاب النحاس .

314 «شرح الحديث» لأبي بكر بن العربي

308 «شرح الصحيح» لعله الكتاب السابق وهو لابن العربي

291 «شرح الصحيحين» لأبي بكر بن العربي

119 «شفاء الصدور في تفسير القرآن» لأبي بكر النقاش

«شرح المشكلين» لأبي بكر بن العربي، انظر: «المشكلين» .

(ك)

82 كتاب أبي داود

73 «كتاب الأصول» لأقليدس

كتاب البخاري، انظر: صحيح البخاري .

كتاب ابن فورك، انظر: تفسير ابن فورك .

73 «كتاب ثعلب» لعله «الفصيح»

كتاب الرماني، انظر: التفسير الكبير، أو الجامع في علوم القرآن .

كتاب الماوردي، انظر: النكت والعيون .

«كتاب النبي ﷺ في أسمائه ومعجزاته وجمل من أخباره» لأبي بكر

361 ابن العربي

71 «كتاب النحاس» لعله شرح أبيات سيويه

«كتاب النقاش» انظر: شفاء الصدور .

72 كتاب الصناعة الأصلي للخليل بن أحمد الفراهيدي

173 ، 175 ، 178 ،	«كتب أصول الدين» لأبي بكر بن العربي
181 ، 185 ، 249 ،	
275 ، 276 ، 278 ،	
357 ، 384	
303	«كتب أصول الفقه» لأبي بكر بن العربي
174	كتب الإمام الباقلاني [الكلامية]
113	كتب إمام الحرمين الجويني [الكلامية]
253	كتب أبي بكر بن العربي
207	كتب التفسير
118	الكتب الموقوفة بالصخرة المقدسة [بالقدس]
118	الكشف والبيان للثعالبي

7- فهرس بعض المصطلحات الكلامية

التعطيل : 350.	(أ)	الأجناس : 185.
التسلسل : 122.		الإحاطة : 180 ، 182.
التشبيه : 127.		الإرادة : 200 ، 201 ، 203.
التوحيد : 143 ، 146 ، 151 ، 160 ، 162 ، 164 ، 165 ، 178 ، 230 ، 232 ، 234 ، 235 ، 265 ، 270 ، 273 ، 278 ، 297 ، 298 ، 299 ، 304.		الإلهام : 151.
		أصول الدين، انظر: علم الكلام.
		الأفعال : 127 ، 130 ، 133 ، 228 ، 230 ، 242 ، 291.
(ج)		
الجائز : 273.	(ب)	
الجوهر : 174 ، 175.		الباطن : 149 ، 191 ، 196 ، 207 ، 208 ، 223 ، 260 ، 261 ، 262.
(ح)		
الحادث : 173.	(ت)	
الحقائق : 137 ، 169 ، 180 ، 181 ، 196 ، 218 ، 245 ، 257.		التأويل : 149 ، 152 ، 171 ، 173 ، 175 ، 181 ، 191 ، 270 ، 273 ، 274 ، 278 ، 289 ، 307 ، 329 ، 344 ، 351 ، 352 ، 354 ، 357.
الحقيقة والمحقق : 292.		
الحياة : 123.		التمانع : 178.
(د)		التعديل والتجويز : 294.
الدليل والمدلول : 293.		
الدور : 351.		

(ذ)

الذات: 127، 146، 148، 230، 242،
273، 291، 292، 302.

(ك)

لكلام: 183.
الكمية: 173.

(م)

الماهية: 133، 147.
المحدث: 173، 270.
الممكن: 124.
المعدوم: 181، 186.
المعرفة: 121.
المستحيل: 273.
الموجد: 123، 127.
الموجود: 122، 181، 186.

(ص)

الصالح والأصلح: 293، 294.
الصفات: 124، 127، 130، 146، 147،
148، 158، 181، 221، 223، 230،
228، 242، 291، 292، 302.

(ع)

العدم: 123.
العرض - الأعراض: 174، 175، 177.
العلة والمعلول: 292.
العلم: 123، 124.
علم الكلام: 74، 84، 90، 97، 236،
347.
العلم المطلق: 221.

(ق)

قانون: 126، 131، 141، 149، 175، 182،
216، 224، 255، 276، 286، 292،
297، 307، 338، 344، 345، 348،
354، 360.
قانون التأويل: 68، 120، 140، 143،
171، 216، 223، 251، 275، 281.
القدرة: 123، 124، 200، 251.

(س)

السمع والبصر: 125.

(ش)

الشرط والمشروط: 293.

8 - فهرس المصادر والمراجع

أ - المصادر المخطوطة :

- 1 - أجوبة الغزالي لابن العربي . مخطوط بمكتبة الجامعة الأميركية ببيروت ، ضمن مجموع : (MS: 297 - 3, A. AL - LA) من لوحة : 1 إلى : 24 .
- 2 - «أصول السنة» لابن أبي زمنين (ت : 399) . مخطوط مكتبة ريفان كوشك بتركيا تحت رقم : 5/510 ضمن مجموع في العقائد ، وسيصدر قريباً بتحقيق عائشة السليمانى .
- 3 - «الأحكام الصغرى» لابن العربي . مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 274/د ، وقد صدر أخيراً بالمغرب عن الأكاديمية المغربية .
- 4 - «الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى» لابن العربي . مخطوط بمكتبة الحاج سليم آغا بإستانبول تحت رقم : 499 .
- 5 - «الأفعال» لابن العربي . مخطوط ضمن مجموع في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 4/ق من لوحة : 180 إلى 214 .
- 6 - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» للقرطبي (ت : 671) . مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة .
- 7 - «تاريخ الإسلام» للذهبي . مخطوط آيا صوفيا بإستانبول : 2/3010 .
- 8 - «تفسير ابن فورك» . مخطوط بمكتبة فيض الله أفندي رقم : 50 . بتركيا .
- 9 - «الحدود» لسعد الدين التفتازاني . مخطوط خاص بمكتبة الشيخ الحسين السليمانى . الجزائر .
- 10 - «رسالة الأشعرى إلى أهل الثغر» . مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم : 105 توحيد .
- 11 - «رسالة التوحيد» لابن فورك . مخطوط مكتبة عارف حكمت رقم : 926 تفسير .

- 12 - «رسالة الصفات» للخطيب البغدادي (ت: 463). مخطوط بالمكتبة الظاهرية بسوريا تحت رقم: 16 مجاميع.
- 13 - «كتاب الأسطراب» لكوشيار بن لبنان. مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريز رقم: 2487 عربي.
- 14 - «كتب الشطرنج» لبرهان الدين الفزاري (ت: 729). مخطوط بدار الكتب المصرية وهناك مصورة عنه بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم: 144.
- 15 - «المتوسط في الاعتقاد» لابن العربي. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم: 2963 ك، وأنا أشير إليه ببحثي بالمتوسط.
- 16 - «المحصول في علم الأصول» لابن العربي. مصورة عن مخطوط بمكتبة فيض الله أفندي، وسيصدر قريباً بتحقيقي.
- 17 - «معرفة قانون التفسير». مخطوط بالمكتبة الوطنية بمديريت تحت رقم: 1264. وأشير إليه في بحثي «بقانون الأسكريال» أو «معرفة قانون الأسكريال».
- 18 - «المسالك في شرح موطأ مالك» لابن العربي. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم: 21875 ب. ومخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر رقم: 452. وأشير إليه في بحثي بالمسالك.
- 19 - «عمدة المحتج في حكم الشطرنج» للسخاوي (ت: 902). مخطوط بالمكتبة الظاهرية رقم: 1064.
- قانون الأسكريال، انظر: معرفة قانون التأويل.
- قانون القاهرة: انظر: واضح السبيل.
- 20 - «القبس في شرح موطأ مالك بن أنس» لابن العربي. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 52/ج، وكذلك نسخة أخرى برقم: 1916 ك. وأشير إليه في بحثي «بالقبس».
- 21 - سراج المريدين وموفي سبيل المهتدين للاستنارة بالأسماء والصفات في المقامات والحالات الدينية والدنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية» لابن العربي. مصورة دار الكتب بالقاهرة رقم: 20348 ب، وأشير إليها في بحثي بالسراج.
- 22 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي. مخطوط دار الكتب المصرية رقم: 12195. ومصورة آخر بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى كما اعتمدت على المطبوع بمطبعة الرسالة: 1983.
- 23 - «شرح الأبياري لكتاب البرهان للجويني». مخطوط بمكتبة مراد ملا رقم: 670، تركيا.

- 24 - «شعب الإيمان» للبيهقي، مخطوط مصور بالجامعة الإسلامية لا يحضرني رقمه الآن.
- 25 - «شواهد الجلة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان» لابن العربي. مخطوط دار الوثائق بالرباط تحت رقم: 1020.
- 26 - «واضح السبيل إلى معرفة قانون التأويل بفوائد التنزيل» لابن العربي. مخطوط بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم: 184 تفسير. وأشير إليه في بحثي بقانون القاهرة، وكذلك نسخة جامع القرويين رقم: 926. تفسير.
- 27 - «الوصول إلى معرفة الأصول». مخطوط بمكتبة ابن يوسف العامة بمراكش ضمن مجموع برقم 525، وأنا أشير إليه في بحثي «بالوصول».

ب - المصادر والمراجع المطبوعة:

- 1 - «آداب الشافعي ومناقبه» لابن أبي حاتم الرازي (ت: 327)، تحقيق الشيخ المرحوم عبد الغني عبد الخالق، تصوير دار الكتب العلمية - بيروت - عن الطبعة الأولى: 1953.
- 2 - «آراء أبي بكر بن العربي الكلامية» للدكتور عمار طالبي. ط: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر: 1974. ويتضمن كتاب العواصم من القواصم.
- 3 - «آراء المدينة الفاصلة» للفرابي. تحقيق: ألبير نصري نادر ط: بيروت: 1959.
- 4 - «أحكام القرآن» لابن العربي. تحقيق علي محمد بجاوي. ط: 3 (تصوير دار المعرفة - بيروت).
- 5 - «أحسن التقاسيم» للمقدسي (ت: 380). ط: مطبعة بريل - ليدن: 1909.
- 6 - «أخبار النحويين البصريين» للسيرافي. تحقيق فريتس كرنكو. ط: الجزائر: 1936.
- 7 - «أزهار الرياض في أخبار عياض» للمقري (ت: 1041). تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر: 1940 - 1942.
- 8 - «الأمثال» لابن سلام. تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، ط: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة الملك عبد العزيز.
- 9 - «الأغاني» للأصفهاني (ت: 356). ط: دار الثقافة ببيروت: 1958.
- 10 - «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» لملا علي القاري. تحقيق: د. محمد الصباغ. ط: بيروت: 1971.
- 11 - «الأسماء والصفات» للإمام البيهقي (ت: 458). تحقيق العلامة الشيخ محمد زاهد

- الكوثري (ت: 1371) رحمه الله تعالى . تصوير دار إحياء التراث العربي ببيروت عن الطبعة الأولى بالقاهرة.
- 12 - «أمثال القرآن» لابن قيم الجوزية . تحقيق: د. ناصر محمد الرشيد . ط: مطبعة الصفا - مكة المكرمة.
- 13 - «أمثال الحديث» للرامهرمزي (ت: 360) . تحقيق: أمة الكريم القرشية . ط: الحيدري - باكستان: 1388.
- 14 - «أصول الدين» للأستاذ أبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت: 429) ط: إستانبول: 1346.
- 15 - «أساس التقديس في علم الكلام» لفخر الدين الرازي (ت: 606) . ط: مصطفى الحلبي: 1354.
- 16 - «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد، المعروف بابن الأثير الجزري (ت: 630) . ط: بدون مكان طبع ولا تاريخ.
- 17 - «أسرار التكرار في القرآن» للكرماني . تحقيق: عبد القادر أحمد عطا . ط: دار الاعتصام - القاهرة.
- 18 - «إتحاف السادة المتقين شرح أسرار إحياء علوم الدين» للزبيدي (ت: 1205) . ط: الميمنية - القاهرة: 311 - 1316.
- 19 - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» لابن قيم الجوزية ط: دار الفكر - بيروت: 1401.
- 20 - «إحياء علوم الدين» للغزالي (ت: 505) . رجعت إلى عدة طبعات منها: ط: عيسى الحلبي: 1939، وط: دار الشعب.
- 21 - «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» المعروف بمعجم الأدباء «لياقوت الحموي» (ت: 626) . تحقيق: د. س. مرجليوث - القاهرة 1930.
- 22 - «إمتاع الأسماع» لابن دراج السبتي . تحقيق: محمد بن شقرون . ط: المغرب.
- 23 - «إمتاع الأسماع» للمقرئزي تحقيق محمود محمد شاكر حفظه الله تعالى . ط: مصورة في الدوحة بقطر عن الطبعة الأولى التي طبعت بالقاهرة.
- 24 - «إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن» لأبي البقاء العكبري (ت: 616) . ط: مصطفى الحلبي بالقاهرة: 1961.
- 25 - «إنباه الرواة على أنباء النحاة» للقفطي (ت: 646) . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط: دار الكتب بالقاهرة: 1955.

- 26 - «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» للفخر الرازي (ت: 606). تحقيق: د. علي سامي النشار. ط: مكتبة النهضة المصرية - القاهرة: 1938.
- 27 - «إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان» لابن قيم الجوزية. تصوير دار المعرفة ببغروت.
- 28 - «اقتضاء العلم للعمل» للخطيب البغدادي. تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني. ط: المكتب الإسلامي.
- 29 - «إثبات الحق على الخلق» لابن المرتضى اليماني. ط: مطبعة الآداب والمؤيد بالقاهرة: 1938.
- 30 - «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون» لإسماعيل باشا البغدادي (ت: 1339). ط: مكتبة المثنى ببغداد.
- 31 - «الإبانة عن أصول الديانة» للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت: 324) رجعت إلى عدة طبعات منها: ط: جامعة الإمام بالرياض: 1400، وط: بتحقيق د. فوقية حسين، دار الاعتصام 1979.
- 32 - «الإتقان في علوم القرآن» للحافظ جلال الدين السيوطي (ت: 911). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: المشهد الحسيني بالقاهرة: 1967. وط: المكتبة الأزهرية: 1318.
- 33 - «الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين ابن الخطيب (ت: 776) تحقيق: محمد عبدالله عنان. ط: الخانجي - القاهرة: 1974.
- 34 - «الإحكام في أصول الأحكام» للحافظ ابن حزم الأندلسي (ت: 456) بعناية زكريا علي يوسف. ط: العاصمة بالقاهرة.
- 35 - «الإحكام في أصول الأحكام» لسيف الدين الأمدي (ت: 631) تحقيق الشيخ عبد الرزاق عفيفي، ط: مؤسسة النور بالرياض: 1387.
- 36 - «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني (ت: 478). تحقيق د. محمد يوسف موسى، د. علي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي بالقاهرة: 1950.
- 37 - «الإكليل في المتشابه والتأويل» لابن تيمية. ط: دار المطبعة السلفية.
- 38 - «الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب» لابن ماكولا (الأمير أبو نصر سعد الملك علي بن هبة الله ت 475) تحقيق: عبد الرحمن المعلمي اليماني رحمه الله تعالى. ط: حيدر آباد الدكن: 1381 - 1386.

- 39 - «الإمام ابن تيمية وقضية التأويل» د. محمد السيد الجليند. ط: 3 - دار عكاظ - جدة: 1983.
- 40 - «الانتصار» أو نكت الانتصار للباقلاني. تحقيق: سعد زغلول نجار. ط: منشأة المعارف - الإسكندرية.
- 41 - «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» لابن عبد البر. (ت: 463) ط: مكتبة القدسي - القاهرة: 1350.
- 42 - «الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به» للقاضي أبي بكر الباقلاني (ت: 403). تحقيق العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري (ت: 1371). ط: 2 مؤسسة الخانجي: 1963.
- 43 - «الإصابة في تمييز الصحابة» للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: 852). ط: السعادة بالقاهرة: 1328.
- 44 - «الإعلام بمن حل مراکش وأغماث من الأعلام» لعباس بن إبراهيم المراكشي تحقيق الشيخ عبد الوهاب بلمنصور، ط: الرباط: 74 - 1977. وط: فاس الحجرية.
- 45 - «الاقتصاد في الاعتقاد» للغزالي (ت: 505). تحقيق: د. عادل عموا. ط: دار الأمانة - بيروت: 1969.
- 46 - «الاستبصار في عجائب الأمصار» لمؤلف مجهول. تحقيق: سعد زغلول عبد المجيد. ط: الإسكندرية: 1958.
- 47 - «الاستقامة» لابن تيمية. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط: جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض.
- 48 - «الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى» للناصرى (ت: 1897). تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري. ط: دار الكتاب - الدار البيضاء: 1954.
- 49 - «الاستيعاب في أسماء الأصحاب» لابن عبد البر (ت: 463). ط: السعادة بالقاهرة: 1328 (بهامش الصحابة).
- 50 - «الإشارات والتنبيهات» لابن سينا. تحقيق أستاذ الدكتور الشيخ سليمان دنيا رحمه الله. ط: المعارف بمصر: 1960.
- 51 - «البحر المحيط» لأبي حيان التوحيدى. ط: السعادة - القاهرة: 1328.
- 52 - «البحر المحيط» لأثير الدين ابن حيان (ت: 754) ط: السعادة بالقاهرة: 1328.
- 53 - «بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن» ترتيب الشيخ عبد الرحمن البناء، الشهير بالساعاتي. ط: دار الأنوار بالقاهرة 1369.

- 54 - «البدء والتاريخ» لمظهر بن طاهر المقدسي . ط : باريز : 1899 - 1919 . نشر بعناية المستشرق كلمان هوار .
- 55 - «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير (ت : 774) . ط : السعادة بالقاهرة : 1351 .
- 56 - «البرهان في أصول الفقه» للجويني (ت : 478) . تحقيق : د . عبد العظيم الديب . ط : الدوحة - قطر : 1399 .
- 57 - «البرهان في علوم القرآن» للإمام الزركشي (ت : 794) . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط : عيسى الحلبي ، بالقاهرة : 1958 .
- 58 - بلدان الخلافة الإسلامية للمستشرق كي لسترنج . تصوير بيروت .
- 59 - «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» للقاضي عياض (ت : 544) . ط : وزارة الأوقاف بالمغرب : 1975 .
- 60 - «بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس» للضبي (ت : 599) ط : دار الكتاب العربي : 1967 ، وط : مجريط بإسبانيا : 1884 بعناية كوديرا .
- 61 - «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» للسيوطي (ت : 911) . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : عيسى الحلبي بالقاهرة 1965 .
- 62 - «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» أو «نقض تأسيس الجهمية» لابن تيمية . تصحيح وتعليق وتكميل : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم . ط : مطبعة الحكومة - السعودية : 1392 .
- 63 - «بيان كشف الألفاظ» لأبي المحامد اللامنشي الحنفي (متوفى في القرن الرابع) . تحقيق : د . محمد حسن مصطفى شلبي - في مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي - العدد الأول - سنة 1398 ، من صفحة 245 إلى 267 .
- 64 - «البيان المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب» لابن عذارى المراكشي (ت : بعد 712) : أ - القسم 1 ، 2 ط : مكتبة صادر - بيروت 1950 .
- ب - القسم 3 تحقيق هويسى ميراندا ومن معه ، ط : دار كريماس للطباعة 1960 .
- 65 - «البيان في غريب إعراب القرآن» لأبي البركات ابن الأنباري (ت : 577) تحقيق د . طه عبد الحميد طه . ط : دار الكتاب العربي بالقاهرة 1969 .
- 66 - «التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول» لصديق خان (ت : 1307) تحقيق : عبد الحكيم شرف الدين . ط : 2 - المطبعة الهندية العربية : 1963 .
- 67 - تاريخ الأدب العربي لكارل بركلمان . ترجمة عبد الحليم النجار . ط : المعارف : القاهرة : 1959 .

- 68- «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ت: 463). ط: الخانجي 1931.
- 69- «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين. ط: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر: 71 - 1978. وط: جامعة الإمام ابن سعود بالرياض. وط: ألمانيا (باللغة الألمانية).
- 70- «تاريخ خليفة بن خياط» تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط: الآداب - النجف: 1386.
- 71- «تاريخ دمشق» لأبي القاسم هبة ابن عساكر (ت: 571) اعتنى بترتيبه وتصحيحه عبد القادر بدران. ط: الروضة - دمشق: 1351.
- 72- «تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية» للزركشي (ت: بعد 894). تحقيق محمد الماضور. ط: المكتبة العتيقة - تونس: 1966.
- 73- «تاريخ الطبري» تحقيق: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: دار المعارف - مصر: 1960.
- 74- «التاريخ الكبير» للبخاري. ط: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الهند: 1958 - 1964.
- 75- «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ت: 276). تحقيق المحدث الشيخ السيد أحمد صقر رحمه الله تعالى، ط: 2 بمطبعة الحضارة العربية بالقاهرة: 1973.
- 76- «التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين» لأبي المظفر الإسفراييني (ت: 471). تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى 1940. ط: مصر.
- 77- «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» لابن حجر (ت: 852). تحقيق: علي محمد بجاوي. القاهرة: 1967.
- 78- «تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري» لابن عساكر (ت: 571) بعناية الشيخ الكوثري. ط: التوفيق بدمشق: 1347.
- 79- «التجسيم عند المسلمين» للدكتورة / سهير محمد مختار. ط: القاهرة 1971.
- 80- «التحبير في علوم التفسير» للسيوطي. طبعة محققة بالرياض.
- 81- «تحفة الأخوذ في شرح صحيح الترمذي» للمباركفوري. ط: تصوير دار الفكر - بيروت.
- 82- «تحریم النرد والشطرنج» للأجري (ت: 360). ط: الرياض: 1982.
- 83- «التذكار في أفضل الأذكار» للقرطبي. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ط: مكتبة دار البيان - دمشق: 1979.
- 84- «التذكرة بأحوال الموتى والأخرة» للقرطبي. تحقيق أحمد حجازي السقا. ط: مصر.
- 85- «تذكرة الحفاظ» للحافظ الذهبي (ت: 748). ط: وزارة المعارف الحكومية بالهند. حيدر آباد الدكن: 1955.

- 86 - «تذكرة الموضوعات» للهندي الفتني . ط: المنيرية - القاهرة: 1343 .
- 87 - «التراتب الإدارية في نظام الحكومة النبوية» لعبد الحي الكتاني . ط: فاس بالمغرب .
- 88 - «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» للقاضي عياض (ت: 544) . تحقيق: د. أحمد بكير، ط. بيروت، وط: وزارة الأوقاف بالمغرب - الرباط .
- 89 - «ترتيب القاموس المحيط» لطاهر أحمد الزاوي . ط: مصر .
- 90 - «الترغيب والترهيب» للمندري . ط: دار الفكر - بيروت .
- 91 - «التكملة لكتاب الصلة» لابن الأبار (ت: 658) . نشرة كوديرا في مجريط (مدير) في ستي 1888 - 1889 . وط: عزت عطار الحسيني: القاهرة: 1956 .
- 92 - «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» لابن عبد البر (ت: 463) تحقيق جماعة من علماء المغرب . ط: وزارة الأوقاف - المغرب: 1967 - 1982 .
- 93 - «التمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة والرافضة والخوارج والمعتزلة» للقاضي الباقلاني (ت: 406) . تحقيق: رتشد يوسف مكارثي - بيروت: 1957، وط: لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة 1947، بتحقيق محمود محمد خضيري وزميله .
- 94 - «تميز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث» لابن الديع . ط: محمد علي صبيح: القاهرة: 1347 .
- 95 - «تنزيه القرآن» للقاضي عبد الجبار . ط: القاهرة .
- 96 - «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» لأبي الحسن علي بن عراق الكناني (ت: 963) . تحقيق: الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف، ط: مكتبة القاهرة: 1378 .
- 97 - «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» لأبي الحسن الملطي (ت: 377) . تحقيق: الشيخ محمد زاهد الكوثري . ط: عزت العطار - القاهرة: 1368 .
- 98 - «التعريفات» للشريف الجرجاني (ت: 816) . ط: الدار التونسية للنشر: 1971 .
- 99 - «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ت: 276) . تحقيق المحدث الشيخ السيد أحمد صقر رحمه الله تعالى . تصوير دار الكتب العلمية ببيروت: 1978 .
- 100 - «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (ت: 774) . ط: عيسى الحلبي بالقاهرة . وط: دار الفكر ببيروت: 1970 .
- 101 - «التفسير القيم» لابن قيم الجوزية . جمعه: محمد أويس الندوي وتحقيق محمد حامد فقي . ط: السنة المحمدية - مصر: 1949 .
- 102 - «تفسير سورة الإخلاص» لابن تيمية . ط: دار الطباعة المحمدية - القاهرة .

- 103 - «التفهيم لصناعة التنجيم» للبيروني . ط : لندن : 1934 .
- 104 - «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزي الأندلسي . ط : القاهرة : 1355 .
- 105 - «التشوف إلى رجال التصوف» لأبي يعقوب التاندلي . نشر أدولف فور . ط : مطبوعات معهد الأبحاث العليا المغربية - الرباط 1958 .
- 106 - «تهافت الفلاسفة» للغزالي (ت : 505) . تحقيق : أستاذنا الدكتور سليمان دنيا رحمه الله تعالى . ط : دار المعارف (3) القاهرة : 1957 .
- 107 - «تهذيب الأسماء واللغات» للإمام النووي (ت : 676) . ط : إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة .
- 108 - «تهذيب التهذيب» لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني (ت : 852) ط : حيدر آباد الدكن بالهند : 1326 .
- 109 - «تهذيب اللغة» للأزهري . ط : الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر : القاهرة : 1966 .
- 110 - «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لابن الأثير (ت : 606) . تحقيق عبد القادر الأرناؤوط . ط : الملاح - دمشق : 1970 .
- 111 - «جامع البيان في تأويل آي القرآن» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : 310) . تحقيق محمد محمد شاكر . ط : دار المعارف المصرية ، وكذلك ط : مصطفى الحلبي : 1954 .
- 112 - «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر القرطبي . ط : المكتبة السلفية - المدينة المنورة .
- 113 - «جامع الرسائل» لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق محمد رشاد سالم رحمه الله تعالى . ط : المدني - القاهرة : 1969 .
- 114 - «الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت : 671) . ط : دار الكتب المصرية : 1960 .
- 115 - «جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» لأبي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي (ت : 488) . تحقيق محمد بن تاوت الطنجي . ط : السعادة بالقاهرة : 1372 ، وط : الدار المصرية للتأليف والترجمة : 1966 .
- 116 - «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (ت : 327) . ط : حيدر آباد الهند : 1952 .
- 117 - «جريدة القصر وخريدة العصر» للعماد الأصبهاني . الأول بتحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروسي الموطوي والجيلالي بن الحاج يحيى والثاني والثالث بتحقيق

- أذرتاش أذرنوش. ط: الدار التونسية: 66 - 71 - 1972.
- 118 - «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ت: 456). تحقيق: عبد السلام هارون. ط: دار المعارف: 1962.
- 119 - «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: المؤسسة العربية الحديثة - القاهرة: 1964.
- 120 - «جمهرة نسب قریش وأخبارها» للزبير بن بكار الجزء الأول. تحقيق: الأستاذ العلامة محمود محمد شاكر. ط: مصر، سنة: 1381.
- 121 - «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية (ت: 728) ط: المدني - القاهرة: 1959.
- 122 - «الجواهر المضية في تراجم الحنفية» للقرشي. ط: حيدر آباد بالهند: 1332.
- 123 - «جواهر القرآن» لحجة الإسلام الغزالي (ن: 505). ط: دار الآفاق الجديدة بيروت.
- 124 - «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن قيم الجوزية. ط: مصورة في بيروت.
- 125 - «حاشية الرهوني على متن سيدي خليل». تصوير دار الفكر: بيروت.
- 126 - «الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه (ت: 370). تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم. ط: 2 - دار الشروق - بيروت: 1977.
- 127 - «حجة القراءات» لابن زرعة بن رنجلة. تحقيق: سعيد الأفغاني. ط: 2 - مؤسسة الرسالة - بيروت: 1977.
- 128 - «الحدود في الأصول» للباغي الأندلسي (ت: 474). تحقيق: د. نزيه حماد. ط: مؤسسة الزعبي بيروت: 1973.
- 129 - «الحطة في ذكر الصحاح الستة» لصديق خان (ت: 1307). ط: إسلامي كاديمي - لاهور - باكستان: 1977.
- 130 - «الحلة السيرة» لابن الأبار (ت: 658). تحقيق: د. حسين مؤنس. ط: الشركة العربية للطباعة - القاهرة: 1963.
- 131 - «الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية» لمؤلف مجهول من أهل القرن: 18 الهجري. تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة. ط: دار الرشاد الحديثة - المغرب: 1979.
- 132 - «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» للحافظ أبي نعيم الأصفهاني (ت: 430). ط: السعادة بمصر: 1932.
- 133 - «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» للسيوطي (ت: 911). تحقيق: محمد

- أبو الفضل إبراهيم. ط: دار الكتب العربية بالقاهرة: 1967.
- 134 - «خزانة الأدب ولب ألباب لسان العرب» لعبد القادر البغدادي، (ت: 1093). ط: بولاق بالقاهرة: 1299.
- 135 - «خطط بغداد» لجورج مقدسي - ط: العراق.
- 136 - «خلاصة تذهيب تذهيب الكمال» لصفي الدين الخزرجي. ط: الفجالة - مصر: 1932.
- 137 - «خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل» لأبي محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256). تحقيق: د. علي سامي النشار وعمار طالبي ضمن مجموعة «عقائد السلف». ط: منشأة المعارف - الإسكندرية: 1971.
- 138 - دراسة حول «كلا» للدكتور حسين نصار. مجلة كلية الشريعة - بغداد سنة 1967.
- 139 - «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي (ت: 911). ط: بيروت وهي مصورة عن المطبعة الإسلامية بطهران: 1377. وط: دار الفكر ببيروت: 1983.
- 140 - «الدر المنثور في الأحاديث المشهورة» للسيوطي. تحقيق: محمد الصباغ. ط: الرياض.
- 141 - «درة الحجال في أسماء الرجال» للمكناسي، الشهير بابن قاضي (ت: 1025) تحقيق: د. محمد الأحمد أبو النور. ط: دار التراث بالقاهرة: 1970.
- 142 - «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» لابن فرحون (ت: 799) تحقيق: د. محمد الأحمد أبو النور. ط: دار التراث بالقاهرة: 1974. وط: عباس بن عبد السلام بن شقرون بمصر: 1351 (بهامشها نيل الابتهاج للتنبكتي).
- 143 - «ديوان المتنبي» ط: لجنة التأليف - القاهرة: 1944.
- 144 - «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة» للمراكشي. السفر الأول بتحقيق محمد بن شريفة في جزئين. ط: دار الثقافة ببيروت. وبقية السفر الرابع والسفر الخامس والسفر السادس بتحقيق الدكتور إحسان عباس - بدار الثقافة - بيروت.
- 145 - «رحلة ابن بطوطة». ط: دار صادر - بيروت: 1960.
- 146 - «رحلة التيجاني» تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب. ط: الدار التونسية.
- 147 - «الرد على الجهمية والزناقة» لأحمد بن حنبل. تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة. ط: دار اللواء - الرياض: 1977.
- 148 - «الرد على الزناقة والجهمية» لأحمد بن حنبل (ت: 241). ضمن كتاب «عقائد

- السلف» تحقيق د. علي سامي النشار وأستاذنا عمار طالبي . ط : منشأة المعارف - الإسكندرية - 1971 .
- 149 - «الرد على المنطقيين» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت : 728) . ط : إدارة ترجمان السنة بالاهور - باكستان : 1976 .
- 150 - «رسائل الكندي» جمع وتحقيق : د. عبد الهادي أبو ريذة . ط : مصر .
- 151 - «الرسالة الأضحوية في أمر المعاد» لابن سينا (ت : 428) . تحقيق أستاذنا الدكتور سليمان دنيا رحمه الله تعالى . ط : دار الفكر العربي - القاهرة : 1949 .
- 152 - «رسالة فضل الأندلس» لابن حزم . تحقيق د. إحسان عباس (ضمن رسائل ابن حزم الأندلس) . ط : المؤسسة العربية - بيروت .
- 153 - «الرسالة القشيرية» للقشيري (ت : 465) . تحقيق : د. عبد الحليم محمود . ط : دار الكتب الحديثة - مصر ، وط : الهند .
- 154 - «الروح» لابن قيم الجوزية . ط : دار الندوة الجديدة - بيروت .
- 155 - «الروض المعطار في خبر الأقطار» للحميري (ت : 866) . تحقيق د. إحسان عباس . ط : مكتبة لبنان : 1975 . وط : ليفي برفنسال بالقاهرة : 1937 الذي انتخب من الروض قطعة ونشرها باسم «صفحة جزيرة الأندلس» .
- 156 - «روضة الطالبين وعمدة السالكين» للغزالي . ط : دار النهضة الحديثة - بيروت .
- 157 - «رياض النفوس» لأبي بكر المالكي (ت : 354) . تحقيق : د. حسين مؤنس . ط : النهضة المصرية : 1951 .
- 158 - «زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي (ت : 597) . ط : المكتب الإسلامي - بيروت : 1965 .
- 159 - «طبقات الأمم» لصاعد . تحقيق : لويس شيخو . ط : بيروت 1912 .
- 160 - «طبقات ابن سعد» أبو عبدالله محمد بن سعد (ت : 230) . ط : دار صادر - بيروت : 1960 .
- 161 - «طبقات الأولياء» لابن الملقن . تحقيق : نور الدين شريعة . ط : دار الكتاب العربي : القاهرة .
- 162 - «طبقات الحفاظ» للسيوطي (ت : 911) . تحقيق : علي محمد عمر . ط : مكتبة وهبة - القاهرة : 1973 .
- 163 - «طبقات المفسرين» للحافظ الداودي (ت : 945) . تحقيق : علي محمد عمر . ط : مطبعة الاستقلال الكبرى - القاهرة : 1972 .

- 164 - «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي (ت: 379). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: دار المعارف - القاهرة: 1973.
- 165 - «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام الجمحي (ت: 231). تحقيق: الشيخ محمود أحمد شاكر. القاهرة: 974.
- 166 - «طبقات القراء» لابن الجزري. تحقيق: برجستراسر. ط: القاهرة: 1932 - 1933. واسمه: غاية النهاية في طبقات القراء.
- 167 - «طبقات الشافعية الكبرى» لتاج السبكي (ت: 771). تحقيق: د. محمود الطناحي ود. عبد الفتاح الحلو. ط: عيسى الحلبي القاهرة: 964. وط: الحسينية - القاهرة: 1324.
- 168 - «طبقات الشافعية» لجمال الدين الأسنوي. تحقيق: د. عبدالله الجبوري. ط: بغداد: 1391.
- 169 - «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (ت: 630). ط: بيروت: 65 - 1966.
- 170 - «الكافية في الجدل» للجويني. تحقيق: د. فوقي حسين. ط: القاهرة.
- 171 - «كتاب التوحيد» لابن تيمية. للدكتور محمد السيد الجليلند. ط: 2 - مطبعة التقدم - مصر: 1979.
- 172 - «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب» لابن خزيمة (ت: 339). ط: إدارة الطباعة المنيرية - القاهرة - 1354.
- 173 - «كتاب الجغرافية» المنسوب للزهري. تحقيق: محمد حاج صادق ط: دمشق: 1968.
- 174 - «كتاب الزهد» للحافظ أبي بكر الشيباني. ط: الهند.
- 175 - «كتاب الصفات» للدارقطني (ت: 385). تحقيق: د. علي ناصر الفقيهي. ط: 1983.
- 176 - «كتاب الفنون» لابن عقيل الحنبلي (ت: 503) تحقيق جورج مقدسي. ط: معهد الآداب الشرقية - بيروت.
- 177 - «كتاب السبعة في القراءات» لابن مجاهد. تحقيق: شوقي ضيف. ط: 2 - دار المعارف - القاهرة.
- 178 - «كتاب الشكر» لابن أبي الدنيا. تحقيق بدر البدر. ط: الكويت.
- 179 - «الكليات» لأبي البقاء الكفوي (ت: 1094). تحقيق: الأستاذ درويش. ط: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، لجنة - إحياء التراث العربي، العدد رقم: 36 سنة 1974 - دمشق.

- 180 - «كنز العمال» للمتقي الهندي (ت: 975). ط: مؤسسة الرسالة - بيروت: 1399.
- 181 - «كشاف اصطلاحات الفنون» لمحمد التهانوي (ت: 1158). ط: كلكتا - الهند: 1862، وصور ببغداد بمكتبة خياط، وط: سلسلة تراثنا - تحقيق د. لطفي عبد البديع - مصر.
- 182 - «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» لإسماعيل العجلوني. ط: القدسي - القاهرة: 1351.
- 183 - «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة. ط: إستانبول: 1310.
- 184 - «الكشف عن وجوه القراءات السبع» لمكي بن أبي طالب القيسي (ت: 437). تحقيق د. محي الدين رمضان. ط: مجمع اللغة - دمشق: 1974.
- 185 - «كيمياء السعادة» للغزالي، ط: ضمن مجموعة رسائل كثيرة طبعها الكردي في القاهرة سنة: 1943.
- 186 - «لباب التأويل في معاني التنزيل» لعلاء الدين علي بن محمد، المعروف بالخازن (ت: 725). ط: المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة (وبهامشه تفسير البغوي).
- 187 - «لباب العقول في الردّ على الفلاسفة في علم الأصول» للمكلاطي. تحقيق. فوقية حسين. ط: دار الأنصار - القاهرة.
- 188 - «لطائف الإشارات» للقسيري. تحقيق: إبراهيم بسيوني. ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 189 - «الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» للسيوطي (ت: 911). ط: المكتبة الحسينية بالأزهر: 1352.
- 190 - «اللؤلؤ المرصوع فيما قيل لا أصل له أو بأصله موضوع» للقواحي ط: البارونية - مصر.
- 191 - «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (ت: 630). ط: القدسي بالقاهرة: 1358.
- 192 - «اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع» للأشعري (ت: 32). تحقيق: حمود غرابة. ط: الخانجي - القاهرة: 1955.
- 193 - «اللمع» لأبي نصر السراج الطوسي (ت: 378). تحقيق: د. عبد الحلیم محمود، وطره عبد الباقي سرور. ط: دار الكتب الحديثة مصر: 1960.
- 194 - «لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة» للجويني: د. فوقية حسين محمود. ط: المؤسسة المصرية العامة للتأليف - القاهرة 1965.
- 195 - «لسان الميزان» لابن حجر (ت: 851). ط: حيدر آباد الدكن - الهند: 1330.

- 196 - «لسان العرب» (لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت: 711). ط: دار صادر - بيروت: 1955.
- 197 - «المؤنس في أخبار إفريقية وتونس» لابن أبي دينار (ت: 1110). ط: النهضة - تونس: 1350.
- 198 - «متشابه القرآن» للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: 415) تحقيق د. عدنان زررور. ط: دار النصر للطباعة - القاهرة.
- 199 - «مجاز القرآن» لأبي عبيد معمر بن المثنى. تحقيق: د. فؤاد سزكين. ط: الخانجي - القاهرة: 1954.
- 200 - «مجمع الأمثال» للميداني. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط: القاهرة 1959.
- 201 - «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للهيثمي (ت: 807). ط: القدسي القاهرة: 1352.
- 202 - «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، في 37 جزءاً. ط: الرياض: 1389.
- 203 - «المحرر الوجيز في شرح الكتاب العزيز» لابن عطية (ت: 541). تحقيق أحمد صادق الملاح. ط: منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة: 1974. وط: الشؤون الدينية بالدوحة - قطر. وط: المغرب.
- 204 - «محك النظر» للغزالي. تحقيق الأستاذ محمد بدر الدين النعساني. د: دار النهضة الحديثة - بيروت.
- 205 - «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين والعلماء والحكماء والمتكلمين». للرازي (ت: 606). رجعت إلى طبعتين: ط: بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، وط: المطبعة الحسينية بالقاهرة: 1323.
- 206 - «مدارج السالكين» للإمام ابن قيم الجوزية (ت: 751). الجزء الأول بتحقيق د. كمال إبراهيم جعفر. ط: الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة: 1980.
- 207 - «مختصر المقاصد الحسنة» للزرقاني. تحقيق: محمد الصباغ. ط: الرياض.
- 208 - «المختصر في أصول الدين» للقاضي عبد الجبار المعتزلي. تحقيق د. محمد عمارة (ضمن رسائل العدل والتوحيد). ط: دار الهلال - مصر.
- 209 - «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة» لابن قيم الجوزية. ط: المطبعة السلفية بمكة: 1348.

- 210- «مختصر العلو» للذهبي. اختصره الشيخ ناصر الدين الألباني. ط: المكتب الإسلامي.
- 211- «المخصص» لابن سيده. ط: بولاق - القاهرة: 1366.
- 212- «مرآة الجنان وعدة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان» للإمام اليافعي (ت: 768). ط: مؤسسة الأعظمي: بيروت: 1970.
- 213- «مراتب النحويين» لأبي الطيب اللغوي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: نهضة مصر: 1974.
- 214- «المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا» أو «تاريخ قضاة الأندلس» لأبي الحسن النباهي. تحقيق: ليفي بروفنسال - القاهرة: 1948.
- 215- «المزهر في علوم اللغة» للسيوطي. تحقيق: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد بجاوي. ط: عيسى الحلبي - القاهرة: 1361.
- 216- «المطالب العالية» لابن حجر. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. ط: المطبعة العصرية - الكويت: 1390.
- 217- «الملل والنحل» للشهرستاني (ت: 548). تحقيق: د. عبد اللطيف العبد. ط: مكتبة الأنجلو المصرية: 1977.
- 218- «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» لابن قيم الجوزية (ت: 751) تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. ط: 2 - مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب: 1982.
- 219- «مناهج الأدلة في عقائد الملة» لابن رشد (595). تقديم وتحقيق الدكتور محمود قاسم. ط 3: مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة.
- 220- «مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي» للدكتور علي سامي النشار. ط: 4 - دار المعارف - القاهرة: 1978.
- 221- «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (ت: 597). ط: حيدر آباد الدكن - الهند - 1359.
- 222- «المنتقى شرح الموطأ» للباقي (ت: 474). ط: السعادة - القاهرة: 1332.
- 223- «المنن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين» لابن صاحب الصلاة (ت: 596). تحقيق: د. عبد الهادي التازي. ط: دار الأندلس - بيروت: 1965.
- 224- «المنقذ من الضلال» للغزالي (505) تحقيق د. عبد الحليم محمود. ط: دار الكتب الحديثة: 1974. وط: دار الأندلس بيروت: 1983 بتحقيق جميل صليبا وكامل عياد.

- 225 - «المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي . تحقيق الأستاذ فودة . ط : دار الفكر - بيروت .
- 226 - «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية» لابن تيمية تحقيق : د . محمد رشاد سالم . ط : مكتبة دار العروبة - القاهرة : 1382 - 1384 . وط : بولاق - القاهرة 1321 - 1322 .
- 227 - «المصنف» لعبد الرزاق الصنعاني (ت : 211) . تحقيق المحدث حبيب الرحمن الأعظمي . ط : مطابع دار القلم - بيروت : 1390 .
- 228 - «المصنوع في الحديث الموضوع» لملا علي القاري . تحقيق : الشيخ عبد الفتاح أبو غدة . ط : دار لبنان - بيروت 1389 .
- 229 - «معارج القدس في مدار معرفة النفس» للغزالي . بعناية : الشيخ محمد مصطفى أبو العلا . ط : مكتبة الجندي - القاهرة - ومعها كتاب «قانون التأويل» للغزالي .
- 230 - «المعارف» لابن قتيبة (ت : 276) . تحقيق د . ثروت عكاشة . ط : المعارف - القاهرة : 1966 .
- 231 - «معالم أصول الدين» للرازي . ط : على هامش (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين) للرازي أيضاً . ط : الحسينية - القاهرة : 1323 .
- 232 - «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» للدباغ (ت : 696) . تحقيق : محمد ماضور . ط : المكتبة العتيقة - تونس : 1978 .
- 233 - «معالم التنزيل» للبغوي (ت : 516) . ط : المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة (بهامش تفسير الخازن) .
- 234 - «معترك الأقران» للسيوطي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . ط : القاهرة .
- 235 - «المعتمد في أصول الفقه» لابن الحسين البصري . تحقيق : محمد حميد الله . ط : المعهد الفرنسي - دمشق : 1964 .
- 236 - «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» للمراكشي (ت : 647) . تحقيق : محمد سعيد العريان . ط : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة : 1963 .
- 237 - «معجم أصحاب أبي علي الصدي» لابن الأبار (ت : 658) . نشرة المستشرق كوديرا في مجريط (مدريد) سنة 1884 .
- 238 - «معجم البلدان» لياقوت الحموي (ت : 626) . ط : دار الكتاب العربي - بيروت .
- 239 - «معجم المطبوعات العربية والمعربة» ليوسف اليان سركيس . ط : القاهرة 1928 .
- 240 - «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» للبكري (ت : 487) . تحقيق : مصطفى السقا . ط : القاهرة : 1945 .

- 241 - «معجم الشعراء» للمرزباني . تحقيق عبد الستار فراج . ط: عيسى الحلبي - مصر: 1960.
- 242 - «المعرفة والتاريخ» للفسوي (ت: 277). تحقيق: د. أكرم ضياء العمري . ط: 2 مؤسسة الرسالة - بيروت: 1981.
- 243 - «المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب» للونشريسي (ت: 914). تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الدكتور محمد حجي ، ط: دار المغرب الإسلامي - بيروت: 1982 ، وط: قديمة حجرية بالمغرب .
- 244 - «معيار العلم» للغزالي . تحقيق: أستاذنا الدكتور سليمان دنيا رحمه الله تعالى . ط: دار المعارف - مصر - 1961.
- 245 - «المغرب في حلى المغرب» لابن سعيد . تحقيق د. شوقي ضيف . ط: دار المعارف - القاهرة.
- 246 - «المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب» . للبكري . تحقيق: كونت راندون: الجزائر: 1857.
- 247 - «المغني في أبواب التوحيد» للقاضي عبد الجبار (ت: 415). تحقيق جماعة من العلماء منهم أستاذنا الدكتور سليمان دنيا رحمه الله تعالى . ط: الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- 248 - «مفاتيح الغيب» وهو التفسير الكبير للرازي . ط: المطبعة البهية - القاهرة.
- 249 - «مفاتيح العلوم» للخوارزمي . ط: القاهرة: 1342.
- 250 - «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» لطاش كبرى زادة (ت: 968). تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور . ط: دار الكتب الحديثة - القاهرة: 1968.
- 251 - «مفردات غريب القرآن» للأصفهاني . ط: الحلبي - القاهرة: 1961.
- 252 - «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ت: 902). تحقيق شيخنا عبدالله بن الصديق الغماري . ط: الخانجي - القاهرة: 1956.
- 253 - «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري (ت: 330). تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . ط: القاهرة: 1950 . وط: للتحقيق ريتز - إستانبول: 1929.
- 254 - «مقاييس اللغة» لابن فارس (ت: 395). تحقيق: عبد السلام هارون . ط: القاهرة: 1366.
- 255 - «مقدمة ابن خلدون» تحقيق: د. عبد الواحد وافي . ط: دار البيان العربي - القاهرة.
- 256 - «المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى» للغزالي . تحقيق: ط: دار المشرق

- بيروت، وط: الكليات الأزهرية - القاهرة: 1961.
- 257- «مسائل ابن الأزرق» في إعجاز القرآن. تحقيق: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء). ط: دار المعارف - القاهرة.
- 258- «المسالك والممالك» للأصطخري. ط: قسم منه بالجزائر عام 1857، بتحقيق المستشرق البارون دي سنان. وقسم آخر بتحقيق الأخ الدكتور عبد الرحمن علي الحججي بدار الإرشاد بيروت 1968.
- 259- «المستدرك على الصحيحين في الحديث» للحاكم النيسابوري (ت: 405). ط: حيدر آباد الدكن - الهند: 1335.
- 260- «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري. ط: الهند: 1962.
- 261- «مسند أبي بكر الصديق» للسيوطي. تحقيق: شيخنا عبدالله بن الصديق الغماري، ط: مكتبة النهضة لعبد الشكور قدا - مكة المكرمة. وط: الدار السلفية - الهند.
- 262- «المسند» للإمام أحمد بن حنبل (ت: 241). ط: اليمينية - القاهرة: 1313. وط: أحمد محمد شاعر - دار المعارف بالقاهرة: 1374.
- 263- «مشارك أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب» لابن الدباغ. تحقيق: هـ. ريتز. ط: دار صادر - بيروت.
- 264- «موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» للهيثمي (ت: 807). تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة. ط: السلفية بالقاهرة.
- 265- «الموافقات في أصول الشريعة» للشاطبي. تعليق: الشيخ عبدالله دراز. تصوير بيروت.
- 266- «مواهب الجليل في شرح متن سيدي خليل» للحطاب (ت: 954) ط: تصوير دار الفكر - بيروت.
- 267- «الموطأ» للإمام مالك (ت: 179). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ط: عيسى الحلبي - القاهرة: 1951.
- 268- «الموضوعات» لابن الجوزي (ت: 597). تحقيق: عبد الرحمن عثمان. ط: السلفية بالمدينة المنورة: 1966.
- 269- «الموضوعات» للصاغاني. ط: البارونية - مصر.
- 270- «ميزان الاعتدال» للذهبي (ت: 748) تحقيق محمد علي البخاوي. ط: عيسى الحلبي - القاهرة: 1963.
- 271- «الناسخ والمنسوخ» لهبة الله بن سلامة (ت: 410). ط: الحلبي - القاهرة: 1967.

- 272 - «النبوات» لابن تيمية. ط: دار الطباعة المنيرية - القاهرة: 1346.
- 273 - «النجاة» لابن سينا. ط: السعادة - القاهرة 1331 على نفقة مصطفى الكردي.
- 274 - «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري الأتابكي (ت: 874). ط: دار الكتب المصرية: 1375.
- 275 - «نزهة الألباء في طبقات الأدباء» لابن الأنباري. تحقيق إبراهيم السامرائي. ط: مكتبة الأندلس - بغداد: 1970.
- 276 - «نزهة المشتاق» للإدريسي. تحقيق: دوزي، ودي خوية - أمستردام 1969. وقد قاما بتحقيق القطعة التالية «صفة المغرب وأرض السودان والأندلس من نزهة المشتاق». واعتمدت كذلك على طبعة الجزائر التي حققت أخير بدار المطبوعات الجامعية: 1983.
- 277 - «نظم الدرر في تناسب الآي والسور» للبقاعي. ط: الهند.
- 278 - «نكت الهميان في نكت العميان» لابن أبيك الصفدي. تحقيق: د. أحمد زكي. ط: القاهرة: 1911.
- 279 - «النكت والعيون» في تفسير القرآن الكريم للماوردي (ت: 450). ط: وزارة الأوقاف - الكويت: 1983.
- 280 - «نصوص عن الأندلس» للعذري. تحقيق: د. عبد العزيز الأهواني. ط: مدريد: 1965.
- 281 - «نصوص صوفية غير منشورة» تحقيق: القس بولس نويا اليسوعي. ط: دار المشرق - بيروت: 58.
- 282 - «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» للمقري (ت: 1041). تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت: 1968. وط: الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد: مكتبة النهضة - القاهرة: 1948.
- 283 - «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام» للدكتور علي سامي الشار (ت: 1400). ط: 7 دار المعارف: القاهرة - 1977.
- 284 - «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار» للشوكاني (ت: 1250). ط: مصطفى الحلبي: 1971.
- 285 - «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» لأحمد بابا التنبكتي (ت: 1036). ط: عباس بن عبد السلام بن شقرون بمصر: 1351 (بهاشم الديباج لابن فرحون).
- 286 - «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري (ت: 733). ط: مصر.

- 287 - «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» للقلقشندي . ط : مصر .
- 288 - «نهاية الاقدام في علم الكلام» للشهرستاني (ت : 548) . صححه المستشرق الفرد جيوم . ط : اكسفورد : 1931 .
- 289 - «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير . تحقيق : طاهر الداوي . ومحمود الطناحي . ط : عيسى الحلبي - القاهرة : 1963 .
- 290 - «الصحاح» (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار : ط : 2 - بيروت : 1982 .
- 291 - «صحيح الترغيب والترهيب» للشيخ الألباني . ط : المكتب الإسلامي .
- 292 - «صحيح الجامع الصغير» للسيوطي . ترتيب الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني . ط : المكتب الإسلامي - بيروت .
- 293 - «صحيح مسلم» للإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت : 261) . تحقيق وترقيم الأستاذ المرحوم محمد فؤاد عبد الباقي . ط : عيسى الحلبي : 1374 .
- 294 - «الصلة» لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال (ت : 578) . نشره كوديرا - مدريد سنة 1883 . وط : عزت عطار الحسيني - القاهرة : 1955 . وط : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، سلسلة تراثنا - القاهرة : 1966 .
- 295 - «صلة الصلة» لابن الزبير (ت : 708) . تحقيق : ليفي بروفنسال . ط : المطبعة الاقتصادية - الرباط : 937 ش 1 ، (وهو القسم الأخير فقط من الكتاب) .
- 296 - «صفة جزيرة الأندلس» انظر : الروض المعطار .
- 297 - «صفة الصفوة» لابن الجوزي . ط : الهند .
- 298 - «الصفدية» لابن تيمية . تحقيق محمد رشاد سالم . ط : شركة مطابع حنيفة - الرياض : 1976 .
- 299 - «صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام» للسيوطي (ت : 911) تحقيق علي سامي النشار وسعاد عبد الرازق . ط : مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة : 1970 .
- 300 - «ضعيف الجامع الصغير وزياداته» للسيوطي . ترتيب وتحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني . ط : المكتب الإسلامي .
- 301 - «عارضة الأحوذ في شرح صحيح الترمذي» لابن العربي . بعناية عبد الواحد محمد التازي . ط : المصرية - القاهرة : 1931 .
- 302 - «العبر في خبر من غبر» للإمام الذهبي (ت : 748) . تحقيق د . صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد . ط : الكويت : 1960 .

- 303 - «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» لابن خلدون (ت: 808) رجعت إلى عدة طبعات منها. ط: دار الكتاب اللبناني: 1959.
- 304 - «عمدة القارئ شرح صحيح البخاري» لبدر الدين العيني (ت: 855). بعناية الشيخ محمد زاهد الكوثري. ط: المنيرية - القاهرة.
- 305 - «العقل وفهم القرآن» للمحاسبي. تحقيق: القوتلي. ط: في لبنان.
- 306 - «العقيدة النظامية» للجويني. تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري. ط: الأنوار - القاهرة: 1948.
- 307 - «عقيدة السلف» للصابوني. ط: ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، مصر: 1346.
- 308 - «العواصم من القواصم» لأبي بكر بن العربي. تحقيق الدكتور عمار طالبي، ضمن كتابه آراء أبي بكر بن العربي الكلامية وهو الجزء الثاني. ط: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1974، وط: الشيخ ابن بارس بقسطنطينة: 1347 - 1348.
- 309 - «عيون المناظرات» لأبي علي السكوني (ت: 717). تحقيق: د. سعد غراب. ط: الجامعة التونسية: 1976.
- 310 - «غاية المرام في علم الكلام» للآمدي (ت: 631). تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف. ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة 1391.
- 311 - «غاية النهاية في طبقات القراء» انظر: طبقات القراء.
- 312 - «غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سلام. تصحيح: محمد عظيم الدين. ط: حيدر آباد - الهند: 1384.
- 313 - «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري. تحقيق: علي محمد البجاوي وآخر. ط: 2 - هيسي الحلبي - القاهرة.
- 314 - «الفاخر» للمفضل بن سلمة. تحقيق: عبد العليم الطحاوي. ط: القاهرة: 1960.
- 315 - «فتاوى النووي» لابن العطار. ط: حلب - سوريا.
- 316 - «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني. تحقيق الشيخ عبد العزيز ابن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي. ط: السلفية - القاهرة: 1380.
- 317 - «الفتوحات المكية» لابن العربي الصوفي. ط: الحلبي: القاهرة 1954.
- 318 - «الفرق بين الفرق» لابن طاهر البغدادي (ت: 429). تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. ط: صبيح القاهرة. وط: عزت الحسيني بالقاهرة: 1948. بتحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري.

- 319 - «فرق وطبقات المعتزلة» للقاضي عبد الجبار (ت: 415). تحقيق د. علي سامي النشار والأستاذ عصام الدين محمد. ط: المطبوعات الجامعية - مصر: 1392.
- 320 - «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» لابن رشد (ت: 595). ط: الجزائر بدون تاريخ ولا اسم المطبعة.
- 321 - «فصل المقال» لأبي عبيد البكري تحقيق: د. إحسان عباس وعبد المجيد عابدين - ط: بيروت: 1971.
- 322 - «الفصل في الملل والأهواء والملل والنحل» للإمام ابن حزم الأندلسي (ت: 456). ط: المطبعة الأدبية - القاهرة: 1321. وط: الرياض بتحقيق عبد الرحمن عميرة وزميله.
- 323 - «فصوص الحكم» للفارابي. ط: السعادة - القاهرة: 1907 (ضمن مجموع).
- 324 - «فضائل القرآن» للنسائي. تحقيق: د. فاروق حمادة. ط: دار الثقافة - المغرب.
- 325 - «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة» لأبي القاسم البلخي (ت: 319) والقاضي عبد الجبار (ت: 494). تحقيق فؤاد السيد. ط: الدار التونسية للنشر: 1974.
- 326 - «فهرست ابن خیر ما رواه عن شیوخه من الدواوین المصنفة فی ضروب العلم وأنواع المعارف». تحقيق: فرنكشة قدارة يدين وتلميذاه خليان ربارة طرغوه. ط: سرقسطة: 1393.
- 327 - «فهرس الفهارس» لشيخ شيوخنا عبد الحسي الكتاني (ت: 1962) ط: فاس: 1347. وط: دار المغرب الإسلامي - بيروت - بتحقيق د. إحسان عباس.
- 328 - «الفهرست» لابن النديم (ت: 380). تحقيق: جوستاف فلوجل ط: ليبزيغ - المانيا: 1871.
- 329 - «فوات الوفيات» لابن شاکر الکتبی. (ت: 764). تحقيق: الشيخ محمد محيي الدي عبد الحميد. ط: مكتبة النهضة المصرية. وط: الدكتور إحسان عباس بيروت.
- 330 - «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» للغزالي (ت: 505). تحقيق أستاذنا الدكتور/ سليمان دنيا رحمه الله تعالى. ط: القاهرة: 1961.
- 331 - «القاموس المحيط» للفيروز أبادي (ت: 817) ط: مصطفى الحلبي: 1952. وانظر ترتيب القاموس.
- 332 - «قانون التأويل» للغزالي (ت: 505). تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري. ط: عزت عطار - القاهرة: 1940. وط: مكتبة الجندي بالقاهرة بتحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلى (بذيل معارج القدس).

333 - «قانون التأويل» للقاضي أبي بكر بن العربي . رسالة دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية تقدم بها الطالب محمد مصطفى الصغيري تحت إشراف الدكتور حقي .

334 - «القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه» للسيوطي . ضمن الحاوي للفتاوي . ط : السعادة : مصر : 1378 .

335 - «سرور النفس بمدارك الحواس الخمس» لأبي العباس التيفاشي . تحقيق : د . إحسان عباس . ط : دار الأندلس - بيروت .

336 - «سلسلة الأحاديث الضعيفة» للشيخ ناصر الدين الألباني . ط : المكتب الإسلامي .

337 - «سنن أبي داود» سليمان بن الأشعث (ت : 270) . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر وحامد فقي . ط : أحمد سعد علي - القاهرة .

338 - «سنن ابن ماجه» أبي عبدالله القزويني (ت : 275) . تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي . ط : عيسى الحلبي - القاهرة : 1952 . وط : بتحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي - بالرياض : 1983 .

339 - «سنن الترمذي» تحقيق أحمد محمد شاكر وحامد فقي . ط : مصر .

340 - «سنن الدارمي» لأبي محمد بن الفضل (ت : 255) ط : دمشق : 1349 .

341 - «سنن الدارقطني» الحافظ علي بن عمر (ت : 385) . ط : دار المحاسن بالقاهرة : 1966 .

342 - «السنن الكبرى» لأبي بكر البيهقي (ت : 458) . ط : حيدر آباد الدكن - الهند : 1355 .

343 - «سنن النسائي» (المجتبى) لأبي عبد الرحمن بن شعيب (ت : 303) ومعه شرحه «زهر الربى على المجتبى» للسيوطي (ت : 911) . ط : مصطفى الحلبي - القاهرة : 1964 .

344 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي . تحقيق جماعة من العلماء . ط : مؤسسة الرسالة - بيروت : 1982 .

345 - «السيرة النبوية» لابن إسحاق، رواية وتهذيب ابن هشام . تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي . ط : مصطفى الحلبي - القاهرة : 1375 .

346 - «الشامل في أصول الدين» لإمام الحرمين الجويني (ت : 478) تحقيق المرحوم د . علي سامي النشار وفيصل بدرعون وسهير محمد مختار . ط : منشأة المعارف بالإسكندرية : 1969 .

347 - «شجرة النور الزكية» للعلامة محمد بن مخلوف التونسي . ط : السلفية القاهرة : 1349 . وقد اعتمدت على الجزء الأول فقط ، وربما أهملت الإشارة إلى رقم الجزء .

- 348- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي (ت: 1089) ط: حسام القدسي - القاهرة: 1350.
- 349- «شرح الأصول الخمسة» للقاضي عبد الجبار الهمداني (ت: 410) تحقيق د. عبد الكريم عثمان. ط: مطبعة الاستقلال الكبرى - القاهرة 1965.
- 350- «شرح الخطاب» انظر: مواهب الجليل.
- 351- «شرح الزرقاني على موطأ مالك» ط: القاهرة.
- 352- «شرح كلا وبلى ونعم» لأبي طالب القيسي. تحقيق أحمد فرحات. ط: بيروت.
- 353- «شرح نصير الدين الطوسي على تحصيل الرازي». ط: القاهرة.
- 354- «شرح العقيدة الأصفهانية» لشيخ الإسلام ابن تيمية. قدم له وعرف به: الشيخ حسين مخلوف. ط: دار الكتب الحديثة - القاهرة.
- 355- «شرح العقيدة الطحاوية» تحقيق أحمد شاکر. ط: جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض. وط: الشيخ الألباني بالمكتب الإسلامي بيروت: 1398.
- 356- «الشريعة» للأجري (ت: 360). تحقيق: محمد خليل هراس. ط: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
- 357- «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ت: 276). تحقيق المرحوم أحمد محمد شاكر. ط: عيسى الحلبي - القاهرة: 1364.
- 358- «الوافي بالوفيات» لابن أبيك الصفدي (ت: 764). باعتناء جماعة من المستشرقين على رأسهم هلموت ريتز. ط: بيروت: 1962.
- 359- «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان (ت: 681). ط: بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بالقاهرة: 1949. وط: بتحقيق د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت: 1972.

ج - الدوريات:

- 1- «الربط البغدادية وأثرها في الثقافة الإسلامية» مجلة سومر، ج: 2 م 60، العراق: 1954.

9 - فهرس المقدمة وأبواب الكتاب

5	الإهداء
7	كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور سليمان دنيا رحمه الله تعالى
13	كلمة فضيلة الشيخ العلامة سيد سابق حفظه الله تعالى
17	طليعة الكتاب وهي مقدمة المحقق
23	مدخل لكتاب «قانون التأويل»
23	1 - عنوان الكتاب
24	2 - توثيق نسبة الكتاب إلى ابن العربي
25	3 - بواعث تأليف الكتاب
27	4 - زمن تأليف الكتاب
27	5 - موضوع الكتاب وتحليل مختصر لمضمونه
33	6 - مصادر الكتاب
35	7 - قيمة الكتاب
36	8 - وصف المخطوطات المعتمدة في التحقيق
36	وصف مخطوطة القاضي أحمد بن منصور رحمه الله تعالى
37	وصف مخطوطة الشيخ عبد الحي الكتاني رحمه الله تعالى
38	وصف مخطوطة العلامة محمد المنوني حفظه الله تعالى
39	وصف مخطوطة إستانبول
39	ملاحظة
40	منهج التحقيق
45	نماذج من نسخ المخطوطات المعتمدة في التحقيق

63 متن النص المحقق
69 ذكر ابتداء طلب العلم
75 ذكر الرحلة في طلب العلم
79 ذكر ما لقيته في العلم من المتمرسين والعلماء الراسخين في أثناء رحلتي
91 ذكر دخول بيت المقدس
107 ذكر الرحلة إلى العراق
115 ذكر المعرفة بأمير المؤمنين حين كان عوناً على طلب علم الدين
117 ذكر التوصل إلى المطلوب من العلم
121 ذكر معرفة النفس
132 ذكر معرفة الرب سبحانه
134 ذكر المرأة
136 ذكر حقيقة النوم وحكمته
141 ذكر معرفة حقيقة المثل
143 ذكر قانون من التأويل في آية معينة
147 ذكر تنزيه الذات عن الأمثال
150 ذكر تمام الوصول إلى المقصود من معرفة النفس والرب
158 ذكر أقسام حال النفس
166 ذكر المنازعة بين النفس والجسد
169 ذكر الآيات الواردة في النفس والقلب والجوارح
176 ذكر الاعتذار عن عدول العلماء عن الكتاب إلى أدلة العقول
180 ذكر الخبر عن علوم القرآن
183 ذكر أقسام العلوم
196 ذكر الباطن من علوم القرآن
208 ذكر الحروف المذكورة في أوائل السور
210 ذكر دخول الاجتهاد في علوم القرآن بطريقه
217 ذكر دلالة العلم على الكلام وربط ما بين اللسان والقلب
221 ذكر الحكمة العظمى في خلق الكلام وتسخير القلم
228 ذكر العلم النظري والعلم العملي
230 ذكر القسم الخامس

241 ذكر استيفاء الغرض في التقسيم
243 ذكر معرفة ركني النجاة
244 ذكر بيان أن العلم قبل العمل
258 ذكر علم الأنبياء عليهم السلام
261 ذكر حكمة الأمثال
263 ذكر نموذج من الأمثال تمهيداً لما تقدم
264 ذكر الاستطراد من كلام رب العالمين إلى كلام المخلوقين في هذا الغرض
266 مثل قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً كلمة طيبة ﴾
269 مثل قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء ﴾
277 مثل قوله تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾
282 مثل قوله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا ﴾
297 ذكر أمثلة من القانون عند الانتهاء إلى هذا المقام من بيان مقدماته
297 النوع الأول : في التوحيد
308 النوع الثاني : في الأحكام
330 النوع الثالث : علم التذكير
 ذكر وجه التبليغ إلى المرتبة المستولية على علوم التنزيل بالتجصيل وطريق
339 التوصل إلى الله سبحانه
343 ذكر شرح الصدور
346 ذكر ترتيب الطلب
351 ذكر وجه الشبه القادحة في التأويل وطريق الخلاص منه بهداية الدليل
353 ذكر المعنى الذي أوجب العثور في النظر
366 ذكر القول في تفسير القرآن بالرأي
369 خاتمة الكتاب
372 ذكر المحكم والمتشابه
380 ذكر تيسير العمل بالعمل
 تعديد الكبائر من مجموع الأخبار وقسمتها على الجوارح قصد
390 الضبط والاختصار
395 الفهارس الفنية المختلفة

Dans l'introduction à cette édition nouvelle du "Qānūn al-Ta'wīl- qui corrige nombre de fautes qui entachent une édition parue à Jeddah en 1986 — nous avons essayé d'autentifier l'attribution de l'ouvrage à Ibn al-ʿArabī, puis nous avons traité des circonstances qui ont amené le savant andalou à le composer; nous en avons ensuite analysé les sources et le contenu, pour clore le préambule par la description des manuscrits qui ont servi de base à la présente édition.

Nous avons été tenté d'étoffer l'introduction par une biographie de l'homme et une étude de sa production en vers, mais, dans la crainte d'alourdir le propos, nous avons préféré reporter ces éléments sur un essai à venir que nous intitulerons, si Dieu nous prête assistance:

Abū-Bakr ibn al-ʿArabī: sa vie et son œuvre jiridico-théologique.

Alger 23 Rabīʿ I 1411

13 Octobre 1990

Mohamed - Houcine Slimani

Introduction

Abū-Bakr b. al- 'Arabī était un savant andalou aux intérêts multiples et à la riche personnalité: jūriste (faqīh) averti, rebelle aussi bien à l'imitation des Anciens (taqlīd) qu'au rigorisme de certains de ses contemporains; exégète excellent des textes scripturaires, maître dans la langue, poésie et prose confondues, auteur subtil, capable d'extraire la signification profonde d'une tradition (ḥadīth) et de l'exprimer avec clarté et précision; c'est aussi un historien rigoureux, qui compare les sources, en sépare le bon grain de l'ivraie, ne se contentant pas, comme nombre de ses devanciers, de reproduire les récits et de copier les chroniques; c'est enfin un théologien qui a étudié avec discernement les sources premières du kalām, s'attachant au sens profond qui ne contredit pas les enseignements vrais de l'Islam.

Cependant, nous ne souscrivons pas à toutes ses idées: auteur fécond, Ibn al-'Arabī tombe quelquefois dans l'erreur, du fait même de sa prolixité, mais il se corrige vite, renforcé à chaque fois dans sa recherche du vrai et dans son aversion pour les assertions erronées.

On peut s'étonner qu'Ibn al-'Arabī n'ait pas suscité l'intérêt des chercheurs modernes; même ceux qui partagent ses conceptions n'ont pas songé à l'éditer; c'est ce qui explique qu'il soit méconnu de nos jours.

Aussi ai-je jugé utile de contribuer à faire connaître la personnalité de cet auteur et à montrer son apport dans la théologie dogmatique (Kalām), dans la mouvance as'arite, et proprement dans la pensée andalouse du 5^{ème}/ XI^e siècle.

Pour cela, notre choix s'est porté sur son ouvrage Qānūn al-Ta'wīl (Lois de l'exégèse) qui se caractérise par la fécondité de la matière, la rigueur de la méthode et la clarté de l'exposition: présentation préalable du sujet, cohérence du classement des questions débattues, agencement logique des chapitres.



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لماحها: الحبيب المصطفى

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الاسود

تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113- 5787 - Beyrouth - Liban

الرقم 90/11/3000/193

التتضيد : كومبيوتايب / بيروت

مؤسسة جود للطباعة والتصوير



الطبعة :

هاتف : ٨٧٨١٥٧ - ٨٧٧٧ - بيروت - لبنان

QĀNŪN AL-TA'WĪL

DE

'ABŪ-BAKR 'IBN-AL-'ARABĪ

(543 H./ 1148 J.C)

Texte établi et annoté

par

Mohamed SLIMANI

PROFESSEUR A L'UNIVERSITÉ D'ALGER



Dar al-Gharb al-Islami